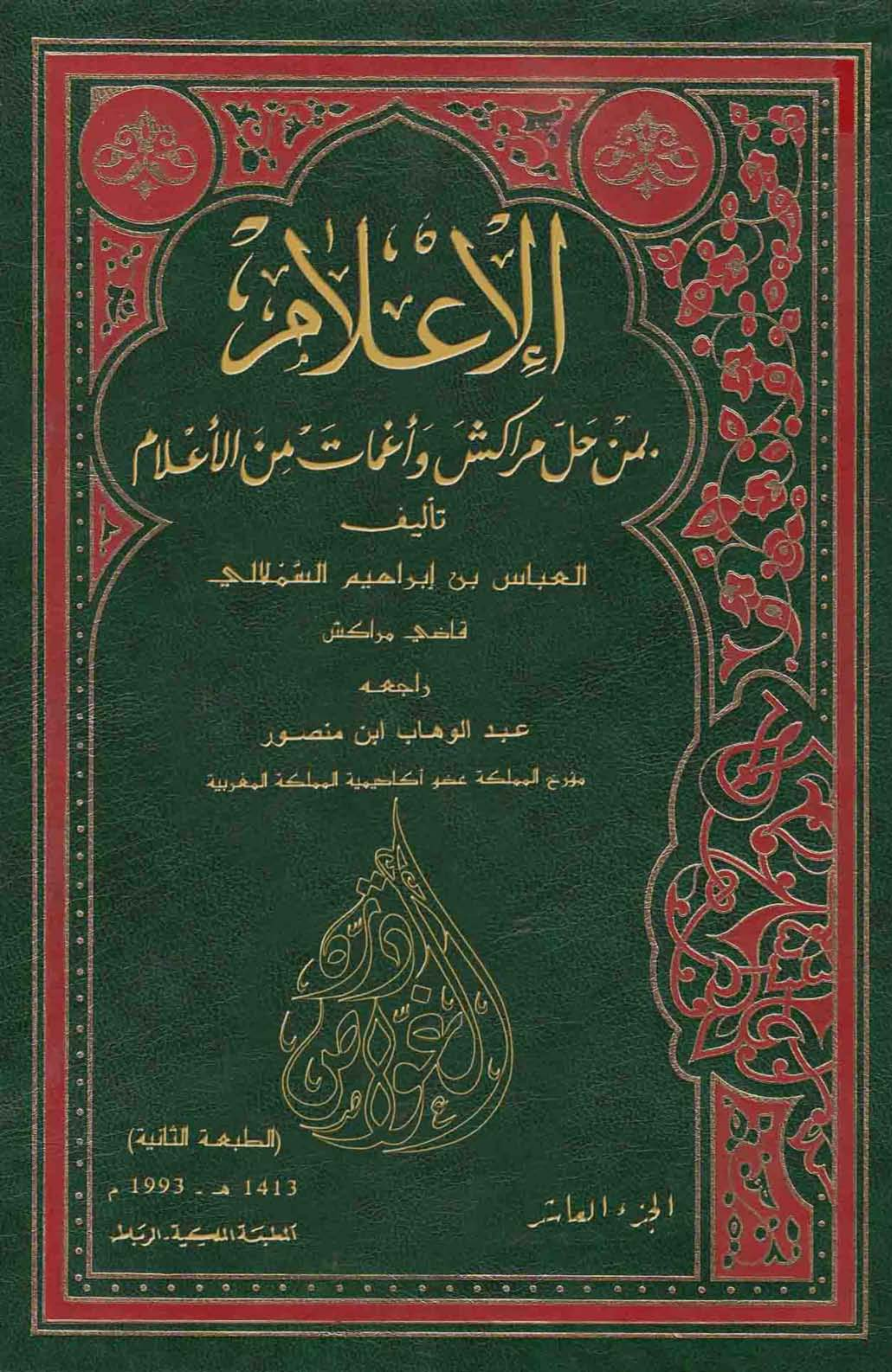

الإعلام
بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام
تأليف
العباس بن إبراهيم السملالي
قاضي مراكش
راجعه
عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية
(الطبعة الثانية)
1413 هـ - 1993 م
المطبعة الملكية - الرباط
الجزء العاشر

الإعلام

بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام

تأليف

العبّاس بن إبراهيم

الجزء العاشر

تحقيق

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة المغربية



1403هـ - 1983م

المطبعة الملكية - الرباط





صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حرف الغين

1498) **غازي بن الكاس** ، لقب جرى بل كان علماً على أمه ، الوزير الأجل ، القديم الهجرة ، الصادق اللهجة ، الكريم النسب ، الرفيع المنصب ، نشأ مع ابي الحسن المريني رحمة الله عليهما ، واختص بخدمته وتميز بجهته .

كان حازماً واقفاً مع الأوامر ، صبوراً على الخدمة ، وقوراً مهيباً بعيداً عن المزاح ، سديد النظر شديد الصريمة في انفاذ الأوامر ، لا يبالي في حق الله وحق مولاه لومة لائم ، حواطاً على ما يؤتمن عليه ، طاهر الجيب عفيفاً مقبوض اليد عن الأموال ، ذا حرمة ، مقداماً بين يدي مولاه على الجواب عنهم بما يعلم انه لا بد من صدور الجواب على النحو الذي يبرزه فيه ، لا سيما ان كان فيما يدرك الحشمة المجاوبة به ، جميل الاعتقاد في اهل الله ، فظاً غليظاً على الولاة والظلام ، حاد العبارة ، سهلا ممتنعاً ، بطلا فارساً.

كان يتولى الوزارة ويقوم بأعبائها ويؤدي لها حقها ، لم يزل رحمة الله عليه مستمراً على خطته الى ان فقد شهيداً في واقعة طريف نفعه الله وتقبله بمنه .

ذكره ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (1) .

وكانت هذه الواقعة المشؤومة سنة 741 كما تقدم في ترجمة مخدومه ابي الحسن (2) .

1499) **الغازي أبو السداد** ، دفين الرميلة بطرف القصور من مراكش ، يحكى ان الشيخ عبد العزيز التباع قال يوماً لخديمه : انظر مَن بالباب ، فخرج فلم يجد الا يهودياً يبيع عطره بين الديار ، فرجع فأخبره ، فمكث هنيأة ثم قال له انظر مَن بالباب ، فخرج فلم يجد الا اليهودي ، ثم في الثالثة فقال إيت به ، فأسلم من حينه وصار من أولياء الله تعالى ، فهو سيدي الغازي المذكور ! هكذا سمى لي بعض اهل مراكش هذا الشيخ ، وذكر لي حكايته ، والفضل بيد الله ، والله ذو الفضل العظيم ، قاله في الممتع (3) وطبقات الحضيكي (4) .

قلت وشاع على ألسنة اهل بلدتنا ان الشيخ سيدي عبد العزيز المذكور امر خديمه ان يُدخلَ عليه مَن وجده بباب داره ليسقيه بالخمرة الربانية ، فلمْ يجدْ الا يهودياً اسمه اسحاق ويهودية اسمها عزونة ، فأسلما على يديْه ، وصارا من اولياء الله تعالى ، غير انهم يغلطون فيجعلونه سيدي اسحاق دفين رحبة الزرع بمراكش ، مع ان صاحب الضريح المذكور هو الشيخ ابو اسحاق ابن الحاج المتقدمة ترجمته في حرف الألف (5) .

1500) الغالي بن المكي ابن سليمان

الغالي بن المكي بن احمد ابن سليمان الفاسي نزيل مراكش ودفينها ، الكاتب الأديب ، الحاذق اللبيب ، اللوذعي الحسيب ، حلو

---

1) **المسند الصحيح الحسن** ص 362 طبع الجزائر 1981 ، **وينظر عنه ايضا تاريخ ابن خلدون** 7 : 32 - 733

2) انظر 9 : 171 ع 1405

3) **ممتع الأسماع** ص 52

4) **طبقات الحضيكي** 2 : 347

5) انظر 1 : 154 ع 11

الشمائل الأريب ، ثابت الجنان ، ومعدن البراعة والبلاغة والعرفان ، ووالده كان محتسباً ، وجده أحمد كان فرضياً ، واصلهم من غرناطة ، من سلالة ذوي العلم والوجاهة من عدوة القرويين بفاس ، وترجم لجده الحاج احمد بن سليمان الأندلسي صاحب (نشر المثاني) في عام واحد واربعين ومئة وألف (6) ، وهو الذي نسخ نسخة من شرح ابن حجر علي البخاري (فتح الباري) في سفر واحد ما زال عند حفدته الى الآن .

ألف المترجم ارجوزة (7) في عد اشياخه الذين اخذ عنهم ومن لقي منهم بمراكش ، منهم شيخُ الشيوخ سيدي محمد بن المدني كَنون ، اخذ عنه النحو والتوحيد وتلخيص القزويني واصولَ الفقه والصحيح والترمذي والموطأ والبردة والهمزية والسيرة وعلم آداب التصوف ، وجعله مجدداً على راس المئة 13 ، ومنهم سيدي المهدي ابن الحاج ، اخذ عنه الفقه والشمائل ، والنحو والأصول والدلائل ، وعلميْ العروض والتصريف ، وعلميْ التوثيق والتعريف ، وسلم المنطق والعقائد ، وبغية من جملة الفوائد ، والشريف سيدي جعفر الكتاني اخذ عنه العلم والتوثيق ، وعلم امراض القلوب بالهوى ، ونبذة مفيدة مما روى ، والقاضي سيدي احمد ابن سودة ، اخذ عنه النحو والمعاني ، والفقهَ والأصولَ والمباني ، ونكتاً بطيها فوائد ، قد نمقت بحليها القلائد ، وسيدي عبد الواحد ابن المواز ، اخذ عنه الأدب المكتسب بشرطه المعروف عند الأدبا ، ونبذة من مبحث الجدال ، مفيدة المجيء بالمثال ، وهؤلاء المعتمد عليهم دون غيرهم (8) .

ومن تاليفه بدائع الاقتباس ، في مناقب سيدي ابي العباس ، يعني السبتي رحمه الله ، والتحف العرائشية على الصلاة المشيشية : اللهم صل على مَن منه انشقت الأسرار ، الّفه حين كان بالعرائش ، وحاشية على المسلك السهل،

6) **نشر المثاني** 2 : 138

7) اثبت المشرفي نص الأرجوزة المذكورة في **الحلل البهية**

8) ما تقدم من مرويات الغالي ابن سليمان عن شيوخه المذكورين ماخوذ من ارجوزته المذكورة ، وقد نقل المؤلف بعض ابياتها المنظومة وكأنها نثر ، ولا شك ان القارىء لاحظ ذلك .

في شرح توشيح ابن سهل لليفرني ، ولوامع الغرر ، في جمع الطرر ، أي طرر الامام سيدي محمد الحراق على الحزب الكبير للامام الشاذلي ، وشرح قصيدة ابن الفارض : زدني بفرط الحب فيك تحيرا ، ونزهة الأبصار ، في شرح قصيدة الأنصار ، مدح بها كعب بن زهير الصحابي خصوص الأنصار ، ومنادمة الأقيال ، في معنى طيف الخيال ، والسيف المشرفي ، لقطع لسان المشرفي ، حيث جعل السيد العربي بن علي المشرفي تقييداً في نحو ورقتين في ذم فاس على عادته في الهجوم فتصدى للرد عليه ، وله نظم اللئال في اللغة ، وارجوزة في نظم ما اشتمل عليه المعرب المبين لابن زاكور .

قال رحمه الله :

علي ان اصطفي من جوهري دررا ... واعتني لذوي الألباب والهمم
ولا علي وليس الفهم من قبلي ... حتى افرق بين البهم والبهم

والشطر الأخير مأخوذ من كلام البوصيري ، وهو أخذ حسن وقع موقعَه .

وقال :

امزج الكاس واجعلن فيه بنجا ... وانظر العود قد دعتْه كمنجا
واجعل المهرَ في الزفاف سلافا ... ليسَ مَن غاب عن هواها كمن جا

وقال :

جاءت لموعدها تميس بقدها ... وبخدها خد كقلب العقرب
ناولتْها كاسَ السلاف فعربدت ... وتستَّرت عني بقلب العقرب

اي البرقع .

وقال :

تسائل عن فؤادي وعن هواه ... فقلت لها فؤادي انت فيه
فأبدت ثورةً ومحتْ رسوماً ... وظنت انني قلت انتفيه

واصله للحافظ ابن حجر العسقلاني كما في غير ما ديوان .

وقـــال :

انــهــض خــليلي وبـــادر الــى سمـــاع كمنجـــا
فليس مَن صـــدَّ تيهـــاً وراح عنهـــا كـمـن جـــا

وهاذان البيتان في صحيفة 19 من (قطع اللجاج بالأجاج) لأحمـد الشافعي المطبوع سنة 1308 ولم يذكر قائلهما .

وله ديوان شعر .

وقال يخاطب سيدي محمد ابن مسعود :

سكنتَ بأهلك تلك القصـــور وخليتَ ما تَبتغي في القصور
وما ذاك الا لفرط الهـــوى تبدى فكنتَ بـــه في القصور

فالقصور الأولى منازل له بمسفيوة ، والقصور الثانية الحومة المعروفة بمراكش ، والقصور الأخيرة مصدر .

وقال أيضاً :

ايامرتضى ما بال خطك مرتضـى كأنه برقٌ من يراعك اومضـا
نظمتَ عقوداً من لئال وكافها تولى كمثل الظبي ولى واعرضـا

وتقدمت سينيتُه في ترجمة سيدي محمد الفاطمي الصقلي (9) ، وشرع في شرح قصيدة المالقي المسماة بأنجم السياسة ، ولم يكمله ، وله تويلفٌ في امثال العامة ، وقصيدة في ملوك الدولة الشريفة العلوية بائية من الطويل ، وشرحها السيد محمد بن مصطفى المشرفي بالحلل البهية (10) .

وكتب مرة كتاباً بين يدي الوزير الصنهاجي واتى باسم كان مؤكداً بضمير منفصل ، وبخبرها مفرداً فلحنه الوزير ، فردَّ عليه بقوله تعالى : اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطرْ علينا حجارة من السماء الآية . فلـم يحر الوزير جواباً .

9) انظر 7 : 95 من هذا الكتاب

10) توجد منها ثلاث نسخ خطية بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط محفوظة تحت نمرة 1019 ونمرة 1336 ونمرة 1020

توفي رحمه الله يوم الأحد 13 شعبان عام 1317 هـ ، ودفن بضريح ابي اسحاق ابن الحاج بمراكش (11) .

1501) **غانم بن سعد السباعي** ، ولي الله تعالى دفين مراكش ، أخذ عن سيدي عبد الله بن ساسي المتقدم ، واخذ عنه الشريف سيدي احمد بن حسين السوسي قرب صفرو ، وهو اخذ عنه سيدي الحسن بن ابراهيم السفياني المتوفى في ثمانية وتسعين والف دفين عين اصليتن من فاس القرويين .

وفي المترجم يقول سيدي الجيلالي بن المختار السباعي في القصيدة التي يمدح بها ابا العباس السبتي : (عودتني حسنَ الجوار بغانم) .

ذكره في الروضة المقصودة واللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون ، والسلوة (12) .

1502) **فاتح بن عثمان التكروي** . الأسمر ، قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد ، وسقى بها الماء في الأسواق احتساباً من غير ان يتناول من احد شيئاً ، ونزل في ظاهر الثغر ، ولزم الصلاة مع الجماعة ، وترك الناسَ جميعاً ثم اقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهي خراب نحو سبع سنين ، ورمّ مسجدها ، ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط ، واقام في وكر بأسفل المنارة

---

11) في الأصل : توفي رحمه الله في متم ذي القعدة عام 1316 وذلك خطأ ، والصواب هو ما اثبتناه ، اعتماداً على شاهد قبره الكائن بضريح سيدي ابي اسحاق ، وهذا نص ما كتب فيه بعد الحمدلة والتصلية :

« هذا قبر الفقيه الكاتب الأديب البارع الحسيب سيدي الغالي بن الفقيه المحتسب المرحوم سيدي المكي بن سليمان الأندلسي الغرناطي ، توفي رحمه الله يوم الأحد ثالث عشر شعبان عام 1317 » (17 دجنبر سنة 1899 م) ، وهذا التاريخ يوافق ما عند صاحب فواصل الجمان ص 204 .

اما ما ذكره الأستاذ محمد عبد الله عنان في فهارس الخزانة الملكية (1 : 142) من انه توفي عام 1302 فهو ايضا خطأ ناتج عن قلة تثبت ، لأن التاريخ المذكور هو تاريخ وفاة الحاج محمد بن المدني جنون احد شيوخ الغالي ابن سليمان المترجم .

12) ينظر عنه السعادة الأبدية 1 : 152 ذكر فيه ان وفاته (ض) تكون آخر المئة العاشرة ، لأن شيخه سيدي عبد الله ابن ساسي توفي سنة 961 هـ

من غير أن يخالط أحداً الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى ، فاذا سلم الامامُ
عاد الى وكره ، فان عارضه احد بحديث كلـّمه وهو قائم بعد انصرافه من
الصلاة ، وكانت حاله ابداً اتصالا في انفصال ، وقرباً في ابتعاد ، وأنسا في
نفار ، وحجّ فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الا وقت النـزول ،
ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم احداً الى أن عاد الى دمياط ، فأخذ في ترميم
الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقـّى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه ، وساق
الماء الى صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس ، واقام فيه ، وكان
قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط ، فرتب فيه اماماً
راتباً يصلي الخمس ، وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الأوراد به ،
وجعل فيه قراء يتلون القرءان بكرة واصيلا ، وقرر فيه رجلا يقرأ ميعاداً يذكر
الناس ويعلمهم ، وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً افضل من الجامع لأقمت
به ، ولو علمت في الأرض بلداً يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت اليه ،
وأقمت به .

وكان اذا ورد عليه احد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه
وأقمت به ، وكان اذا ورد عليه احد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه
ما يضيفه به ، وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما تقع عليه العين او
تسمعه الأذن ، وكان يؤثر في السر الفقراء والأرامل ، ولا يسأل احداً شيئاً ، ولا
يقبل غالباً ، واذا قبل ما يفتح الله عليه آثر به ، وكان يبذل جهده في كتم حاله والله
تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك ، وعرفت له عدة كرامات ،
وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور عن
الفتنة وترك الدعاوي واطراحها وستر حاله والتحفظ في اقواله وافعاله ، وكان
لا يرافقُ احداً في الليل ، ولا يعلم احد يومَ صومه من يوم فطره ، ويجعل
دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ، ثم ان الشيخ عبد العزيز
الدميري اشار عليه بالنكاح ، وقال له النكاح من السنة ، فتزوج في ءاخر عمره
بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهارا البتة ، ولا أكل عندهما ولا شرب
قط . وكان ليله ظرفا للعبادة ، لكنه يأتي اليهما احياناً وينقطع احياناً لاستغراق
زمنه كله في القيام بوظائف العبادات وايثار الخلوة ، وكان خواص خدمه
لا يعلمون بصومه من فطره ، وانما يحمل اليه ما يأكل ويوضع عنده بالخلوة

فلا يرى قط آكلا ، وكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والخفاء ، ويتواضع مع الفقراء ويتعاظم على العظماء والأغنياء ، وكان يقرأ في المصحف ويطالع الكتب ، ولم يره احد يخط بيده شيئاً ، وكانت تلاوته للقرآن بخشوع وتدبر ، ولم يعمل له سجادة قط ، ولا أخذ عهداً ولا لبس طاقية ولا قال انا شيخ ولا انا فقير ، ومتى قال في كلامه انا تفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول أنا ، ولا حضر قط سماعاً ولا أنكر على مَن يحضره ، وكان سلوكه صلاحاً من غير اصلاح ، ويبالغ في الترفع على ابناء الدنيا ويترامى على الفقراء ويقدم لهم الأكل ، ولم يقدم لغني اكلا البتة ، واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني ، واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل ، ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ، ومَن كان من الفقراء يشار اليه بمشيخة جلس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ، ويقول ما اقول لأحد افعل او لا تفعل ، من اراد السلوك يكفيه ان ينظر الى افعاله ، فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه ، وقال له شخص من خواصه ياسيدي ادعُ الله لنا ان يفتح علينا فنحن فقراء ، فقال ان اردتم فتح الله فلا تُبقوا في البيت شيئاً ، ثم اطلبوا فتحَ الله بعد ذلك ، فقد جاء لا تسأل الله ولك خاتم من حديد ، ومن كلامه الفقير بحال البكر ، اذا سأل زالتْ بكارتُه ، وسأله بعض خواصه ان يدعو له بسعة وشكا له الضيق ، فقال انا ما ادعو لك بسعة ، بل اطلب لك الأفضل والأكمل .

وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ، ويلازم الوفاء لأصحابه ، ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الأيتام ويشفق على الضعفاء والأرامل ، ويبذل شفاعته في قضاء حاجات الخاص والعام من غير ان يمل ، ولا يتبرم بكثرة ذلك ، ويكثر من الايثار في السر ، ولا يمسك لنفسه شيئاً ، ويستقل ما منه مع كثرة احسانه ، ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيراً ، ويكافيء عليه بأحسن منه ، ولم يصحب قط اميراً ولا وزيرا ، بل كان في سلوكه وطريقه ترفع في تواضع ، وتعزز مع مسكنة ، وقرب في ابعاد ، واتصال في انفصال ، وزهد في الدنيا واهلها ، وكان من اكبر خبره

ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء : اللهم بعِّدنا عن الدنـيـا واهلها ، وبعِّدها عنا .

وما زال على ذلك الى ان مات آخر ليلة اسفر صباحُها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمئة ، وترك ولدين ليس لهمـــا قوت ليلة ، وعليه مبلغُ الفيْ درهم ديناً ، ودفن بجوار الجامع ، وقبره يزار الى يومنا هذا .

انتهى من خطط المقريزي (13)

1503) **فارح بن مهدي** ، قال ابن خلدون : من معلوجـي السلطـان ، يعني احمد المريني ، واصلــه من موالي بني زيان ملــوك تلمسان ، وقــال في الجذوة : هو من موالي السلطان عثمان بن احمد ، ولا منافاة بين الكلاميْن والله اعلم .

ولما قتل احمد القبائلي ولي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا ، قال في الجذوة : ولم يكن من اهل العلم ، لكنه كان شيخاً مجرباً للأمــــور ، عارفاً مجيداً في التدبير ، وقد اعطى الرياسة حقها ، والخطط مستحقهــا ، وكان ممسكاً عنانه ، فلا يميل مع نفسه ولا يسحب اردانه ، ولا يوحش سلطانه ، موسوماً عند الخلافة بالأمانة ، ملوحظاً لديها بعين المرءة والصيانة ، وكان السلطان عثمان يعتني به لأجل كبر سنه وتربيته الحرة ءامنة بنت السلطــان احمد كانت تبدي له وجهها في حالي صغرها وكبرها ، فكانت له بذلك مزية لم تكن لغيره ، بهذا ذكره التاورتي ، ولعل فيه تعريضاً بالحاجب قبله .

ولما تكلم محمد العربي الفاسي في كتابه «مرءاة المحاسن» على مدينة تيجساس وصفها بقوله : انها في شرقي تطاوين على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غربيها ، وتحتها من شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ، ولها نهر نفاع يجلب اليها منه جدول ، ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقي الزرع والكتان والثمار ،

13) الترجمة منقولة حرفيا من **خطط المقريزي** 1 : 225 – 226 طبعة مصـــورة بالأوفست ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ

فأهلها في أمن من القحط ، الى ان قال : ولم تزل عامرة الى حدود ثمانمئة ، فجلا عنها اهلـُها بسبب جور فارح بن مهدي الوالي عليها من قبل بني مرين ، فخلتْ من سكانها ، وانتقلوا الى القبائل وغيرها ، ولم يزل سورها ماثلا الى الآن . انتهى .

قلت : وفي هذه المدة خربت تطاوين القديمة ايضاً ، فزعم منويل في تاريخه ان قراصين المسلمين من اهل تطاوين وغيرهم كانت تغير على سواحل اسبانيا وتغنم مراكبها ، ولما كانت سنةُ الف واربعمئة مسيحية الموافقة لسنة ثلاث وثمانمئة هجرية بعث الطاغية الريكي الثالث شكوادرة لغزو تطاوين ومراكبها ، فانتهتْ الى وادي مرتيل ، وافسدت قراصين المسلمين التي به ، ثم نزلت عساكرُ الاصبنيول للبر ، فاقتحمتْ مدينة تطاوين بعد ان جلا اهلها عنها ، وخربتها وعاثت فيها ، وبقيت خربة نحو تسعين سنة ، ثم جدد بنيانها ، على يد الرئيس علي المنظري الغرناطي كما سيأتي .

وكانت وفاةُ فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانمئة ، والله اعلم (14) .

1504) **فارس بن الحسن الوريكي** ، الشيخ الولي الجليل الشهير ، من اصحاب سيدي عبد الله بن حسين صاحب مصلوحة (تامصلوحت) فيما ذكر لي ، وقيل انه من اصحاب سيدي محمد بن عيسى الكبير الفهدي ، واخذَ عنه الشيخ الحسن أزناك سماه لي بعضهم ، ونسبه لهذا الشيخ ، ذكر هذا في (الممتع) في موضعين (15) .

---

14) الترجمة من اولها الى آخرها منقولة حرفيا من **الاستقصا** 4 : 89 — 90 ، **وفي** اغفال العزو اليه تدليس فاحش ، اذ يوهم توفيقه بين قول ابن خلدون وقول صاحب الجذوة ، في حين ان ذلك من صنيع صاحب الاستقصا .

ويجب التنبيه ايضا الى الضمير في قلت فهو للناصري طبعا وكذلك قوله : سياتي .

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف للسلطان ابي عنان المريني تحت اسم فارس ، ولما كان هذا السلطان لا يذكر الا بكنيته فقد اثبتنا ترجمته تحت كنية ابي عنان في الجزء الأول ص 344 ع 97 من هذا الكتاب ، فلتراجع فيه .

15) **ممتع الأسماع** ص 122 و 156 والمترجم من حفدة الشيخ عبد الله الغزواني ،

وذكر في (الصفوة) في ءاخرها المترجم وولده سيدي محمد دفين سفح جبل غيغاية ممن لم يقف له على ترجمة (16) ، وتقدم ذكر ولده المذكور في المحمدين (17) .

*) **ابو فارس العمراني** (18) ، **الفقيه قاضي مراكش ايام السلطان** يعقوب بن عبد الحق المريني ، ذكره في القرطاس (19) ، وقد ذمه العبدري في رحلته قال فيها : فلو انتهت خطة القضاء الى عليان او ماني ، لم تكن في الشناعة كانتهائها الى العمراني ، بحضرة مراكش كلأها الله ولا كلأ القاضي المذكور حياً وميتاً ، فانه منجنيق ظلم ترمي به قواعد الدين ، ونفط فساد يضرم قلوب المهتدين ، وقد وفَّق الله لخضد شوكته واخماد جمرته امير المسلمين ايده الله ، فأغمد من جوره سيفاً قاطعاً ، وعوض المسلمين من ظلامه ضياء ساطعاً ، ومن بعض غرائبه التي شاهدتها ان قوماً ادعي عليهم القتل واثبت المدعي دعواه بوثيقة عليها اعلامه بصحتها ، فاحتجوا بأن لهم مدفعاً ، فطلب المدعي تثقيفَهم كما يجب شرعاً ، فقال له القاضي : هؤلاء كبراء الناس واعيانهم ، وممن لا يتغيب ، وهذه سنة اسرائيلية احياها هذا اللعين ، لا حياه الله ولا صفح عنه ، فما اعظم جرأته على الله عز وجل (20) .

---

16) **صفوة من انتشر** ص 205

17) انظر 5 : 353 ع 702 من هذا الكتاب

18) هذه الترجمة لم نضع لها رقما ، لأن المؤلف سبق له ان ذكر المترجم تحت اسمه عبد العزيز (ظ 8 : 403 ع 1254 من هذا الكتاب) ، وهو هنا يذكره تحت كنية ابي فارس ، على عادته في ذكر الشخص الواحد مرة تحت اسمه ومرة تحت كنيته ومرة اخرى تحت نسبه وشهرته ، ولم نتفطن لهذا التكرار فيما يخص ابا فارس عبد العزيز العمراني الا عند الشروع في طبع هذا الجزء ، وعذرنا ان ترجمة ابي فارس اثبتت في الأصل شبه مندمجة في الترجمة التي قبلها غير مفصولة عنها بفراغ او لون ، وعلى اي حال فينبغي الحاق ترجمة القاضي العمراني تحت كنيته بترجمته تحت اسمه .

19) **القرطاس** ص 298 و ص 375 طبع الرباط .

وانظر ايضا الذخيرة السنية ص 86 طبع الرباط .

20) **الرحلة المغربية** ص 12 طبع الرباط 1968

1505) فاطمة بنت عتيق ابن قنترال

فاطمة بنت عتيق بن علي بن خلف ابن قنترال الأموي ، (مالقية) سكنت مراكش ، وقد تقدم رفع نسب ابيها في اسمه ، كانت حافظة للكتاب ، كثيرة التلاوة له ، مواظبة على افعال الخير واعمال البر ، وكانت زوج الفاضل عبد الواحد ابن تقي ، وام صاحبنا محمد ابنه .

وتوفيت بمراكش في حدود الخمسين وستمئة (21) او قبلها بيسير .

1506) فاطمة بنت سليمان ، المولاة ربة الدار العالية بالله ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، قدمت في سنة تسع وثمانين (22) ومئة وألف من مراكش الى فاس بقصد الزيارة ، فركبت ذات ليلة الى ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وضريح الشيخ علي بن حرزهم وضريح الشيخ ابي عبد الله التاودي ، فطافت عليهم وتبركت بتربهم ، وذبحت اكثر من مئة ثور ، واخرجت صدقات كثيرة ، ثم (ذهبت) بعد ذلك الى مدينة صفرو ، فزارت ضريح سيدي ابي سرغين وضريح سيدي ابي علي ، وذبحت وتصدقت وعادت الى فاس ، ثم ذهبت الى زيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، فصحبها في ركابها اعيان فاس واشرافها وعلماؤها ، ولما كانت بأثناء الطريق اعترضها قواد الغرب بهداياهم وبشاراتهم وزيهم ، ووافاها قواد الثغور بضريح الشيخ عبد السلام في مواكبهم وخيلهم ورجلهم ، وذلك عن آمر السلطان رحمه الله ، قال الزياني : وكنت يومئذ والياً على العرائش فحضرت في جملتهم ، ولما قضت ارب الزيارة فرقت الأموال على الأشراف من اهل جبل العلم ، وغمرت الناس بالعطايا ، ثم عادت الى القصر ، ومنه سارت الى العرائش ، فأقامت بها ثلاثة ايام وانفض قواد الثغور كلٌ الى محله ، وسافرت المولاة المذكورة الى مراكش في ألف فارس من العبيد كانوا قد قدموا معها من مراكش عليهم

---

21) ما تقدم منقول حرفيا من **الذيل والتكملة** 8 : 251 (خطي)

22) صوابه تسع وسبعين كما في **الاستقصا** 8 : 25 ضمن حوادث السنة المذكورة .

القائد مصباح ، وكان فعلها هذا من الآثار العظيمة والمناقب الفخيمة ، رحمها الله (23) .

1507) **الفاضل بن المكي ابن مريدة السرغيني المراكشي** ، قاضي مراكش ، قال في (المجد الطارف والتالد) : ادركناه بهذه الحضرة المراكشية ، وحضرنا مجلس درسه للمختصر في جامع ابن يوسف ، وهو من اكابر العلماء ، صاحب سمت ووقار ، ممتثلا قوله صلى الله عليه وسلم كما في الموطأ تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار ، وكان قليل الكلام ، ومن اورع اهل زمانه ، كان مفتياً لا يشاغب المفتين ، تقضّى بآخر عمره عن عزازة نفس ، ولم يطل .

وتوفي رحمه الله في منتصف محرم سنة ثلاث وستين ومئتين وألف (24) .

ووقفت على رسم تعريف مؤرخ 10 شعبان عام 1256 خاطب عليه ، واثبت النسخة القاضي ابن المدني في 22 حجة عام 1276 .

والمترجم والد احد افذاذ مراكش علي ، وكان يجتمع بالمنتسب مولاي عمر بن البخاري صاحب الزاوية بباب الخميس تلميذ مولاي العربي الدرقاوي .

1508) **الفاضل بن عبد المجيد السرغيني المراكشي** ، كان رحمه الله فاضلا ناسكاً نزيهاً حسن السمت ، له معرفة ببعض العلوم ، كالنحو والفقه ، وأم بجامع تشنباشت الكبير من مراكش ، وخطب بالحضرة الشريفة بها ، وكان يعمل المولد كل سنة بداره ، يحضره العامة الذين فيهم مزيد اعتقاد ، ودرس بالجامع الذي كان اماماً به وغيره .

---

23) الترجمة منقولة حرفيا من **الاستقصا** 8 : 25 — 26 ، ولم يتصرف المؤلف الا بابدال عبارة قال صاحب البستان بعبارة قال الزياني .

24) **المجد الطارف والتالد ، على اسئلة الناصري سيدي احمد بن خالد** ، الذي ينقل منه المؤلف كتاب الفه محمد الأمين الصحراوي (ظ 7 : 21 ع 858) ضمنه اخبار رحلته الى فاس وغيرها من المدن المغربية ، واجاب فيه عن اسئلة الشيخ احمد بن خالد الناصري السلوي صاحب كتاب **الاستقصا** ، اختصره الفقيه السيد محمد بن ابي بكر التطواني في نحو الكراسة ، لم اقف عليه ، ويقال ان اصله محفوظ بالخزانة الناصرية بسلا ظ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** 2 : 363

واخذ عنه جماعة كالفقيه سيدي محمد بن مبارك ولد الغول ، والفقيه السيد محمد بن الحاج عمر اليدري المراكشي وغيرهما ، لقيناه مرات ، ولما توفي ليلة ثاني وعشري ربيع الثاني عام اثنين وعشرين وثلاثمئة والف قرئت عليه سلكة من القرءان واهديت له ، وفي الغد صلي عليه بجامع الشرفاء بمراكش بعد صلاة الجمعة ، وحضر جنازته بسبب ذلك جم غفير لا احصي عددهم ، وقيد بخطه انه رأى في عالم النوم كأنه دخل بيتاً من بيوت الله تعالى ، ورآه مملوءاً بالخلق ، وتقدم الى اكبرهم وطلب منه ان يلقنه اسماً من اسماء الله تعالى ، فلقنه ذالك ، وقال له بقيت في عمرك عشرة اعوام ، فتصفح ذلك التاريخ بعد وفاته فطابق ذلك ، وكان والده عدلا يسكن بدرب السيد علي المسفيوي .

1509) الفتح بن محمد ابن خاقان

الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي ، الكاتب ، له سماع من ابي علي الصدفي ، قرأ عليه بلفظه ادب الصحبة للسلمي ، وسمع من ابي محمد البطليوسي كتاب الانتصار من تأليفه سنة 516 وخططه فيه بذي الوزارتين، وكذلك خططه ابو بكر بن العربي .

قال ابن الابار في المعجم : وقرأت بخطه اجازة له على بعض كتب الأصول ، وحدث عن ابي الحسين ابن سراج بحكايات ، وكان قائماً على الأدب مترسلا بليغاً ، ومن تأليفه كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس ، وكتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، وراية المحاسن وغاية المحاسن ، وله مجموع في رسائله .

روى عنه ابو عبد الله ابن زرقون جميع تواليفه ، وسمع كثيراً من نوادره واخباره ، وروى عنه ايضا يحيى بن محمد الأركشي ، وللأستاذ نجبة بن يحيى اجازة" منه باستدعاء ابيه لجميع تواليفه واخباره ، ولم يكن مرضياً ، وحذفه اولى من اثباته .

وتوفي ذبيحاً بفندق لبيب من حضرة مراكش ، ودفن بباب الدباغين ليلة عيد الفطر من سنة 528 قرأت ذلك بخط من يوثق به ، وقيل توفي سنة 29

بعدها ، وفي ليلة الأحد الثاني والعشرين للمحرم منها عبث فيه بأحد بيوت الفندق المذكور ، وما شعر به الا بعد ثلاث من مقتله عفا الله عنه (25) .

وترجمه في الذيل والتكملة ايضاً قال فيه :

الفتح بن محمد بن عبيد الله اشبيلي ابو نصر ، روى عن محمد بن سليمان ابن القصيرة ، ومحمد بن عيسى ابن اللبانة ، واحمد ابن سعدون الكاتب ، وسراج ابن سراج ، وابي خالد ابن بشتغير ، وابي الطيب ابن زرقون ، ومحمد ابن خلصة الكاتب ، ومحمد بن احمد ابن طاهر ، وابي عامر ابن سرور ، وعبد المجيد ابن عبدون ، واسماعيل ابن حجاج ، وابي (...) ابن دريد الكاتب .

روى عند ابو عبد الله بن عبيد الله ابن العويص .

وكان كاتباً بارعاً فصيحاً بليغاً ذا حظ صالح من قرض الشعر ، وله مصنفات منها : قلائد العقيان ، ومطمح الأنفس ، وحديقة المآثر ، وترسيله مدون .

وقصد يوماً الى مجلس قضاء ابي الفضل مخمراً ، فتنسم بعض حضور المجلس منه رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك فأمر به فاستثبت في استنكاهه وحده حداً تاماً ، وبعث اليه بعد ان اقام عليه الحد ثمانية دنانير وعمامة ! فقال الفتح حينئذ لبعض اصحابه : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسم بقلائد العقيان ، قال فقلت له : لا تفعل وهي نصيحة ، فقال لي : وكيف ذلك ؟ قال فقلت له : قصتك معه من الجائز ان تنسى وانت تريد ان تخلدها مؤرخة ، فقال لي : وكيف ؟ قال فقلت له : كل من نظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه مَن هو مثله او دونه في العلم والصيت ، فيسال

25) ما تقدم منقول بالحرف من **معجم اصحاب الصدفي** ص 313 ع 285

عن ذلك ، فيقال له ، فيتوارث العلم بذلك الأصاغرُ عن الأكابر ، قال : فتبين له ذلك وعلم صحته ، فأقر اسمه في الكتاب « قلائد العقيان » .

وسَتْرُ هذه القصة نحو مما يحكى ان أبا عيينة بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي عيينة بن المهلب بن ابي صفرة الأزدي كان يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص هزا رمرد ابن المهلب ، وكان يكني عنها بدنيا ، فتزوجها خالد ابن عمه ، فلج ابو عيينة في هجاء خالد والتشبيب بفاطمة ، فكان خالد يُسيِّرُه ويطرح به كل مطرح ويبعد نواه ، لئلا يجتمع معها بالبصرة ، فيلجُ في تشبيبه بها ويجعل عليها للعيب والعائب سبيلا ، فكان خالد اذا لجَّ في تغريبه وتبعيده لَجَّ هو في هجاء خالد والانحاء عليه ، وفي تذكر فاطمة والشوق الى مطالبتها والملاعب التي كانا يلعبان بها وليديْن ، قال ابو بكر (. . . . . .) قال لي ابي وقد تذاكرنا قصتهما وافضى الى هجائه خالدا : ما كان أحلم خالدا ! ألا تراه كيف احتمل هجاءه على مضضه ولم يَثِبْ به ولم يزده على التسيير والتغريب ، ولو اراد قتله لأمكنه ، لأنه انما كان واحداً من قواده ، وتابعاً له ومضموماً اليه ، ولكنه خاف ان يحقق بقتله قصة فاطمة ، فرأى احتمالَه هجاءه أصغر شأناً وايسر أمراً .

توفي بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم تسع وعشرين وخمسمئة ، ألفي في بيت بفندق لبيب مولى .... اللمتوني ، احد فنادق مراكش وقد ذبح وعُبِث فيه ، وما شعر به الا بعد ثلاث من مقتله (26)

واطال في نفح الطيب في ترجمة الفتح ابن خاقان ونقلها عن الاحاطة (27) .

وترجمه في معجم الأدباء ، قال :

حدثني الصاحب الكبير العالم جمال الدين بن اكرم ادام

---

26) ما تقدم منقول بالحرف من **الذيل والتكملة** 5 : 529 ع 1020

27) انظر **نفح الطيب** 7 : 29 و**الاحاطة** 4 : 248

الله علوه ، قال لما عزم ابن خاقان على تصنيف كتاب قلائد العقيان جعل يرسل الى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائها واعيانها من اهل الأدب والشعر والبلاغة ، يعرفه عزمه ويسأل انقاذ شيء من شعره ونظمه ونثره ليذكره في كتابه ، وكانوا يعرفون شره وثلبه ، فكانوا يخافونه وينفذون اليه ذلك ، وصرر الدنانير ، فكلُّ مَن ارضتْه صلته احسن في كتابه وصفه وصفته ، وكل مَن تغافل عن بره هجاه وثلبه ، وكان ممن تصدى له وارسل اليه ابو بكر ابن باجة المعروف بابن الصايغ ، وكان وزير ابن تفلويت صاحب المرية ، وهو احد الأعيان ، واركان العلم والبيان ، شديد العناية بعلم الأوائل ، مستول على اهل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق ، وله تصانيف في المنطق وغيره ، فلما وصلتْه رسالته تهاون بها ولم يعرها طرفه ، ولا لوى نحوها عطفه ، وذكر ابن خاقان بسوء فعله ، فجعله ختم كتابه ، وصيره مقطع خطابه » ، وبلغ ذلك ابن الصايغ فأنفذ له مالا استكفه به واستصلحه ، وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس ، وصله بقلائد العقيان ، وافتتحه بذكر ابن الصايغ واثنى عليه فيه ثناء جميلا ، انتهى المقصود (28) .

* وممن لم اقف على تاريخ وفاته الولي الصالح المشهور عند العامة بسيدي **ابي الفضائل** بنيت عليه قبة صغرى ، وقبره مزار مشهور بحومة رياض الزيتون الجديد .

1510) **الفضيل الزرهوني** ، ورد مراكش لقراءة الصحيح مع مولاي الحسن ، وراجع ص 17 من ج 2 من الدرر البهية .

حرف القاف

1511) **القاسم الايلاني ابو حدو** ، من اهل رباط تاسماطت ، قدم مراكش ثم نزل مدينة يليسكاون من بلاد دكالة وبها مات رحمه الله ،

28) **معجم الأدباء** 16 : 186 واسقط المؤلف ما أورده ياقوت في هجاء ابن باجة في الأول ومدحه في الثاني .

وكان نهاية في الزهد والتقشف ، وكان قوته خبز الشعير بالماء ، وزهد في شهوات الدنيا فما اكلها حتى لقي الله تعالى ، وكان يقال انه من الأبدال :

تفنى اللذاذاتُ ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الاثمُ والعار
تبقى عواقبُ سوء في مغبتها ... لا خيرَ في لذة من بعدها النار

قال في التشوف (29) : حدثني محمد بن احمد الزناتي قال : رأيت القاسم الايلاني وانا صغير في المكتب بمراكش وهو يصغي الى صبي يقرأ ، فرأيتُ رجلا شديد الصفرة على رأسه خرقة صوف ، وعلى كتفيْه اخرى ، وعلى وسطه مثل ذلك ، فكلما فطن الناس به احتفوا به يستوهبون منه الدعاء ، فما دعا لأحد منهم الا واجيبت فيه دعوته :

عباد الله سادات كرام ... لهم في الخير ان لاح انبعاثُ
علامتهم نحول واصفرار ... واخبات وأطمار" رثاث
فهم للناس في الدنيا امان ... من الأمر المخوف وهم غياث
ابانوا صحبة الدنيا وقالوا ... طلاقُك في شريعتنا ثلاث

ترجمه في التشوف (30)

وقال في نظم رجاله :

سألنا ابا حدو استقامة امرنا .

قال في شرحه حدو لغة وقتية في احمد .

1512) قاسم بن عبد العزيز العلوي

قاسم بن عبد العزيز ، ابن مولانا الحسن بن يوسف ابن مولانا علي الشريف ، كان احد المسجونين بمراكش كما في الأنوار السنية (31)

---

29) وما تقدم منقول ايضا من **التشوف**

30) الترجمة المتقدمة منقولة بالحرف من **التشوف** ص 160 ع 57

31) **الأنوار السنية** ص 72 وفيها زيادة لم ينقلها المؤلف .

1513) قاسم بن محمد الوزير الغساني

قاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني المعروف بالوزير ، قال ابن هشام : غسان ماء بسد مأرب باليمن كان شرباً لولد مازن بن الأسد بن الغوث فسموا به ، ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة ، والذين شربوا منه تخربوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد بن الغوث . انتهى من اوائل سيرته (32)

ووقع لصاحب النشر في نقله هنا تخليط ، وقال في القاموس في غسن : وغسان ابو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان ، وماء بين رمع وزبيد من نزل من الأزد فشرب منه سمي غسان ، ومن لم يشرب فلا . انتهى .

وقال فيه في غسن وكشداد : ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ، منهم بنو جفنة رهط الملوك ، او غسان اسم القبيلة ، قال في شرحه : وهو مازن من الأزد بن الغوث .

وقال سيدنا حسان رضي الله عنه :

اما سألت فأنا معشر نجـب الأسد نسبتنا والماء غسـان

وراجع ما كتبه في الأزد في ترجمة احمد ابن البناء .

ولد المترجَم بقرب الستين وتسعمئة .

كان اديباً ناظماً ناثراً مؤلفاً ، وله مشاركة تامة ولطافة ، اختص من بين الأطباء بسلامة الاعتقاد ، ونظمه جيد ، وله موشحات جيدة ، وله قدم في البلاغة ومهارة في الطب ، وكان من اطباء السلطان احمد المنصور الشريف الملقب بالذهبي من ملوك مراكش والمغرب واحد خواصه ، الف كتباً في الطب ، منها حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار ، واختصره في جزء صغير

---

32) سيرة ابن هشام 1 : 9 — 10

وقفت عليه ، قال فيه عند تمامه : ألف برسم خزانة السلطان المظفر المعان احمد المنصور ابن مولانا امير المومنين محمد المهدي ابن مولانا امير المومنين محمد القايم بأمر الله الشريف الحسني ، ثم قال ورخ تمامه بيوم السبت السابع والعشرين من ربيع النبوي عام اربعة وتسعين وتسعمئة (33) . ومنها الروض المكنون ، في شرح رجز ابن عبدون ، وقفت عليه ايضاً ، ذكر فيه انه شرحه قبله الطبيب ابو القاسم بن يحيى اللمتوني التاشفيني ، والطبيب ابو الفضل بن ابي القاسم العجلاني شرحاً مختصراً لم يتعرضا لشرح شيء من ألفاظ المتن ، وذكر في خطبته ولي عهد الخلافة المولى المامون بن امير المومنين المنصور ، واشتمل الكتاب على امراض الحمى والأورام لا غير ، اتمه عام تسعة وتسعين وتسعمئة ، واسم الناظم هارون بن اسحق ابن عزرون الاسرائيلي ، واصلح نظمه محمد بن عبد السلام المرسي ، وهذا النظم تكملة لرجز ابن سيناء ، ووقفت على شرح رجز ابن سيناء في جزأين لاحمد بن عبد السلام الصقلي تلميذ ابن عزرون .

والمترجم مذكور في درة الحجال ، ونشر المثاني ، فيمن لم يقف على وفاته في المئة الحادية عشرة ، وحلاه احمد المقْري بالطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة ، سيدي ابو القاسم بن محمد الوزير الغساني الأندلسي الفاسي المولد والنشأة ، حكيم حضرة السلطان احمد المنصور بالله السعدي (34)

1514) قاسم بن احمد الحلفاوي

قاسم بن احمد بن محمد الحلفاوي المراكشي ، الفقيه المتصوف ، الناظم الناثر ، العارف المطلع البحاث ، صحب الشيخ الولي الصالح سيدي محمد الكامل ابن الولي الصالح سيدي ابي عمرو القسطالي المراكشي ، والف في مناقبه كتابه الحافل (شمس المعرفة ، في سير غوث المتصوفة) ، وحقق واجاد جزاه الله خيراً ، ورتبه على مقدمة وخمسة ابواب وخاتمة ، المقدمة في

---

33) ما نقدم منقول من **نشر المثاني** 2 : 125 مع بعض تصرف .

34) توفي المترجم عام 1019 وهو يكنى ابا القاسم ، وله ترجمات في **أعلام المغرب العربي** 2 : 144 ع 423 **والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** (صفحات متعددة) ، **ودرة الحجال** 3 : 289 ع 1368 **وروضة الآس** ص 217 .

المعرفة والأحاديث الواردة في كمية اهل الدائرة ومحبتهم وزيارتهم ، الباب الأول في اثبات نسبته المرضية ، واسناد طريقته المروية ، وتسمية اشياخه الى خير البرية ، صلى الله عليه صلاة ابدية ، الباب الثاني فيما دل على تخصيصه بين اخوته ، باشارة شيخه وحسن سيرته ، الباب الثالث في ظهور دعوته البالغة ، وبراهينه البازغة ، وحججه الدامغة ، ونفحاته السابغة ، الباب الرابع في شيء من كلامه المشكور ، وتفسير ما تيسر منه على حسب الفتح والنور ، ومدحه الشائع المشهور ، الباب الخامس في كراماته الظاهرة ، وخصائصه الباهرة ، ومحاسنه الزاهرة ، الخاتمة في ذكر وفاته وما ظهر على بعض خواص حضرته من فضل بركاته ، وهو تأليف نفيس مشحون بحقائق ودقائق ، وقصائد ومقطعات ، وابيات وتعريفات ، وتنبيهات ولمحات ، وشطحات ونفحات ، ومراءٍ وكرامات ، ونكت ادبية ، وتلويحات وموشحات وفتوحات ربانية ، ومواهب رحمانية .

وله نظم كثير وازجال ، وقد ذكرنا قصيدته في مدح مراكش فيما تقدم ، واليه ينسب والله اعلم الدرب المعروف بدرب الحلفاوي بحومة باب دكالة .

وكتب المترجم الى الامام العلامة الولي الصالح سيدي احمد ابن ابي القاسم التادلي الصومعي مع الأخ الصالح ، المحب الفاضل الناصح ، سيدي مسعود ابن سيدي عياد الغفيري في طلب بيان نسبة حقيقة رجال السلسلة المنورة مولداً ومنشأ وحرفة ووفاة على حسب ما امكنه التعريف ، وأجابه بأنه يبدي ما عنده في ذلك ، ثم ابطأ عليه الجواب ازيد من سنة ، فأعاد الطلب بقوله :

عليك أبا العباس مني سلام ... سلام له حسن القبول امام
سلام سلام لا يحدُّ انتشاره ... بكل عبير فايح يسترام
يشفعه الرحمان منه برحمة ... لها بركات ما لهن ختام
من المشفق المشتاق طالب فضلكم ... فجودوا لما انتم عليه علام
ومنوا على عبد غدا بمطولكم ... فقيراً ذليلا قد جفاه منام

أمولاي طال الوعد والوقت ضيق ولي في انتظار العامرية عـام
اروح قلبي كل يوم وليلـــة

ثم قال :

ولاكن يقول الشيخ ابن سينا الذي به رست البيضاء نعم الامـام
اذا استبطأ القصاد شيخـاً فانـــه ليخمد من قلب المريض الغـــرام
فداوِ بعلم مـا جهلنا بفضلكـم وداوِ بحلم عبدكم ياهمـــام
تسرك يانعم الامام سطـــوره بأيدي رجال قد براها غـــرام
وهذا على قدر الرسول لأنـــه عجول ، والا فالقلوبُ هيـــام
سلام من الحلفاوي عبد محبكم وسيلتنا القسطالي ثم ســـلام
يخصـُّكم بدءا وعوداً وكل من له بفحولِ العارفين ذمــــام

ثم وعده ثانياً باجابة الطلب ، فأبطأ عليه نحو سنةِ اخرى فكرر عيله الطلب بقوله :

حنانَيْكَ . . . يامعاشر ســـادة ونجل وليٍّ ضاء في الغرب نوره
رويدك يامسعود عني مبلغـــاً سلامي الى من شب عندي ظهـــوره
وقد كلمتني حين اقرع بابـــه وما كلمته منه يوماً سطـــوره
فان ابا العباس ابدى غرائبـــاً يدل على شيء وقلبي خبيــــره
وقد اكتفى يوماً بكَتْبي لأنـــه تحقق اعاري وسير سميــــره
ولو بسط الرحمان ليَّ سبيله لكنتُ على متن الدياجـي ازوره
وشفعت كتبي والشفيع مبجـل ولاسيما نجل الولي وزيـــــره
وفي اسمه فالٌ يامليح كما تـرى ووالده عياد والعيد ســــوره
وكن ذا ابتهال في جوابي بفضلكم فيالله ما ابطا علي ســـروره

فأجابه بمنثور ومنظوم نصه :

انادى حبيباً هل له مخبر الـــرد وصافى صفي الحب والشرب والود
وهل ياصديق للمعاهد رجعـــة من البين ما يرقى على صدمة الصد
وهل اعشب الزهر المعطر روضه وحامي الحمى (الأحمى) بصمصامة الهند

وهل راح مكبراً وغابت همومــــه ... وبان بسلمى وافياً لها بالعهد
عسى وعسى يدنو زمان هبوبـه ... وحتف حسود بعد ما كان من حسد
ورام صدوراً من معاول شئومــــه ... فضاءت نجوماً للمساعد بالسعـد
ندارك ما قد فات جمعاً لشملنـــا ... وحض عليه العزم بالصد والعزم
ونقطع سحب الوهم دفعاً ظلامــــه ... ولاحظ من سعد ألذ من الشهـــد
ويلقى حبيباً بالحطيم صفـــــاؤه ... ويلقى سليماً في الموارد والرصد
فكلما جمعنا بالصفاء نــزولنا ... واسعدنا قرب الوصال بلا صد
حمدنا على الاكمال شكر سبوغـها ... وشكرنا للانعام حصن من الهـــد
ومن حسن ما يلقى المحب لشوقه ... مشاهدة المحبوب في الصدر والورد
ولما رأيت الحب رقم سطـوره ... كأني بطلعة الحبيب هنا عنــدي
ويوم السبت للذكي دليلـــــه ... ويوم بروز الخلق اوضح ما تبدي
فقلت سلاماً ثم الف سلامنـــا ... على حبنا المحبوب في الله ذي الود
وثم سلام الله مني تحيـــــــة ... على عارف بالله صاح لا مرصـد
وابقاه ربي للأنام ذخـــــيرة ... اماماً لهذا العصر داع الى الرشد
وثم صلاة الله ثم سلامـــــــه ... على خير خلق الله هادي الورى المهدي
وءاله والأصحاب حقاً وتابـــع ... لهم وكريم بالتقى بدا او يبـــدى

وباثر هذه القصيدة وكتب محبكم ومعظم قدركم عبد الله تعالى : احمد ابن قاسم لطف الله به .

وبأثر كراسة الجواب ايضاً ما نصه :

الا قل لخدن الصدق اوحد عصره ... خريدة خدر قد اضاءت كما الشمس
ومسبوطة طرز الى كل ناظـــر ... منوطا بتحقيق زيه عن الطلس
تلقاها كالمحبوب للحب حبـــه ... قبولا باذعان خلي عن الحدس
قسيم غدا كالورد طاب في غصنه ... واطيب من مسك الى ... المـــس
واعطاك ربُّ العرش من سر غيبه ... بفضله علماً من لدى حضرة القدس
وابقاك شهماً للأنام عزيزهـــا ... عزيز معارف خليل الى الرمس
وصلِّ وسلم بالدوام الاَهنـــا ... على خير خلق الله فهو مُنى النفس

وقال المترجم :

ويعظم في الوسع الصغير بنفسه ويصغر عند الفعل جل المعظم
وليس جواد في الفضول مفضلا الى ان يجود المرء بالقلب والفم
فيكمل فيه القول والفعل عندنا يجله رب العرش بالوصف الاقدم

وللمترجم تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عظيم الفوائد ، شريف الموارد ، مهذب المقاصد ، مفتاح الرجاء ، كثير الأسماء ، على حسب كثرة الفوائد منها (بغية السائل ، في اشرف الوسائل ، في الصلاة على المبعوث من خير القبائل) فيه ثلاثون باباً وثلاثمئة وستون فصلا واربعة ءالاف صلاة واثنا عشر نوعاً ، اولها في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وءاخرها في الدعاء الى الله بأسمائه الحسنى بعد الصلاة على النبي صلى الله عيله وسلم .

ودرس رحمه الله ، أقرأ صغرى الشيخ السنوسي وعبادة المختصر لأصحاب الشيخ حين طلبوا منه ذلك .

واخذ رحمه الله عن ابي بكر بن داوود ، وابراهيم بن الحسن ، فكان يحضر عند اولهما في اول النهار والثاني في ءاخره الى ان مرض الأول فاقتصر على الثاني ، ورای ذات ليلة سيدي ابا بكر في المنام وهو في الصف الثاني من جامع ابن يوسف موضع مجلس سيدي ابراهيم ، واذا بأبي بكر يشق الصفوف حتى انتهى اليه ومعه حال عظيم ، واخذ بيده وزاد به الى الصف الأول وهو يقول ما جاء بي الا انت او ما هنا الا انت ، فلما انتبه قال الله اعلم بغيبه ، فلما كان بعد صلاة العصر من يوم الرؤيا وجلس في مكانه المعهود له وكان يعرب القرءان فبلغ الاعراب قوله تعالى : ولقد همَّتْ به وهمَّ بها لولا ان رای برهان ربه ، فانفتح باب التأويل فيما استحال ظاهره على المعصوم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وصدرت اقوال المعربين بين يديه ، ولم يذكر اعراب ما حكاه القاضي عياض عن بعضهم من ان في الكلام تقديماً وتأخيراً ، وان تقديره وهمت به لولا ان رای برهان ربه لَهَمَّ

بها ، فقال ياسيدي حفظك الله ان للامام عياض قولا يحكيه ونصه ، فقال له اعده فأعاده ، فقال هذا احسن التأويلات ، لأنه نص في عدم اهتمامه راساً واستحسنه غاية الاستحسان واعجب جميع الحاضرين سروره بذلك ، فأقسم عليه في ذلك المجلس حتى تأتي تجلس على يميني في داخل وسط الحلقة ، فأدركه من الخجل والحياء ما لم يعلمه الا الله ، فلم يكن له بد من امتثال امره ، فكان ذلك مجلسه بعد حتى اراد الله غير ذلك ، وبالله التوفيق .

وقد ذكرنا بعض احواله في ترجمة شيخه سيدي محمد بن الكامل ابن الشيخ سيدي ابي عمرو المراكشي رضي الله عنهم (35) .

1515) قاسم بن الجيلالي الدكالي الرجراجي البومحمدي ، من اولاد الولي الصالح السيد ابي محمد دفين ...... من دكالة ، وضريحه مشهور واحفاده يرفعون نسبهم الى سيدي شيكر المشهور ، قاضي الجماعة بمراكش بمقصورة ابن يوسف بعد الفقيه الحاج محمد كنون في اواخر ايام المولى عبد الرحمان ، اخذ عن العلامتين سيدي محمد التهامي الأميري ، ورفيقه سيدي عبد الله السكياطي .

كان فقيهاً مدرساً ناسكاً فاضلا خيراً ديناً محمود السيرة ورعا ، امام الصلاة بجامع ابن يوسف يصلي فيه بنفسه .

توفي قاضياً بها يوم الجمعة اوائلَ جمادى الثانية سنة اثنتين وثمانين ومئتين والف ، ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي خارج باب اغمات (36) .

---

35) انظر 5 : 173 ع 648 من هذا الكتاب ، والترجمة المتقدمة وما فيها من نظم كثيرة التصحيف والتحريف ، ولم نعرف المصدر الذي نقلها المؤلف منه لنقابلها عليه ، وقد اجتهدنا ما وسعنا الجهد في اصلاح اخطائها وتقويم اعوجاجها رغم عدم اهميتها ، وابقينا ما عجزنا عن تصحيحه على حاله كما ورد في الأصل .

36) له ترجمة في **السعادة الأبدية** 1 : 38 ط حجرية .

حرف السين

1516) **السالك بن السالك المراكشي** ، وقفت على شرحه على المرشد المعين المسمى قرة العين في شرح المرشد المعين ، ذكر انه اعتنى بالاعراب حيث رأى الشراح اهملوه ، وعليه تقريظ لسيدي الصغير اليفرني نصه : الحمد لله حمداً لأن شرح للسالك مناهج السلوك ، وحلى جيد الشريعة من التآليف العلمية بما هو ابهى من اسماط السلوك ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي ظهر دينه ظهور الشمس راد الدلوك ، وعنت لملته المثلى انوف الأقيال وجباه الملوك ، ورضى الله عن ءاله وصحبه الذين آيتهم على ايديهم للضلال هلوك ، اما بعد فان علماء هذه الأمة المحمدية كالكواكب الدرية ، كلما هوت كواكب بزغت كواكب اخرى سرية ، الا ترى المرشد المعين شرحه ميارة ، ثم جاء السالك فزاد عليه رواية الكواكب السيارة ، وكل منهما فاز من المدد المحمدي بحظه ، وفي ذلك دوام لما تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه ، الا ان ابن السالك في شرحه الذي هو بالفوائد صيب ، لا اجد له مثلا في اختراع محاسنه الا قول ابي الطيب :

تمشي الكرام على ءاثار غيرهم وانت تخلق ما تأتي وتبتدع

وقد جمع هذا الشرح فأوعى ، واقتنى البدائع كرهاً وطوعاً ، فمنا اقتصر عليه كفاه ، وكان الغنى حازتْه كفاه ، وقد سماه مؤلفه قرة العين ، وهو اسم اين مثله في اللطافة اين ، الا ان فيه مع العين اعتراضاً ، لكون العين لا تستحلى الا ان كانت مراضاً ، ولذلك اشرت اليه ان يسميه المورد المعين ، في شرح المرشد المعين ، وليس ما عمله الشارح ، للفطر السليمة بجارح ، فقد ذكر الصفدي في تاريخه ان شرف الدين الدمياطي الف كتاباً سماه الدر الثمين فيمن اسمه عبد المومن ، وناهيك بالشرف اسوة ، ومنهم للشارح قدوة ، والله يجعل هذا الشرح كاسمه خبرة ، وينفع به من طالعه أو أثبته في ملكه واقره ، بجاه المصطفى الكريم ، عليه افضل الصلاة والتسليم .

ذكر كاتب اصل المبيضة المنتسخ منه انه كتبها من خط العلامة سيدي الصغير اليفرني امام جامع ابن يوسف وخطيبها بالحضرة المراكشية امنها الله.

وهذا الشرح في مجلد من القالب الرباعي بخط اليد نسخت منه هذه النسخة في 7 جمادى الأولى عام 1266 .

1517) **سالم بن سلامة السوسي** ، ابو علي رضي الله عنه ، اصله من ردانة (تارودانت) ، ودرس الفقه بفاس على محمد بن عيسى التادلي ، وبأغمات على ابن شبونة وعبد السلام بن ومحال الجراوي واستقر اخيراً بسجلماسة وبها مات عام تسعة وثمانين او تسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً فاضلا .

قال في التشوف (37) : سمعت محمد بن ابي القاسم يقول : دخلت على سالم فوجدته يتوضأ وقد قعد على كرسيه ، وكان ضعيفاً ، فسقط عنه ، فقمت اليه واخذت بيده ، فقال : اللهم يسرْ لي في كرسي قوي شديد ، فأكمل وضوءه وقعد ، وقرأت عليه نحو ورقة ، فاذا بقارع يقرع الباب ، ففتح له ، فاذا ابو بكر بن امغار بن ابي العباس الصنهاجي المؤذن ، فاستأذن على محمد بن علي ابن سليمان ، فدخل معه ومعهما خادم على راسها كرسي على الصفة التي طلب سالم ، فقال له ابو بكر : ان محمد بن علي دخل دار اخته مريم المتوفاة ، فوجد في تركتها هذا الكرسي ، فقال تحمله الى سالم يتوضأ عليه ويدعو لها .

قال محمد بن ابي القاسم : ودخل موسى بن عمر بن ينتزي اللمتوني على سالم ، فقال له عزمت على التوجه الى مكة واردت ان ابيع دمنتي ، فجمع الزواغي جميع الوهبية فدعوا ان لا يساومني فيها احد غير الربيع ، واراد ان ان يبخسني فيها ، فقال خيب الله دعاءهم ورزقك فيها ثلاثة آلاف دينار ! فلم يمض الا اسبوع ، فحضرت عند سالم وقد نظر الى عمامته البالية ، فقال اللهم افتح لي في عمامة جديدة ، فدخل ابن ابي حاج الفاسي علينا وبيده عمامة ،

37) وما تقدم منقول ايضا من **التشوف**

فجاءه موسى بن عمر فقال له ياسالم : قد اجاب الله دعوتك ، وقد اشتراهـا الربيع بثلاثة آلاف دينار ، ثم نظر الى العمامة التي بيد ابي حاج ، فقال له ما هذه العمامة ؟ فقال له ابن ابي حاج اخرجتها للبيع ، فاشتراها منه موسى وقال لسالم : رايتك عمامتك قد تخلقت ، فخذ هذه ، فلما خرج الناس من عند سالم قال لي : لا يغرنك هذا فلا جعله الله مكراً ولا استدراجاً .

وذكر سالم ان يحيى بن سليمان بن ايوب الفطناسي تكلم مع جماعة مـن اهـل سجلماسـة ، فقـال لـن يمطـر هـذا البلـد ما دام فيه سالم ، فبلغ ذلك سالماً فدعا عليه وقال في جملة دعائه : اللهم ارسلْ علينا سيلا يتعجب منه ، قال محمد بن القاسم : فنزل المطر وجاء سيل لم يعهد حتى خيف على البلد ، واما يحيى بن سليمان فكان قد ترك والده نحو عشرة ءالاف دينار دون العقار ، فافتقر حتى صار يسأل الناس ، ولقد جاءني يسألني مرة ، ثم افضى به الحال الى ان قتل في مغارة بطريق درعة شر قتلة ولسانه مخلوع قد جعل على صدره .

قال ابن ابي القاسم : ولما مرض سالم مرضه الذي توفي فيه قلت له من يصلي عليك ؟ فقال لي يصلي علي والدك ، فاني رايت في النوم شخصاً ، فقال لي ابو القاسم هو الرجل الصالح فلا يصلي علي سواه ، قال فتوفي سالـم وابي غائب بتازيما وهي على ثمانية عشر ميلا من سجلماسة ، فلم يمكني ان ابعث الى ابي ، فعزمنا على دفنه بالغداة ، فأرسلنا في السحر الى الغاسل فلم يوجد مفتاح الدرب الذي يسكن فيه الغاسل ، فاحتجنا الى النجار يفتح الباب ، فتعذر علينا دفنُه بالغداة ، ولم يتفرغ من تجهيزه الى قبره الا وقد طلع النهار ، فرفعناه الى شفير قبره ونظرنا مَن يصلي عليه ، فاذا بأبي حاضر ، فتقدم وصلى عليه ، ولما فرغنا من دفنه قلت لأبي من اين عرفت وفاة سالم ؟ فقال لما صليتُ العتمة صرخ صارخ بموته ، فأسريت طول ليلتي الـى ان وصلت فوجدته على شفير القبر (38)

38) ما تقدم منقول حرفيا من **التشوف** ص 277 ع 128

قال في التكملة في ترجمتــه : سمع بفــاس صحيح البخــاري من ابي عبد الله ابن الرمامة ، وكان حافظاً لمسائل الفقه قديراً على ادائها باللسان البربري ، زاهداً سليم الصدر ، توفي سنة 589 وقد نيف على المئة (39) .

ونقله ايضاً الحضيكي في طبقاته (40) .

وقال في الجذوة : سالم بن سلامة السوسي من سوس المغـــرب ، اصله من ردانة (تارودانت) ، يكنى ابا علي ، درس الفقه بفاس على محمد بن عيسى التادلي وابن الرمامة ، وعلى ابي العباس بن ابي جمرة فيما ذكره ابن فرقد ، وبأغمات عن ابن شبونة وعبد السلام الجراوي ، واستقـــــــر بسجلماسة ، وبها توفي سنة تسع وثمانين او عام تسعين وخمسمئة ، وكان عبداً صالحاً ، ذكره في التشوف ، وابن الابار وابن فرقد في مشيخته ، ولمــــا مرض مرضه الذي مات فيه قال له ابن ابي القاسم من يصلي عليك ؟ قال له يصلي علي والدك (41) انتهى .

1518) سالم بن العربي الحمري ، ولد عام اربعين ومئتين والــف ، الفقيه المعمر ، اخذ بفاس عن الشيخ بدر الدين الحمري ، وتلك الطبقة فمن دونها ، وصحب الشيخ الصالح ابا بكر بن علي بن يوسف الناصري الدرعي ، واخذ عنه طريقة اسلافه وغيره .

---

39) ما في التكملة اوسع من هذا ، وها نصه نقلا عن نسختها العتيقة المحفوظة بالمكتبة الحسنية الملكية بالرباط (ص 385) :

« سالم بن سلامة السوسي ، من سوس المغرب ، وسكن سجلماسة ، يكنى ابا محمد ، دخل الأندلس وروى بها عن ابي العباس ابن ابي جمرة فيما ذكره ابن فرقد ، واخشى ان يكون ابنه ابا بكر شيخنا ، وسمع بمدينة فاس من ابي عبد الله ابن الرمامة صحيح البخاري ، وكان حافظاً لمسائل الفقه قديراً على ادائها باللسان البربري ، زاهداً موصوفاً بالبله وسلامة الصدر واجابة الدعوة ، . . . . في مشيخته ، وذكر انه لقيه بسجلماسة سنة ست وثمانين وخمسمئة ، وتوفي سنة تسع بعدها ، وقد نيف على المئة » .

40) **طبقات الحضيكي** 2 : 326

41) **جلوة الاقتبــاس** ص 521 ع 605 طبع الربــاط

اخذ عنه السيد عبد الحي الكتاني لما لقيه ببلاد احمر من عمالـــة مراكــش .

1519) **سراج الدين (42) بن عمر المراكشي** ، اخذ عنه قاضي القضاة احمد بن عمر بن هلال الربعي المتوفى سنة 795 .

1520) **سليمان بن عبد الله الموحد**

سليمان بن عبد الله بن امير المومنين عبد المومن بن علي الموحد الكومي ، كان يلي مدينة سجلماسة واعمالها ، اجتمع به تاج الدين السرخسي بمراكش بعد وفاة يعقوب المنصور بعد ان قدم لمبايعة ولده محمد ، فقال فيه في رحلته : رايته شيخاً بهي المنظر ، حسن المخبر ، فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية ، ومن كلامه في جواب رسالة الى ملك السودان بغانة ينكر عليه تعويق التجارة قوله : نحن نتجاور بالاحسان ، وان تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ، ونتألف على الرفــق بالرعيــة ، ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجورَ لا تعانيـــه الا النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباسُ مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده ، وتردد الجلاَّبة الى البلد مُفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ، ولو شئنا لاحتبسنا مَن في جهاتنا من اهل تلك الناحية ، لكننا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغي لنا ان ننهى عن خُلُق ونأتي مثله ، والســلام .

ووقع الى عامل له كثرت الشكاوي منه : قد كثرت فيك الأقــوال ، واغضائي عنك رجاء ان تستيقظ فتصلح الحــال ، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار وعدم الاختبار ، فاحذر فانك على شفــا جرف هــار !

---

42) المغاربة لا يسمون — الى عصر متأخر — مثل هذا الاسم ، فلا شك في ان سراج الدين لقب لرجل لا نعرف اسمه ، وقد لا يكون مغربياً بالمرة ، وانما نسبته الى مراكش — التي قد تكون اصل ابيه او احد اجداده — جعلت المؤلف يثبته على عادته في الترجمة لكل منسوب اليها والى اغمات حتى ولو لم يكن مغربياً .

من شعره المشهور قصيدة يمدح بها ابن عمه المنصور يعقوب :

هبَّت بنصركم الرياحُ الأربع — وجرت بسعدكم النجوم الطلَّع
واستبشر الفلك الأثير تيقناً — ان الأمورَ الى مرادك ترجع
وامدك الرحمانُ بالفتح الذي — ملأ البسيطة نوره المتشعشع
لِمَ لا ؟ وانت بذلت في مرضاته — نفساً تُفديها الخلائقُ اجمع
ومضيتَ في نصر الاله مصمماً — بعزيمة كالسيف بل هي اقطع
لله جيشك والصوارم تنتضى — والخيل تردى والأسنة تُشرع
من كل مَن تقوى الاله سلاحه — ما ان له غير التوكل مفزع

ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظن ان فراره مُنجٍ له — فلجهله قد ظنّ ما لا ينفع
اين المفرُ ولا مفرّ لهارب — والأض تنشر في يديْك وتجمع
اخليفةَ الله الرضا هُنئتَه — فتحاً يمدُ بما سواه ويشفع
فلقد كسوتَ الدين عزاً شامخاً — ولبستَ منه انتَ ما لا يُخلع
هيهات سر الله اودع فيكم — واللهُ يُعطي مَن يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم — ومَن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل مَن خير الخلائق كلها ؟ — فاليك يايعقوبُ تومي الأصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما — انت المقدمُ والخلائفُ تبَّع
خذها امير المومنين مديحةً — من قلب صدق لم يشنْه تصنع
فالمدح مني في علاكَ طبيعة — والمدحُ من غيري اليك تطبُّع
واسلمْ اميرَ المومنين لأمة — انت الملاذُ لها وانت المفزع
وعليك ياعلَم الهداة تحية — يفنى الزمانُ وعرفُها يتضوع (43)

قال لي الفقيه محمد القسطلاني دخلت الى السيد سليمان بقصر سجلماسة وبين يديْه انطاعٌ عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريقَ على السفار بين سجلماسة وغانة ، وهو ينكتُ الأرض بقضيب من الآبنوس ويقول :

---

43) ينظر نص القصيدة في ديوانه ص 20 وقد قالها في فتح قفصة سنة 583 .

ولا غرو ان كانتْ رءوس عداته   جواباً اذا كان السيوف رسائله

ومات بعد الستمئة رحمه الله تعالى (44)

وقال لما هجره اميرُ المومنينَ يعقوب المنصور ووافق ذلك ان (وفد) على حضرة الخلافة مراكش جمعٌ من العرب والغز من بلاد المشرق ، ونزلوا بتمْر تانسيفت (نسيفة) ظاهر مراكش واستاذنوا في وقت الدخول فكتب الى المنصور :

ياكعبةَ الجود التي حجت لهـا   عربُ الشآم وغزهـا والديلـــم
طوبى لمَن امسى يلوذ بها غـــداً   ويطوف بالبيت الحرام ويحـرم
ومن العجائب ان يفوزَ بنظرة   مَنْ بالشآم ومن بمكة يُحـرم

فعفا عنه واحسن اليه ، وامره بالدخول بهم والتقدم عليهم .

وقال في المغرب (45) في حق سليمان المذكور ما نصه : لم يكن في بني عبد المومن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده ، وكان تقدم على مملكتيْ سجلماسة وبجاية ، وكان كاتباً شاعراً أديباً ماهراً ، وشعره مدون (46) وله ألغاز ، وهو القائل في جارية اسمها ألوف :

خليلي قولا اين قلبي ومن بـــه   وكيف بقاءُ المرء من بعده قلبه
ولو شئتما اسم الذي قد هويتُه   لصحفتما امري لكم بعد قلبـــه

---

44) ما تقدم منقول من **نفح الطيب** 3 : 105 .

45) لا اثر لهذه المقولة في **المغرب** المطبوع

46) كتب في الأصل امام قوله : وشعره مدون ما يلي :

« توجد نسخة من هذا الديوان بالرباط عند الأستاذ بمعهد الدروس المغربية العليا ، حازها عند شريف ادريسي بفاس » .

وهذا الديوان قد جمعه كاتبه محمد ابن عبد ربه المالقي الذي يقال انه نحل كثيراً من شعره للأمير سليمان .

وقد قامت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بنشر الديوان وطبعه بالمطبعة المهدية بتطوان دون اشارة الى تاريخ طبعه .

وله الأبيات المشهورة التي منها :

اقول لركب ادلجوا بسحيـــرة   قفوا ساعةً حتى ازورَ ركابها
واملأ عيني من محاسن وجههـــا   واشكو اليها ان اطالتْ عتابهـا
فان هي جادت بالوصال وأنعمـت   والا فحسبي ان رايتُ قبابَهـــا

وقال يخاطب ابن عمه يعقوب المنصور :

فلأملأنّ الخافقين بذكركــــــم   ما دمت حياً ناظماً ومرســـلا
ولأبذلنْ نصحي لكم جهدي ، وذا   جهد المقل ، وما عسى ان افعـلا
ولأخصلنّ لك الدعاءَ وما انـا   اهـل لـه ، ولعلـه ان يقبـــلا

وله مختصر كتاب الأغاني .

وقال في المغرب في ترجمة ابن عمه علي بن عمر بن امير المومنين عبد المومن ما ملخصه : كان هذا السيد علي قد ولى مملكة تلمسان وبجاية ، وله حكايات في الجود برمكية ، ونفس عالية زكية ، كتب اليه السيد سليمان يوم جمعة :

الـــيـــوم يـــوم الجمعـــــة   يـــوم ســـرور ودعـــــــه
وشـــمـلـــنـــا مُـفـتـــــرق   فـهـل تـــرى أن نجمـعـــه ؟

فأجابه بقوله :

الـــيـــوم يـــوم الجمعـــه   وربـنـــا قـــد رفـــعـــه
والـــشـــرب فـيـــه بـدعـــة   فـهـل تـــرى ان نـــدعـــه

قال ولفظةُ السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بني عبد المومن بن علي .

ذكره في نفح الطيب (47) .

---

47) توفي المترجم يوم 4 صفر عام 604 هـ
ينظر عنه **البيان المغرب** 6 : 171 (تطوان) ، **وديوان الأمير ابي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد** ، و **ذكريات مشاهير رجال المغرب** ع 10 **والمعجب** ص 169 و 183 **ونظم الجمان** ص 171 **ونفح الطيب** 2 : 98 و 3 : 105 و 107 و 109 **والغصون اليانعة** ص 131 .

1521) سليمان بن عبد الله المريني

سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني .

لما هلك السلطان عامـر تصدى للقيام بالأمـر عمه علي بن يوسف المعروف بابن زريقاء (48) وهي امه ، وعليٌ هذا هو الذي قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن الملياني كما تقدم ، وخلص الملأ من بني مرين اهل الحل والعقد الى سليمان المذكور اخي عامـر ، فبايعوه واستتبَّ امـره ، فتقبض على عمه علي بن زريقاء وسجنه بطنجة ، فبقي مسجوناً بها الى ان هلك سنة عشـرة وسبعمئة ، وبث السلطان سليمان العطاء في الناس ، واجزل الصلات ، فأرضى الخاصة والعامة ، وصفا له الأمر ، ثم ارتحل نحو فاس ، واستدعى مَن كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه فأرضاهم بالمال كذلك ، ولمـا فصل من طنجة تبعه عثمـان بن ادريس من سبتة في جيش كثيف ليضـرب في محلته ليلا ، فنذر به عسكر السلطان سليمان فأسهروا ليلتَهم وباتوا على صهوات خيولهم ، فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك ، فناجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره ، وقتل ءاخرون ، وكان للسلطان سليمان الظهور الذي لا كفاء له ، ووصل ابو يحيى ابن ابي الصبر من الأندلس وقد احكم عقدة الصلح مع ابن الأحمر صاحب غرناطة ، ولما راى عثمان ابن ادريس ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فعبر البحر فيمن معه من القرابة الى الأندلس ، وولي مشيخة الغزاة بها ، فكانت له في جهاد العدو اليـد البيضاء ، وعـلا امره بالأندلس ، وزاحم بني الأحمـر ملوكهـا في رياستهـم وجبايتهم ، حتى كاد يستولي على الأمر من أيديهم ، وشرقوا به ومارسهـم ومارسوه مدة طويلة وعدلوا في امره الى المصانعة والمجاملة في اخبـار ليس جلبها من غرضنا ، الى ان توفي ، لكنا نذكر من ذلك نموذجاً يستدل به الواقف على ما وراءه فنقول : لما توفي عثمان بن ادريس رحمه الله كتب على قبره ما صورته : هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال والكماة ، واحد الجلالة ، ليث الاقدام والبسالة ، علم الأعلام ، حامي ذمار الاسلام ، صاحب

---

48) في تاريخ ابن خلدون : رزيقة .

الكتائب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازي المسطورة ، وامـــام الصفوف ، القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ، وقاصم الأعاد ، واسد الآساد ، العالي الهمم ، الثابت القدم ، الهمام الماجد الأرضى ، الباسل الأمضى ، البطل الهمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدس المرحوم ، ابي سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل ، الهمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المقدس المرحوم ، ابي العلاء ادريس ، بن عبد الله ، بن عبد الحق ، كان عمره ثمانياً وثمانين سنة انفقه ما بين روحة في سبيل الله وغدوة ، حتى استوفى في المشهور سبعمئة واثنتَين وثلاثين غزوة ، وقطع عمره مجاهداً مجتهداً في طاعة الرب ، محتسباً في ادارة الحرب ، ماضي العزائم في جهاد الكفار ، مصادماً ما بين جموعهم تدفق التيار ، وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ، ما سار ذكره في الأقطار ، اشهر من المثل السيار ، حتى توفي رحمه الله وغبار الجهاد طـــي اثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار واحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه ، واستأثر به سعيداً مرتضى ، وسيفه على راس ملك الروم منتضى ، مقدمة قبول واسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلا على نيته الصالحة ، وتجارته الرابحة ، فارتجت الأندلس لبعده ، اتحفه الله برحمة من عنده ، توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمئة رحمه الله.

واما السلطان سليمان فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادي عشر ربيـع الأول من سنة ثمـان وسبعمئة ، فأقـام بهـا سنة المـولـد الكريم ، وفرق الأموال ، واستقامت الأمور ، وتمهد الملك ، وعقد السلم مع صاحب تلمسان ابي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن ، واقام وادعـــاً بحضرته ، مجتنياً ثمرة ملكه ، وكان في ايامه غلاء ، الا ان الناس انفتحت لهم فيها ابواب المعاش والترف ، حتى تغالوا في اثمان العقار ، فبلغت قيمتها فوق المعتاد ، حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء ، فاتخذوا القصور المشيدة ، وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وانـواع النقوش ، وتناغوا في لبس الحرير وركـوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلي من الذهب والفضة ، واستبحر العمران ، وظهرت الزينة والأمور كلها بيد الله .

وكان اهل سبتة قد سئموا ملكة اهل الأندلس ، وثقلت عليهم ولايتهم ، لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن ادريس وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر ، واتصل الخبر بالسلطان سليمان فانتهز الفرصة فيهم وعقد لثقته تاشفين بن يعقوب الوطاسي اخي وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بني مرين وسائر طبقات الجند ، وبعثه الى سبتة ، فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ، ولما احسَّ به اهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بني مرين وثاروا على مَن كان بسبتة من حامية ابن الأحمر ، فأخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمئة ، وتقبض على قائد القصبة يحيى بن مليلة ، وعلى قائد البحر علي ابن كماشة ، وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطيَّر تاشفين بالخبر الى السلطان سليمان فعمَّ السرور وعظم الفرح ، واتصل ذلك بابن الأحمر فضاق ذرعه وخشي عادية بني مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه وراى ان يجنح الى السلم مع السلطان سليمان لشدة شوكته ، ولكلب الطاغية عليه في ارضه ، لولا ان غزاة بني مرين يكفون من غربه ، فبادر السلطان ابن الأحمر وهو ابو الجيوش نصر بن محمد اخو المخلوع الذي كان قبله واوفد رسله على السلطان سليمان راغبين في السلم خاطبين للولاية ، وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيباً للسلطان سليمان في الجهاد ، فقبل منه ذلك ، وعقد له الصلح على ما اراد وخطب منه اخته فأنكحه ابن الأحمر اياها ، وبعث السلطان سليمان اليه بالمدد للجهاد اموالا وخيولا جنائب مع ثقته عثمان بن عيسى اليرنياني اخي وزيره ابراهيم بن عيسى ، واتصلت بينهما الولاية الى ان توفي السلطان سليمان رحمه الله (49) بتازة بين العشاءين ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الأخيرة من سنة عشر وسبعمئة ، ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الأعظم من تازة رحمه الله .

---

49) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 3 : 97 وانظر ايضاً **تاريخ ابن خلدون** 7 : 494

1522) **سليمان بن داوود** (50) وزير السلطان ابي عنان المريني ، لما رجع السلطان ابو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقي في نفسه منها شيء ، وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الدواودة المخالفين فأهمه شأنهم ، واستدعى سليمان بن داوود من مكانه بجبل طارق ، وعقد له على وزارته وسرحه في العساكر الى افريقية ، فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمئة ، وكان السلطان ابو عنان لما خالف عليه يعقوب بن علي وفرّ الى القفر اقام مكانه اخاه المنازع له في رياسة رياح ، ميمون بن علي وقدمه على اولاد محمد من الدواودة ، واحله بمكانه من رياسة البدو ، فنزع اليه عن اخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان ايضاً طوائف من اولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعاً للوزير ، ونزلوا بحللهم على معسكره .

ثم ارتحل السلطان ابو عنان من فاس حتى احتل تلمسان ، فأقام بها لمشارفة أحوال الوزير المذكور ، واحتلّ الوزير بوطن قسنطينة ، وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مزني بأن تكون يده معه ، وان يفاوضه في احوال الدواودة لرسوخه في معرفتها ، فارتحل اليه من بسكرة ، ونازلوا جبل اوراس واقتضوا جبايته ومغارمه ، وشردوا المخالفين من الدواودة عن العيث في الوطن ، فتم غرضهم من ذلك ، وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى اول اوطان افريقية من آخر مجالات رياح ، وانكفأ راجعاً الى المغرب ، فوافى السلطان ابا عنان بتلمسان ، ووصلت معه وفود العرب الذين ابلوا في الخدمة ، فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم في العطاء بالزاب ، وكتب لهم بذلك ، وانقلبوا الى اهليهم فرحين مغتبطين ، ووفد على اثرهم احمد بن يوسف بن مزني ، اوفده ابوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق ، فتقبلها السلطان واكرم وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه احوال كرامته ، وليستبلغ في الاحتفاء به ، واحتل بدار ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمئة (51)

---

50) اسمه الكامل : سليمان بن داوود بن اعراب العسكري ، ولا ندري سبباً لاقحام ترجمته هنا دون اشارة الى دخوله مراكش او كونه من اهلها ، فان كان اقحامه لمجرد انه وزير — وذلك يقوي الظن بأنه حل بها — لوجب على المؤلف ذكر جميع الوزراء المغاربة في هذا الكتاب ، وهو ما لم يفعله .

51) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 3 : 203 وانظر ايضاً **تاريخ ابن خلدون** 7 : 620

1523) سليمان بن يحيى السفاج

سليمان بن يحيى بن سليمان المراكشي السفاج ، الشيخ ابو الربيع ، عده في الديباج من اشياخ محمد بن احمد بن محمد بن ابي بكر ابن مرزوق الملقب بشمس الدين ، وكذلك في الجذوة ، ذكره فيها من اشياخه في ترجمته (52)

1524) سليمان بن ابراهيم ، الفقيه القاضي بقصبة مراكش المحروسة ، له معرفة بالفقه والفرائض والحساب والنحو وغير ذلك ، ولد بعد العشرين وتسعمئة ، وهو احد امناء بيت المال ، اخذ عنه جماعة ، منهم الامام الأسعد احمد المنصور ، كان حيا سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (53)

1525) سليمان بن ابراهيم التاملي

سليمان بن ابراهيم بن سليمان التاملي ، احد كتاب احمد المنصور كتاب الانشاء ، ولد سنة ثمان وستين وتسعمئة ، كان حياً سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (54)

1526) سليمان بن مهدي ابن النعمان ، من اهل مدينة فاس ، وسكن مراكش .

(توفي سنة سبع وستمئة وسنه نحو السبعين)

ذكره في الجذوة (55)

---

52) **الديباج المذهب** ص 305 **وجذوة الاقتباس** ص 225 ع 194 طبع الرباط .

53) **درة الحجال** 3 : 312 ع 1409 طبع تونس .

54) ظ **درة الحجال** 3 : 313 ع 1410 .

55) **جذوة الاقتباس** ص 515 ع 592 طبع الرباط .

1527) سليمان بن عبد القادر الزرهوني ، الكاتب الأسما ، صاحب القلم الأعلا ، كاتب الدولتيْن الرشيدية والاسماعيلية ، المطلع على سـر الحضرتيْن ، وصفه في الدر السني بالخير وثقة الكتاب ودينهم لما ذكر عنه حكـايـة .

وذكر له في المقصد حكايات مع الولي العارف بالله سيدنا احمد بن عبد الله (معن) توذن بمحبته وميله الى جانب اولياء الله تعالى ، وانه ممن كان عند سيدنا احمد بن عبد الله من المعتنَى بهم ، ومن بركة ذلك لما قبض السلطان على ابن اخيه الكاتب عبد الواحد نجـاه الله من غوائل ذلك ببركة معرفة سيدنـا احمد ، نفعنا الله بـه .

ذكره في النشر فيمن توفي عام 1098 ثمانية وتسعين والف (56)

1528) سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)

سليمان اميـر المومنين بن سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيـل العلوي الحسني (57) .

كـان المـولى سليمـان رحـمـه الله اعلـق بقلب ابيـه مـن سائر اخوته على ما قيل لسعيه فيما يرضى الله ورسوله ويرضى والـده ، واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلماسة وغيرها ، ولم يلتفت قط الى شيء مما كان يتعاطاه اخوانه الكبار والصغار من امور اللهو ، كالصيد والسماع ومعاقرة الندمان وما يزرى بالمروءة ، ولم يأت فاحشةً قط من صغره الى كبره ، وكان رحمه الله يرى له ذلك ويثيبه عليه بالعطايا العظيمة والذخائر النفيسـة والأصول المعتبرة التي تغلُ الألف واكثر ، وينوه بذكره في المحافل ، ويبعث

---

56) **نشر المثاني** 2 : 337 طبع الرباط 1982 .

57) هذه الترجمة الطويلة العريضة سلخها المؤلف سلخاً من **الاستقصا** (8 : 86 طبع الدار البيضاء) دون ان يكلف نفسه عناء الاشارة الى المصدر المنقول منه ، ودون عناية بتهذيبها وترتيبها ترتيباً يتفق مع روح العصر ، وهو شيء يواخذ عليه كثيراً ، لأنه يوهم ان العمل عمله بينما هو في الحقيقة عمل غيره .

اليه بأعيان الفقهاء والأدباء الى سجلماسة ليقرأ عليهم ويأخذ عنهم ، ويدعو له في كل موقف على رؤوس الأشهاد ، ويقول ان ولدي سليمان رضي الله عنه لم يبلغـْني عنه قط ما يكدر باطني عليه ، فأشهدكم اني عنه راض .

ونشأ رحمه الله نشأة حسنة طيبة ، وكانت شمائل الملك لائحةً عليه الى ان اظفره الله به ، وكان قدم على اخيه المولى يزيد بقبائل الصحراء فأجلّ مقدمه ، واكرم وفادته ، فأقام المولى سليمان رحمه الله بفاس الى ان كانت وفاة المولى يزيد في التاريخ المتقدم (58) فاتصل خبرُ موته بأهل فاس ومكناسة ، فقاموا على ساق ، واتفق العبيد والوداية والبربر واهل فاس على بيعته لما كان عليه من العلم والفضل والدين وسائر الأوصاف الحميدة التي تفرد بها عن غيره .

مبايعـةُ المـولى سليمـان

ولما قدم العبيد والبربر من مكناسة الى فاس اجتمعوا بأعيـــان الوداية واهل فاس ودخلوا ضريح المولى ادريس رضي الله عنه وبايعوا امير المومنين المولى سليمان يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة ست ومئتين والف ، ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد ، فاستقرّ بدار الملك منها ، وقدمـــت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم ، ثم قدم بعدهم قبائل بني حسن واهل الغرب ، ثم اهـل العدوتين سلا وربـاط الفتح ، وانحرف بعضُ اهل رباط الفتح عن بيعته كما سيأتي ، ثم قدم عليه اهل الثغور الهبطية بعد ان توقفوا عن بيعته مدة يسيرة لأنهم كانوا قد بايعوا المولى مسلمة .

---

58) هذا سياق كلام الناصري في **الاستقصا** ، اما المؤلف الناقل فلم يتقدم له ذكر تاريخ ، وتاريخ وفاة السلطان اليزيد هو اواخر جمادى الثانية سنة 1206 هـ بمراكش ، ودفن بقبور الأشراف السعديين منها قبلي جامع المنصور بالقصبة .

حـرب السلطان المولى سليمـان لأخيه المولى مسلمة وطـرده الى بـلاد المشـرق

ثم لما تمت بيعة السلطان المولى سليمان بن محمد رحمه الله بفاس باتفاق اهل الحل والعقد من الجند والعلماء والأشراف وسائر الأعيان تداعى امر المولى مسلمة الى الاختلال ، وكان اول ما ابتدأ به عمله (59) بعد تلك البيعة المستعجلة ان بعث جريدة من الخيل الى نظر القائد محمد الزعري الى رباط الفتح ، وذلك باستدعاء محتسبها العباس مرينو والمكي بن العربي فرج من اهلها المنحرفين عن المولى سليمان الى التمسك بدعوة المولى ملسمة ، وكان اهل رباط الفتح يومئذ على فرقتين ، فرقة دخلت في طاعة السلطان المولى سليمان ، وفرقـة قامت بالتمسك ببيعة المولى مسلمة .

ولمـا اتصل بالمولى سليمـان خبـر مسير الزعـري الـى رباط لفتح عقد لأخيه المولى الطيب على بني حسن وبعثه في اعتراضه ، فتوافى الجيشان معـاً بربـاط الفتح ، ووقعت الحـرب فانهـزم الزعـري وشيعتُه ، وقتل العباس مرينو وفرَّ المكي فرج الى الزاوية التهامية فاستجار بها ، وقبض المولى الطيب على الزعري وجماعة من اصحابه ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان ، واجتمعت كلمة اهل العدوتين على طاعته ، هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر ، وءال فرج يثبتونه ويقولون ان اصلَ هذه الفتنة ان ءال مرينو كانتْ لهم الوجاهة مع المولى يزيد رحمه الله ، فسعوا عنده بئال فرج ، وقالوا له انهم تقاعدوا على مال الوزير محمد العربي قادوس الذي امنه عندهم فبطش بهم المولى يزيد ، وصادرهم ، واستحكمت العداوة يومئذ بينهم وبين ءال مرينو ، فلما توفي المولى يزيد بادر ءال مرينو ومن لافـَّهم الى بيعة المولى مسلمة ، وانحرف عنهم الى يبعة المولى سليمان مـَن لم يكن من حزبهم ، ولما قتل العباس مرينو عمد أوباش رباط الفتح الى شلوه وربطوا في رجله حبلا وجروه في اسواق المدينة وعرضوه على حوانيتها حانوتـاً

(59) الضمير هنا يعود على المولى مسلمة

حانوتاً ، اذ كان في حياته محتسباً رحمه الله ، وكان السلطان المولى سليمان في هذه المدة مقيماً بفاس لم يتحرك منه .

ثم ان المولى مسلمة صاحب بلاد الهبط بعث ولده الى ءاية يمور وامرهم ان يشنوا الغارة على اهل زرهون الذين هم في طاعة السلطان ، ففعلوا وكثر عيثهم في الرعايا ، فسار المولى سليمان الى مكناسة واستنفر جيش العبيد وقبائل البربر ، ثم وافاه الوداية واهل فاس وشراقة ، فاجتمع عليه منهم الجمُّ الغفير ، وصمد بهم الى ءاية يمور ، فألفاهم على نهر سبو بالموضع المعروف بالحجر الواقف ، فصمدت اليهم العساكر واوقعت بهم وقعة شنعاء ، وفرَّ ولد المولى مسلمة فلحق بأبيه ولجأ ءاية يمور بقضهم وقضيضهم الى جبل سلفات ، وبقيت حلتهم بماشيتها واثاثها بيد السلطان ، فانتهبتها جيوشه من العبيد والوداية والبربر ، وبات السلطان هنالك ، ولما اصبح بعث اليه ءاية يمور نساءهم واولادهم للشفاعة ، وطلب العفو فعفا عنهم ، وثابوا اليه وبايعوه ، فأنعم عليهم بماشيتهم وزرعهم ، وعاد الى فاس .

ثم بلغه ان المولى مسلمة معسكر ببلاد الحياينة فنهض اليه من فاس فأوقع به ، فانهزم المولى مسلمة وجيشه ، ونهب جيش السلطان محلة الحياينة ، وجاءوا تائبين فعفا عنهم ونظمهم في سلك الجماعة ، وتفرق على المولى مسلمة مَن كان معه من عرب الخلط واهل الجبل ، ولم يبق معه الا خاصته وولداه وابن اخيه المولى حسن بن يزيد ، فسار الى جبل الزبيب ، فلم يقبلوه ، ثم انتقل الى الريف فأهملوه ، ثم صعد الى جبل بني يزناسن فطردوه ، ثم توجه الى ندرومة فمنعه صاحبها من الوصول الى الباي صاحب الجزائر ، وكان ذلك عن امر منه ، فتوجه الى تلمسان وأقام بها .

قال صاحب البستان : وهناك اجتمعت به في ضريح الشيخ ابي مدين بالعباد ، يعني حين قدم تلمسان مفارقاً للسلطان المولى سليمان ، وزعم ان المولى مسلمة اجتمع به ولامه على تخذيل الناس عن بيعته وحضه اياهم على بيعة اخيه المولى سليمان ، قال فبيَّنت له حال المولى سليمان ، وما هو عليه

من اتباع سيرة والده في العدل والرفق بالرعية ، وبذلك احبه الناس ، فلما سمع كلامي بكى واعترف بالحق وتلا قوله تعالى : (ولو كنت اعلم الغيب لأستكثرت من الخير) ، ثم طلب من صاحب الجزائر ان يأذن له في الذهاب الى المشرق والمرور بايالته فأبى ، وبعث مَن ازعجه من تلمسان الى سجلماسة .

ولما اتصل خبره بالمولى سليمان وانه عاد الى سجلماسة ارسل اليه مالاً وكسى وعيَّن له قصبة ينزلها ورتب له ما يكفيه في كل شهر كسائر اخوته ، فلم يطبْ له مقام بها ، وسار الى المشرق ، فاجتاز في طريقه بصاحب تونس الأمير حمودة باشا بن علي باي .

قال صاحب الخلاصة النقية : قدم المولى مسلمة بن محمد على الأمير حمودة باشا شريداً اثر خلعه من مملكة فاس ، فأنزله اسنى منزلة ، واجرى عليه جراية سلطانية ، وبالغ في بره ، انتهى .

ثم ان المولى مسلمة سافر الى المشرق فأقام بمصر مدة ، ثم توجه الى مكة فنزل على سلطانها صهره على اخته ، فأكرمه ورتب له جراية ، ثم عاد من مكة الى مصر ، وساءت حاله في هذه المدة ، وضاقت عليه الأرضُ بما رحبت ، فرجع الى تونس ونزل على حمودة باشا المذكور ، فعاود اكرامه ، ثم طلب منه ان يشفع له عند اخيه المولى سليمان ، فكتب له بذلك ، فأخذ كتابه وانحدر الى وهران ، وطلب من اميرها الشفاعة أيضاً ، فكتب له وبعث بمكاتب الأميرين الى السلطان المولى سليمان ، فقبله وامره ان يذهب الى سجلماسة ينزل بها بدار والده ، ويرتب له ما يكفيه من مئونة وكسوة ويقاسمه نعمته ، ويبقى بعيداً عن سماسرة الفتن حتى لا يجدوا سبيلا الى ايقاد نار الفتنة ، فلما بلغه جوابُ اخيه لم يرض ذلك وعاد الى المشرق ، فبقى يتردد به الى ان وافته منيتُه واستراح من تعب الدنيا رحمه الله .

نهبُ عرب انجاد لركب حاجٍّ المغرب وما نشأ عن ذلك

ثم بلغ السلطان المولى سليمان رحمه الله ان جماعة من التجار والحجاج الذين قدموا من المشرق خرجوا من وجدة متوجهين الى فاس ، فلما توسطوا

ارض انجاد عدت عليهم عربها فنهبتهم ، فاستدعى السلطان رحمه الله الكاتب ابا القاسم الصياني وامره بالمسير الى وجدة يكون والياً بها ويصلح ما فسد من اعمالها ، فكره الصياني ذلك واستقال ، فلم يقله السلطان وعزم عليه في المسير اليها ، وعين له مئة فارس تذهب معه ، فامتثل راغماً واضمر انه إن فارق السلطان يذهب الى احد الحرمين الشريفين فيقيم به بقية عمره ، وجمع موجوده ، فخرج وخرج معه قفل التجار الذين كانوا محصورين بفاس ، ولما توسطوا ارض انجـاد وجدوا العـرب في انتظارهم ، فثاروا بهم وقاتلوهم ، فتماسكت خيل السلطان هنيأة ثم كثرهم العرب فهزموهم ، ولم يبق من تلك الخيل الا قائدها في عشرة من اخوانه ، وانتهت العربُ ما كان في ذلك القفل من امتعة التجار وسلعها ، ولم ينج مَن نجا منه الا بنفسه .

قال الصياني : فلجأنا الى قصبة العيون ، وتفرق جمعنا وقتل منا سبعة نفر وجرح ءاخرون ، فبعثت مَن اتانا بالقتلى فدفناهم ، ثم سرحت قائد الخيل الى وجدة مع بعض العرب الذين هنالك ، وطلعت انا مع برابرة بني يزناسن الى جبلهم وليس معي الا مركوبي وفرس ءاخر كان عليه مملوك لي قتل في المعركة ، قال ثم خلصت الى وهران فنزلت عند الباي محمد باشا ، فأظهر التأسف والتوجع ، وراودني على المقام فأبيت ، ثم ذكر الصياني انه بعد هذا ذهب الى تلمسان ، واجتمع هنالك بالمولى مسلمة بن محمد وتلاوما وتعاتبا حسبما ذكرناه ءانفاً ، وكان ذلك اواخر سنة ست ومئتين والف .

بعثُ السلطان المولى سليمـان الجيوشَ الى الحـوز ونهوضه على اثرهـا الى ربـاط الفتح وعوده الى فـاس

ثم اعلم ان اهل مراكش وقبائل الحوز كانوا متمسكين بدعوة المولى هشام بن محمد من لدن دولة المولى يزيد رحمه الله ، ولما صفت بلاد الغرب للسلطان المولى سليمان رحمه الله تاقت نفسه الى تمهيد بلاد الحوز والاستيلاء عليها ، فعقد لأخيه المولى الطيب بن محمد على عشرة ءالاف من الخيل ، وعيَّن معه جماعة من قواد الجيش وبعثهم الى قبائل الشاوية ، وذلك اواخر سنة سبع

ومئتين والف ، ثم زحف السلطان على اثرهم الى رباط الفتح فمحا بقية آثار الفتنة التي نشأت به ، واقام ينتظر ما يكون من امر اخيه .

وفي سادس شوال من السنة صلى السلطان الجمعة بمسجد القصبة منها ، وكان هو الامام ، وخطب خطبة بليغة تشتمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الحرام واجتناب الآثام ، ووعد وأوعد ، وقال في ءاخر خطبته : وانصر اللهم جيوشَ المسلمين وعساكرهم ، ودعا لكافة الأمة ، وصلى في الركعة الأولى بسورة الجمعة ، وفي الثانية بسورة الغاشية .

ولما قدم المولى الطيب بلاد الشاوية تنافس قوادُ الجيش الذين معه وتنازعوا الرياسة ، وصار كل واحد منهم يرى انه صاحب الأمر ، وكان من اعظمهم تهوراً القائد الغنيمي كان من قواد المولى يزيد رحمه الله ، فأبقاه المولى سليمان على رياسته تألفاً له ، فاستبدَّ على سائر القواد في الرأي ، اذ كان رديف الخليفة المولى الطيب وصاحب مشورته ، فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وجروا عليه الهزيمة ، وتركوا اخبيتهم وأثاثهم بيد العدو ورجعوا مفلولين الى السلطان برباط الفتح ، وهم عشرة ءالاف فارس كما مر ، فما وسع السلطان رحمه الله الا الرجوع بهم الى فاس لتجديد ءالة السفر والغزو ثانياً واخلاف ما ضاع من الأخبية والسلاح والأثاث حسبما يذكر بعد ان شاء الله.

ثـورةُ محمد بن عبد السلام الخُمْسي المعروف بزيطان بالجبل

ولما كانت سنة ثمان ومئتين والف ثار بقبيلة الأخماس من جبال غمارة رجل من طلبتها يقال له محمد بن عبد السلام ، ويدعى زيطان ، فاجتمعت عليه سماسرة الفتن من كل قبيلة ، وكثر تابعوه ، وكان السبب في ثورته ان القائد قاسم الصريدي كان والياً بتلك الناحية ايام المولى يزيد رحمه الله ، فلما بويع المولى سليمان ولي على تلك الناحية القائد الغنيمي المتقدم الذكر ، وكان عسوفاً فيما قيل ، فقبض على القائد قاسم واستصفى امواله ، وبث عليه العذاب كي يظهر ما بقي عنده حتى هلك في العذاب ، فثار زيطان واجتمعت عليه الغوغاء من اهل تلك البلاد ، ولما شرى داؤه بعث السلطان بجيش الى القائد

الغنيمي وامره ان يقصد زيطان وجمعه ، فزحف اليه ببلاد غصاوة قرب وزان ، واوغل في طلبه ، فنهاه من معه من رؤساء الجيش عن التورط بالناس في تلك الجبال والشعاب ، فلجّ واقتحمها بخيله وراميته ، ولما توسطها مالت عليه الشعاب بالرماة من كل جانب ، وهاجت الحرب واحاط العدو بالجيش ، فقتلوا منهم وسلبوا كيف شاءوا وردوهم على اعقابهم منهزمين ، ولما اتصل خبرُ الهزيمة بالسلطان اغتاظ وقبض على الغنيمي ومكن منه اولاد قاسم الصريدي فباشروا قتله بأيديهم ، واقتصوا منه بأبيهم ، وولى على قبائل الجبل اخاه المولى الطيب وفوض اليه امر الثغور وانزله طنجة ، وبقي المولى الطيب يدبر القبائل الجبلية وغيرها من تطاوين الى طنجة الى العرائش ، وكلما بدت له فرجة سدهـا ، وفرصة انتهزها ، وحارب قبائـل الفحص الى ان استكانوا وانقادوا الى الطاعة ، ثم حارب اهل حوز طنجة وأصيلة من بني يدر والأخماس من اصحاب زيطان ، فكانت الحرب بينهم سجالا .

ثم لما دخلت سنة تسع ومئتين والف امد السلطان اخاه المولى الطيب بجيش وافاه بطنجة ، فخرج منها ومعه عسكرها وعسكر العرائش وصمدا الى بني جرفط عش الفساد ، ونزل على بلادهم وقاتلهم في عقر ديارهم ، فقتل مقاتلتهم ، واحرق مداشرهم ، وانتهب اموالهم ومزقهم كل ممزق ، فجاءوه خاضعين تائبين فعفا عنهم ، ثم تقدم الى بني حرشن من بني يدر على تفيئة ذلك ، ففر الثائر زيطان الى قبيلته بالأخماس ، وتسللت عنه القبائل التي كانت ملتفة عليه ، واستنزله المولى الطيب بالأمان فظفر به وبعث به الى السلطان فأمضى له امانه ، وولاه على قبيلته ، وصار من جملة خدام الدولة ونصحائها ، الى ان ملكت زمامها ، وتعين غيره للقيام بأمرها ، فأخر ونقله السلطان الى تطاوين فسكنها ، ورتب له فيها ما يكفيه ، وبقي الى اواخر دولة السلطان المولى سليمان ، ولما خرج عليه المولى ابراهيم بن يزيد ودخل تطاوين كانت لزيطان هذا في التمسك بدعوة السلطان اليد البيضاء ، واغنى غناء جميلا في تثبيت تلك القبائل وتسكينها ، ثم وفد على السلطان بطنجة سنة ست وثلاثين ومئتين والف وقد طعن في السن ، فاحسن اليه غاية الاحسان ، والى الآن

ما زال اهل الأخماس يستنصرون بحفدته ويعتقدون فيهم ما تعتقد ءاية ومالو في آل مهاوش ، والله وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ثـورة المولى عبد الملك بن ادريس بأنفـا والسبب في ذلك

وكانت قبائل الشاوية منذ هزموا جيش المولى الطيب بن محمد وهم حذرون من سطوة السلطان ، عالمون بأنه غير تاركهم ، فعزموا على تلافي امرهم عنده ، واوفدوا عليه جماعات من اعيانهم المرة بعد المرة يسألونه ان يولي عليهم رجلا يكونون عند نظره ، ويقفون عند امره ونهيه ، فولى عليهم ابن عمه وصهره على اخته المولى عبد الملك بن ادريس بن المنتصر ، ووجهه معهم ، فقدم المولى عبد الملك ارض تامسنا ونزل بمدينة ءانفا وهي المسماة اليوم بالدار البيضاء ، وتولى القيام على مستفاد مرساها ، وصار يسهم فيه لأعيـان الشاوية الذين معه ، وكـان قصـده بذلك ان يتألفهم على الطاعـة والخدمة ، فلما حصل لهم ذلك السهم من المال تطاولوا الى الزيادة عليه ، وقد قيل في المثل قديماً : لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ، فصار المولى عبد الملك يقاسمهم المستفاد شق الابلة ، فلما بلغ السلطان ذلك كتب اليه يعاتبه على فعله ، ثم نهض على تعبئة ذلك من فاس يريد تامسنا اذ لم يشف المولى عبد الملك الغليل في ضبطها ، فلما بلغ كتاب السلطان المولى عبد الملك انف من ذلك العتاب ، وكانت له وجاهة عند السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله ، وكان من كبار بني عمه وخواص قرابته ، ثم اتصل به الخبر بخروج السلطان من فاس ، فطارت نفسه شعاعاً ، واستشار بطانته من الشاوية ، فقال لهم ان هذا الرجل قادم علينا لا محالة ، وليس له قصد الا انا وانتم ، فما الرأي ؟ قالوا الرأي ان نبايعك ونحاربه ، قال ذلك الذي اريد ، فبايعوه ، ولما انفصل السلطان عن رباط الفتح بعث في مقدمته اخاه وخليفته المولى الطيب ، وعقد له على كتيبة من الخيل وتبعه السلطان على اثره ، ولما بات بقنطرة الملاح جاءه الخبر بأن قبائل الشاوية قد بايعوا المولى عبد الملك بن ادريس ، واتصل بالمولى عبد الملك وهو بأنفا ان السلطان بات بالقنطرة ، فتضاعف خوفه ، وفر فيمن بايعوه من اهل الشاوية ، واخلى مدينة آنفا من خيله ورجله ، ففرح

اهلها بخروجه من بين اظهرهم لئلا يُعديهم جربه ، وبادروا باخراج المدافع ليلا اعلاماً للسلطان بفراره ، ثم انفذوا اليه رسلهم بجلية الخبر ، فهشّ لهم السلطان وبعث معهم كتيبة من الخيل تقيم بآنفا ، وتقدم هو بالعساكر الى قصبة علي بن الحسن فاغار على حلة مديونة وزناتة فنهبها ، وامتلأت ايدي الجيش ، واوغل المولى عبد الملك في الفرار الى جهة ام الربيع ، وعاد السلطان بالنعم والماشية الى رباط الفتح فدخلها مؤيداً منصوراً ، ونقل تجار النصارى الذين كانوا بآنفا الى رباط الفتح ، وابطل مرساها ، واستمرت معطلة الى دولة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، فأحياها كما سياتي ان شاء الله ، ثم ارتحل السلطان المولى سليمان الى مكناسة فاحتل بها .

وقال في ذلك العلامة الأديب عبد القادر ابن شقرون :

مولاي انت الذي صفت مشاربـــه	ان تغـز ناحيةً اوليتَهـا جلـدك
هذي البشائر وافت وهي قائلـــة	اعوذ بالله من شــر الذي حســدك
فاصعدْ على منبر الاقبال معتليـاً	فالسعــد انجز ما كان به وعـدك
وانهض الى غاية الآمال تدركهـــا	فالآن قالت لك العلياء هاتِ يـدك
ولا تخف ابـدا من ســوء عاقبـــة	فليس يفلح مَن بالسوء قد قصدك
البســك الملك العميـم نايـلـــة	من الرضى حللا قوى بهـا مـددك
فضلا من الحكم التُرضى حكومته	جعلها كالشجا في حلق مَن جحدك
فاشكر صنيع الذي اولاك مكرمـة	تنل رضاه وتبلغ بالرضى رشدك

قـدوم عـرب الرحامنة على السلطان المولى سليمان ومسيره الى مراكش واستيلاؤه عليها

ثم ان اهل الحوز افترقت كلمتهم على قسمين ، فبعضهم بايع المولى حسين بن محمد ، وبعضهم اقام على بيعة اخيه المولى هشام ، وانه نشأ عن ذلك حروب تفانى فيها الخلق .

فلمـا كانت سنة عشـر ومئتين وألـف قـدم على السلطـان بمكناسة جماعـة من اعيـان الرحامنـة مبايعين له وسائلين منـه المسيـر

معهم الى بلادهم فتجتمع كلمتهم عليه ، فوعدهم بأنه اذا فرغ من امر الشاوية ومهد طريقه بها الى الحوز سار اليهم ، ثم قوي عزمه رحمه الله ، فخرج في العساكر من مكناسة وقصد تامسنا ، فلما احتل بها قدم عليه اولاد ابي رزق وفرّ اولاد ابي عطية واولاد حريز الذين عندهم المولى عبد الملك بن ادريس ، ولجأوا الى وادي ام الربيع ، فقصدهم السلطان هنالك واوقع بهم ، وفرّ المولى عبد الملك الى اخواله بالسوس ، فأقام عندهم الى ان شفع فيه اخو السلطان المولى عبد السلام بن محمد ، واخته المولاة صفية ، وكانت زوجة المولى عبد الملك ، فقبل السلطان شفاعتهما فعفا عنه وعاد الى فاس ، واطمأنّ جنبه ، واما الشاوية فانهم قدموا على السلطان تائبين خاضعين فعفا عنهم ، وولى عليهم الأستاذ الغازي بن المدني المزمزي فصلحت الأحوال على يده ، ورجع السلطان الى فاس مظفراً منصوراً فأقام بها الى ان دخلت سنة احدى عشرة ومئتين والف ، فتهيأ للغزو وخرج الى دكالة ، فاستولى عليها وعلى مدينة أزمور وتيط ، وبايعه اهل تلك الناحية ، وقدم عليه اعيان دكالة وخرجوا من زمرة عبدة وسلطانهم المولى هشام ، وانتظموا في سلك الجماعة ، وهناك قدم عليه اعيان الرحامنة ثانية ببيعتهم ، فأكرم مقدمهم ، وزحف الى مراكش وهم في ركابه ، فلما شارفها فرّ عنها سلطانها المولى حسين الى زاوية المولى ابراهيم بن احمد المغاري بالجبل ، فدخل السلطان المولى سليمان الى مراكش واستولى عليها وبايعه اهلها ، وقدم عليه بها قبائل الحوز والدير وجمع كلمتهم وحقن دماءهم ومهد بلادهم ، ورتب حاميتها ، وانزل بقصبة مراكش اهل الحوز الذين كانوا بها ايام والده ، ورتب لهم الجرايات ، وامر بألف من عبيد السوس يأتون لسكنى القصبة ، واستقامت الأمور .

مبايعة قائد أسفي للسلطان المولى سليمان وقدوم اخيه المولى هشام عليه

وكان عبد الرحمن بن ناصر له الوجاهة ونفوذ الكلمة بآسفي وأعمالها ، وكان مستولياً على جباية مرساها ، وخلد بها ءاثاراً مثل الدار الكبرى التي على شاطيء البحر ، ومسجد الزاوية ، وغير ذلك ، وكان جواداً بالعطاء ، ولما

استولى السلطان المولى سليمان رحمه الله على مراكش بعث اليه كاتبه محمد ابن عثمان المكناسي ليأتيه به او يأذن بحربه ، ولما وصل الكاتب' المذكور اليه بآسفي ألفاه مريضاً ، فاعتذر عن القدوم على السلطان بالمرض ، وكتب بيعته وادى طاعته ، وانتقل المولى هشام عنه الى زاوية الشرادي فأقام بها ، فبعث اليه السلطان' من أمَّنه وجاء به اليه ، فلقَّاه مبرة وتكرمة ، وقدم اليه المراكب والكسي ، وانزله بدار اخيه المولى المأمون ريثما استراح ثم بعثه الى رباط الفتح فاستوطنها ورتَّب له من الجراية ما يكفيه .

ولما قدم الكاتب ابن عثمان على السلطان ببيعة عبد الرحمن بن ناصر واعتذر له عنه بالمرض قبل ظاهر عذره وارجأ امره الى يوم ما .

وحكى صاحب الجيش ان المولى هشاماً لما قدم على السلطان بمراكش ونزل بدار اخيه المولى المامون اتاه السلطان' بعد ثلاثة الى منزله راجلا لقرب المسافة ، ولما التقيا تعانقا وتراحما ، ثم جاء معه المولى هشام حتى دخلا بستان النيل من باب الرئيس ، ونصب له السلطان كرسياً جلس عليه ، وجلس هو امامه اعظاماً له ، لكونه اسنَّ منه ، ثم صار يستدعيه صباحاً ومساء فيجلسان ويتحدثان ثم يفترقان ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا وهو معه ، وكلما دخل عليه رفع مجلسه واجلّه ، واذا ذكره لا يذكره الا بلفظ الأخوة بأن يقول اخي مولاي هشام دون سائر بني ابيه ، ولما طلب المولى هشام منه السكنى برباط الفتح اجابه اليها وقضى مثاربه وازاح علله ، ثم عاد الى مراكش فكانت منيته بها كما نذكره .

دخـول الصويرة واعمالها في طاعـة السلطان المولى سليمان

كان من خبر دخول الصويرة واعمالها في طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله ان الحاج محمد بن عبد الصادق المسجيني من قبيلة مسجينة وهو من عبيد الصويرة كان قد قدم من الحج عامئذ ، فمرَّ على السلطان المولى سليمان وهو بالغرب ، فدخل عليه فـولاه على الصويرة ، وكتب لـه العهد بذلك ، وامره باخفائه حتى يختبرَ اهلها ويعلم اين هواهم ، اذ كان ذلك قبل

ان يطأ السلطان بلاد الحوز ويستولي عليها . وكانت الصويرة حينئذ من جملة النواحي التي الى نظر عبد الرحمان بن ناصر ومَن في حزبه وتحت غلبة حاحة وعصبيتها ، وكان الوالي بها يومئذ القائد عبد الملك بن بيهي الحيحي ، وكانت له نباهة وذكر في قبائل حاحه وما اتصل بها ، فقدم ابن عبد الصادق الصويرة على انه قدم من حجه لا غير ، فأراح بمنزله ثلاثاً ، ثم جاء الى باب القائد واظهر عبد الملك بن بيهي ، واقام من جملة الأعوان في الخدمة المخزنية ، اذ تلك هي وظيفته ، وخف في خدمة القائد المذكور ، واعتمل في مرضاته ، واظهر من النصح ما قدر عليه ، ولازم الباب ليلا ونهاراً ، فكان عبد الملك لا يخرج الا ويجده قائماً محتزماً على الباب ، كما قال مسلم بن الوليد في فتى بني شيبان يزيد بن مزيد بن زايدة :

تــراه في الأمــن في درع مضاعفــة ... لا يأمن الدهــر ان يدعــا على عجل

فلم يلبث ان حلي بعينيه وعظمت منزلته ، فقدمه على الأعوان وعلى الحاشية حتى اتخذه صاحب رأيه ، وجعله عيبة سره ، وابن عبد الصادق في اثناء ذلك يحكم امره مع اخوانه مسجينة واهل اجدير سراً ، واذنه صاغية لخبر السلطان متى يطأ بلاد الحوز ، فلما سمع بوصوله الى دكالة واستيلائه على أزمور وتيط أفضى بأمر ولايته الى خاصته وشيعته ، وواعدهم لمظاهرتهم اياه على امره ليلة معلومة ، وعبد الملك لا علم له بما يراد به ، وكان ابن عبد الصادق فيما قيل قد أخذ عليه انه اذا حدث امر ولو ليلا يخرج اليه حتى يفاوضه فيما يكون عليه العمل ، فجاءه في تلك الليلة وقد هيأ جماعة من عبيد الصويرة الذين اعدهم للقيام معه ، وتركهم بحيث يسمعون كلامه اذا تكلم ، وقال لهم اذا سمعتموني اكلمه واراجعه في القــول فبادروه واقبضوا عليه ، ثم تقــدم واستأذن علي عبد الملك ، فخرج اليه وبينما هو يكلمه احاط به العبيد وقبضوا عليه ، وعلى جماعة من اصحابه من حاحة الذين كانوا يخدمونه ولم يملكوهم من انفسهم شيئاً حتى اخرجوهم عن البلد في تلك الساعة ، ودفعوا لعبد الملك فرسه واغلقوا الباب خلفه ، وصفا لهم امر البلد ، ومن الغد جمع ابن عبد الصادق اهل الصويرة وقرأ عليهم كتاب السلطان بولايته عليهم ، فأذعنوا واجابوا ، ولم يرق فيها محجمة دم ، ثم ورده الخبر عقب ذلك بدخول السلطان الى مراكش

واستيلائه عليها ، وبها تم له امر المغرب ، وصفا له ملكه ، ولم يبق له فيها منازع ، وذلك بعد مضي خمس سنين من ولايته رحمه الله ، ثم انه استخلف اخاه المولى الطيب نائباً عنه بمراكش وقفل الى فاس من عامه ، فمرَّ على طريق تادلة وامر عاملها القائد عبد الملك ان يُغير على بني زمور وينهب اموالهم ويقبض على مقاتلتهم ويلقاه بهم الى الصخرة ، فركب القائد عبد الملك في الجيش الذي كان معه ، واحتال عليهم بأن ارسل اليهم بالقدوم عليه فرسانا ، فلما قدموا عليه امر بالقبض عليهم وشدهم وثاقاً وحاز خيلهم وسلاحهم ، ثم اغار على حلتهم فنهبها ، وقدم على السلطان بمالهم ورقابهم ، وكانوا مئتيْ رجل بالتثنية ، فبعث بهم السلطان الى مكناسة فسجنوا بها حتى صلحت احوالهم بعد ذلك وسرحهم .

استرجاع السلطان المولى سليمان وجدة واعمالها من يـد الترك

وفي هذه السنة اعني سنة احدى عشرة ومئتين والف بعث السلطان المولى سليمان بالعساكر من فاس الى وجدة ، فعقد على الوداية للقائد عياد بن أبي شفرة ، وعلى شراقة للقائد محمد ابن خدة ، وعلى الأحلاف للقائد عبد الله بن الخضر ، وأمرهم ان يأتوا أرض وجدة ويدوخوها ويقاتلوا الترك الذين استحوذوا عليها ومانعوا دونها ، وكتب مع ذلك الى الباي محمد باشا في ان يتخلّى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيها ايام الفترة او يأذن بالحرب ، فامتثل الباي محمد ذلك ولم يمانع ، بل كتب الى نائبه بها ان يتركها لأربابها ويتخلى عن قبائل بني يزناسن وسقونة واولاد زكري واولاد علي ورأس العين ، فامتثل ودخـل جيش السلطـان لوجدة وجبى عامله زكواتها واعشارهـا ، واستخلف نائبه بها ، وقفل بالعساكر على السلطان وهو بفاس ، وقد تمهد الملك ووشجت عروقه ، والقى السعد بجرانه والحمد لله .

قـدوم الشيخ احمد التجاني الى فـاس واستقراره بها

وفي هذه السنة قدم الشيخ الفقيه المتصوف احمد التجاني الى فاس فاستوطنها ، وكان الباي محمد بن عثمان صاحب وهران قد ازعجه من تلمسان

الى قرية ابن صمغون ، فأقام بها واقبل اهلها عليه ، ثم لما مات الباي المذكور وولى بعده ابنه عثمان بن محمد سُعي عنده بالشيخ التجاني ، فبعث الى اهل ابن صمغون وتهددهم ليخرجوه ، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلامذته واولاده وسلك طريق الصحراء حتى احتل بفاس ، ولما دخلها بعث رسوله بكتابه الى امير المومنين المولى سليمان يعلمه بأنه هاجر اليه من جور الترك وظلمهم ، واستجار منهم بأهل البيت الكريم ، فقبله السلطان واذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه ، ولما اجتمع به وراى سمته ومشاركته في العلوم اقبل عليه واعتقده واعطاه داراً معتبرة من دوره كان أنفق في عمارتها نحواً من عشرين ألف مثقال ، ورتب له ما يكفيه ، واقبل عليه الخلق واشتهر بفاس والمغرب ، وهو شيخ الطائفة التجانية رحمه الله ونفعنا به .

دخول مدينة آسفي في طاعة السلطان المولى سليمان

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومئتين والف ، فيها خرج السلطان في العساكر من مكناسة يريد عبد الرحمن بن ناصر بآسفي ، وعزم على حربه ، الا أن يؤدي الطاعة هو وقبيله مباشرة طوعاً وكراهاً ، ولما عبر وادي ام الربيع قدم اليه القائد عياد ابن ابي شفرة في جيش الوداية ، وقال له اذا قدمت عليه فأزعجه للمجيء ، فان قدم فأقم انت بآسفي ، وان امتنع من المجيء فاكتبْ الي واقم هنالك حتى اقدم عليك ، فلما وصل اليه القائد عياد لم يسعْه الا المجيء لملاقاة السلطان ، فجاء وهو مريض في محفته ومعه جموعه وقبائله ، حتى اجتمع بالسلطان بالموضع المعروف بمئة بير وبير بين عبدة ودكالة ، فبايعه مباشرة وادى الطاعة هو واخوانه مباشرة كما اقترح السلطان ، وتحقق بأن تأخره انما كان للمرض الذي به ، فوفى له السلطان بعهده ، وزاد في كرامته بوصوله معه الى آسفي ودخوله الى داره بعد تثبيط رؤساء الجيش له عن الدخول معه ، ثم عقد له على قبائله وامره بقبض الواجب منهم ، زاد صاحب الجيش : وشكره على ايوائه لأخيه المولى هشام ، ثم سار السلطان الى مراكش فدخلها مظفراً منصوراً .

حـدوث الوبـاء بالمغرب

وفي هذه السنة حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديه ، ولما مشى بمراكش وأعمالها رجع السلطان الى مكناسة وترك اخاه المولى الطيب نائباً عنه بها ، فبلغه اثناء الطريق وفاة كاتبه محمد بن عثمان تركه بمراكش مصاباً بالوباء (60) .

بعث العسكـر الى بـلاد الـريف

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئتين والف ، فيها بعث السلطان العساكر الى بلاد الريف مع اخيه المولى عبد القادر والقائد محمد ابن خده الشرقي ، وقائد العسكر احمد ابن العربي ، فجبى قبائل الريف من قلعيـة وكبدانـة وغيرهما عن ثلاث سنين سلفت ، ولما رجعت العساكر اغارت على المطالسة وبني ابي يحيي بكسر الياء الأخيرة ، فاستاقوا ماشيتهم وسبيهم وقدموا بهما على السلطان ، فسرح السلطان السبي .

عصيـان' بـربـر آيـة يدراسن وانهزامـُهم

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومئتين والف فيها اغار آية' يدراسن على رفاق تافيلالت بطريق ملوية ونهبوا بعض القفل ، وذلك بسبب ان السلطان كان قد قبض على محمد بن محمد وعزيز وسجنه بالجزيرة ، وولى عليهم اخاه ابا عزة بن محمد وعزيز ، فلم يقبلوه وجمعوا كلمتهم على ابن عمه ابي عزة ابن ناصر وكان منحرفاً عن السلطان ومفارقاً له ، فولوه امرهم ، ولما رأى السلطان اعوجاجهم سرح لهم محمد وعزيز وولاه عليهم ، وامره بالقبض على ابي عزة بن ناصر فأبى ، وغضب السلطان عليه ثانية وهم به ، ففرَّ محمد وعزيز وكشف وجهَ العصيان ، فنهض حينئذ الى ءاية يدراسن في العساكر ، وارسل الى قبائل آية ومالو ان يأتوهم من خلفهم ، وتقدم هو حتى نزل بقرب

---

60) ينظر عن هذا الوباء مجله **هيسبيريس** ع 2 س 1921 .

وبعد خبر حدوث الوباء هذا قفز المؤلف او الناسخ على بقية اخباره واخبار سنوات 1213 و 1214 و 1215 و 1216 من **الاستقصا** فلم يثبتها .

أعليل . ووقعت الحرب . فنصر الله السلطان وانهزم آيــة يدراسن ونهبت مواشيهم واحتوى البربر على حللهم ، وفرّ اولاد وعزيز الثلاثة برؤوسهم لآية ومالو ، وشرعت العساكر في اخــراج زروعهم الى ان استصفوها ، وامــر السلطان بهدم قصورهم فهدمت ، واعطى جروان بلادهم ورجع الى فاس مظفراً منصوراً ، ثم لم يقم بها الا يسيراً حتى خرج الى تازة ، وترك عامل فاس احمد اليموري ببلاد الحياينة لقبض خراجهم ، ولما احتل بتازة جهز العساكر الى وجدة مع الشيخ عبد الله بن الخضر لجباية قبائلها ، وجهز جيشاً أخر مع عامل سجلماسة محمد الصريدي ، فنزل ملوية وجبى قبائلها وطلع الى بلاد الصحراء مع اوديتها الى ناحية فجيج فجبي اموال تلك النواحي ، ثم توجه الى سجلماسة ، ففرق الجيش على اقاليم صحرائها درعة والفايجة وتدغة وفركلة وغريس والخندق ومدغرة والرتب ، فجبى اموال تلك القبائل كلها وقرر عماله ونوابه بكل اقليم منها ، ومهد طريقَ الصحراء ، ورجعت عساكره منصورة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئتين والف ، فيها عزل السلطان القائد احمد اليمُوري عن فاس ، وولى عليها صهره المولى حبيب بن عبد الهادي ، فقام بها احسن قيام ، وكان ذا عقل ومروءة وسمت ودهاء .

وفيها توجه السلطان في العساكر الى مراكش ، ولما احتل بها بعث جيشاً الى السوس لنظر الكاتب ابي عبد الله الرهوني ، وبعث جيشاً ءاخر الى عامل حاحة لنظر احمد اليموري ، ثم خرج السلطان في جيش ثالث الى ثغر الصويرة لمشاهدتها والوقوف على ءاثار والده ، فانتهى اليها ، واقام بها اياماً ، وفرق المال على جندها احراراً وعبيداً ، ونظر في امور مرساها وامر باصلاح ما لا بد منه فيها ، وعاد الى الغرب مؤيداً منصوراً .

فتنة الفقير عبد القادر ابن الشريف الفليتي واستحواذه على تلمسان وبيعتُه للسلطان المولى سليمان والسببُ في ذلك

لما كانت سنة عشرين ومئتين والف ، هاجت الفتنة بين عرب تلمسان والترك ، وكان السبب في ذلك ان باي وهران كان له انحراف عن الفقراء والمنتسبين وسوء اعتقاد فيهم . فقتل بعض الطائفة الدرقاوية ، وامر بالقبض

على مقدمهم عبد القادر ابن الشريف الفليتي ، تلميذ الشيخ الأكبر سيدي محمد العربي بن احمد الدرقاوي شيخ الطائفة المذكورة ، ففر عبد القادر المذكور الى الصحراء ، ونـزل بحلة الأحرار فاجتمع عليه اهـلُ طائفتـه ، وامتعضوا لمن قتل منهم ولنفي مقدمهم عن وطنه وعشيرته ، وامتعضت لهم عشائرهم من قبائل العرب الذين هنالك ، وزحفوا لحرب الترك على حين غفلة منهم ، فقتلوهم في كل وجه ، ولما دخل فصلُ الربيع من السنة المذكورة بعث صاحب الجزائر عسكراً الى باي وهران ، وامره بغزو العرب ، فنهض ووقعت الحرب بينه وبينهم ، فانهزم التركُ ثانيةً ونهب العرب محلتهم وتبعوهم الى وهران فحاصروهم ، ولما مُني البايُ منهم بالداء العضال ، كتب الى السلطان المولى سليمان يعرفه بما دهاه منهم ، ويطلب منه ان يبعث اليهم شيخهم محمد العربي المذكور ليكفّهم عنه ويراجعوا طاعة المخزن ، فبعث السلطان رحمه الله الشيخ المذكور ومعه الأمين الحاج الطاهر بادو المكناسي ، فانتهى الى ابن الشريف وهو في جموعه بظاهر وهران ، فشكا الى الشيخ مانال الفقراء والمنتسبين وسائر الرعية من عسف الترك وجورهم وانتهائهم في ذلك الى القتل والطرد عن الوطن ، فتوقف الشيخُ وربما صدر منه بعض تقبيح لفعل الترك وما هم عليه ، فازدادت العربُ بذلك تظاهراً على الترك وتكالباً عليهم ، فاتهم الباي السلطانَ بأنه الذي يغريهم ، لأنه كان ينتظر الفرج على يده ، ويرجو رقع الخرق من جهته ، فأخفق سعيه ، وحينئذ نصب مدافعه في وجه جموع العرب ، وفرّقهم بالكور والضوبلي ، فانهزموا عن وهران وابعدوا المفر ، ثم تذامروا وتحالفوا ورجعوا الى تلمسان ، فنزلوا عليها وحاصروها ، وكان اهلُ تلمسان خصوصاً وقبائلها عموماً لهم التفات كبير الى السلطان المولى سليمان رحمه الله ، لما اكرمه الله به من شرف النسب وطيب المنبت ، ولما اشتهر عنه من العدل والرفق بالرعية والشفقة عليها ، فكانوا يحبون الدخول في طاعته ، والانخراط في سلك رعيته ، فلما نزلت العرب على تلمسان تمشت الرسلُ بينهم وبين الحضر (61) من اهلها ، واتفقوا على خلع طاعة الترك

61) تعني كلمة **الحضر** في تلمسان سكانها الأصليين ، وتقابلها كلمة **الكورغليين** ج **كورغلي** اي الاتراك الطارئين ومن جاء معهم من الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط .

ومبايعة السلطان المولى سليمان ، ففتحوا بابَ المدينة ودخل ابن الشريف وطائفته ، واخذ البيعةَ بها للسلطان المولى سليمان ، وخطب به على منابرها ، ووجه وفده وهديته الى السلطان مع شيخه محمد العربي المذكور ، ثم نهد في عربه وحضره من اهل تلمسان لحرب الكرغلية الذين بالقصبة ، فأجحرهم بها وضيق عليهم فلم يبق للترك حينئذ شك في ان ذلك كله بأمر السلطان ، فكتبوا الى الدولاتي وهو باشاهم الأعظم صاحب الجزائر يعلمونه بالواقع ، واستمر الحربُ بينهم وبين ابن الشريف في وسط المدينة ، وعظم الخطب واشتد الكرب ، وقدم الشيخ على السلطان بوفد اهل تلمسان والعرب وهدية ابن الشريف وبيعته ، واخبره بأن الناس في شدة من امر الترك ، وانهم قد تطارحوا على بابه ، وعلقت ءامالهم به ، وراموا الاستظلال بظل عدله ، فرأى السلطان رحمه الله ان يسلك في حقهم وحق الترك مسلكاً هو ارفق بالجميع ، فبعث القائد عياد ابن ابي شفرة الوديي وامره ان يحجز بين الحضر والترك حتى يقدم الباي الى تلمسان ، ورد معه الوفدَ الذين قدموا مع الشيخ (62) ، وتقدم اليه في القبض على ابن الشريف ان هو لم يرجع عن الحرب الى السلم ، ثم كتب السلطان الى الباي بما ازال شكه وابطل وهمه ، ولما شارف القائد عياد تلمسان فرّ ابن الشريف الى منجاته ، ودخل القائد عياد المدينة ، فحجز بين الفريقين ، وتقدم البايُ الى تلمسان ، فأصلح بينه وبين رعيته ، ومكنه من بلده ، وانقلب الى حال سبيله ، ومع ذلك فلم يتم للترك ما ارادوا من اجل القحط الذي كان قد عم ، حتى عدمت الأقوات وجلا اهل تلمسان عنها الى بلاد المغرب ، وكذا عربها واهل جبالها كلهم جلوا عن اوطانهم ، حتى لم يبق لباشا الترك مع مَن يتكلم ، فضلا عن أن يتأمر ، فجعل يكتب الى السلطان ويرغب اليه ان يرد عليه اهل تلمسان وعربها ، فكلمهم السلطان رحمه الله في الرجوع فأبوا ، وقالوا نذهب الى بلاد النصارى ولا نجاور الترك ، فنجمع علينا الجوع والقتل ، فرق لهم السلطـان وتركهم ، بل جبرهم بأن صار يعينهم بالعطـاء ويتخولهم بالصدقات المرة بعد المرة ، حتى كان عطاؤه اياهم كالراتب المفروض ،

---

62) بقي بعض رجال الوفد الذي حمل البيعة بفاس ولم يرجعوا الى تلمسان ، منهم من آل ابن منصور وآل المقري وآل ابن ثابت وآل ابن ابي عبد الله .

وعالج داءهم مع الترك الى ان اخصبت بلادهم ورخصت اسعارهم ، فتراجعوا حينئذ الى اوطانهم ، وكتب السلطان الى الباي في شأنهم بالعدل وحسن السيرة فامتثل وكفّ ايدي الكرغلية عنهم ، ولم يبق منهم بالمغرب الا من كان عليه دين للترك فلم يقدر على الرجوع ، لأن ارباب الديون لا يقيمون لهم وزناً ، ولا يعملون معهم شرعاً ، والله اعلم .

ذكــر ما اتفق للسلطان المولى سليمان في وسط عهده من الخصْب والأمــن والسعــادة واليُمــن

كان هذا السلطان رحمه الله موصوفاً بالعدل ، معروفاً بالخير ، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة ، قد القى اللهُ عليه منه المحبة فأحبتْه القلوب ، ولهجت به الألسنة ، لحسن سيرته ، وطيب سريرته ، واتفق له في اواسط دولته من السعادة والأمن والعافية ورخاء الأسعار وابتهاج الزمان وتبلج انوار السعد والاقبال ما جعله الناس تاريخاً وتحدثوا به دهراً طويلا ، حتى صارت أيام السلطان المولى سليمان مثلا في ألسنة العامة ، ولقد ادركنا الجمّ الغفير ممن ادرك اواسط دولته ، فكلهم يثنى عليها بملء فيه ، ويذهب في اطرائها كل مذهب ، لولا ما كدر ءاخرها من فتنة البربر التي جرت معها فتناً أخر كما نذكر بعد ان شاء الله .

فمما هيأ الله له من اسباب الخير والسعادة انه بويع مطلوباً لا طالباً ، ومرغوباً لا راغباً ، ثم لما بويع كان ثلاثة من اخوانه كلهم يزاحمه في المنصب ، ثم لم يزل امرهم يضعف وامره يقوى الى ان كفى الجميع من غير ضرب ولا طعن ، ولا بارز احداً منهم قط ولا واجهه بسوء .

ومن ذلك انــه لمادخلت سنة احدى وعشرين ومئتين والف وجــه السلطان عامله الى صحراء فجيج وجبى اموالهم واسترجع قصر المخزن الذي اغتصبه اهلها من يد العبيد الذين كانوا به ايام السلطان المولى اسماعيل رحمه الله ، ووجه في السنة المذكورة جيشاً مع عامل فاس باعقيل السوسي ومعه جماعة من قواد القبائل الى ناحية الشرق ، فنزل العامل مدينة وجدة وجبى

تلك القبائل كلها ، ثم بدا له فنهض الى عرب الأعشاش ، وكان ذلك خطأ منه في الرأي ، اذ كانت لهم شوكة ، وكان في غنى عن التعرض لهم بما در عليه من الجبايات الوافرة من تلك القبائل ، لكن الحرصَ لا يزال بصاحبه حتى يقطعَ عنقه ، فلما علموا بقصده اياهم عدلوا عن لقائه الى المحلة ، فأغاروا عليه وانتهبوها ، فرجع اهلها منهزمين من غير قتال ، وتركوا اثقالهم بيد العدو ، ولم يجتمعوا الا على وادي ملوية ، ومن هناك انفضَّ الأحلاف الى بلادهم ، ووقف باعقيل بالجيش واحجم عن القدوم خوفاً من السلطان ، فبعث اليه مَن قبض عليه واتاه به فنكبه وعزله عن فاس ، وولى عليها وصيفه ابن عبد الصادق ، ثم عزله وولى عليها محمد وعزيز .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومئتين والف ، فيها خرج السلطان المولى سليمان بالعساكر الى تادلة يريد بني موسى وءاية عتاب ورفالة وبني عياط الذين آووا بني موسى ، فبيت السلطان عليهم العساكر ، فنهبوا بني موسى ومَن ءاواهم من رفالة وبني عياط ، واحرقوا مداشرهم وقطعوا اشجارهم ، وابلغوا في النكاية الى ان اذعنوا الى الطاعة ، وجبوا زكاتهم واعشارهم وعادوا منصورين .

وفي السنة المذكورة فتح على السلطان اقليم تيكرارين وتوات من اقاصي الصحراء ، وجبى عامله خراجهم وعاد سالماً معافى .

وفيما حدثت الحرب بين السلطان مصطفى بن عبد الحميد العثماني وبين المسكوب ، فكتب العثماني الى السلطان يطلب منه ان يشدَّ عضده بأن يقيم قراصينه بباب البوغاز من مرسى طنجة ليلا تدخلَ قراصين المسكوب منه وتعيث في الجزر التي هي في ملك العثماني كما فعلتْ في دولة عمه السلطان مصطفى بن احمد ، فأمر السلطان رحمه الله رؤساء قراصينه بالتهيىء والمقام هنالك ففعلوا ولم يظهرْ شيء ، حكى هذا الخبرَ صاحب البستان .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئتين والف ، فيها عقد السلطان لوصيفه القائد احمد بن مبارك صاحب الطابع على جيش كثيف ، وضمَّ اليه

جماعةً من قواد الجند والقبائل ، وسار حتى نزل على حدود بلاد آية ومالو ، واحاطت العساكر السلطانية بهم من كل جهة ، وكان ذلك في فصل الشتاء ، فمنعهم من النــزول الى البسيط للمرعى وجلب الميــرة ، الى ان ضاعــت مواشيهم واذعنوا لدفع ما وظف عليهم ، فدفعوا الماشية والكراع ، وخلّى سبيلهــم .

وفيها خرج السلطان من مكناسة لتفقد احوال الثغور البحرية ، وكان المتولي على جميعها القائد الشهير عبد الرحمان بن علي اشعاش التطواني ، فعزله السلطان في هذه المرة وولى عليها القائد محمد السلوي البخاري ، ثم ولاه على قبائل الغرب والجبال كلها ، وتتبع السلطان رحمه الله الثغور كلها ، واحسن الى اهلها .

ثم دخلت سنة اربع وعشرين ومئتين والف فيها خرج السلطان الى تادلة يريد عرب ورديغة وقبائل البربر الذين هنالك ، فأغارت عساكر السلطان عليهم ، ووقعت بينهم حرب فظيعة هلك فيها عدد من الفريقين ، ثم انتصرت العساكر السلطانية عليهم فهزموهم ونهبوا اموالهم والجأوهم الى الطاعــة ، فجاءوا تائبين ، فعفا عنهم ، ثم انفذ جيشاً كثيفاً لآية يسري بعد ان قبض منهم على عدد معتبر ، فشنّوا الغارة عليهم وقاتلوهم فأذعنوا لاعطاء المال ، ولما بذلوه سرح لهم اخوانهم المقبوض عليهم ، وعاد السلطان مظفرا منصوراً .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئتين والف ، فيها غزا السلطان ، بلاد الريف ، فنزل عين زورة ، وسرح الكتائب في قبائل الريف ، فحاربوها وهزموها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ذراريها وحرقوا مداشرها ، والجأوهم الى الطاعة ، فقدموا على السلطان تائبين فعفا عنهم على ان يدفعوا ما ترتب عليهم ، ثم عين السلطان الأمناء الذين استوفوه منهم على التمام ، وعاد مظفراً منصوراً .

وفي هذه السنين كلها كانت الرعية في غاية الطمأنينة والعافية والأمن والخصب والرخاء ، وكمال السرور والهناء ، حتى كانت هذه المدة غرة في جبهة ذلك العصر ، ودمية في محراب ذلك القصر ، ثم انعكست الأحوال ،

وتراكمت الأهوال ، وعظمت الأوجاع ، واتسع في الفتنة المجال ، وتمَّ على هذا السلطان الجليل ، العالم النبيل ، في ءاخر عمره ما لم يتمَّ على احد من ملوك بني ابيه ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد .

فتنةُ البربـر ومـا نشـأ عنها من التفاقُم الأكبـر

لما دخلت سنة ست وعشرين ومئتين والف قامت الفتنة بين قبائل البربر ، وكان ابتداؤها اولا بين آية يدراسن وجروان وبين اعدائهم ءاية ومالو اهل جبل فازاز ، ثم لما انتشبوا الحرب غدرت جروان باخوانهم ءاية يدراسن وانحازوا الى ءاية ومالو ، فانهزمت ءاية يدراسن ووضع ءاية ومالو فيهم السيف ونهبوا حلتهم بما فيها وتركوهم بالقاع مدقعين ، ولعصا الذل مهطعين ، ولم يفلتْ منهم الا أصحاب الخيل الذين نجوا بنواصيها ، وقدموا على السلطان شاكين باكين، فقام وقعد لذلك لما اوجب الله عليه من النظر لهم ، اذ هم رعيته وشيعته وشيعة والده من قبله ، فجهر العساكر لنصرتهم ، وعادوا الى حرب جروان ، فظاهرهم ءاية ومالو عليهم وهزموهم مرة اخرى ، ثم بعد هذا اتفقت البربر على حرب ءاية يدراسن مناوأة للسلطان وبغضاً في قائدهم محمد وعزيز الذي كان يوليه عليهم ، وبعثوا الى دجالهم مهاوش المعد عندهم لأمثالها ، وتحالفوا عنده على معصية السلطان وطاعة الشيطان ، وعاثوا في الطرقات والرعايا ، واتسع الخرق وعظم الفتن ، فسارت اليهم العساكرُ من باب السلطان حتى نزلت بأحواز صفرو ، وكانت لنظر القائد محمد الصريدي الذي يبغضه البربر كبغض محمد وعزيز واكثر ، فكشفوا القناع في العصيان ، وزحفوا الى الجيش وهو نازل حول صفرو فأحاطوا به وانتهبوه ، ففرَّ مَن افلت منه وتحصن الباقي بمدينة صفرو ، ونهبت القرى المجاورة ، وعاثوا في طرقات الصحراء ، فنهبوا مَن وجدوا بها مقبلا او مدبراً ، واعضل الداء واعوز الدواء ، والسلطان مقيم بمكناسة يعالج داءهم فما نفع فيه ترياق ، وشمخت انوفُ البربر ، وكلما بعث اليهم جيشاً هزموه او سرية انتهبوها ، قيل ان منشأ ذلك كان من اجل تمسك السلطان رحمه الله بمحمد وعزيز وجبرهم على طاعته ، وكانوا قد نفروا عنه لسوء سيرته فيهم ، والمعروف من حال السلطان المولى سليمان رحمه الله خلاف هذا ، فانه

كان قلما تشكو رعية اليه بعاملها الا ويعزله عنها تحريا للعدل واتهاماً للعمال ، حتى لقد عيب عليه ذلك في بعض الأحوال من جهة السياسة ، ولما اعيا السلطان امرهم تركهم فوضى ، ووكل القائد عياد ابن ابي شفرة بتدبير امرهم ، وتوجه الى مراكش ، فكان عياد عن امرهم اعجز ، وبسياستهم اجهل ، وصار يتألفهم بالعطاء ويجري المؤون على كل من يقدم عليه منهم من طعام وعلف ونحو ذلك ، فكان ذلك مما زاد فيطغيانهم حتى كانوا ينهبون اموال الناس ومتاعهم بباب فاس ، ويدخلون لقبض الخفارة واخذ المسيرة ، واذا تكلم احد من اهل البلد قال القائد المذكور ان السلطان قد امرني بذلك ، وربما عاقب مَن يعترض عليه ، وانما امره السلطان ان يسوسهم على الوجه الذي لا ضرر فيه على الدولة ولا على الرعية والله اعلم .

اجلاب السلطان المولى سليمان على برابرة جروان ورجوعه عنهم من أزرو وما نشأ عن ذلك

لما وصل السلطان الى مراكش استنفر قبائل الحوز كلها وقدم بهم الى مكناسة واستنفر قبائل الغرب من الأحلاف والحياينة واهل الفحص واهل الغرب وبني حسن واهل الثغور وضرب البعث على جيش العبيد والوداية وشراقة واولاد جامع ، واستصحب معه البربر الذين هم في طاعته حتى لم يبق احد بالمغرب وخرج في هذا الجمع العظيم قاصداً جروان ، وهم يومئذ بتاسماكت ، ولما وصل الى الموضع المعروف بئاصرو وبقي بينهم وبينه نصف مرحلة بحيث صار يرى محلتهم ويرون محلته بدا له فرجع يريد ءاية يوسي ، فكان ذلك الرجوع سبب الخذلان ، ولما راته عيون جروان راجعاً ظنوا به جبناً فكروا على الجيش وتبعوه من خلفه الى ان خالطوا اخريات الناس فأوقعوا بهم وقتلوا ونهبوا واين اوله بينهما مرحلة ولا علم للسابق بما جرى على اللاحق ، ثم نزل السلطان على ءاية يوسي بقرب ءاعليل ، وصار بنو مجيلد امامه وجروان من خلفه ، ولم يكن علم بما وقع في العسكر من النهب والقتل الى ان ورد عليه منهزمة العبيد ليلا فأخبروه بما وقع ، وان قائد عسكره محمد بن الشاهد قد قتل في جماعة من القواد وغيرهم ، ففتّ ذلك في عضده وتجلد

رحمه الله ليلته تلك . ولما اصبح ركبت العساكر وقصدت ءاية ومالو الذين كانوا مع ءاية يوسي ، ولما وقعت الحرب انهزم عسكر السلطان والجأهم البربر الى شعب لا منفذ له ، فترجلوا وتركوا الخيل ونجوا بأعناقهم ، وحمتهم ءاية يمور وءاية يدراسن حتى خلصوهم ، وكانت حلتهم قريباً من العسكر ، فلو تبعوهم لوقعوا عليها ، ولما حصلت هذه المزية لهاؤلاء البربر الذين هم شيعة السلطان ، ولم تظهر للعرب مزية حقدوا اذذاك عليهم ، وصار كل مَن دنا من المحلة منهم قبضوا عليه وقتلوه ، وقالوا ان البربر كلهم سواء ، فلما وقع ذلك بشيعة السلطان امتعضوا ورفعوا امرهم اليه ، فأمر كاتبه وعامله محمد السلوي ان ينظر في امرهم ، فبحث القائد المذكور حتى اطلع على حقيقة الأمر ، وعلم فساد نية البربر لما وقع بهم من القتل وسط المحلة ، ورأى ان القصاص في ذلك الوقت متعذر وان عاقبته غير مأمونة ، فأشار على السلطان بالرجوع قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، فرجع وكان رجوعه اكبر غنيمة ، وكثرة هذه الجموع بلا ترتيب سبَّب تلك الهزيمة ، والأمر كله لله .

وهذه الوقعية تعرف عند الناس بوقعة ءاصرو اضافة الى الموضع الذي انتهى اليه السلطان من بـلاد البربر ثم رجع عنه ، وقد جعلها العامـة تاريخاً ، يقولون كان ذلك عام وقعة ءاصرو ، والله تعالى اعلم .

مراسلة صاحب تونس حمودة باشا ابن علي للسلطان المولى سليمان ومـا اتفق في ذلـك

وفي هذه المدة وما يقرب منها بعث صاحب تونس ، وهو الرئيس حمودة باشا ابن علي باي ، العالمَ الأديبَ الطائر الصيت الشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي الى السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فقدم عليه حضرة فاس ، ومعه هدية وكتاب يتضمن طلب الامداد بالميرة لحدوث المسغبة بالبلاد التونسية ، فأعظم السلطان رحمه الله مقدمَ هذا الشيخ واهتزت له فاس ، وامتدح السلطان بقصيدة من جيد شعره يقول في اولها :

ان عــز من خيــر الأنــام مــــزار فلنــا بــزورة نجلــه استبشـــار

ومن جملتها قوله :

هذا الخليفة وابن اكرم مرسل ... وسليل مَن تمطى له الأكوار
وخلاصة الأشراف والخلفاء من ... بيت البتول وحبذا الأطهار
واجل وارث ملك اسماعيل من ... بطل شذا اخباره معطار
واعز سلطان واشرف مالك ... شرفت بملك يمينه الأحرار
واحق من تحت السماء بأن يرى ... ملك البسيطة والورى انصار
لكن اذا كل القلوب تحبه ... فلغيره الأجسام وهي نفار
هذا سليمان الرضى بن محمد ... مَن اشرقت لجبينه الأنوار
هذا الذي رد الخلافة غضة ... وسما به للمسلمين منار
واعز دين الله فهو بشكره ... في ايكها تترنح الأطيار

فأعجب السلطان ومن حضر بها ، وامده بمطلبه من الميرة وبهدية جليلة ، وءاب الشيخ من سفارته بخير مئاب .

وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وما قاله العلماء في ذلك

وفي هذه المدة ايضاً وصل كتاب عبد الله بن سعود الوهابي النابغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرميْن الشريفين ، المظهر لمذهبه بهما الى فاس المحروسة ، واصل هذه الطائفة الوهابية كما عند صاحب التعريفات الشافية وغيره ان فقيراً من عرب نجد يقال له سليمان رأى في المنام كأن شعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تأكل ما قابلها ، فقصّ رؤياه على بعض المعبرين ففسرها له بأن احد اولاده يجدد دولة قوية ، فتحققت الرؤيا في ابن ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان فالمؤسس للمذهب هو محمد بن عبد الوهاب ، ولكن نسب الى عبد الوهاب ، فلما كبر محمد احترمه اهل بلاده ، ثم اخبر بأنه قرشي ومن اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وألف لهم قواعدَ وعقائد ، وهي عبادة اله واحد قدير قادر حق يثيب المطيع ويعاقب العاصي ، وان القرءان قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة ، وان محمداً رسول الله وحبيبه ، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم ، اذ

لا يليق ذلك الا بالقديم ، وان الله تعالى حيث لم يرض بهذا الاشراك سخره ليهدي الناس الى سواء الطريق ، فمن امتثل فبها ونعمت ، وان ابى فهو جدير بالقتل ، فهذه اصول مذهبه ، وكان بثّه اولا سراً فقلده اناس ، ثم سافر الى الشام لهذا الأمر ، فلما لم يجد به مراده رجع الى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين ، فاتصل بشيخ من اشياخ عرب نجد يقال له عبد الله بن سعود . وكان شهماً كريم النفس فقلده وقام بنصرة مذهبه وقاتل عليه حتى اظهره ، واقتسم الرياسة هو ومحمد بن عبد الوهاب ، فابنُ عبد الوهاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدين ، وابن سعود امير الوهابية وصاحب حربهم ، وما زال امر هؤلاء الوهابية يظهر شيئاً فسيئاً الى ان تغلبوا على الحجاز والحرمين الشريفين وسائر بلاد العرب ، ثم قال صاحب التعريفات الشافية : ان مساجد الوهابية خالية من المنارات والقباب وغيرها من البدع المستحسنة ، لا يعظمون الأئمة ولا الأولياء ، ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال ، يأكلون خبزَ الشعير والتمر والجراد والسمك ، ولا يأكلون اللحم والأرز الا نادراً ، ولا يشربون القهوة ، وملابسهم ومساكنهم غير مزينة .

ولما استولى ابن سعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه الى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس الى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته ، ولما وصل كتابه الى تونس بعث مفتيها نسخة منه الى علماء فاس ، فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الأديب حمدون ابن الحاج ، قال صاحب الجيش : كان تصدي الشيخ حمدون لذلك الجواب بأمر السلطان وعلى لسانه ، وذهب بجوابه ولده المولى ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج .

قلت وهذا يقتضي ان كتاب ابن سعود ورد على السلطان المولى سليمان بالقصد الأول ، الا ان نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس والله تعالى اعلم .

حجُ المولى ابراهيم ابن السلطان المولى سليمان

وفي هذه السنة اعني سنة ست وعشرين ومئتين والف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ الأفضل المولى ابراهيم بن سليمان الى

الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيأة بديعة من الاحتفال وابراز الأخبية لظاهر البلد وقرع الطبول واظهار الزينة ، وكانت الملوك تعتني بذلك وتختار له اصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب واعيانه ، مثل الفقيه العلامة العباس ابن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه العلامة الشهير محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه ، فوصلوا الى الحجاز ، وقضوا المناسك وزاروا الروضةَ المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين بالحجاز يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في امور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم .

حكى صاحب الجيش : ان المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جوابَ السلطان ، فكان سبباً لتسهيل الأمر عليهم وعلى كل مَن تعلق بهم من الحجاج شرقاً وغرباً ، حتى قضوا الأمر عليهم وعلى كل مَن تعلق بهم من الحجاج شرقاً وغرباً ، حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والاحسان ، قال : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة انهم ما رأوا من ذلك السلطان يعني ابن سَعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بهما جهاراً من غير نكير ، وذكروا ان حاله كحال ءاحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وانه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم اظهر له التعظيمَ الواجبَ لأهل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس احد اصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي ابراهيم الزداغي ، فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنة المحمدية فأي شيء رأيتمونا خالفْنا من السنة ؟ واي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ فقال له القاضي : بلغنا انكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم

لجسمية المستوي ، فقال لهم : معاذ الله ، انما نقول كما قال مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا من مخالفة ؟ قالوا لا ، وبمثل هذا نقول نحن ايضاً ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال معاذ الله ، انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها ، فقال معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا ، وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وءادابها ، وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ، ويطلبون من الأموات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به ، هذا قول امامنا ابن حنبل رضي الله عنه ، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سداً للذريعة ، فاي مخالفة للسنة في هذا القدر ؟ انتهى .

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به اولئك المذكورون ، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقي افراداً فاتفق خبرهم على ذلك . انتهى .

قلت مسألة زيارة قبور الأنبياء والأولياء مشهورة في كتب الأئمة ، وهي من القرب المرغوب فيها عند الجمهور ، ومنعها قوم من الحنابلة ، وشدد تقي الدين ابن تيمية منهم فيها محتجاً بقوله عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، وهو عند الجمهور مؤول بأن المعنى لا تشد الرحال للصلاة في مسجد الا الى ثلاثة مساجـد ، انتهى .

وقد بسط القول في هذا صاحب المواهب اللدنية ، والقول الفصل ان التبرك بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم وزيارة مشاهدهم من الأمر المعروف عند امة محمد صلى الله عليه وسلم المجمع عليه خلفاً وسلفاً لا يسع انكاره ، غير ان للزيارة ءاداباً تجب المحافظة عليها ، وشروطاً لابد من مراعاتها والوقوف لديها ، ثم القول بمنعها مطلقاً سداً للذريعة في حق العامة ، اذ هم اكثر الناس غلوا في ذلك ، فيه نظر ، اما الأنبياء فلا ينبغي لعاقل ان يحرم نفسه من الوقوف على مشاهدهم والتبرك بتربتهم والاحتماء بحماهم ، ولا ان يقول بذلك لمزيد ارتفاع درجتهم عند الله ولندور اتفاق زيارتهم لأكثر الغرباء ، واما الأولياء فالقول بمنع زيارتهم سداً للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس حتى لا يلتبس عليهم المقصود قول وجيه لا تأباه قواعد الشريعة ، بل تقتضيه والله اعلم ، وهذا القول هو الذي رآه الشيخ الفقيه الصوفي احمد التجاني رحمه الله حتى نهى اصحابه عن زيارة الأولياء .

واقول ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئاً من ذلك ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفقرة الوقت ، وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة ، وبين فيها بعض ءاداب زيارة الأولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك واغلظ فيها مبالغةً في النصح للمسلمين جزاه الله خيراً ، ومن كلامه فيها ما نصه : **تنبيه** من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة سبعة رجال ، فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم ؟ الى ان قال : فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولا تتخذهم ءالهة ليلا يؤولَ الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسر الى ءاخر كلامه ، وصدق رحمه الله ، فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم ، وما ضلت النصارى الا من غلوهم في عيسى وامه عليهما السلام ، قال الله تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) الآية ، ومن ذلك قصة يغوث ويعوق ونسر المشار اليها ، وهي مذكورة في الصحيح وفي كتب التفسير ، وحكى ابن اسحاق في السيرة ان اصل حدوث عبادة الحجر في بلاد العرب ان ءال اسماعيل عليه السلام لما كثروا حول الحرم وضاقت بهم فجاج

مكة تفرقوا في النواحي واخذوا معهم احجاراً من الحرم تبركاً بها ، فكان احدهم يضع الحجر في بيته فيطوف ويتمسح به ويعظمه ، ثم توالت السنون وخلفت الخلوف فعبدوا تلك الأحجار ، ثم عبدوا غيرها ، وذهبت منهم ديانة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الا يسيراً جدا فبقي فيهم الى ان صبّحهم الاسلام ، هذا معنى ما ذكر ابن اسحاق ، وقد تكلم الشاطبي وغيره من العلماء فيما يقرب من هذا ، وذكروا ان الغلو في التعظيم اصل من اصول الضلال ، ولو لم يكنْ في ذلك الا قضية الشيعة لكان كافياً ، فالحاصل ان خير الأمور الوسط ، ومن هنا ايضاً كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد ابطل بدعة المواسم بالمغرب ، وهي لعمرى جديرة بالابطال ، فسقى الله ثراه ، وجعل في عليين مثواه .

ولما كان رمضان من سنة سبع وعشرين ومئتين والف قدم المولى ابراهيم ابن السلطان المذكور من الحجاز ونزل بطنجة ، وكان قدومه في قرصان النجليز ، لأن والده رحمه الله كان قد وجهه اليه مع بعض قراصينه الى الأسكندرية فصادفوه قد انحدر الى جزيرة مالطة ، فركب المولى المذكور فيما خف من حاشيته في قرصان النجليز ، وسبق الى طنجة فاحتل بها ، ثم سار الى حضرة والده بمكناسة فأقام عنده ثلاثاً ريثما استراح ، ثم انفصل عنه الى داره بفاس ، فخرج لملاقاته جيش الوداية واشراف فاس واعمالها وسائر عامتها بفرح وسرور ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، ولما وصل القوم الذين كانوا معه نشروا محاسنه وفضائله ومكارمه المحدودة وفواضله ، وما فعله من البر في طريق الحج ، خصوصاً في مفاوز الحجاز ، فقد انفق فيها على الضعفاء والمساكين ما لا يحصى ، وشاع ذكره في الحرمين الشريفين وتجاوزهما الى مصر والشام والعراقين ، ولما نفد ما عنده استسلف من التجار الذين كانوا معه اموالا طائلة انفقها في سبيل الله ، ولما قدم اربابها على السلطان وعرفوه بما استسلفه منهم ولده واطلعوه على حساباتهم ، فعرف ان ما فعله ولده صواب ، فأمر رحمه الله لأولئك التجار بقضاء ما اسلفوه وان يُزادَ لهم مقدار ربحه تطييباً لنفوسهم ، وقال انما تتعاطون التجارة لتنمو أموالكم

وتربحوا ، فلا ينبغي ان ننقصكم من ربحكم شيئاً ، فأما نحن فربحنا هو ما انفقه ولدنا في سبيل الله .

وقد مدح هذا النجل الأرضى جماعة من ادباء مصر وغيرها بقصائد نفيسة ، ومن جملة مَن مدحه الفقيه العلامة الأديب ابراهيم بن عبد القادر الرياحي التونسي ، فانه بعث بقصيدة رائقة الى والده السلطان المرحوم يمدح النجل المذكور ويهنيه بالقدوم ، وألمَّ فيها بذكر السلطان ، فأعجبتْه وهزتْ من عطفه ، وامر كتابَ دولته ان ياخذوا منها نسخاً وشرحها بعضهم ، ونصها :

هذي المنى فانعم بطيب وصال ... فلطالما اضناك طول مطال

ما ذا وكم اوليتني يامخبري ... بقدومه من منةٍ ونوال

بشرتني بحياتي العظمى التي ... قد كنت احسبها حديث خيال

بشرتني يابن الرسول لو انما ... روحي ملكت بذلتها في الحال

بشرتني بسلالة الخلفاء من ... امداحهم تثني بكل مقال

من حبهم فرض الكتاب ، فما ترى ... الا المودة حين يتلو التالي

من ضمهم شمل العباء واذهبوا ... رجساً فيالك من مقام عال

من قوموا اود المكارم بعد ما ... شادوا الهدى بمعارف ونصال

لولاهم كان الورى في ظلمة ... مدت غياهبها بكل ضلال

ءاباءك الأطهار فاقصد ياأبا ... اسحاق يانجل المليك العالي

ياحبه وصفيه من قومه ... وخياره من سائر الأنجال

لو لم تكنْ اهلا لصفو وداده ... لم يستنبْك لجدك المفضال

لكن توسم فيك كل فضيلة ... فحبى يمينك راية الاقبال

واقام جودك بل وجودك زاد من ... يبغي ببيت الله حط رحال

انت استطاعتهم فما عذر الذي ... ترك الزيارة خيفة الاقلال

وبك المشاعر اطربت طرب التي ... وجدت على وله فقيدَ فصال

ووصلتها رحماً هناك قطيعة ... دهراً ولم تبلل به ببلال

وتأنس الحرمان منك بطلعة ... أغنتْهما عن وابل هطال

كرم لكم أدريه يوم إفاضه   عني سليمان بأي سجال
وهب الألوفَ وكان اكرم منزل   يسلي الغريب ببره المتوالي
يوم التشرف لي بلثم يمينه   وتمتعي من وجهه بجمال
وتلذذي بخطابه المعسول اذ   حفت به للدرس أي رجال
لم انسه يوماً حسبت نعيمه   بلذائذ الجنات ضرب مثال
عجباً له يحيي القلوب بعلمه   ويُميت جندَ الفقر منه بمال
واذا تقلّد للوغى بحسامه   تعنو الرقاب له بدون قتال
تتلوه بالفتح المبين عساكر   قد ارهفت بالنصر حدّ نصال
تخشى الملوك مقامه ولذكره   رعباً تطير فرائصُ الأبطال
وينال ءامله بخفض جناحه   ما ليس يخطر قط منه ببال
حتى سعى لصفي منهله الذي   يسعى لمروته ذوو الأثقال
واتتْ لمغربه الشريف مشارق   والشمس تغرب لاقتضاء كمال
لما تكدر صفوها بضلالة   جاءتْه كيما ترتوي بزلال
ومتى تخلف عاجز فبقلبه   يسعى لفعل شعائر الاجلال
امنية وقعت اشرت لذكرها   في مدحه قدماً بصدق مقال
تهوى المشارق ان تكون مغارباً   لتنال من جدواه كل منال
يافخر دين الله منه بناصر   وسعادة الدنيا به من وال
لا تفتخرْ فاس ولا مراكش   بولائه ، كلُّ الأنام موال
او ليس في كل البقاع ثناؤه   ورد البكور وسحة الآصال
او لم يشد للدين والعلماء والـ   أشراف والصُّلحاء اي جلال
او لم يعمَّ بجوده اقطارها   لا فرق بين جنوبها وشمال
او لم يسرْ ركبانها بمحاسن   ضاءت لها سرج بجنح ليال
او ليس احيى سنة العمريْن في   زمن الى بدع الهوى ميال
شيمٌ يهز الراسيات سماعها   ويعجن في أنف الزمان غوال
اوصافُ والدك الامام المرتضى   للدين والدنيا بحسن خلال
ذاك الربيع ابو الربيع ومَن به   حيي الهدى وشرائع الافضال
كل الكمال له وانت مقره   والفرع عين الأصل عند مئال

ياابن المليك ابن المليك ابن المليك ... ابن المليك سلالة الأقيال
انسيتم ذكر العبابسة الأولى ... زالوا ومازالوا بعين جلال
لكم الفخار بذاته وسواكم ... متمسك من فخركم بظلال
ولي الفخارُ بأن نسجت مديحكم ... حللا تجدُ وكلُ شيء بالي
املى معانيها علي ودادكم ... يجري به طبع كما السلسال
ولو انني حاولت مدح سواكم ... عقل القريحة عنه اي عقال
فكأنما طبعي شريف حيثما ... لا يهتدي لسوى مديح الآل
او قد درى ان المديح تعرض ... وسواكم لا يرتضى لسؤال
ابقاكم كهفاً يلاذ بمجدكم ... مختاركم لانالة الآمال
وادام للاسلام والدك الذي ... ورحمة وسعت بغير جدال
وعليكم وعلى الذي يهواكم ... ازكى الرضى من حضرة المتعال
ما دام ذكركم بكل صحيفة ... تبعاً لأحمد سيد الأرسال
صلى عليه مسلماً رب الورى ... وعلى مقدم حزبه والتالي

وعزز هذه القصيدة بمثلها بحراً وقافية ورويّاً الفقيه العلامة الأديب حمدون ابن الحاج الفاسي يقول في مطلعها :

بشراك ابراهيم بالاقبال ... اقبال عز لم يكن بالبال

وهي طويلة تركناها اختصاراً .

غــزوُ السلطان المولى سليمان بلادَ الريف والسببُ في ذلك

ولما كانت سنة سبع وعشرين ومئتين والف بلغ السلطان ان قبائل الريف من قلعية وغيرهم صاروا يبيعون الزرع للنصارى ويسقونه من بلادهم ، فعقد لعامله على الثغور محمد السلوي على جيش كثيف وانفذه اليهم ، فسار العامل المذكور وقصد قلعية عش الفساد ، ولما شارفها سرب اليهم العساكر فنهبوا اموالهم وحرقوا مداشرهم وانتسفوا ارضهم وديارهم وتركوهم افقر من ابن المدلق ، ثم بثَّ عماله في تلك القبائل فجبوها واستوفوا زكواتها واعشارها وعاد ظافراً .

وفي هذه السنة وذلك صباح يوم الجمعة السابع عشر من محرم منها توفي الشيخ العلامة الامام خاتمة المحققين بالمغرب ، سيدي محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيـران الفاسي صاحب التئاليف البديعـة والحواشي المحررة ، مثل شرح الحكم العطائية ، وشرح السيرة النبوية ، وغير ذلك من التئاليف المعروفة الموجودة بأيدي الناس .

ثم لما دخلت سنة ثمان وعشرين ومئتين والف بلغ السلطان ثانياً ان اهل الريف ما زالوا مقيمين على بيع الزرع للنصارى ، وانهم اضافوا الى بيع الزرع بيعَ الماشية ، وقد كان السلطان منع النصارى من وسق ذلك بالمراسي ، فافتات هؤلاء القوم على السلطان واعطوهم من ذلك ما ارادوا طمعاً في الربح ، وكان السلطان قد تقدم الى القائد محمد السلوي في كفهم عن ذلك لأنه كان قد ولاه عليهم واضافهم الى مَن كان الى نظره من اهل الجبل والثغور ، فكان لا يلتفت اليهم ، وربما قبض اهل المروءة منهم على سفلتهم ممن يتعاطى ذلك ويبعثون بهم اليه فيسرحهم على طمع ، فاتسع الخرق ، وصار كلهم يفعل ذلك ، ولما تحقق السلطان بفعلهم امر رؤساء قراصينة ان يذهبوا الى جهة الريف ومراسيها ، وكل من عثروا عليه من مراكب النصارى فلياخذوه ، فساروا وقبضوا على بعض النصارى فأسروهم ، ولم يقنعه ذلك حتى امر بغزو الريف وعزم على النهوض اليهم بنفسه ، واذن في الناس بذلك وجهز العساكر مع القائد محمد السلوي ووجه معه ولده المولى ابراهيم بعساكر الثغور وعرب سفيان وبني مالك ، فساروا على طريق الجبل ، وخرج السلطان من فاس في السنة المذكورة ومعه السواد الأعظم ، فسلك الجادة الى تازة وكَارت حتى نفذ الى بلاد الريف ، فلم يرعهم الا العساكر محيطة بهم من كل وجه ، فنهبوهم وحرقوا مداشرهم واستخرجوا امراسهم ودفائنَهم ، وولى السلطان عليهم احمد بن عبد الصادق الريفي وتركه في بلادهم في حصة من العسكر يستخلص منهم الأموال ، وعاد السلطان الى دار ملكه مويداً منصوراً .

خروج السلطان المولى سليمان الى بلاد الحـوز وتمهيدها ثـم دخـولـه مـراكش

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد ولى على قبائل تامسنا القائد كريران الحريزي ، فيقال انه اساء السيرة فيهم فنبذوا طاعته وخرجوا عليه ، فقدم على السلطان مستصرخاً عليهم ، فخرج اليهم في العساكر سنة ثلاثين ومئتين والف ، وتقدم الى جيرانهم من القبائل بأن يزحفوا اليهم من خلفهم ففعلوا ، وهجم عليهم واوقع بهم وقعة شنعاء اتلفت موجودهم واباحت نساءهم واولادهم ، وفرّ منهم طائفة فعبروا وادي ام الربيع زمان مده فهلك جلهم ، ثم ترك فيهم عامله في حصة من الجند وامره باستخلاص الأموال منهم ، وتقدم هو الى ناحية مراكش لقمع اهل الفساد من قبائل الحوز مثل دكالة وعبدة والشياظمة الذين خرجوا ايضاً على عاملهم الحاج محمد بن عبد الصادق صاحب الصويرة ، فأصلح من شأنهم وعزله عنهم لما علمه من سوء سيرته فيهم ، ونقله من الصويرة الى مراكش ، ثم منها الى فاس ، فولى اخاه احمد على عسكر القلعة بمراكش ، وعاد رحمه الله الى الغرب .

وفي هذه السنة في الثالث عشر من رمضان منها توفي الشيخ العلامة الفقيه الامـام محمد بن احمد بن محمد بن يوسف الحـاج الرهوني صاحب الحاشية الكبيرة على مختصر الشيخ خليل وغيرهـا من التئاليف النافعـة والخطب البارعة ، وباعه في العلوم خصوصاً الفقه مقرر معلوم ، رحمه الله ونفعنا بـه .

وفي ليلة الاثنين الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة توفي الشيخ العالم العارف الامام احمد التجاني شيخ الطائفة التجانية ، وكانت وفاته بفاس المحروسة ، وضريحه بها شهير عليه بناء جميل ، رحمه الله ونفعنا به .

غـزوُ السلطان المولى سليمان قبائل الصحراء وايقاعُه بآية عطّاء والسبـبُ في ذلـك

لما كانت سنة احدى وثلاثين ومئتين والف بلغ السلطان المولى سليمان ان بعض قبائل الصحراء كعرب الصباح وبرابرة آية عطة اشتغلوا بالفساد وعظم ضررهم واستولوا على قصور المخزن التي هنالك من عهد السلطان المولى اسماعيل ، فعقد لابنه المولى ابراهيم على جيش كثيف ووجهه اليهم ، فسار ونزل اولا على قصور العرب ، ونصب عليهم ءالة الحرب فبددهم ، ثم زاد الى قصور ءاية عطة ، فنصب عليهم الآلة كذلك وضيق عليهم الى ان طلبوا الأمان فأمنهم ، فطلبوا ان يفرج الجيش عنهم قليلا حتى يخرجوا لعيالهم خوفاً من معرة الجيش ، فأشفق لهم وافرج عنهم ، وكان ذلك مكيدة منهم ، فلما نفس عن مخنقهم ادخلوا معهم ما شاءوا من رجال وسلاح وقوت ، وتمادوا على الحرب ، فسقط في يد المولى ابراهيم وحمي انفه ، وكان معه جماعة وافرة من اعيانهم رهناً عنده ، فقتل طائفة منهم ، وساق نحو المئة الى فاس فقتلهم بباب المحروق ، ولما انهى خبر فعلة البربر الى السلطان عاب على ابنه افراجَه عنهم اولا وقتل الرهائن ثانياً ، ثم انهم اوفدوا جماعةً منهم على السلطان راغبين ان يبقيهم بالقصور ، فردهم بالخيبة ، وقال لهم لا بد لي من الوصول الى تلك القصور ان شاء الله حتى تكون لي او لكم ، ولما انسلخ رمضان من السنة واقام سنة عيد الفطر شرع في تجهيز العساكر الى الصحراء وقمع ظلمة اية عطة ، ثم بعث في مقدمته السواد الأعظم من جيش العبيد ، وعقد عليهم لوصيفه الأنجب القائد احمد بن مبارك صاحب الخاتم ، وبعث معه الطبجية بالمدافع والمهاريس وءالة الحصار والهدم ، فخرجوا من فاس في زي فاخر وشوكة تامة ، وبعد انفصالهم عنها طرأ على السلطان من بعض الثغور البحرية خبر بأن عمارة العدو تروج بالبحر وتجتمع عند جبل طارق ، ولم يدر الى اين تريد ، فتأخر السلطان عن الخروج حتى يتبيَّن له امر هذه العمارة ، ثم ورد الخبر اليقين بأنها قد قصدت ثغر الجزائر ، واصاب الفرنج من هدم الأبراج وتخريب الدور والمساجد وحرق الأشجار شيئاً كثيراً ، لكن لما رجعوا مفلولين

مقتولين هان الأمر وصغرت المصيبة ، ولما جاء البشير بانهزام الفرنج عن الجزائر قوي عزمُ السلطان على متابعة مَن وجه من عسكره الى الصحراء ، فخرج في غرة ذي القعدة من السنة المذكورة فيمن تخلف معه من العسكر وقبائل العرب والبربر ، وجدَّ السير الى ان عبر وادي ملوية فلقيه البشير هنالك بخبر الفتح والاستيلاء على القصور وقتل اهلها وسبيهم ونهب بضائعهم وامتعتهم ، فجدَّ السير الى ان خيم بغريس ، ومنها كتب الى القائد احمد ان يوافيه بالجيش لبلاد فركلة للنزول على القصور الخربات التي بها ءاية عطة ، فاجتمعوا مع السلطان بها ونصبوا عليها المدافع والمهاريس ، ودام الرميُ عليها ثلاثة ايام حتى كثر الهدم والقتل وعاينوا الموت الأحمر ، فأرسلوا الى السلطان النساء والصبيان للشفاعة في الخروج برؤسهم فأمنهم ، ولما جنَّ الليل خرجوا حاملين اولادهم على ظهورهم خوفاً من معرة الجيش ، ولما اصبح السلطان امر بنهب ما في القصور من القوت والمتاع والكراع ، وكمل فتح هذه الأماكن التي كانت نقمة لأهل ذلك القطر الصحراوي .

ولما من الله على السلطان بهذا الفتح الجليل شكر صنع الله له بأن فرق على العسكر وقبائل تلك الأقطار ما وسعهم من الخيرات ، قال صاحب الجيش : اعطي الشرفاءَ الف مثقال غير ما كان يعطيهم في كل سنة ، وقسم رحمه الله ذلك بخط يده ، فكتب لدار مولاي عبد الله كذا ، ولشريفات حمو بكة كذا ، ولشرفاء تافيلالت كذا ، ولشرفاء تيزليمي واولاد الزهراء كذا ، ولشرفاء الرتب كذا ، لشرفاء مدغرة كذا ، ولشرفاء زيز والخنق والقصابي كذا ، واعطى الطلبة والعميان والمقعدين والزمنى وزوايا تافيلالت مئة الف مثقال ، قسم ذلك بخط يده ايضاً ، وجعل للفقيه المدرس اربعة اسهم ، ولغيره سهمين ، والسهم من كذا ، وللطالب الذي يحفظ القرءان برسمه حتى صفًّا لوحه سهمان ، ولغيره سهم ، والسهم من كذا ، ولا فرق بين الأحرار والحراطين ، ولكل واحد من الضعفاء والعمي والمقعدين كذا ، والأحرار والحراطين سواء ، وللزوايا كذا ، فلزاوية الشيخ سيدي الغازي كذا ، ولزاوية سيدي ابي بكر بن عمر كذا ، ولزاوية سيدي احمد الحبيب كذا ، ولزاوية سيدي علي بن عبد الله كذا ، ولزاوية ضريح مولانا علي الشريف كذا ، ولمقبرة اخنسوس

كذا ، ووجه المال مع الأمين السيد المعطي مرينو الرباطي ، وامر الشرفاء ان يعينوا اربعين من ثقاتهم وامنائهم حتى لا تقع زيادة فيما كتبه بيده ولا نقصان ، وامر القاضي ان يعين عشرة من الطلبة وعشرة من العوام للقيام على تفرقة ذلك ، ثم اعطى المدرسين زيادة على ما تقدم وكذا الأئمة والمؤذنين ، ولم ينس احداً ، كل ذلك بخط يده رحمه الله ، قال صاحب الجيش وما زال هذا الزمام عنده .

ثم بعد قضاء وطره من الزيارة والصلة توجه الى مراكش على طريق الفائجة لتفقد احوال جيش الحوز الذي كان وجهه من مراكش لأقاليم درعة ، فبلغه اثناء الطريق ان ءاية عطة الذين بدرعة لما سمعوا بقربه منهم خرجوا من القصور هاربين وتركوها يباباً وتحصنوا بجبل صاغرو ، ولما دخل السلطان مراكش سرح العساكر الى السوس لتفقد احواله وجباية امواله ، وتمهيد اطرافه ، واخذ هو رحمه الله في استصلاح قبائل الحوز من دكالة وعبدة والشياظمة فقتل وغزا وسجن ، وولى مَن ولى ، وطهر تلك الأعمال من ولاة السوء الذين كانوا بها ، وعاد الى حضرته بفاس ، وكان دخوله اليها سنة اثنتين وثلاثين ومئتين والف ، ولما دخلها اخذ في تجهيز ولديه المولى علي والمولى عمر لأداء فريضة الحج الى ان استوفى الغرض في ذلك ، وعين مَن يتوجه معهما من الخدم والتجار وسائر الحاشية ، وخرجا مع الركب النبوي على الهيأة المعهودة في حفظ الله .

ابطال السلطان المولى سليمان الجهاد في البحر

وفي هذه السنة أعني سنة ثلاث وثلاثين ابطل السلطان الجهاد في البحر ، ومنع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس ، وفرق بعض قراصينه على الايالات المجاورة له مثل الجزائر وطرابلس ، وما بقي منها انزل منها المدافع وغيرها من ءالة الحرب واعرض عن امر البحر راساً بعد ان كانت قراصين المغرب اكثر واحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس ، قاله منويل .

وفي هذه السنة قدم ولدا السلطان المولى علي والمولى عمر من المشرق مع الركب ونزلوا بثغر طنجة ، وكان السلطان قد بعث اليهما بمركب من

مراكب النجليز ، فانتهى الى الأسكندرية وحملهما ومن معهما من الخدم والتجار وسائر الحاج ، ولما نزلوا بطنجة حدث الوباء بالمغرب ، فقال الناس ان ذلك بسببهم ، فانتشر أولا بتلك السواحل ، ومنها شاع في الحواضر والبوادي الى ان بلغ فاساً ومكناسة في بقية العام ، ولما دخلت سنة اربع وثلاثين ومئتين والف شاع الوباء وكثر في بلاد الغرب ، فتوجه السلطان الى مراكش ، وكان الأمر ما زال محتملا ، ثم زاد وتفاحش حتى اصاب الناس منه امر عظيم .

وقعة زيـان وما جـرى فيها على السلطان المولى سليمان

ولما وصل السلطان الى مراكش سنة اربع وثلاثين ومئتين والف ، اقام بها الى رجب منها ، ثم اخذ في الاستعداد لغزو برابرة فزاز ، وهم ءاية ومالو بطن من صنهاجة ، وعرفت الوقعة بوقعة صيان فخذ منهم ، فحشر السلطان رحمه الله عرب الحوز كلهم وكتب الى العبيد بمكناسة يأمرهم ان يوافوه بتادلة ، وكتب الى ولده وخليفته بفاس المولى ابراهيم ان يوافيه بها بجيش الوداية وشراقة وعرب الغرب وبرابرته وعسكر الثغور ، وكان الناس يومئذ في شدة من هذا الوباء الذي عمَّ الحواضر والبوادي ، وكان السلطان لما اخذ في استنفار هذه القبائل لا علم له بتفاحش الوباء بالمغرب ، وكان الواجب على ابن السلطان ان يعلم اباه بما الناس فيه من فتنة الوباء فيعفيهم من الغزو أو يوخرهم الى يوم ما ، فجمع ولد السلطان الجموع وكلهم كاره ، وسار لميعاد ابيه ، فوافاه بتادلة ، فاجتمع للسلطان فيما يقال من الجيوش نحو ستين ألفاً ، وزحف الى البربر ، فانتهى الى بسيط أدخسان وبـه مزارع البربر وفدنها ، فأرسل السلطان الجيوش في تلك الزروع وكانت شيئاً كثيراً ، فأتوا عليها ، وبعث البربر اليه بنسائهم وولدانهم للشفاعة ، وان يدفعوا للسلطان كل ما يامرهم به من المال وينصرف عنهم فأبى وزحف اليهم فقاتلهم يوماً الى الليل ، ولقد اخبرني من حضر الوقعة ان المقاتلة كانت في هذا اليوم من عرب الغرب ومن برابرة زمور وجروان وءاية يدراسن ، الا ان القتل استحرَّ في العرب دون البربر ، وذلك ان كبير زمور الحاج محمد ابن الغازي دسَّ الى صيان بأننا نحن وانتم واحد ، فاذا كان اللقاء فلا ترمونا ولا نرميكم الا بالبارود وحده ،

وذلك ان السلطان لما قدمهم للقتال في اول يوم منه واخَّر عرب الحوز استرابوا بأنه انما اراد ان يصدم بعضهم ببعض ، وتسلم له العرب ، ففعل ابن الغازي ما فعل ، ولما راح مقاتلة العرب مع العشي اخبروا السلطان بأن هؤلاء البربر الذين معنا لا امان فيهم ، وانما ظلوا يترامون بالبارود لا غير ، ولأجل ذلك قد هلك من اخواننا كثير ، ولم يهلكْ منهم احد ، فأسرها السلطان في نفسه ولم يبدها لهم ، ولما كان الغد وركب الناس للقتال ارسل الى البربر ان لا يركب منهم احد ، وقال لهم اني اردت ان اجرب العرب اليوم واختبر فائدتهم ، فأظهروا الطاعة ، وتقدم العرب الى القتال ، واقام البربر في اخبيتهم الى منتصف النهار ، ثم ركبوا خيولهم وتسابقوا اليها عن ءاخرهم ، قال المخبر بهذا الخبر شاهدتهم ساعــة ركبوا فكنت لا التفت الى جهة الا رايتها حمــراء من كثرة سروجهم التي كانت على ظهور الخيل اذذاك ، ثم تصايحت البربر فيما بينها وتقدمت براياتها الى الجهة التي فيها القتال واتوا من خلف العرب الذين كانوا في نحر العدو وهم يتصايحون ، فلم يردهم الا صياح البربر من خلفهم وراياتهم قد اطلت عليهم من كل جهة وكانت شيئاً كثيراً ، فظنوا ان صيان قد لحقتْهم من خلفهم ، فخشعت نفوسهم وفشلوا ورجعوا منهزمين لا يلوي حميم على حميم ، فأخذتْهم البربر من بين ايديهم ومن خلفهم يقتلون ويسلبون ، وحصل انزعاج كبير في المحلة وتمت الهزيمة عليها ، ولم يبق بها الا جيش الوداية والعبيد ، هكذا اخبر مَن شاهد هذه الوقعة ممن يوثق به .

وساق صاحب الجيش الخبر عنها بأن قال : كان انخذال برابرة زمور برأي كبيرهم الحاج محمد ابن الغازي ، وكانت له وجاهة في الدولة ، وكان الحسن بن حمو وعزيز كبير ءاية يدراسن يساميه في المنزلة ، ولما خرج المولى ابراهيم ابن السلطان في هذه الغزوة كان ابن وعزيز قد حظي لديه حتى صار من اخص ندمائه ، فنفس ابن الغازي عليه ذلك ، ودبر بأن جرَّ الهزيمة على الجيش اجمع ، فانه اظهر الفرار وقت اللقاء ، حتى سرى الفشل في الناس وانهزموا ، ثم عطفت البرابر مع العشي على محلة السلطان فشرعوا في نهبها ، واحاط عسكر العبيد بها من كل جهة ، وصاروا يقاتلون البربر على اطراف الأخبية ، ولما اقبل المساء ترك العبيد الأخبية وارزوا الى افراك السلطان ،

وصار القتال على افراك الى وقت العشـــاء ، فهلك من العبيد خلق كثير ، وصار القتال بالسيوف والرماح ، وما زال اصحاب السلطان يتترسون عليه بأنفسهم حتى عجزوا عن الدفاع وخلص البربر الى السلطان واراد رجل منهم يقال انه من بني مكّيلد ان يجرده ، فأعلمه بأنه السلطان ، فاستحلفه البربري فحلف له ، فنزل عن فرسه واركبه وطار به الى خيمته ، وكان البربر يلقونه وهو ذاهب به فيقولون من هذا الذي معك ؟ فيقول اخي اصابته جراحة ، ولما وصل به الى خيمته اعلن بأنه السلطان ، فاقبلت نساء الحي من كل جهة يفرحن ويضربن بالدفوف ، ثم جعلن يتمسحن بأطرافه ويتبركن به وينظرن اليه اعجاباً به حتى اضجرنه ، ولما جاء رجال الحي اعظموا حلوله بين اظهرهم واجلوه وسعوا فيما يرضيه ويلائمه من وطاء ومطعم ومشرب بكل ما قدروا عليه ، فلم يقر له قرار معهم ، ويقال انه بقي عندهم ثلاثاً ، لا يأكل ولا يشرب اسفاً على ما أصابه ، الا انه كان يسدّ رمقه بشيء من الحليب والتمر ، وتنصَّل البربر له مما شجر بينهم وبينه ، واظهروا له غاية الخضوع حتى انهم كتفوا نساءهم وقدموهن اليه مستشفعين بهن على عادتهم في ذلك ، وبعد ثلاث اركبوه وقدموا به في جماعة من الخيل الى قصبة آكوراي فنزلوا به قريباً منها ، وبعث رحمه الله الى مكناسة يعلم الجيش بمكانه ، فجاءوه مسرعين ، ودخل مكناسة بعد ان احسن الى ذلك الفتى البربري والى جميع اهل حيه غاية الاحسان ، وامر رحمه الله ان يعطى لكل سليب من المنهزمة حائك وثلاثون اوقية ، ففرق من ذلك شيئاً كثيراً بباب منصور العلج من مكناسة ، واصيب المولى ابراهيم ابن السلطان في هذه الوقعة بجراحات معظمها في راسه ، فحمل جريحاً الى فاس فمات بها ، وكانت مصيبته على السلطان اعظم مما اصابه في نفسه والأمر لله وحـــده .

قال صاحب الجيش : كان السلطان الحازم سيدي محمد بن عبد الله لا يرد الشفاعة في مثل هذا المقام ، وربما دس الى مَن يظهر ذلك صورة حتى يكون نهوضه عن عز وذلك من حسن سياسته ، وكانت هذه الوقعة الفادحة سبب سقوط هيبة السلطان المولى سليمان من قلوب الرعية ، فلم يمتثل له بعدها امر في عصاتها حتى لقي الله تعالى .

ولما دخلت سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، كثر عيثُ البربر وافسادهم السابلة ، واستحوذوا على مزارع مكناسة ومسارحها ، فنصب لهم السلطان رحمه الله حُبالةَ الطمع وكادهم بها بأن صار كلما وفد عليه جماعة منهم كساها واحسن اليها ، فتسامعوا بذلك ، فقادهم الطمع الى ان وفد عليه منهم في مرة واحدة سبعمئة فارس من اعيانهم ، فقبض عليهم وجردهم من الخيل والسلاح واودعهم السجن ، ثم امر بالقبض على كل مَن وجد منهم بسوق مكناسة وصفرو ، فقبض بصفرو على نحو الثلاثمئة من ءاية يوسي ، وقامت بسبب ذلك فتنة البربر على ساق ، فانهم امتعضوا لمَن قبض عليه من اخوانهم ، وزحفوا الى مكناسة وحاصروها ، وجاءوا معهم بدجالهم ابي بكر مهاوش وتحزبوا وصاروا يداً واحدة على كل مَن يتكلم بالعربية بالمغرب ، وكان مهاوش في هذه الأيام قد امر امره ، لأنه لما عزم السلطان على غزوهم كان يعدهم بأن الظهور يكون لهم ، فلما صدق عليهم ظنه اعتقدوه وافتتنوا به وزحفوا الى مكناسة فضيَّقوا على السلطان بها ، فجعل رحمه الله يعالج امرهم بالحرب تارة والسلم اخرى ، الى ان طلبوا منه ان يسرح لهم اخوانهم ويرجعوا الى الطاعة والدخول في الجماعة ، فسرحهم لهم على يد المرابط عبد الله بن حمزة العياشي ، فلما ظفروا باخوانهم نقضوا العهد الذي اخذ عليهم المرابط المذكور وعادوا الى العيث وافساد السابلة ، ثم تبعهم على ذلك قبائلُ العرب ، واختلط الحابل بالنابل ، واشتدَّ الأمرُ وبلغ الحزام الطبيين ، ولله در العلامة عبد الملك التاجموعتي اذ يقول :

هم البرابر لا ترجو نوالَهم	وسلْ من الله تعجيلَ النوى لهم
لا بلّغ الله قلباً منهم املا	وبلغ الله قلبي ما نوى لهم

ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل الى الجند ، فان العبيدَ عدوا على كبيرهم القائد احمد بن مبارك (63) صاحب

---

63) توفي احمد بن مبارك البخاري عام 1235 هـ برصاصة رماه بها عبيد البخاري بغابة حمرية من مكناس ، ودفن يمين الخارج من باب بوعماير ، وعلى قبره بناء الى الآن ، وهو والد الحاجب موسى بن احمد ، وجد الحاجب الوزير احمد بن موسى .

ينظر عن احمد بن مبارك **اتحاف اعلام الناس** I : 367

الخاتم فقتلوه افتياتاً على السلطان ، مع انه كان من اخصّ دولته لنجابته وكفايته وديانته واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته ، ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة ، فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على النت (64) ، قال كنسوس : كان القائد احمد وابوه واخوته قد اعطاهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله لابنه المولى سليمان ، فنشأ القائد احمد في كفالته ، وتخلق بأخلاقه من زمان الصبا الى مماته ، وكانت حياته مقرونة بسعادة السلطان العادل المولى سليمان ، فانه من يوم قتل رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف لم يلتئمْ شملُ المملكة حتى توفي السلطان المذكور .

ذكـر ءال مهاوش واوليتهم وما ءال اليه امرهم

اما الذي كان منهم في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله فاسمه محمد وناصر ، والواو في لغة البربر بمعنى ابن ، وكان والده مرابطاً من ءاية مهاوش فرقة من ءاية سخمان منهم ، وكان جده ابو بكر من اتباع الشيخ سيدي احمد بن ناصر الدرعي رحمه الله ، وكان الشيخ المذكور قد جرى في مجلسه يوماً ذكرُ الدجال ، فقال الشيخ لا يخرج الدجال حتى تخرج دجاجيل من جملتهم مهاوش ، ومعناه من جملتهم ولد هذا الرجل فكان الأمرُ كذلك ، فانه لما شبّ محمد وناصر قرأ القرءان والعربية والفقه وحصل على طرف من علم الشريعة ، ثم تنسك وتزهد ولبس الخشن ، فيقال انه حصل له نوع من الكشف شاع به خبره عند البربر واكبوا عليه واشتهر امره مدة ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، ولما انتهى اليه امره نهض الى قبيلة جروان الذين كانوا يخدمونه فنهبهم بسببه ، وفرّ مهاوش الى رؤوس الجبال مختفياً الى ان بويع السلطان المولى يزيد رحمه الله ، وكان قد اتصل بمهاوش ، قبل ولايته ، وذلك حين فرّ من والده ولجأ اليه حسبما مرّ ، فآواه مهاوش واحسن اليه ، ولما بويع السلطان المذكور وفد عليه مهاوش في جملة من قومه ، ففرح بهم المولى يزيد ، واعطى مهاوش عشرة آلاف ريال ، واعطى الذين قدموا

64) **النت** : الغيظ والحقد ، يقال طوى له على النت ، اي اظهر له البشر وهو يخفي الحقد .

معه مئة الف ريال . ولما هلك محمد وناصر هذا ترك عدة اولاد ، اكبرهم ابو بكر ومحمد والحسن ، الا انهم تبعوا سيرة ابيهم في مجرد التدجيل والتمويه على جهلة البربر وتثبيطهم عن طاعة السلطان ، ولم يكن معهم ما كان مع والدهم من التظاهر بالخير والدين ، فأمر امرهم عند اهل جبل فازاز واعتقدوهم ووقفوا عند اشارتهم ، ثم لما جاءت دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله واتفقت له الهزيمة التي مرّ ذكرها ، وامتلأت ايدي البربر من خيل المخزن وسلاحه واثاث الجند وفرشه بطروا وظهر لهم ان ذلك انما نالوه ببركة مهاوش ، لأنه كان يعدهم بشيء من ذلك ، فتمكن ناموسُه من قلوبهم ، واستحكمت طاعتُهم له ، وتمردوا على السلطان بسبب ما كانوا يسمعون منه ، الا ان كيده كان قاصراً على اهل لسانه ووطنه لا يتعداهم الى غيرهم ، ثم بعد ذلك بزمان انطفأ ذباله ، ولم يزل في انتقاص الى الآن ، والله غالب على امره .

حدوثُ الفتنة بفاس وقيامُهم على عاملهم الصفّار

لما توالت هذه الفتن على السلطان رحمه الله واتفقت عليه الفتوق وصار الناس كأنهم فوضى لا سلطان لهم ، قام عامة اهل فاس على عاملهم الحاج محمد الصفار فأرادوا عزله ، وتعصبت له طائفة من اهل عدوته ، وافترقت الكلمة بفاس حتى ادى ذلك الى الحرب وسفك الدماء ونهب الدكاكين ، وتراموا بالرصاص من اعلا منار مسجد الرصيف ، وبلغ ذلك السلطان وهو يومئذ بمكناسة يعالج داء البربر ، فزاده ذلك وهناً على وهن ، فكتب الى اهل فاس كتاباً شحنه بالوعظ والعتب ، وامر ابنه المولى علياً ان يقرأه عليهم ، فجمعهم وقرأه عليهم حتى سمعوه وفهموه ، ونص الكتاب المذكور :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم

الى اهل فاس

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد فان العثماني باصطنبول وامره ممتثل بتلمسان والهند واليمن ، وما رأوه قط ، ولكن امر الله يمتثلون :

(يأأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، واعلموا ان العمالَ ثلاثة : عامل اكل السحت واطعمه الغوغاء والسفلة ، وعامل لم يأكل ولم يطعم غيره ، انتصف من الظالم ، وعامل اكل وحده ولم يطعم غيره ، فالأول تحبه العامة والسفلة ، ويبغضه الله والسلطان والصالحون ، والثاني يحبه الله ويكفيه ما اهمه من امر السلطان ، والثالث كعمال اليوم : يأكل وحده ، ويمنع رفـده ، ولا ينصر المظلوم ، فهاذا يبغضه الله ورسوله والسلطان والناس اجمعون ، وهذا معنى حديث ازهدْ فيما في ايدي الناس يحبك الناس ، وحديث العمال ثلاثة الخ . فلو كان للصفار مائدة خمر وطعام يأخذه من الأسواق ويتغدى عنده ويتعشى السفلة والفساق ويدعو اليوم ابن كيران وغدا ابن شقرون وبعده بنيس وابن جلون ، ويفرق عليهم من الذخائر لأحبوه وما قاموا عليه ، ولو اردتم النصيحةَ لله ولرسوله ولأميره لقدم علينا ثلاثة منكم او ذكرتم ذلك لولدنا مولاي علي اصلحه الله ، فأخبرنا بذلك ، وقلْ للصفار الكلاب لا تتهارش الا على الطعام والجيف ، فاذا رأت كلباً بباب دار سيده ولا شيء امامه لم تعرجْ عليه ، وان راته يأكل فان هو تعامى واشركهم فيما يأكل اكلوا معه وسكتوا ، وان هو قطب وجهه وكشر عن انيابه تراموا عليه وغلبوه على ما في يده ، وهذا الصفار لم يتق الله ويزهد الزهد الذي ينصره الله به ولم يلاقِ بوجه طلق وبطرف مما يأكله فسلطهم الله عليه ، ولما رأى يوسف بن تاشفين النعمة التي فيها ابن عباد قال : اكلُ اصحابه واعوانه مثله ؟ فقالوا لا ، فقال انهم يبغضونه ويسلمونه للمكاره لاستبداده دونهم ، ولتغيير المنكر شروط وما يعقلها الا العالمون ، وكم مرة قلنا لكم العلماء هم ينكرون ماينكر ويعلموننا بماكان ، ولكن الجلوس بلا شغل والفراغ وعدم الحمد حملكم على ما يحرم عليكم الكلام فيه :

ان الشبابَ والفراغَ والجـده مفسـدة للمـرء اي مفسـده

واما بيت مال الله والأحباس فالله حسيب مَن بدل ، وقد كنتم تتكلمون على المكس والحرير والقشينية وغير ذلك فارى حكم الله من ذلك ، وانظروا

لمن تعرفونه من العمال ، واما الفسق فهو عادة وديدن كل مَن قام في الفتنة ، وكم مرة رمتُ قطعه فلم اجد اليه سبيلا ، لأن جلَّ كبرائكم بالمصاري والعرصات ، وانما اولي عليكم البراني لأنكم لا تحسدونه وان اكل وحده ، والحاسد يريد زوال النعمة عن محسوده ، والتجار لأن التاجر لا يطمع في مال احد ، ويكفيه الرفعة والجاه لنماء ماله ، وانظروا ما اجبتكم به وما كتبتم لنا به ، واعرضوه على فقهائكم ، فمن قال الحق منا ومن قال الباطل اخذتم بحظكم من الفتن » . انتهى .

وهذه الرسالة قد شرحها الفقيه محمد بن ابي بكر بن عبد الكريم اليازغي .

وكان اهل فاس قد كتبوا الى السلطان رحمه الله في شأن عاملهم الصفار المذكور ، واعتذروا عن خروجهم عليه بأنه اشتغل بما لا يرضي الله من الفسق ، ومد اليد الى الحريم ، فأنكروا عليه ، فأجاب السلطان رحمه الله بالرسالة المذكورة .

خروجُ السلطان المولى سليمان من مكناس الى فاس وما لقي من سفهاء البربر في طريقه اليها

قد تقدم لنا ان البربر طلبوا من السلطان تسريح اخوانهم ، وانه بذلك تصلح احوالهم ويراجعون الطاعة ، ولما سرحهم نكثوا العهد وازدادوا تمرداً ، فلما اعيى السلطان امرهم وكل امرهم الى الله وعزم على الخروج من مكناسة الى فاس لما حدث بها من الشغب ايضاً ، فولى على مكناسة وجند العبيد ولده المولى الحسن ، وكان له عزم وحزم ، ثم خرج السلطان رحمه الله ليلاً من مكناسة على خطر عظيم ، واسرى ليلته ولم يعلم البربر بخروجه حتى اصبح وقد جاوز المهدومة وشارف وادي النجاة ، فتبعوه على الصعب والذلول ، ونهبوا كلَّ مَن تخلف من الجيش ، واستولوا على كثير من روام السلطان ، وكان مع السلطان في تلك الليلة المرابط البركة عبد الله بن حمزة العياشي ، فجعل يكفُّ البربر عن الجيش فلم يغن شيئاً ، لأنه كلما كفَّهم من ناحية

اغاروا من ناحية اخرى ، وخلص السلطان الى فاس وقد ازداد حنقُه على البربر ، فلما دخلها امر بنهب دور البربر القاطنين بفاس فنهبوا كل مَن فيه رائحة البربرية ولو قديماً ، فكان ذلك فتنة في الأرض وفسادا كبيرا ، واقام السلطان بفاس الى رجب من السنة المذكورة ، اعني سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، ثم خرج لاصلاح نواحي بلاد الهبط ، فوصل في خرجته هذه الى قصر كتامة ، فمهد تلك البلاد وامَّن سبلها ورجع الى رباط الفتح ، فقدم عليه بها قبائل الحوز على بكرة ابيهم من حاحة والشياظمة وعبدة والرحامنة واهل السوس والسراغنة وزمران واهل دكالة وقبائل الشاوية وتادلة ، وقدم عليه ايضاً قبائلُ بني حسن وعبيد الديوان ، وقبض في هذه المرة على نحو المئة من زعير وأودعهم السجن ، ودخل شهر رمضان ففرق عمال القبائل كلا الى عمله ، وامرهم بالقدوم عليه لعيد الفطر ويستصحبوا زكواتهم واعشارهم ، وكان قد عزم على المقام برباط الفتح الى ان يقيم سنة العيد به وتجتمع عليه العساكر فيتوجه بهما لغزو البربر ، ثم بدا له رحمه الله فسافر مع قبائل الحوز الى مراكش في عاشر رمضان المذكور .

ذكـرُ ما حـدث من الفتن بفاس واعمالهـا بعد سفر السلطان المولى سليمان الى مراكش

لما عزم السلطان المولى سليمان رحمه الله على السفر الى مراكش ندب جند العبيد الى السفر معه فتثاقلوا عليه ، وظهر منهم قلة المبالاة به ، واحسَّ منهم بذلك فأعرض عنهم ، وبعد يوم او يومين انسلَّ من بين اظهرهم وقصد محلة اهل الحوز ، فدخل قبةَ القائد محمد بن الجيلاني ولد محمد الصغير السرغيني ، وكان السلطان يطمئنُّ اليه منذ كان رفيقه في نكبته عند صيان ، اذ كان ابن الجيلاني المذكور مأسورا عندهم وسرحـوه للسلطان فرافقه الى مكناسة حسبما مر ، ولما احتل السلطان بمحلة اهل الحوز ازداد فسادُ نية العبيد ، وسافر السلطان الى مراكش وترك مضاربه واثاثه بيدهم ، فتوزعوها وعادوا الى مكناسة ، وسمع الناس بما ارتكبه هاؤلاء العبيد في حق السلطان فعاد شباب الفتنة الى عنفوانه ، وسرى في الحواضر والبوادي سم

افعوانه ، فخبَّ عبيدُ مكناسة بعد قدوم اخوانهم عليهم في الفتنة ووضعوا ، وامتنع عمالُ الغرب وبني حسن من دفع الزكوات والأعشار ، وطردوا جباة السلطان ، وعمد الوداية بفاس الى حارة اليهود التي بين اظهرهم بفاس الجديد فانتهبوها واستصفوا موجودها واخذوا ما كان تحت ايدي اليهود من كتان وحرير وفضة ، وذهب لتجار اهل فاس ، اذ كانوا يخيطون لهم ويصنعون ما تدعو الحاجة الى خياطته وصنعته ، فضاعت في ذلك اموال لا يحصيها قلم حاسب ، ثم جردوهم رجالا ونساء وسبوا نساءهم وافتضوا ابكارهم وسفكوا دماءهم وشربوا الخمور في نهار رمضان ، وقتلوا الأطفال ازدحاماً على النهب ، ثم تجاوزوا هذا كله الى حفر البيوت على الدفائن فوقعوا بسبب ذلك على اموال طائلة ، ولما رأوا ذلك قبضوا على اعيانهم وتجارهم وصادروهم بالضرب والنكال ليدلوهم على ما دفنوا من المال ، ومن عنده يهودية حسناء حالوا بينه وبينها حتى يفتديها بالمال ، وكان هذا الحادث العظيم في الثالث عشر من رمضان سنة خمس وثلاثين ومئتين والف ، ولما فرغوا من اليهود التفتوا الى اهل فاس فاستاقوا السرح وبهائم الحرث والجنات ، ومنعوا الداخل والخارج ، فقام بفاس هرج عظيم ، وغلقوا الأبواب ، ومالوا على من وجدوه من الوداية داخل البلد ، فأوقعوا بهم ونهبوهم ، وحمل الناس السلاح ، ونقلت البضائع والسلع من الأسواق الى الدور خوفاً عليها ، واجتمع اهل الحل والعقد منهم فعينوا مَن يقوم بأمرهم ، فقدم اللمطيون رجلا منهم يقال له الحاج احمد الحارثي ، وقدم اهل العدوة رجلا منهم يقال له قدور المقرف ، وقدم اهلُ الأندلس رجلا منهم يقال له عبد الرحمان بن فارس ، فضبطوا البلد ، وبينما هم كذلك قدم عليهم جماعة من اعيان الوداية وتلافوا امرهم والتزموا ردَّ ما نهبوه لهم من السرح وما نُهب في جملة اموال اليهود مما كان يصنع عندهم ، فخمدت بذلك نار الفتنة بعض الشيء .

وقد قال ادباء الوقت في هذا الخطب الذي اتفق في هذه المدة جملةً من الأشعار ، من ذلك قول الكاتب البارع محمد بن ادريس الفاسي :

اعيُنٌ العِين للمحبين داء والدوا في شفاهها والشفاء
فاذا ما رمين سهماً لصب فالهوى قد هوى به والهواء
كيف يعدل نحو اي عذول مَن رمته ظبى اللحاظ الظباء
سعد ساعدْ اخا الغرام بقرب من سعاد فقد عناه العناء
زارني ضيف طيفها فشجاني وسرى الطيف للمحب حباء
هبَّ شوقي اذ هبَّ نشر كباها وعرتني من ذكرها العدواء
فسقى عهدها العهادُ وحيَّا الـ ـملك العادل الحيا والحياء
ليس الا ابا الربيع ربيع خلقه الجود والجدى والوفاء
بسليمان قد سلمنا وسدنا فالعلى منزل له والعلاء
ملك ملك العلى والمعالي وسما فله الفخار سماء
غرة المجد ، درة العقد ، مَن قد راق من فضله السنا والسناء
نجل خير الورى ، وافضل مَن قد نبَّأت بظهوره الأنبياء
مَن اذا ما رجاه راجٍ لنول قبل حل الحبى اتاه الحباء
خلق دمث وخلق بهي من ذكي نوره تغار ذكاء
كفه كفت الفسادَ وكفت كل عاد فما لها اكفاء
راحهُ راحة لكل فقير بحياء تحيا به الأحياء
روضة راضت العلوم ولكن عرفها العرف والثراء الثناء
قد روى فضله الأفاضلُ طراً فعلى الفضل والرواة رواء
لأبي القاسم الظياني لديهم فضل سبق له علا وعلاء
جمع الوصف احكم الرصف صدقاً واتاه الانشاء كيف يشاء
صالح ناصح امين رصين قد ثناه الى علاك السناء
كيف لا يُحسن السناء ويسمو في امام له المعالي رداء
انما هو معجز مستقل يقتدي بفعاله العقلاء
بسط العدل في البسيطة فا لدين له بسطة به وارتقاء
وغدا باقامة الدين في الغر ب غريباً انصاره الغرباء
لم يجد في البرابر الغلف برا شانه البر في البدا والبراء
نقضوا العهد خالفوا الأمر والنهـ ـيَ ، ألا انهم هم السفهاء

خالفوا منتقى الخلائف جهلا ... بعماهم ، فلا عداهم عماء

عادة في جدودهم جدودها ... لهم الدهر الارتداد رداء

قد دعاهم مهاوش لضلال ... فعليهم وبالهم والوباء

شق جهلا عصا الامام شقاقاً ... وعصى الله لا هناه الهناء

واقتفى اثره الغواة ضلالا ... فغباهم ما ان عليه غباء

واذا خبثت اصول فروع ... لاح من فعلهم عليه لواء

وكذا العرب اعربوا عن مساو ... فهم في سوى الخروج سواء

نافقوا رافقوا الخبيثين كفراً ... همزوا لمزوا فليس براء

والودايا جاءوا باد وعيب ... داؤهم ما له الزمان دواء

قتلوا سلبوا اخافوا وحافوا ... ما ثناهم عن القبيح ثناء

ما رعوا ذمة ولا فعل ذم ... بل عراهم من الحياء عراء

وامام الأنام يحلم عنهم ... ويوالي وما يفيد الولاء

نهبوا حارةَ اليهود وهدوا ... دورهم وعرا النساء سباء

لو تراهم بين الرعايا عراة ... يحتذيهم رجالهم والنساء

خفروا ذمة النبي فذموا ... لعماء ، فلا سقاهم عماء

* * *

يا امام الهدى عليك بقوم ... ملأ الغرب بغيُهم والبغاء

قد طما ظلمهم وعمَّ اذاهم ... وانجلى عنهم فحق الجلاء

كم سدلت عليهم اي ستر ... ووهبت ، فما افاد العطاء

وحدوت الى الرشاد فحادوا ... ودعوت فما افاد الدعاء

نلت رشداً برشدهم وجهادا ... فأبى منهم الرشاد اباء

واذا خذل الالهُ اناساً ... من محياهم يزول الحياء

فعبيد الاله خير عبيد ... قد كفى منهم الامام كفاء

حاربوا ضاربوا على الحق راعوا ... ذمة الله لا عداهم علاء

فاتخذْهم موالياً وجنودا ... واصطفيهم ، فانهم اصفياء

قد اصاب الأعادي منهم عذاب ... ودهى منهم الدهاة دهاء

(واذا سخر الاله اناساً ... لسعيد فانهم سعداء)

ياالاهَ الأنام خذ بيديه ... واعنْه فقد عناه العناء

فينام الأنام في ظل أمن ... ورداه للماردين رداء

وعليه السلام ما سار سار ... وشدتْ فوق ورقها الورقاء

ثم حدث على تفيئة ذلك فتنة اخرى بفاس بسبب نزاع جرى بين قاضيها الفقيه عباس بن احمد بن التاودي وبين مفتيها الفقيه محمد بن ابراهيم الدكالي في قضية الشريفين الشفشاوني والعراقي من اهل فاس ، وهي معلومة ، فأنهي الأمر الى السلطان ، فاخر الفقيه الدكالي عن الفتوى فغضب للمفتي جماعة من المدرسين وطلبة العلم وتعصبوا له وتحزبوا على القاضي ، فكتبوا رسماً يتضمن الشهادة بجوره وجهله ووضعوا خطوطهم وناطوا به قصيدةً تتضمن الشكوى به وشرح حاله للسلطان ، ووجهوا بهما اليه ، ونص القصيدة :

يأيها الملك الذي عدالته ... احيت مئاثرها الصديق او عمرا

يأيها الملك الذي مناقبه ... في غرة الدهر قد لاحتْ لنا قمرا

انت الذي وضع الأشياء موضعها ... وفي العلوم الذي احيا الذي اندثرا

انت الذي صيَّر الدينَ القويم كما ... اوصى به مَن سما الأملاك والبشرا

ولم يزل بك في عز وفي حرم ... يجني ذوو العلم من رياضه ثمرا

تذب عنه بأسيافٍ وءاونة ... بفكرة تحكم الأحكام والصورا

ومَن يرم هدمه تأخذه صاعقة ... من راحتيك فلا تُبقي له اثرا

وقد شكا الدين من هضم ومن كمد ... اصابه فهو يبكي الدمعَ منهمرا

سطت عليه يدُ القاضي الذي غمرت ... اقضيةُ الجور منه البدوَ والحضرا

اعفى مراسمه جوراً وابدله ... جهلا بما يذهب الألباب والفكرا

جاء الولايةَ وهو من شبيبته ... يرى القضا حرفة يقضي بها وطرا

فلم يكنْ همه فيه سوى قنص ... او نخوة تترك الضعيفَ منكسرا

اما حقوق الورى فانها عدم ... مجهولة جهلت منبوذة بعرا

فاستنقذت ملة المختار جدك من ... هذا الذي ما درى ورداً ولا صدرا

يأتي الحكومةَ عباساً ومنغضباً ... مما به من سقام يجلب الكدرا

فلا يرى ارسم الخصميين من ملل — لكن يُحكم اوهاماً بها جهرا
ويستبدُ برايه وحيث بدت — فتوى تبصره القى بها حجرا
ولا يمكن خصماً قد دعاه الى — تسجيله ما رأى في الحكم معتبرا
ملت قلوب الورى منه وليس لهم — الاك يامَن به الاسلام قد نصرا
ضجوا لعزتكم يشكون سيرته — بعبرة تترك الفؤادَ منفطرا
فأدركنْ ياعمادَ الدين صارمه — رعية ترتجي من حلمكم مطرا
فأنزلنْه لقد طغى بعزته — ولم يخفْ في غد لظى ولا سقرا
واصرفْه عنهم كصرفه ضعيفهم — واعزلْه عزلا فان الأمر قد امرا
فانت غيثُهم ان أزمة ازمت — وانت كهفُهم ان حادث ظهرا

ولما وصل الرسم والقصيدة الى السلطان رأى ذلك من التعصب الذي يحدث بين الأقران ، فرفضه لكمال اناته وعقله ، ولم يقبل شهادة عالم على مثله ، فلما رأوا ان السلطان لم يساعدهم هجموا على القاضي وهو بمجلس حكمه وارادوا قتله ، وسدد نحوه الشريفُ محمد الطاهر الكتاني كابوساً اخرجه فيه فأخطأه ، فانزعج القاضي ولزم بيته ، وقدموا مكانه الفقيه محمد بن عبد الرحمان الدلائي ، ثم عزلوه وولوا مكانه الفقيه محمد العربي بن احمد الزرهوني ، فكانت عاقبة امره لما افضي الأمر الى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله نفاه الى الصويرة ، والله تعالى اعلم .

خروج اهل فاس على السلطان المولى سليمان وبيعتُهم للمولى ابراهيم بن يزيد والسببُ في ذلك

لما استمرَّ السلطان المولى سليمان رحمه الله مقيماً بمراكش والفتن بفاس وسائر بلاد الغرب قد تجاوزت مداها وعمَّ اذاها ، ورفعت الشكاية اليه من فاس وغيرها بما الناس فيه من الكرب العظيم والخطب الجسيم ، كتب رحمه الله بخط يده كتاباً الى اهل فاس يرشدهم الى ما فيه صلاحهم من حلف البربر والاعتماد عليهم في حراسة بلادهم وسائر مرافقهم كما كانوا معهم قديماً ايام الفترة في دولة السلطان المولى عبد الله الى ان يفرغَ من شأن الحوز ويقدم عليهم ، هاكذا زعم صاحب البستان ، قال اكنسوس : كان مراد

السلطان بذلك الكتاب تهييج اهل فـاس على التمسك بطاعته وترغيبهم في محبته ونصرته ، وقـد فعل مثل ذلك بمراكش ، فانه جمع اعيانها واعيـان الرحامنة عقب صلاة الجمعة ، وقال لهم قد رايتُم ما جرت به الأقدار من فساد قلوب الرعية وتمادي القبائل على الغي والفساد ، ومن يوم رجعنا من وقعة صيان ونحن نعالج امرَ الناس ، فلم يزدادوا الا فساداً ، وقد جرى على الملوك المتقدمين اكثر من هذا فلم ينقصهم ذلك عند رعيتهم ، بل قاموا معهم واعانوهم على اهل الفساد حتى اصلحوهم ، واني قد عجزتُ بشهادة الله ، لأني ما وجدت معيناً على الحق ، فكم مرة تحدثني نفسي ان اترك هذا الأمر واتجرد لعبادة ربي حتى اموت ، فقال مَن حضر من اعيان الرحامنة وغيرهم : يامولانا بارك الله لنا في عمرك وجعلنا فداءك ، ونحن امامك ووراءك ، فمرنا بما تشاء ، فقولك مطاع ، وامرك ممتثل ، وما راينا منك الا الخير ، فسُر السلطان بمقالتهم ودعا لهم بخير ، ولما فعل مع اهل مراكش هذا الأمر اراد ان يسلك مثله مع اهل فاس ، فوقع ما وقع .

ولمـا بعث السلطان بالكتاب المذكـور الى ابنـه المولى علي بفاس امـره ان يقـرأه على اهلهـا بمحضر الفقيـه المفتي السيد محمد بـن ابراهيم الدكالي والفقيه الشريف السيد محمد بن الطاهر الفيلالي والفقيه الكاتب السيد ابي القاسم الصياني والأمين السيد الحاج الطالب ابن جلون الفاسي ، فجمعهم المولى علي في المسجد الذي بباب داره بزقاق الحجر ، وقرأ عليهم الكتاب المذكور ، وكان المسجد غاصاً بالخاصة والعامة ، فازدحموا عليه ليروا الكتاب بأعينهم ، واكثروا عليه ، فضجر وقام ودخل داره واغلقها عليه ، فقال بعضُ الناس ان السلطان قد خلع نفسه ، وقال لكم قدموا مَن ترضونه ، وقال ءاخرون انه لم يخلع نفسه ، وجعل ءاخرون يقرعون بـابَ المولى علي ويقولون اخرج الينا كتاب السلطان حتى نقراه ونعلم مافيه ، فقال لهم اني احرقته ، فازدادوا ريبةً وصدقوا بأن السلطان قد خلع نفسه ، واجتمع رؤساء اهل فاس ، منهم الحاج محمد بن عبد الرزيق والسيد محمد ابن سليمان وعلال العافية وقدور بن عامـر الجامعي ، ولم يكن من اهل فاس وانما كان قاطناً بالطالعة ، وهؤلاء من اهل عدوة الأندلس ، وكذلك غيرهم من اهل عدوة

القرويين واللمطيين ، ثم جمعوا الطلبة الذين حضروا قراءة الكتاب والزموهم ان يكتب كل واحـد منهم ما سمع ، فكتب كل واحد ما ظهر له ، ثم حـازوا خطوطهم وخلصوا منها ما هو مرادهم ، وهو ان السلطان عجز وعزل نفسه وامر الناس ان ينظروا لأنفسهم ، هذا والحرب قائمة بين اهل فاس والوداية ، فكتب اهل فاس الى قواد البربر يستنصرونهم على الوداية ويستقدمونهم للنظر والخوض معهم فيمن يتولى أمر الناس ، فقدم الحسن بن حمو وعزيز المطيري كبير ءاية يدراسن في وجوه قومه ، وقدم الحاج محمد ابن الغازي كبير زمور وبني حكم في وجوه قومه ، فاجتمعوا بأهل فاس وتفاوضوا في امر البيعة ، فوقع اختيارهم على المولى ابراهيم بن يزيد ، وكان ذا همة وانقباض ، وصهر السلطان على ابنته ، وكان يسكن بدرب ابن زيان قـرب المدرسـة العنانية ، فكان لا يخرج الا من الجمعة الى الجمعة يصلي بالمدرسة ثم يعود الى داره ، فاختاروه لذلك من غير اختيار ولا تمحيص ، ثم قالوا ان السلطان لابد له من مال ورجال ، فتكفل ابن وعزيز بالرجال ، وقال عندنا من الخيل والرجال ما لن يغلب من قلة ، وتكفل الحاج الطالب ابن جلون بالمال ، واحال على جماعة من التجار وسماهم ، وذكر ان السلطان لما عزم على السفر الى مراكش ودع عندهم بواسطته مالا له بال ، ولما تم لهم ما ارادوا غدوا على المولى ابراهيم بن يزيد فأحضروه وشرطوا عليه شروطاً ، منها اخراج الوداية من فاس الجديد ، وكلما شرطوا عليه شرطاً حرك لهم راسه أي نعم ، ثم بايعوه صبيحة الرابع والعشرين من محرم سنة ست وثلاثين ومئتين والف ، ويقال انهم لما خاطبوه اولا امتنع فقالوا له ان لم نبايعك بايعنا رجلا من ءال المولى ادريس رضي الله عنه ، فخاف خروج الأمر من بيتهم واجاب ، والله اعلم ، وحضر هذه البيعة الشريف سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني ، والشيخ سيدي محمد العربي الدرقاوي ، وكان ابن الغازي الزموري من اخص اتباعه ، وهو رئيس البربر في ذلك الوقت ، وعليه وعلى ابن وعزيز كانت تدور هذه الأمور ، وحضرها ايضاً ابو بكر مهاوش كبير ءاية ومالو ، ولما احكموا امرهم كتبـوا الى العبيد بمكناسة ليساعدوهم فامتنعوا ، الا ان مَن كـان يبغض السلطان منهم وعدهم سراً ، ثم كتبوا الى الوداية بمثل ماكتبوا به الى العبيد ،

فكانوا عنها أبعد ، فبعث اهل فاس الشيخ العربي الدرقاوي الى الوداية ليأتي الى السلطان ، فما سخط ولا رضي ، واستمر المولى ابراهيم والبربر مقيمين ببيعتهم ، وكان له فيهم اتباع ، فقبضوا عليه واودعوه السجن ، وكتبوا بذلك بفاس الى ان نفذ ما عند هم من المال الذي اظهره لهم الحاج الطالب ابن جلون ، فاتفق رايُهم على الخروج من فاس ، وكان من امرهم ما نذكره .

مسيرُ المولى ابراهيم بن يزيد الى تطاوين ووفاته بها

لما نفد ما كان عند المولى ابراهيم بن يزيد وشيعته من المال واستهلكوه في غير فائدة تفاوضوا فيما يصنعون ، فأجمع رايهم على ان يسيروا الى المراسي بقصد فتحها والاستيلاء على مالها ، فخرجوا بالمولى ابراهيم مستبدين عليه ضاربين على يده ، وانما المتصرفُ والآمر والناهي هو محمد ابن سليمان ، واما ابن عبد الرزيق وجماعة من اصحابه الذين اسَّسوا هذا الأمر فانهم هلكوا في حرب الوداية في عشية واحدة في وقعة ظهر المهراس وحزت رؤوسهم وبعث بها الى السلطان بمراكش ، ولما برزوا من فاس مروا بثاية يمور ونزلوا بالولجة الطويلة ، وراودوا مَن هنالك من عـرب بني حسن واهـل الغـرب ودخيسة واولاد نصير على الانخراط في سلكهم فأبوا عليهم ، وعزم القائد محمد بن يشو على ان يبيتهم بغارة شعواء تفرق جمعهم ، فدسَّ اليهم محمد بن قاسم السفياني اللوشي وكان منحرفـاً عن السلطان بما زعم عليه ابـن يشو ، واشار عليهم ان يعبروا النهر الى ناحيته ليحميهم ممن ارادهم ، فعبروا اليه وانضمَّ اليهم بمن معه ، وساروا الى قصر كتامة فنزلوا بالكدية الاسماعيلية ، ومنها كتبوا الى اهل الثغور والعرائش وطنجة وتطاوين يدعونهم الى بيعة سلطانهم والدخول في حزبهم ، فاما اهل العرائش وطنجة فأجابوا بالمنع ، وقيل ان اهل العرائش بايعوا ووفد عليه بعضهم ، ولعل ذلك كان في ثاني حال ، واما اهل تطاوين فامتثلوا ، وكان قاضي طنجة احمد الفلوس قد عزم على بيعة المولى ابراهيم فنذر به عاملها العربي السعيدي فنفاه وقدم للقضاء مكانه الفقيه الأديب خالد الطنجي ، ولما ورد على المولى ابراهيم وحزبه جواب اهل تطاوين بالقَبول ساروا اليها فدخلوها واستولوا على مال المرسى وعلى

مخازن السلطان وما فيها من سلاح وكتان وملف وغير ذلك ، فتوزعتْه البربر ، ثم انتهبوا ملاح اليهود واكتسحوه فعثروا فيه على اموال طائلة ، يقال انهم وجدوا به عدداً من صناديق الضبلون والبندق ، فكان ابن الغازي الزموري وغيره من رؤســاء ذلك الجمع لا يعطون اصحابهم الا البندق ، فكثر جمعهم لذلك ، ولما مضت لهم من قدومهم تطاوين سبعة اربعون يوماً توفي المولى ابراهيم رحمه الله ، وكان قد دخلها مريضاً يقاد به في المحفة ، فأخفوا موته ودفنوه بداره ، وكان من امرهم ما نذكره .

بيعة المولى السعيد بتطاوين ورجوعه الى فاس

لما توفى المولى ابراهيم بن يزيد اخفى رؤساء دولته موته ليلتين او ثلاثاً ، ثم دعوا اهل تطاوين الى بيعة اخيه المولى السعيد بن يزيد ، فافترقت كلمتُهم ، فمنهم من ابى ومنهم من اجاب ، فأحضر ابن سليمان وابن الغازي واشياعُهما مَن ابى من اهل تطاوين والزموهم البيعة فالتزموها وكتبوها واحكموا عقدها ، وكان المتولى يومئذ بتطاوين الحاج عبد الرحمن بن علي اشعاش فأخرجوه وولوا مكانه محمد العربي بن يوسف المسلماني ، وكان داهية شهماً ، وبينما هم في ذلك ورد عليهم الخبر بمجيء السلطان من مراكش ، وانه قد وصل الى قصر كتامة ، ففت ذلك في عضدهم ، وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل ، وكان من امرهم ما نذكره .

مجيء السلطان المولى سليمان الى القصر ثم مسيره الى فاس وحصــاره ايــاهــا

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله في هذه المدة مقيماً بمراكش ، وكان العبيد قد ندموا على ما فرط منهم برباط الفتح من التخلف عن السلطان ونهب اثاثه حسبما مر ، فجعلوا يتسللون اليه من مكناسة مثنى وفرادى حتى اجتمع عنده جلهم ، لاسيما مَن كان منهم معروفاً بعينه مثل القواد وارباب الوظائف ، ولما بلغه ماكان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلا حتى

اذا بلغه خروجه الى المراسي قلق وخرج من مراكش في جيش العبيد وبعض قبائل الحوز يبادره اليها ، ولما وصل الى رباط الفتح عبر الى سلا ونزل برأس الماء ، ولما حضرت الجمعة دخل المدينة فصلى بالجامع الأعظم منها ، ودخل دار الحاج محمد بن عبد الله معنينو من اعيان اهل سلا ، واستصحب معه الفقيه الموقت احمد بن المكي الزواوي من اهل سلا ايضاً بقصد القيام بوظيفة التوقيت ، ولما وصل السلطان الى قصر كتامة اتاه الخبرُ بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين ، فأقام هنالك ، وكتب الى الوداية والى مَن بقي بمكناسة يحضهم على التمسك بالطاعة ، وكتب الى ولده المولى الطيب بفاس الجديد يأمره ان يبعث اليه بالفقيه الأديب محمد كنسوس ، وهو صاحب كتاب الجيش ، قال كنسوس : فقدمنا على السلطان بريصانة على مرحلتين من القصر قاصداً تطاوين ومحاصرة المولى ابراهيم بن يزيد بها ، قال فورد عليه كتاب من عند القائد العربي السعيدي صاحب طنجة بوفاة المولى ابراهيم وبيعة اخيه المولى السعيد ، وانهم قد عادوا به الى فاس ، ولما تحقق بذلك رجع على طريق القصر يؤم فاساً ويسابق السعيد اليها ، فوافياها في يوم واحد ، فنزل السعيد بجموعه بقنطرة سبو ، ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد مع الوداية ، ولما كان فجر الغد من تلك الليلة اغارت خيل الوداية على محلة المولى السعيد بالقنطرة فانتسفوها بما فيها ، وقتلوا من البربر واهل فاس وغيرهم خلقاً كثيراً ، واحتووا على اموال طائلة مما كانت البربرُ قد نهبته من ملاح تطاوين ، وافلت المولى السعيد وبطانته بجريعة الذقن ، ودخلوا فاساً فأغلقوها عليهم ، وثابت اليهم نفوسهم .

وفي هذه الأيام قتل المعلم الأكبر احمد عنيقد التطواني ، وكان عجيباً في صناعة الرمي بالمهراس ، وكان المولى السعيد قد اتى به من تطاوين ليحاصر به على فاس الجديد ، فدسّ اليه السلطان مَن قتله ، ناداه رجل وهو في محلة اصحابه ليلا يافلان اجب مولانا السلطان ، فظنّ انه دعي الى المولى السعيد ، فقال هاانا ذا وبرز من خبائه ، فرماه المنادي برصاصة كان فيها حتفه ، ثم عزم السلطان على محاصرة اهل فاس حتى يفيئوا الى امر الله ، ولكن اكتفى من الحصار بمنعهم من الدخول والخروج ، وكان الوداية قد الحُوا عليه

في ان يرميهم بالبنب فأبى رحمه الله ، وقال لو كانت البنبة التي نرميها تذهب حتى تقع بدار ابن سليمان او بدار الطيب البياز او غيرهما من رؤوس الفتنة لفعلنا ، ولكن انما تقع في دار ارملة او يتيم او ضعيف حبسه العجز معهم ، ثم ان اهل فاس بدأوا بالرمي ، وكان معهم سعيد العلج عارفاً بالرمي ، فجعلوا يقصدون دار السلطان ، فوقعت بنبة بالموضع الذي كان يجلس فيه للقراءة ، ووقعت اخرى بالمدرسة التي بباب داره وكان بها جماعة من طبجية سلا ورباط الفتح ، فقتلت منهم اربعة انفار ، منهم الباشا محمد بن محمد بن حسين فنيش السلوي ، فعند ذلك حنق السلطان وامر ان يوتى بالمهاريس الكبار من طنجة من فرمة ثمانين الى فرمة مئة ، فجيء بها ونصبها عليهم ، فكان القتال لا يفتر ليلا ونهاراً ، والكور والبنبُ تختلف بين اهل البلدين في كل وقت ، واستمرَّ الحالُ على ذلك قريباً من سبعة اشهر ، ولا يدخل احد الى فاس ولا يخرج منها الا على خطر ، وفي اثناء هذه المدة نهض السلطان الى طنجة للنظر في امر تطاوين الخارجة عليه بعد ان تقدم الى الوداية في الحصار والتضييق على فاس الى ان يعود اليهم ، ولما استقرَّ بطنجة بعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا ولجوا في عصيانهم ، فبعث اليهم جيشاً كثيفاً مع القائد حمان الصريدى البخاري ، فنزل بواد ابي صفيحة وحاصرهم مدة ، فكانت الحرب بينهم سجالا مرة لـه ومرة عليه ، وهلكت نفوس من اعيـان تطاوين وغيرهم .

مجيءُ المولى عبد الرحمان بن هشام من الصويرة الى الغرب واستخلافُه بفاس وما تخلل ذلك

كان المولى عبد الرحمان ابن هشام في ابتداء امره بتافيلالت ، ولما توسم فيه عمه المولى سليمان مخايلَ الخير والنجابة استقدمه منها وولاه على الصويرة واعمالها فكفاه امرها ، وقام بشأنها ، ثم لما كان المولى سليمان بطنجة في هذه المرة واستعصى عليه امر فاس وتطاوين وانصرم فصل الشتاء واقبل فصل الربيع كتب الى ابن اخيه المولى عبد الرحمان المذكور يأمره بالقدوم عليه في قبائل الحوز ويلقاه بهم برباط الفتح ، وكان غرض السلطان

ان يزحف بهم الى فاس ، الا ان السياسة اقتضت ان يكـون الأمر هكذا ، فجمع المولى عبد الرحمان قبائل الحوز وقواده وقدم بهم الى رباط الفتح ، ولما لم يجدوا السلطان به تثاقلوا عن العبور مع المولى عبد الرحمان الى بلاد المغرب ، لأن السلطان انما وعدهم ان يلقوه برباط الفتح ، فكتب المولى عبد الرحمان الى عمه يعلمه بصورة الحال ، وكان السلطان رحمه الله قد استوزر في هذه المدة الفقيه محمد كنسوس ، فبعثه الى المولى عبد الرحمان واصحبه مالا يفرقه على جيشه لينشطوا للقدوم ، وكان قدر المال خمسين اوقية لكل فارس ، وامره اذا قدم ارض سلا ان ينزل عند عاملها محمد بن أبي عزة المعروف بأبي جميعة ، وبعث للمولى عبد الرحمان يعبر اليه في وجوه الجيش لقبض الصلة ولا يذكر لهم سفرا ، فاذا قبضوها فليقرأ عليهم كتابه ، وكان مضمنه انه يأمرهم بالقدوم عليه لقبض الكسوة التي اتى بها من طنجة ، وحينئذ يذهب معهم السلطان الى الحوز ، ففعل الوزير ذلك كله ، وتقدم المولى عبد الرحمان في جيشه الى قصر كتامة .

قال الوزير المذكور : فلما جئنا القصر وجدنا السلطان ما زال مقيماً بطنجة ، فتقدمت اليه واعلمته بوصول المولى عبد الرحمان وجيشه الى القصر ، فخرج السلطان من طنجة وجعل طريقه على اصيلة ، ولما بات بسوق الأحد بالغربية بعث اليه المولى المجذوب سيدي محمد ابن مرزوق يدعوه للقدوم عليه والبيات عنده ، فأجاب دعوته ، ودخل عليه وتبرك به ، ومن هناك كتب الى ابن اخيه المولى عبد الرحمان ان يتقدم بالجيش الى العرائش ويلقاه به هنالك ، ففعل المولى عبد الرحمان ، وهناك اجتمع بعمه السلطان المولى سليمان ، فسر بمقدمه ودعا له بخير واثنى عليه بمحضر اولئك الملأ من الناس ، ثم دعا السلطان قواد الحوز ، فيهم القائد عبد الملك ابن بيهي ، والقائد علي بن محمد الشيظمي ، والسيد محمد ابن الغنيمي نائباً عن الحاج حمان العبدي وكان في ركابه ابنه فضول بن حمان صغيراً ، والقائد بلعباس ابن المزوار الدكالي البوزراري ، والحاج العربي ابن رقية البوزراري ، والقائد محمد ابن حيدة البوعزيزي ، والقائد المعطي الحمري والقائد الصديق ابن الفقيه العمراني ، ولم يكن فيهم من الرحامنة الا الحاج

المعطي بن محمد الحاج . ولم يكن فيهم من السراغنة ولا من الشاوية احد ، ولما اجتمعوا خرج عليهم السلطان وجلس على طنفسة ، ثم دعا بالقائد عبد الملك ابن بيهي فأجلسه الى جنبه ودعا له بخير ، ثم قال انكم تعبتم في سبيل الله ، ونحن اتعب منكم ، ونسأل الله ان لا يضيع اجرنا واجركم ، واعلموا انكم في طاعة الله وطاعة رسوله ، ولكم المزية التامة ، وقد وجب علينا الاحسان اليكم ، وقد ظهر لي انكم حين وصلتم الى هذا المحل لا ينبغي لكم ان ترجعوا بدون زيارة مولانا ادريس ، وكنت اردت ان اوجهكم الى بلادكم من هنا ، ولكن انا لا يمكنني ان ارجع الا بعد ان يحكم الله بيني وبين هؤلاء الخارجين عن الحق ، وانتم لا يجمل بكم ان ترجعوا بغير سلطان ، فاصبروا قليلا وتمموا اعمالكم حتى تذهبوا ان شاء الله بسلطانكم فرحين مستبشرين ، فقالوا كلهم سمعاً وطاعة لا نفارقك حتى نرجعَ بك ولو مكثنا عشر سنين ، وعلى اثر هذا عقد السلطان لقائد خيل البخاري الحاج ابراهيم بن رزوق على مئتين من الخيل مفروضة من الحوزية والعبيد وامره ان يسير الى تطاوين ويقيم بمرتيل ، ويمنع اهلها من الوصول الى المرسى ففعل ، وارتحل السلطان من العرائش يريد فاساً في قبائل الحوز ، فمرَّ ببلاد سفيان ، ونزل بسوق الأربعاء منها قرب ضريح سيدي عيسى بن الحسن المصباحي ، فأصابه مرض هنالك ، وورد عليه الخبر بأن ابراهيم بن رزوق قد كاده صاحب تطاوين العربي بن يوسف حتى قبض عليه وعلى اصحابه وسلبهم وسجنهم ، فآلم هذا الخبر السلطان وزاده الى ما به من المرض ، ثم ابلَّ منه بعد ايام ، فنهض الى فاس وعرج على طريق تازة ، ولما فات سوق المخيس بالكور من بلاد الحياينة اغارت عليه غياثة ومن شايعهم من اهل تلك النواحي ، وكانوا قد دخلوا في بيعة ابنيْ يزيد ، فداروا بالمحلة ونضحوها بالرصاص ، فقام السلطان وجعل يسكن الناس بنفسه ونهاهم عن الركوب والاضطراب ، فحفظ الله المحلة في تلك الليلة ولم يصب احد من الناس ولا من الدواب ، واصبحت قتلى العدو مصرعة حول المحلة ، ثم دخل السلطان مدينة تازة ، فوفد عليه بها اهلُ الريف وعربُ انجاد والصحراء ، وجعلوا يزدحمون عليه ليروا وجهه ويقولون انه والله السلطان ، لأن اهل فاس كانوا يشيعون موته ويكتبون بذلك الى

القبائل ، ثم تقدم السلطان الى فاس فنزل بقنطرة وادي سبو ، وذلك اواخر رجب سنة سبع وثلاثين ومئتين والف ، وكان اهل فاس قد سئموا الحرب وعضهم الحصار وملوا دولة ابنيْ يزيد ، فاختلفت كلمتُهم عندما قدم السلطان ، وهاجت الحرب داخل البلد بين شيعة السلطان وشيعة السعيد ، فكثرهم شيعة السلطان ، وفتحوا الباب وخرجوا اليه بالاشراف والصبيان والمصاحف وتهافتوا على فسطاطه تائبين خاضعين ، وجـاء السعيد في جـوار المولى عبد الرحمان بن هشام ومعه الأمين الحاج الطالب ابن جلون ، فكان جواب السلطان لهم ان قال : (لا تثريبَ عليكم ، اليومَ يغفرُ الله لكم ، وهو ارحم الراحمين) ، وكان رحمه الله قد رأى وهو سائر الى فاس رؤيا ، وهي انه دخل فاساً وزار تربة المولى ادريس رضي الله عنه وقلده سيفاً وصعد المنار فأذن ، فكان من عجيب صنع الله ان فتح عليه فاساً ودخلها وزار المولى ادريس واذن بمناره على الهيأة التي رأى ، وجاء رجل من اولاد البقال فقلده سيفاً تصديقاً للرؤيا ، ولما دخل ضريح المولى ادريس وجد الشريف البركة سيدي الحاج العربي بن علي الوزاني هنالك ، فعاتبه السلطان عتاباً خفيفاً ، وزال ما بصدره عليه وانقطعت اسبابُ الفتن والحمد لله .

واعلم ان ماصدر من اهل فاس ومن وافقهم على هذه البيعة لا لومَ عليهم فيه ، وماكان من حق السلطان رحمه الله ان يبعث اليهم بذلك الكتاب الذي اوقعهم في حيص بيص وكان سبباً لهذا الفتْن ، وقول كنسوس ان السلطان اراد تهييجَهم على التمسك بطاعته كما فعل مع اهل مراكش ليس بشيء ، او ما علم السلطانُ رحمه الله ان كلامَ الكبراء خصوصاً الملوك مما تتوفر الدواعي على نقله ؟ وان العامة اذا نقلته وضعتْه غالباً في غير محله ؟ وفي الصحيح ان عمر رضي الله عنه بلغه وهو بمنى ان رجلا قال والله لو قد مات عمر لبايعْنا فلاناً يريد رجلا من غير قريش ، فقال عمر رضي الله عنه لأقومَنَّ العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغصبوهم ، فقال عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه لا تفعل ياأمير المومنين ، فان الموسم يجمع رعاعَ الناس يغلبون على مجلسك ، فأخاف ان يسمع منك كلمة فلا ينزلوها على وجهها ويطيروا بها عنك كل مطير ، فامهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة ، فتتخلص

بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها ، فقال عمر والله لأقومَن به في اول مقام اقومه بالمدينة ، الحديث ، فانظر كيف منع عبدُ الرحمن عمرَ رضي الله عنه من الكلام بالموسم وبمحضر العامة خوفاً من وقوع الفتنة ، وانقاد له عمر حيث علم ان ذلك هو الصواب ، وكان وقافاً عند الحق ، هذا والناس ناس ، والزمان زمان ، وفي خير القرون ، فكيف في زمان قلّ علمه وكثر جهله ، وغاض خيره وفاض شره ، وامر السلطان متداع مختل ، والفتنة قائمة على ساق كما رايت ، فلهذا قلنا ماكان من حق السلطان ان يبعث بذلك الكتاب الموجه بمقصدين ، المحتمل احتمالين ، ولكن قضاء الله غالب .

ولما افتتح السلطان رحمه الله فاساً وصفا له امرها عزم على النهوض الى تطاوين ، فاستخلف على فاس واعمالها ابن اخيه الفارس الأنجد ، السري الأسعد ، المولى عبد الرحمان بن هشام ، لعدالته وكفايته وحسن سياسته ، واخذ معه المولى السعيد بن يزيد ، وخرج في جيش الوداية والعبيد وقبائل الحوز اوائل شعبان سنة سبع وثلاثين ومئتين والف ، فجعل طريقه على بلاد سفيان ، ولما وصل الى الموضع المعروف بالحجر الواقف بين نهريْ سبو وورغة قدم عليه هنالك القائد محمد بن العامري اليحياوي في قومه بني حسن والقائد محمد المعتوجي السفياني وقاسم بن الخضر في قومهما سفيان وبني مالك ، وقدم عليه هنالك اولاد الشيخ سيدي العربي الدرقاوي صبية صغاراً يشفعون في ابيهم ليسرحه لهم ، فوصلهم وكساهم وقال لهم والله ما سجنته ولا أمرت بسجنه ، ولكن اتركوه فسيسرحه الله الذي سجنه ، فكان الأمر كذلك ، فانه بقي في السجن حتى توفي السلطان المولى سليمان وبويع المولى عبد الرحمان بن هشام ، فافتتح عمله بتسريحه .

ولما نزل السلطان رحمه الله بمشرع مسيعيدة من نهر سبو وفد عليه اهل تطاوين تائبين ، ومعهم قائدهم العربي بن يوسف المسلماني ، وكان الناس يظنون انه ينكل به وبمَن قام معه في الفتنة ، فلم يقلْ لهم الا خيراً ، حتى لقد قال له ابن يوسف يامولانا ان أهل تطاوين لم يفعلوا شيئاً ، واني

انا الذي فعلت ، يريد ان يبرئهم ويفديهم بنفسه ، فقال له السلطان رحمه الله : ماعندك ماتفعل انت ولا هم ، انما الفاعل هو الله تعالى ، وصفح عنهم واحسن اليهم ، ولما صفا امر تطاوين ولم يبق ببلاد الغرب منازع انقلب السلطان راجعاً الى الحوز ، وجدّ السير الى مراكش ، فدخلها في رمضان من السنة المذكورة (65)

وفاةُ امير المومنين المولى سليمان بن محمد رحمه الله

كان امير المومنين المولى سليمان رحمه الله في هذه السنة قد سئم الحياة وملّ العيش واراد ان يترك امر الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام ويتخلى هو لعبادة ربه الى ان يأتيه اليقين ، قال ذلك غير مرة وتعددت فيه رسائله ومكاتبيه ، فمما كتبه في ذلك هذه الوصية التي يقول فيها :

وصية المولى سليمان بن محمد رحمه الله

الحمد لله

لما رايت ما وقع من الالحاد في الدين ، واستيلاء الفسقة والجهلة على امر المسلمين ، وقد قال عمر ان تابعناهم تبعناهم على ما لا نرضى ، والا وقع الخلاف ، واولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق ، وقال عمر فبايعنا ابا بكر فكان والله خير ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر يأبى الله ويدفع المسلمون ، ورشحه بتقديمه للصلاة اذ هي عماد الدين ، وقال ابو بكر للمسلمين بايعوا عمر واخذ له البيعة في حياته ، فلزمت وصحت بعد موته ، وقال عمر هؤلاء الستة افضل المسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ، وقال ابو عبيدة امين هذه الأمة ، وقال ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أصدق لهجة من ابي ذر ، وقال في ابي بكر وعمر اكثر من هاذا ، فصار المدحُ للتعريف واجباً ، ولا ظهار حال الرجل لينتفع به ، فأقول جعله

65) بعد هذه الفقرة اغفل الناسخ فصلا من **الاستقصا** عنوانه وقعة زاوية الشرادي وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فليراجع في **الاستقصا** 8 : 160 .

الله خالصاً لوجهه الكريم : ما اظن في اولاد مولانا الجد عبد الله ولا في اولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ولا اولاد اولاده افضل من مولاي عبد الرحمان ابن هشام ، ولا اصلح لهذا الأمر منه ، لأنه ان شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ، ولا يقدم على الدماء والأموال بلا موجب ولو ملك ملك المشرقين ، لأنها عبادة صهيبية ، ويصوم الفرض والنفل ، وانما اتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه ، واخرجتُه من تافيلالت لأظهره لهم ، لأن الدين النصيحة ، فان تبعه اهل الحق صلح امرهم كما صلح سيدي محمد جده وابوه حي ، ولا يحتاجون الي ابداً ، ويغبطه اهل المغرب ويتبعونه ان شاء الله ، وكل من اتبعه اتبع الهدى والنور ، ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال ، واحذر الناس اولاد يزيد كما حذر والدي ، وقد رأى مَن اتبعه او اتبع اولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوة والده وخرج على الأمة ، واما انا فقد خفَّت قواي ووهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً حفظني الله في اولادي والمسلمين ءامين . انتهى .

وفي اثناء هذه المدة وقعت غدرة ذوي بلال في انتهابهم الصاكة الواردة من مرسى الصويرة ، وكان انتهابهم اياها باتفاق من الشياظمة الذين جاءوا معها وقائدهم علي بن محمد الشيظمي هو الذي انتهب اكثرها ، وكان فيها من الذخائر النفيسة والأموال الثقيلة شيء كثير ، وهذه الوقعة هي التي هدت اركان السلطان المولى سليمان رحمه الله ، فاعتراه مرضُه الذي كان سبب وفاته .

عهد السلطان المولى سليمان لابن اخيه المولى عبد الرحمان بن هشام

ولما اثقله المرض اعاد العهد للمولى عبد الرحمان بن هشام ، وبعث به الى فاس اذ كان خليفة بها كما مر ، فدعا رحمه الله بصحيفة بيضاء ، ودعا بالطابع الكبير فجيء به ولم يحضره الا اهله من النساء ، فطبع الصحيفة بيده وكتب بعض الكتاب واكملتْه بعض حظاياه ممن كانت تحسن الكتابة ، ثم طواه وختم عليه ، ودعا القائد الجيلاني الرحماني الحديوي وكان قائد المشور ،

وقال له ادع لي فارسيْن يذهبان بهذا الكتاب الى فاس ، وقد عينتُ لهما سخرة كبيرة يقبضانها هناك اذا اسرعا السير ، فكان ذلك الكتاب هو العهد الذي قرىء بفاس ونصه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

اخوالنا الوداية ورماة فاس واعيانها ورؤساءها

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي احمد والفقيهيْن ابن ابراهيم والأزمي .

وبعد فقد وجدت من نفسي ما ليس بتارك احداً في الدنيا ، وهذه وصية اقدمها بين يدي اجلي ، والله مابقى في قلبي مثقال ذرة على احد من خلق الله ، لأن ذلك امر قدره الله وسبق علمه به ، ولست فيه بأوحد ، وما وقع لمن قبلي اشنع وافظع ، واني قد عقدت بين اخوالي واهل فاس اخوة بحول الله لا تنفصم ، يرثها الأبناء عن الآباء ، واوصي الجميع بما أوصى الله به الأولين : (ولقد وصيْنا الذين اوتوا الكتابَ من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) ، (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله) ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجد) ، (ولن تزال هذه الأمة بخير ما أخذوا بكتاب الله) ، وقد عهدت لابن أخي مولاي عبد الرحمان بن هشام ، ورجوت الله أن يكون لي في هذا الأمر مثل ما لسليمان بن عبد الملك في عهده لعمر بن عبد العزيز ، (انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم) ، (مَن سنَّ سنّةً حسنة فله أجرها وأجر مَن عمل بها الى يوم القيامة) ، وقد انعقد الاجماعُ على عقد البيعة بالعهد ، والقاضي والفقيهان سيبينون لكم هذا ، (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) ، واني أشهد الله أني مقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الرحمان بن هشام ، وببيعته القاه ، وقد أديت لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علي من النصيحة ، وأرجو الله أن يثيبني بهذه النية الصحيحة ، وهو المطلع على ما في الضمائر ، والعالم بالسرائر ، والسلام .

وفي رابع ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين ومئتين وألف .

ثم تمادى بالسلطان رحمه الله مرضُه الى أن توفي في ثالث عشر ربيع الأول (66) وهو الثاني من عيد المولد الكريم من السنة المذكورة ، ومات رحمه الله وهو ثابت الذهن صحيح التمييز على غاية من اليقين والفرح بلقاء ربه ، ودفن بضريح جده المولى علي الشريف من باب ايلان بمراكش .

وقد رثاه جماعة من أدباء العصر ، من ذلك قول الفقيه الأديب الكاتب البليغ محمد بن ادريس الفاسي :

نبَأٌ عرا اوهى عرى الايمان ... وابان حسنَ الصبر عن امكان

شُقت لموقعه القلوب وزلزلت ... ارضُ النفوس ورجَّ كل مكان

فقد الامام ابي الربيع المرتضى ... جزعت لعظم مصابه الثقلان

وبكتْ عيونُ الدين ماءَ جفونها ... وجداً عليه وكل ذي ايمان

لما نعى الناعون خير خليفة ... وعرا الفؤادَ طوارقُ الأحزان

مزقت ثوب تجلدي من فقده ... ونثرت درَّ الدمع من اجفاني

عجباً لموت غاله اذ لم يخف ... فتك الملوك وسطوة السلطان

وسما لمنصبه المنيف ولم يهب ... غضب الجنود وغيرة الأعوان

لو كان ينفع خاض فرسان الوغا ... حرصاً عليه مواقد النيران

وحموه بالنفس النفيسة انما ... يحمون روحَ العدل والاحسان

لكن قضاء الله حُمَّ فلا يرى ... للمرء في دفع القضاء يدان

والموت مورد كل حي كائن ... وسوى المهيمن في الحقيقة فان

ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى ... فينا الثناء له بكل لسان

ومناقب ومفاخر ومئاثر ... شاعتْ له في سائر الأوطان

ومعارفٌ وعوارفٌ ورسائل ... ومسائل قد اوضحت ومعاني

وبدور اولاد وءال قد قفوا ... ءاثاره في العلم والعرفان

تخذوا الديانة والصيانة شرعة ... وتقلدوا بصوارم الايقان

66) يوافق يوم 28 نونبر سنة 1822 بالتاريخ الميلادي .

اخلاقهم ووجوههم واكفهم كالزهر والأزهار والأمزان
ن حاربوا ابدوا شجاعة جدهم او خاطبوا أزروا على سحبان
من كل مَن جعل القرانَ سميره وسما بوصف العلم والتبيان
كم ءاية ظهرت له وكرامة دامت دلائلها مدى الأزمان
قد كان اوحدَ دهره ولداته في العدل والتمكين والاحسان
قد كان عالمَ عصره وفريده في الفهم والتحقيق والاتقان
قد كان فرداً في البلاغة ان جرت اقلامه بهرت بسحر بيان
مَن للعلى من بعده ؟ من للنهي ؟ من للتقى وتلاوة القرءان ؟
يارمسه ما ذا حويت من العلا وطويتَ من علم ومن عرفان
يارمس كم واريت من كرم ومن جود ومن فضل ومن احسان
يارمس كم حجبت عنا شمسه وضياؤها في سائر البلدان
ووسعت بحر علومه وسخائه فطمى بضيِّق بطنك البحران
فلو استطعت جعلت قلبي قبره حبا واحشائي من الأكفان
ولو ان عمري في يدي لوهبته وفديته بالأهل والاخوان
لكن يخفف بعضَ اثقال الأسى علمي به في جنة الرضوان
فسقى ثراه من المواهب ديمة وهمت عليه سحائبُ الغفران

* * *

ورد الرسول بموت خير خليفة وولاية العهد الرفيع الشان
فجزعت من حزن لما قد نابني وطربت من فرح بما اولاني
ما مات مَن ترك الخليفة بعده مثل المؤيد عابد الرحمان
ملك تسربل بالتقى حتى ارتقى من نهجه الأتقى على كيوان
ياواحداً في الفضل غير مشارك اقسمت ما لك في البرية ثان
لله بيعتك التي قد اشبهت فيما تواتر بيعةَ الرضوان
قد احكمتْها يدُ الشريعة والتقى بعرى النصوص وواضح البرهان
سعد الذي اضحى بها متمسكاً وهوى العنيد بهوة الخسران

وجرى على التيسير امرك فاستوى ... ملك الورى لك في اقل زمان
واتت لنصرتك المغارب كلها ... فبعيدها لك في الحقيقة داني
عقدوا على النصح القلوب وانما ... عقدوا بنصرك راية الايمان
لو شئت من اهل المشارق طاعة ... لأتوك من يمن ومن بغدان
هابتك اصناف الطغاة برغمهم ... لما وثقت بنصرة الرحمان
وبسطت عدلك في الورى فكأنما ... قد عاش في ايامك العمران
ياأهل بيت المصطفى اوصافكم ... جلت عن الاحصاء والحسبان
طاب المديح مع الرثاء بذكركم ... فنظمته كقلائد العقيان

بقية اخبار السلطان المولى سليمان رحمه الله ومآثره وسيرته

لما بويع امير المومنين المولى سليمان رحمه الله ردّ الفروع الى اصلها ، واجرى الخلافة على قوانينها باقامته العدل والرفق بالرعية والضعفاء والمساكين ، ومن وفور عقله وعدله اسقاط المكوس التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق ، وعلى السلع والغلل وعلى الجلد وعشبة الدخان ، فقد كان يقبض في ذلك في ايام والده رحمه الله خمسمئة الف مثقال معلومة مثبتة في الدفاتر مبيعة في ذمم عمال البلدان وقواد القبائل ، كل مدينة وما عليها ، ومن ذلك المكس كان صائر العسكر في الكسوة والسروج والسلاح والعدة والاقامة والخياطة والتنافيذ لوفود القبائل والعفاة والمؤونة للعسكر ولدور السلطان وسائر تعلقاته ، فكان ذلك المكس كافياً لصوائر الدولة كلها ، ولا يدخل بيت المال الا مال المراسي واعشار القبائل وزكواتهم ، وكان مستفاد هذا المكس يعادل مالَ المراسي واعشار القبائل ، فزهد فيه هذا السلطان العادل ، فعوضه الله اكثر منه من الحلال المحض الذي هو الزكوات والأعشار من القبائل ، وزكوات اموال التجار ، والعشر المأخوذ من تجار النصارى واهل الذمة بالمراسي ، واما المسلمون فقد منعهم من التجارة بأرض العدو ليلا يؤدي ذلك الى تعشير ما بأيديهم او المشاجرة مع الأجناس ، هكذا بلغنا والله اعلم .

وكانت القبائل في دولته قد تمولت ونمت مواشيها وكثرت الخيرات لديها من عدله وحسن سيرته ، فصارت القبيلة التي كانت تعطي عشرة ءالاف مثقال مصارفة ايام والده يستخرج منها على النصاب الشرعي عشرون وثلاثون الف مثقال ، وذلك من توفيق الله له وتمسكه بالعدل والحلم والجود والحياء وجميل الصبر وحسن السياسة والتأني في الأمور ، واجتنابه لما هو بضد ذلك .

فاما الحلم فهو دأبُه وطبعُه ، وقد اتفق اهل عصره على انه كان احلم الناس في زمانه ، واملك لنفسه عند الغضب من ان يقع في الخطأ ، ومذهبه درء الحدود بالشبهات ، والتماس التأويل ، وقبول العذر ، حتى لقد حُكي عنه انه ما اعتمد البطشَ بأحد وتصدى لنكبته لغرض نفساني او لحظ دنيوي ، وحسبك من حلمه ما قابل به الخارجين عليه .

قال صاحب الجيش : لما عزمت على الخروج من فاس ايام الفتنة لملاقاة السلطان المولى سليمان بقصر كتامة ، جئت الى القاضي عباس بن احمد التاودي لأودعه ، فكان من جملة ما اوصاني به قال : قل لمولانا السلطان يقول لك عباس انا نخاف اذا ظفرت بهؤلاء الظلمة ان تصفح عنهم ، فلما اجتمعت بالسلطان ابلغته مقالة القاضي ، فقال كيف اصفح عنهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عزيز لا اتركك تمسح سبَلَتك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين ، فلما فتح الله عليه فاساً كان جوابه ان قال لا تثريبَ عليكم ، اليوم يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين ، بل تعجل بالخروج منها مخافةَ ان يغريه بعض بطانته بأحد منهم ، فلعمري لقد صدق مَن قال ان التخلق يأتي دونه الخُلــق .

واما الدين والتقوى فذلك شعاره الذي يمتاز به ، ومذهبه الذي يدين الله به ، من اداء الفريضة لوقتها المختار حضراً وسفراً ، وقيام رمضان واحياء لياليه بالأشفاع ، ينتقي لذلك الأساتيذ ومشايخ القراء ، ويجمع اعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام ، ويتأكد ذلك عنده في رمضان ، ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته ، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب المفصل ، ويواظب على

صيام الأيام المستحبة من كل شهر . ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته ، ويجري عليهم الأرزاق ، ويعطيهم الدور المعتبرة والضياع المغلة ، ويحسن مع ذلك الى مَن دونهم في المرتبة من المدرسين وطلبة العلم ، ويوثر المعتنين منهم وذوي الفهم بمزيد البر وتضعيف الجراية ، حتى لقد تنافس الناس في ايامه في اقتناء العلوم وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم واهله في دولته وسعة ارزاقهم .

واما صبره عند الشدائد واحتمال العظائم وتجلده عند حلول الخطب ونزول المقدور فحدث عن البحر ولا حرج ، وعن الجبل سكوناً ورسوخ قدم ، قال صاحب البستان : ولو حدثنا بما شهدناه منه لكان عجباً .

واما العدل فانه مـا رئي في ملوك عصره اعدل منه ، ومن عجيب سيرته انه كان يلزم العمال ردّ ما يقبضونه من الرعايا على وجـه الظلم من غير اقامة بينة عليهم على ما جرى به عملُ الفقهاء من قلب الحكم في الدعوى على الظلمة واهل الجور ، حسبما ذكره الونشريسي وغيره ، ومن عدله واقتصاده ما حكاه لنا الفقيه احمد بن المكي الزواوي الموقت بالمسجد الأعظم من سلا قال : مرّ السلطان المولى سليمان بسلا سنة ست وثلاثين ومئتين والف ، فنزل برأس الماء ، واستدعاني للقيام بوظيفة التوقيت عنده ، قال : فدخلت فاذا هو رجل طويل ابيض جميل الصورة ، ففاوضني في مسائل من التوقيت وكان يحسنه ، فأجبته عنها فأعجبه ذلك ، ثم وصلني بضبلونين ، واخرج مجانته (67) من جيبه ليحققها ، فرأيت مجدولها من صوف ، ثم حضرت صلاة العصر فتقدم وصلى بنا ، فرأيت سراويله مرقعةً ، وكان امام صلاته الراتب هو الفقيه السيد الحاج العربي الساحلي ، لكنه صلّى بنا تلك الصلاة ، ولما فرغنا من الصلاة وانقلبنا الى منازلنا جيء بالطعام وهو قصيعة من الكسكس عليها شيء من اللحم والخضرة وليس معها غيرها ، قال وكانت عادة المولى سليمان في السفر ان لا يتخذ كشينة اي مطبخاً ، انما هو طعام يسير يصنع

67) **المجانة في** عرف اهل المغرب الساعة مطلقاً ، سواء كانت ساعة اليد او ساعة الجيب او ساعة الحائط

له ولبعض الخواص مما يكفي من غير اسراف ، حتى ان الكتاب كانوا يقبضون ست موزونات ويعولون انفسهم ، وكانت اقواتُهم وازوادهم خفيفة . انتهى .

واما سياسته الخاصة في جبر القلوب واستيلاف الشارد وتسكين المرتاب وارضاء المولى ومداجاة العدو والدفاع بالتي هي احسن عند اشتباه الأمور ومعاناة الرجال بوجوه المكايد والحيل في الأمور التي لا ينفع فيها حرب ولا قوة فشيء لا يبلغ فيه شأوه ولا يشق غباره .

واما عادته في الحرب فقد اخذ فيها بسيرة العجم بحيث لا يباشر الحروب بنفسه ، ويعمل بعمل اهل الصدر الأول فيقف في قلب الجيش كالجبل الراسي ، وأمراؤه يباشرون الحروب بأنفسهم في الميمنة والميْسرة ، وهو ردء لهم ، كلما رأى فرجة سدها ، أو خللا اصلحه ، وهو كالصقر مطل على حومة الوغي ، فاذا امكنتْه فرصة انتهزها ، ومن شدة ثباته وعدم تزحزحه انه كان لا يركب وقت الحرب الا البغلة ، وبذلك جرى عليه في وقعة صيان والشراردة ما جرى ، فكان حماته يفرون عنه بلا حياء ، ويبقى هو ثابتاً رحمه الله .

واما جمعه لأشتات العلوم فلقد كان وارثاً من ورثة الأنبياء ، حاملا للواء الشريعة ، جامعاً مانعاً ، اذا بوحث في الأخبار كان كجامع سفيان ، او في الأشعار كنابغة ذبيان ، او في الفطنة والفراسة فكاياس ، او في النجدة والرأي فكالملهب ، واذا خاض في السنة والكتاب ابدى ملكة مالك او ابن شهاب ، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشكّ سامعه انه ابن القاسم وابن ادريس ، واذا تكلم في علوم القرءان انهلّ بما يغمر مورد الظمئان .

قال صاحب البستان : ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا مَن تغرب عن الأوطان ، وحمل عصا التسيار ، ورمت به في الأقطار الأسفار ، وشاهد سيرةَ الملوك في العباد ، وما عمت به البلوى في سائر البلاد ، ولا يتحقق اهل المغرب بعدله الا بعد مغيبه وفقده :

المــرء ما دام حيــاً يستهـــان بـــه   ويعظـــم الـــرزء فيـــه حين يفتقـــد

ومن ءاثاره الباقية وبناءاته العادية فبفاس المسجد الأعظم بالرصيف الذي لا نظير له ، كان حفر اساسه المولى يزيد واشتغل عنه وتركه ، فافتتح هو عمله ببنائه وتشييده ، وابقاه ديناً على الملوك ، وبني مسجد الديوان كان صغيراً فهدمه وزاد فيه املاكا وجعله مسجداً جامعاً تقام فيه الجمعة ، وبني مسجد الشرابليين زاد فيه ووسعه وجعله مسجداً جامعاً كذلك ، وبنى مسجد الشيخ علي ابن غالب وضريحه ، وبنى ضريح الشيخ عبد الوهاب التازي ، وهدم مدرسة الوادي ومسجدها لتلاشيهما وجددهما على شكل ءاخر ، وجدد المدرسة العنانية ، واصلح مسجد القصبة البالية وبيضه بالجص وزلجه ، وبنى باب الفتوح على هيأة ضخمة ، وباب بني مسافر ، والباب الجديد على براح ابي الجلود ، وبنى القنطرة على الوادي بينهما ، وجدد قنطرة الرصيف مرتين ، واصلح قنطرة سبو ، واصلح طرقات فاس الجديد كلها من داخل وخـارج ورصفها بالحجارة ، واصلح ابواب فاس الجديد كلها ورمم ما انثلم منها ، وجدد قصور الملك الخربة بها وزاد غيرها ، وامر بتبييض مساجد الخطب وتبليط ارضها ، وبنى مسجد صفرو وجدد اسواره ، وبنى لأهله حماماً به ، وبنى مسجد المنزل ببني يازغة ، وبنى مسجد وجدة وحماماً بها ، واصلح قلعتها ودار امارتها ، وبنى مسجد وزان ومسجد تطاوين واخرج اهل الذمة من جواره ، وبنى لهم حارة بطريق المدينة ، وبنى الصقايل والأبراج بطنجة ، وجدد مسجد اصيلة واسوارها ، وجدد قصور الملك بمكناسة بعد تلاشيها ، واصلح القناطر التي بين فاس ومكناسة ، وبنى قنطرة على وادي سيدي حرازم بخولان ، وبنى مسجد الجزارين بسلا ووقف عليه اوقافاً تقوم بمصلحته ، واخرج يهودها من وسط البلد من حومة باب حسين وبنى لهم حارة على حدتها غربي البلد ، وبنى المسجد الأعظم بحومة السويقة من رباط الفتح ، وبنى دار البحر لنزوله ، وبنى قنطرة وادي حصار بتامسنا ، وبنى مسجد أبي الجعد بتادلة ، وبنى قنطرة وادي ام الربيع ، وقنطرة تانسيفت بمراكش بعد سقوطهـا ، وبنـى المسجد الأعظم الذي كان اسسه علي بن يوسف اللمتوني بمراكش وبناه بناء ضخماً وازال منارته التي كانت به قديماً وشيد منارة اخرى بديعة الحسن

رائقة الصنعة ، واكمل مسجد الرحبة الذي كان اسسه والده رحمه الله ومات قبل تمامه ، وجدد قصور والده بمراكش واصلحها ، وصان القصبة وعمرها ، ثم ختم رحمه الله ديوانـه بالحسنة العظيمة والمنقبة الفخيمة ، وهي عهـده بالخلافة لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام على كثرة أولاده ووجود بعض اخوتـه ، ولعمري أن هذا العهد لمنقبة جليلة للعاهد والمعهود لـه ، أما العاهد فأنا لم نسمع بعد أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأحد من خلفاء الاسلام وملوكه عدل بولاية العهد عن ولده المستحق لها الى غيره حتى كان هذا الامام الجليل الذي أحيا سيرة العمرين ، نعم قد عهد سليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، لكن حكى ابن الأثير أن سليمان لما حضرته الوفاة عزم أن يعهد لابن له صغير فوعظه رجاء بن حيوة ، فرجع عن ذلك وشاوره في ابنه داوود وكان غازياً بالقسطنطينية ، فقال له رجاء لا تدري أحي هو أم ميت ، فحينئذ رجع الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، واما المعهود اليه فان العهد اليه دون الأبناء والاخوة شاهد عدل على كمال فضله واحرازه لخلال الخير وتبريزه فيها على مَن عداه من بني أبيه وعشيرته ، ولعمري أن ذلك لكذالك ، فان المولى عبد الرحمان بن هشام رحمه الله قد اشتهرت أمانته وديانته عند القاصي والداني حتى صار لا يختلف في عدالته اثنان هـ .

بقية صفـات المولى سليمان ومآثـره

كان المولى سليمان رحمه الله فقيهاً نبيلا ، علامة جليلا ، يجالس العلماء والفقهاء ، ويحب المساكين والضعفاء ، ويحوط الشريعة بأحواله ، ويشير الى الوقوف عندها بأفعاله ، أخذ بسجلماسة عن سيدي عبد القادر ابن شقرون وسيدي محمد بن طاهر الهواري ومحمد الطرنباطي وسيدي حمدون ابن الحاج ، وبفاس عن الشيخ التاودي ابن سودة ، واعتمد في علوم البلاغة والمنطق والعربية والتصريف على سيدي عبد القادر ابن شقرون والشيخ الطيب ابن كيران ، ولما ألف أبو القاسم الزياني فهرسته المسماة (جمهرة التيجان ، وفهرسة الياقوت والمرجان ، في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان)

أتحفها بـ (ألفية السلوك ، في وفيات الملوك) كنى عن الملوك بالتيجان ، وعن علماء أهل البيت باليواقيت ، وعن أشياخ أمير المومنين بالئالي ، وعن تلامذته بالمرجان ، وذكر فيها من أشياخه السادات عبد الوهاب أجانا وعبد الرحمان ابن الحبيب ، والتاودي ابن سودة ، وأحمد بن التاودي ابن سودة ، ومحمد بن الطاهر الهواري ، وعبد القادر ابن شقرون ، ومحمد بن عبد السلام الفاسي ، والشيخ الطيب ابن كيران ، ومحمد بن أحمد الشرادي ، والعربي بن المعطي الشرقي ، ومحمد بن ابي القاسم السجلماسي ، ومحمد بن أحمد بنيس ، وحمدون ابن الحاج ، ومحمد الطرنباطي ، ومحمد الصديق ، ومحمد بن الصادق العلمي ، ومحمد بن عمرو الزروالي ، ومحمد ابن منصور ، ومحمد بن عبد السلام الدرعي ، ومحمد بن عامر التادلي ، وابن الجيلالي المسفيوي ، وادريس العراقي ، وسليمان الحوات ، والشيخ يحيى الشفشاوني ، ثم ذكر الذين انتفعوا به وانتفع بهم ، فمنهم الشيخ الطيب ابن كيران ، والزروالي ، وابن منصور ، وسيدي حمدون ، وسيدي الصديق بن الهاشمي ، وسيدي محمد بن الصادق ، والحوات ، والشفشاوني ، ومحمد ابن ابراهيم المفتي ، وعثمان الشنجيطي ، وادريس العراقي ، وعلي بن ادريس ، وابو بكر بن مولاي ادريس بن مولاي عبد الرحمان المنجرة ، وعبد الله العراقي ، واخوه عبد الرحمان ، واحمد الزاهد الزعـري ، ومحمد بن هنو اليازغي ، وبـدر الدين ، ومحمد بن الطاهر ، والعربي ابن سودة ، وعمه ابو بكر ، وعبد السلام الأزمي ، ومحمد بن احمد بناني ، وادريس البقراوي الزرهوني اصلا الفاسي داراَ ، وعبد الرحمان الدادي الزرهوني ، وقاسم الديوري ، والحسن ابن فارس ، وعبد الرحمان المفرج الأندلسي قاضي طنجة ومفتيها ومعدلها ، وعبد الله الغربي الرباطي ، وعبد السلام حركات السلوي ، ومحمد بن عبد السلام الدرعي ، والشيخ محمد الرهوني ، وعبد السلام بن المعطي الشرقي ، وعمر بن المكي الشرقي ، ومولاي الحسن بن عبد الرحمان المراكشي داراً ، والسيد محمد المكي ابن مريدان السرغيني اصلا المراكشي ، وعبد الرحمان البرنسي اصلا التطواني داراً ، والمدني الفيلالي اصلا وداراً ، وعبد القادر مرين' الرباطي ، وعبد القادر المراكشي اصلا التازي استيطانا .

واما تلامذته فمنهم السادات : العباس ابن سودة ، واحمد ابن ابي نافع ، والعربي الدمناتي ، ومولاي الحبيب بن عبد الهادي العلوي ، ومحمد بن ابراهيم الزداغي ، وعبد الواحد ابن سودة ، والطالب بن احمد بن التاودي ابن سودة ، ونجل عبد الله بن احمد ، وعبد الودود بن احمد الشفشاوني الأندلسي ، واحمد شقور ، واحمد زروق ، ومولاي احمد بن علي العلوي ، والعربي الزرهوني ، والمجذوب الفاسي ، وعبد الله ابنه ، ومولاي الأمين العلوي ، واحمد بن علي الزرهوني ، واحمد شيخ ابن ابراهيم ، والهادي القادري ، واحمد ابن المختار ، ومحمد بن حمادي المكناسي ، وابو بكر بن زيان الادريسي ، وعبد السلام الرامي الزرهوني الأصل الفاسي الدار والمنشأ ، ومحمد ابن حمدون ابن الحاج ، ومحمد بن عمر ، والمعطي الزداغي ، وجملة النجباء من اولاده وكتابه ، منهم علي التوزيني ، والعباس بن صابر الفاسي الدار الهزميري الأصل من اولاد سيدي ابي يعزى نفعنا الله به ، ومحمد بن عثمان الوزير ، وعلي أحمد التنغراسي ، ومحمد بن احمد الحكماوي ومحمد بن علي الدليمي ، ومحمد الرهوني ، ومحمد السلوي الوزير (68) ، والمامون النميش والطيب قدران ، والطيب اجانا ، والطيب الحافي ، وعبد الرحمان بن يوسف رفيق الحاجب ، والمكي ابو زكري ، وابن العربي بنيس ، ومنهم نساخ كتبه : فمنهم عبد الكبير بن عثمان ، ومحمد الدلائي ، ومحمد السراج ، وعبد القادر السلوي ، وعبد العزيز عديل ، وعبد الوهاب القادري ، وسعيد الواضلي السوسي اصلا الفاسي داراً ومنشئاً ، والأمين البخاري ، وعبد العزيز الحلو ، وادريس السجلماسي ، وصاحب الخاتم احمد الحاجب ، ومؤلف الفهرسة ابو القاسم الزياني ، واجازه من اشياخه الشيخ عبد الرحمان ابن الحبيب ، والتاودي ابن سودة وولده احمد ، وابن كيران ، وابن الشرادي ، وابن ابي القاسم الفيلالي ، وابن الطاهر الهواري ، وابن شقرون ، وابن عبد السلام الفاسي ، وابن الصادق ، والعربي بن المعطي الشرقي ، وابو القاسم بن احمد الزياني (69) .

---

68) توفي سنة 1236 وهو من موالي القصر ، واول وزير مغربي تلقب بوزير الخارجية .

69) قابلنا اسماء الشيوخ والتلاميذ المتقدمة على القائمة التي اوردها أبو القاسم الزياني في **جمهرة التيجان** (نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 6778) فوجدنا بينهما فرقا بالزيادة والنقصان والقلب والتصحيف ، فصححنا الأسماء المصحفة واقتصرنا منها على ما اورده المؤلف او الناقل على الأصح .

ومن تأليفه الحاشية التي قيدها على الموطأ والزرقاني على المواهب واحكام الجن ، وعناية اولي المجد ، وحاشية على الخرشي ، ثم رسائله للملوك بالمشرق وبلاد الترك ، والعلماء والقضاة والعمال بالمغرب ، ذكر كثيراً منها في البستان ، ومنها جواب العلامة سيدي حمدون لما عزله عن ولاية العرائش وامره ان يتوجه لولاية وجدة فكره ولايتها والانتقال لوجدة ، فكتب يعاتبه على عزله عن ولاية العرائش فأجابه بما نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

من عبد الله سليمان بن امير المومنين ، الى صاحبنا الفقيه السيد حمدون ابن الحاج .

اما بعد فاني احمد الله لي ولكم ، واسأله سلامة الداريْن ، ولا يلزم شيء مما ذكرت لأجل عزلك عن كذا ، والذي يجب عليك حسن الظن بنا ، واني لا اسمع من احد كلاماً في جانبك اعلم منك خلافه ، وانما طهرتك بالعزل عن كلام الناس وألسنتهم ، (ربنا لا تجعلْنا فتنة) ، لأني اجبرتك على الامارة فلا اريد ان ادنسك بكلام الناس كما فعلت في عزل ولدي احمد واخي موسى وصهري الحبيب ، وبعد ان يكون صدر منهم شيء مما رموا به فقد زيد اكثر منه ، وهو سبحانه اعلم بمن اتقى ، وهو الذي اضحك وابكى ، وامات واحيا ، وولى وعزل ، فترقبْ الأمور من فاعلها وارح نفسك ، وولايتُك فيما وجهتُك له لا تخلو من خير ، وفيها أمر لا تعلمه ، والصواب خلاف ما ظهر لك ، ونحن معتقدون ان ولايتك احسن من ولاية غيرك ، حقق الله اعتقادنا ، ورزقنا واياك اجرها ، وغفر وزرها ، ولا يقل احد ان ولايتي افضل من ولاية غيري من عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن فرط فأثمه راجع عليه من الوشاة والذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين ءامنوا ، وما قدمتك لتلك الولاية الا لأني لم ارض دين احد وامانته من اصحابي مثلك ، سيما اليوم ، وقولك لمَ عزلتني ؟ فأي مضرة حصلت لك مني في العزل ، اخترتك ووليتك وعزلتك لغير موجب واعلنت اني اخرتك من غير سخط ، فاي ذنب لي في هذا ؟ وهل في عزل عمر

رضي الله عنه لسعد بن ابي وقـاص ذنب ؟ وان كانت الملائكـة لا تقـاس بالحدادين ، وسترد فتعلم ، واستغفر الله لي ولك من قول أنا وعندي ، والسلام.

ومنها ما كتبه بخطه جواباً عن كتاب وجهه له السيد محمد السلوي من المراسي في شأن عشر السلع الواردة في البحر ما نصه :

كاتبنا السيد محمد السلوي

سلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد فما ذكرت من قبض العشر من الواردين من المشرق فلا تقبض منهم الا ربع العشر الذي هو زكاة اموالهم المشروع ، ونص عليها الأئمة وقررها العلماء في غير ما موضع ، وعلى هذا يكون عملك في تطوان وطنجة والعرائش ، فان تتبعنا اغراض الناس وقعنا في المحذور ، لأن التجارة في ارض الحرب حرام ، سيما في هذا الزمان الذي قلت فيه الأمانة في اهلها ، ولا يميزون بين الحلال والحرام ، يتوجهون لأرض الحرب والتجارة بها حرام ، ويتعاملون معاملة الكفار وهي حرام ، ويأتون بأموال الكفار وهي حرام ، حتى صارت اموالها كلها سحتاً وما يقبض منها سحب ، فلا تدنسْ بقبض عشرها ، ويكفي ما هو مشروع وان كان على غير وجهه ، ولو كفوا من الذهاب لأرض الحرب واكتفوا بتجارة ارض المسلمين بالمشرق وبر الترك لكففنا عن قبض الجميع ، والسلام . انتهى من خطه .

ومنها ما كتب لي بخط يده جواباً عن كتاب الفقيه السيد حمدون يوم خروجنا من مكناسة متوجهين للمراسي ، ونصه :

محبنا في الله السيد حمدون

السلام عليك ورحمة الله ، ما سجع حمام وهطل غمام .

وبعد فجزاك الله عنا خيراً ، فقد اظهر الله بك في دينه امراً ، ومحا بك آثاماً ووزراً ، اذ سعيت في قبض ذلك المارق ، وقطع يد ذلك السارق ، فالحمد لله الذي جعلك عوناً لنا على محاق بدر كل فاسق ، فلا تأخذك فيهم في دين الله رأفة ، ولا تلحقك في حدود الله شفقة ورحمة ، وقد اخبرتنا ان يدك جالت في القصر

ونواحيه ، وتمكنت من كل فاسق وسفيه ، وما ذكرت في شأن النكاح ، فما عليك فيه من جناح ، فعند مبيتنا ان شاء الله بسيدي عيسى بن الحسن نحضر عمها وامها ، ولا نكلفك مهرها ، فقد زوجناكما بما معك من القرءان ، ونصدقها من هدية المركان ، ولا تكلف اهل المغرب بمئونة ثانية ، ودعهم عفاة ، الا ان يقولوا الضيافة ثلاث ، فذلك على الأغنياء ولا شيء على الفقير والمسكين والضعيف والصغير .

جعلنا الله ممن تناله شفاعة البشير النذير ، وممن هم في مقعد صدق عند مليك مقتدر . والسلام .

ومنها ما كتب به لفقهاء فاس لما افتوا بمنع اهل الذمة من بيع السباط في اسواق المسلمين للغش في صناعته ما نصه :

السلام عليكم ورحمة الله .

فمن المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله ودرعه مرهونة عند يهودي في سوق المدينة في طعام ، وعمر رضي الله عنه قبض منهم العشر في سوقها ، وكل مصر فُتح ، اهلُ ذمته اهل صناعته ، وما زال ذلك الى الآن بمصر والشام والعراق وخراسان والقسطنطينية وبلاد الترك كلها ، فكيف يمنع اهل الذمة من بيع السباط في اسواق المسلمين ؟ او يمنعون من صناعة الغش ؟ ومَن تكلم فيه فليس موضوعه ومقصوده الغش ودفع ضرر عام ، وانما قصده جلب ضرر عام وهو غلاء السباط وجلب نفعه ليبيع هو كيف شاء بما شاء ، على ان الغش اليوم صار عادة للمسلمين في الصنائع كلها احرى اليهود ، ولا يمكن التحرز منه في وقتنا ، بل هو مدخول عليه فلا يمنعون الا اذا منعهم الشارع فيما لم اطلع عليه ، فان ثبت نص بالمنع اظهروه لنا ، وفقكم الله وايانا ، والسلام .

ومما خاطب به الفقيه الكاتب السيد علي المقرف لما لفحتْه الشمس وهو في بستان ابي الجلود فوقف امامه يظلله ، فأنشده :

ظللتني اذ رأيت الشمس قد لفحت	وجهي وخلَّصتني من ذلك الوهـج
فصار وجهك لي شمسـاً مظللـة	وتهت في حس ذاك المنظر البهـج

وذاك اقوى دليل يستدل به — على رضاك على ما في من عوج
فداك نفسي لقد طوقتني مننا — ما ان تقابل بالأرواح والمهج

وهذا ما تيسر جمعه في هذه الفهرسة السعيدة ، ثم ختمها بتوسل مطلعه :

ياربي اني ضعيف خائف وجل — مستشفع بالنبي والآل نسل علي
اسألُ ربي بهم رضي ومغفرة — فيما جنيت من الآثام والزلل
ثم الصلاة على الرسل الكرام ومَن — لهم من ءال وصحب ءاخر العمل

انتهى .

كتبه بلقاسم بن احمد الزياني 4 ربيع الأول عام 1233 ما لخصته من الفهرسة الزيانية على ما فيها من التصحيف والتحريف ، ثم ارخه بليلة السبت 10 صفر الخير عام 1314 .

وبعده الحمد لله ، وقد كنت وقفت على ان الفقيه مولاي التهامي ابن رحمون اختصر هذه الفهرسة ايضاً ، انتهى من خط الفقيه سيدي احمد بن العباس ، انتهى ما لخصتُ من الاختصار المذكور في 18 شعبان عام 1329 ثم وقفت عليها بنفسها في مجموع فيه عدة تآليف ، وفيه خط المؤلف الزياني .

وقرأت بخط الشيخ ابن حسون في رحلته ما نصه : ورايت بخط الشيخ الأديب السيد الطيب بسير الرباطي ما نصه : كان مولانا السلطان امامنا الامام العادل ، ابو الربيع مولانا سليمان يوماً مشرفاً على البحر وقد تلاطمت امواجه ، تأتي الى البر وتنصرف ، فأنشد لنفسه ايده الله في رمضان المعظم سنة احدى وعشرين ومئتين والف قوله :

انظر الى البحر والأمواج تلتطم — وقد علا فوقه ابن يفو يستلم

وابن يفو هذا واعظ حسن الصوت متقن طيب الأخلاق .

ولما أنشد ما أنشد امر ان يذيله اديبان من سلا فامتثلا غير انهما ذهبا الى مدح ابن يفو وتركا منحى التشبيه فاقتحمته انا وقلت :

كأنــه عسكــر بيض عمــائــمــه — اتى الى الملك الهــمــام يحتــرم
أو روضة بسمت فيها ازاهــرهــا — تخالها من عقود الــدر تبتســم
او زهر افق السما ترمي ثواقبهــا — لبــات اعــداء مولانــا فتزدحــم
او راح غيد قد اخضرت ملابسهــا — مدت اليك لنيل الجــود تغتنــم

فوصل الجميع اليه ، واجاز بجائزة الأمراء ، أبقاه الله عماداً للمسلمين ، وناصراً للدين ، انتهى من لفظه .

وذكر في الروضة المقصودة ان المولى سليمان امر بقراءة كتاب الأحياء فوق المنابر ، انتهى . واطلع السيد القرشي سيدي ابراهيم الرياحي على ديوان يجمع فيه الأمداحَ المنقولة في مدح مولانا سليمان ، وربما ذكر فيه شعراً يتعلق بغيره ممن له بالسلطان علاقة ، فكتب له على ظهره تقريظاً مطلعه :

كحل بأثمد هــذا الروض أجفانــا — واقطفْ سرورك من معناه الوانــا

ومن رسائله ما نصه : الى الولي الصالح ، الفقيه المرابط ، السيد العربي بن المعطي ، الذي لا تزال فراستُنا فيه تصيب ولا تخطي .

جعلنا الله واياكم ممن لم يتخذ الاهه هواه ، وسلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ، ايها السائر على غير طرق الليالي المدلهمة ، طالما اردتم ان تطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتمه ، اما للعاقل في قول تاج الدين ما يكفيه : ما ترك من الجهل شيئاً من اراد ان يظهر في الوقت غير ما اظهر الله فيه ، خرجت اولا عن الجماعة ، ثم خدعتَنا في الله بلسان الضراعة ، فسترنا عورتَك ، واقلنا عثرتك ، وقابلنا اساءتَك بالاحسان ، الذي ليس لك بشكره يدان ولا لسان ، وقلنا للنفس قول مَن ليس له عن ربه من تلاه (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) ، (فاذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين

قلوبكم) الى فأنقذكم منها ، هل البيعة التي كانت في رقبتكم بالسمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وامحاض النصيحة جهد الاستطاعة ، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة لله ولرسوله ولأيمة المسلمين ، وقال : اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم حبشي كأنّ راسه زبيبة ، وقال : السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب او كره ما لم يومرْ بمعصية ، ومن خرج قيدَ شبر عن الجماعة فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يرجع ، فلا تكُ في سكرة الخواطر الكاذبة ، عما عليك للسلطان من الحقوق الواجبة ، لقد جئتَ شيئاً فريا ، ونبذت عهد الله وراءك ظهرياً ، فأين العهد والميثاق ، والقوي يأكل الضعيف بين ظهرانيكم في الأسواق ؟ بل لولاك ما فسدت تلك البلاد ، ولا خرج اهلها عن طريق الرشاد ، حتى شاركت في الدماء شعرت او لم تشعر ، فياخسارة مَن يريد الربح ولا يدرك ان يتجر ، انشدك الله ان كان ذلك ، فأنت اعرف الناس بما هنالك ، ولا يسعك الانكار ، والأمرُ اوضح من شمس النهار ، كم رفعنا الوية الولاية ، فما اعنت جابياً ولا واقفت عاملا ، وكانوا ما بين ولد واخ وصهر ، وحافد او من عبد او حر ، كل ذلك لابس غورك ، فما حصلت من جهدك على ما يوافق سرك ، ولا رجع احد منهم عنك راضياً ، ولا لما حفظه من سوء سيرتك ناسياً ، لم تراقب الله تعالى في ذلك الوطن ، الذي طارت اليه بسببك الفتن ، وما كان ءاباؤك الا رحمة لتلك البلاد ، لا يتنقمون على الحاكم بمجرد الخلاف والعناد ، حسبهم الوقوف عند ما حُد لهم ، وارجو ان يزكى الله بذلك عملهم ، فلما صار الأمر اليك ، وتعين القيامُ بطريقتهم عليك ، واستهلّ هلال افعالك ، وانت من الشباب ترفل في اذيالك ، كل ذلك في استفحال مملكة مولانا الوالد الغالب بالله ، امير المومنين محمد بن عبد الله ، سقى الله بري الرحمة ثراه ، وكان احلم الناس ، معاوية زمانه في الرحمة والباس ، احلك على ضخامة ملكه محل الوالد ، لا الأخ الشقيق ولا الولد المساعد ، ثم لم يبرح يعفو ويصفح ، وعن كل مَن احدث حدثاً وآويتموه يغضُ ويسمح ، حتى جعل غض الطرف عن جنابكم ، والصفح عما يقع من المناكر ببابكم ، من اعظم الذنوب التي يستغفر منها مولاه ، العالم بسره ونجواه ، وانتم لم تراعوا ذلك حق رعايته ، حتى اوقعتم اهل بلادكم في شرك

الهلاك وحبالته ، ولم تنظروا من الملوم ، واستعيذ الله من نظر الغش الغشوم ، ولما افضى الأمرُ الى نجله هذا العبد سليمان ، المرتجي من الله جميلَ العفو والغفران ، لم يقتصر في امركم ، على ما كان عليه والده من بركم ، بل تلمذ وتحبب ، وبرَّ بأنواع البر وتقرب ، عساه ان يردكم عما عودتم به انفسكم ويتركم لعبادة ربكم ، في حال بعدكم او قربكم ، فلم تشكروا النعمة ، ولم تحذروا فجاة النقمة ، ولولا ما نرجوه من الرب الكريم ، لوقع على يديه اكبر مما وقع على يديْ ابيه من العذاب الأليم ، طلبنا منكم ما فيه عند الله نجاتكم ، وهو في الحقيقة لأنفسكم الميتة حياتكم ، من الخروج معنى عن اسواق العامة ، التي لا يعمرها من له المروءةُ التامة ، والخروج حساً الى مدينة فاس ، واشتغالكم بالله ودينه القويم عن الناس ، فما قدرتم عن التقصي عن العامة ، ولا رجعتم عن مكاتبة الحكام والخوض في الفتنة الطامة ، وكنتم طلبتم الذهاب هناك لتفقد زرعكم وضرعكم ، ونقل اولادكم ان اذن لكم ، على انه خرج بسببكم مَن تعلمون ، وانهم ما وقع لهم في رقبة من تظنون ، فذهبتم وقر لكم القرار ، بعد ما وعدتم ان ترجعوا في ايام قصار ، وبعد ان خرج الأخوة والأخوات ، وابناء العم والعمات ، ومَن له هنالكم شان ، من الفقهاء والأعيان ، ومَن ليس لخروجه سبب ، ولا كان له في انتقاله ارب ، واغتنمتموها لكم فرصة ، باقامتكم وقد خرج مَن كانت عليكم منهم غصة ، واظهرتم التهاون بكلام من وجب عليكم طاعته ، وصحبتكم في الزمان الطويل عنايته ، ان كنتم تعتقدون ذلك ، وما انالكم ممن سلك تلك المسالك ، وصرتم الى ما كان يظن بغيركم من المخالفة ، وهل تدخل في الأوتاد الزاحفة ، ما عذركم في الجلوس بجعيدان ، بعد ما خرج مَن هو اضعف منكم بالأهل والولدان ؟ وانما طولتم بالخروج بأنفسكم ، فخسرت صفقة الظنون في نظركم .

اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

واتق الله وارض بقضائه ، ولا تعاند القدر فتصاب ببلائه ، واصبر كما صبر الذين خرجوا من ديارهم قهراً ، لما علموا ان الله عوضهم عنده خيراً واجراً ، فانظروا لما وقع للقاضي عياض ، وهو مفوض لله من غير سخط ولا

اعتراض ، وازعج الى الرحيل ابراهيم ابن الحاج ، فقطع من الأندلس البحر الثجاج ، فتبوا منها مراكش الحمراء على عهد السلطان يوسف بن الناصر الموحدي ، وانظر ايضاً لحال القطب ابي مدين ، واين دفن بعد ان طلب على كبر السن ، وكذلك الشيخ الغزواني اخرجه الوطاسي من زاوية بني زكار ، واشخص الى مراكش فكانت له دار قرار ، وغيرهم ممن اخرجوا من ارضهم ، فان شئت كانت لك اسوة حسنة في بعضهم ، على انهم لم يكونوا لمثل ما تفعل فاعلين ، ولا لرعاع السفلة مجالسين ، وان قلتَ قول من لعبت به يد الأهواء ، انك أجل مَن الاقتداء بهؤلاء ، فارفع بنفسك الى الصحابة الكرام ، الذين هم النجوم في الاهتداء للأنام ، فهذا ابو ذر الغفاري وكان من كبار الصحابة اسلم رابعاً او خامساً ، استقدمه عثمان من الشام لشكوى معاوية به ، واسكنه الربذة بعد ان اخرجه من المدينة لما كثر عليه الناس ، لما في ذلك من المصلحة التي ليس معها التباس ، لما في تعدد الرؤساء من المفاسد ، التي يجب درؤها في الغائب والشاهد ، على ان الصحابة عدول ، وكل واحد منهم مجتهد فيما يفعل ويقول ، فلم يتأخر ابو ذر ولم يسترجع ، امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم اسمع واطع ، واين انت ايها المتجاهل ، من هؤلاء السادات الأفاضل ؟ هيهات هيهات ، ليس الماضي كالآت ، بل اين انت من الشيخ الحسن اليوسي ؟ نقله مولانا الجد ابو النصر اسماعيل الى مدينة فاس ، وامره ان يتخذها له ولبنيه خير كناس ، ولم يغنه في الاعتذار ما نظم ونثر ، عما يجب من الرضا بالقضاء والتسليم للقدر ، وكان قصده في اخراجه جميلا ، ليقيم على علماء الحضرة في العلم والعمل دليلا ، لاسيما وكان المقر في اقبح بلاد لا يأمن عليه الاعتذار ، بما ليس عليه من امر العامة اقتدار ، اذ كان هذا في زمن السلف ، ومن اقتفى ءاثارهم من الخلف ، فما بالك بهذه الأزمان ، التي لا يجتمع اهلها على علم او عرفان ، فلم تجبْ عنهم العزلة في الحين ، لكل من تمسك بحبل العقل والدين ، واحمد الله ان جعل خصمك عاقلا ، متحققاً يحب الخير لعباد الله مفضولا وفاضلا ، لا يريد ان يُجري الله لمسلم على يده شرا ، بل يريد ان يكون مظهراً لرحمة الله في خلقه نهياً وامرا ، ولا يفسد ملكه بهضم امثالك ، وانا بريء ممن يُلقي نفسه في المهالك ، ولولا مكان الشفقة عليك ، ومحبة

الخير كله اليك ، لتركتك ترعى هملا ، وتهيم في كل واد مع الأخسرين عملا ، (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) ، (وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) ، ولكن الدين النصيحة ، ولا يكونُ المومن مومنـاً حتى يحب لأخيه المومن مـا يحب لنفسه ، والمومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، مَن وجد أخاه على شفا فليأخذ بيده ، والى الآن فنفذ امرنا لا معقب لحكمه ، بنص او قياس ، انا نأمركم ولا تعدل عن السكنى بفاس ، ولا تخرجوا منها الى ابى الجعد اصلا ، ولا ترتقبوا بعد قطع وصلا ، ومَن يشق عليكم رحيله من ضعفة الذرية البنات والبنين ، اتركوهم في جملة مَن بقى من المستضعفين ، وبادروا بالاجابة ، والامتثال والانابة ، قبل ان تعظم الحوبة ، فيسد باب التوبة ، فلا تجدون سبيلا للسلوك عن الصراط المستقيم ، (فليحذرُ الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة بكثرة الاعتذار ، فقد سجل الحكم عليكم بعد الاعذار والانذار، على ان عذركم كله كسراب بقيعة ، وحصونه المبنية على الباطل غير منيعة ، فان اطراح العذر خير من العذر ، فان امتثلتم نجوتم ، وان ابيتم خذلتم ، ولا عهد لكم ولا طاعة ، وكنتم ممن فارق السنة والجماعة ، (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) ، (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) ، وحسبي الله ونعم الوكيل ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم »

ووقفت على نسخة ظهير ءاخر بين حمدلته وصلاته وافتتاحه طابعه بداخله سليمان بن محمد بن عبد الله ، غفر الله له وتولاه ، وبزواياه الله محمد ابو بكر عثمان علي ، وبأركانه وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه انيب ، نصـه :

الحمد لله وحده

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله واعز امره ، واطلع في فلك السعادة شمسه المنيرة وبدره ، يستقر بحول الله تعالى وقوته بيد حملته الشريفين

الفقيهين ، النقيبين الأديبين ، السيد عبد الكبير بن عبد الهادي بن عبد النبي الدرقاوي الحسني ، والسيد سليمان بن محمد العلمي الحوات .

وفقكما الله وارشدكما ، وسلام عليكما ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فاننا لما وقفنا على ظهير مولانا الوالد قدس الله روحه الذي وجهتما صحبة الشرفاء العيادة بعد ما وقفنا على دفاتر الامامين وخصوصا دفتر سيدنا الجد قدس الله روحه فوجدناه موافقاً لدفتر ابي العباس المنصور رحمه الله واهـل النسبة فيه طبقات ، بعضها فوق بعض درجات ، فأولهـم المشاهير الذين عد شرفهم المتواتر ، ثم اهل الرسوم والظواهر التي لا يتوجه الى اهلها طعن ولا يتطـرق للتمسك بها احتمال ، ثم اهل الرســوم التي توجه الطعن اليها ، وقد ضرب لهم الآجال عليها ، ثم اهل الظهائر والتحلية التي ربما يكون بها عبرة في الظاهر ، ثم اهل الدعاوي المجردة مع اهل الدعاوي الكاذبة ، وهم في الكثرة اجناد مجندة ، وقد ذكر فيه كل فرقة عمها قضية ترجمتها الموجبة والسالبة ، واذا بظهير لسيدنا الوالد رحمه الله اعلن بأهل الرسوم والظواهر من اهل الترجمة الثانية والحقهم بأهل المرتبة الأولى ، وخصوصاً المشاهير منهم الذين اغفلهم اهـل النفاق ، حيث وقـع الحيف والمداهنة ، فوجدنا ءاثارهم واضحة ، وبيوتهم مشهورة بالمسكنة والتواضع ، والكل في الناس على ما هم عليه من الخمول وتسليم الكافة لنسبتهم ، فلا يجهل في الناس قدرهم ، جددنا لهم الالحاق بأبناء عمهم الستة عشر شعبة المدعون بالاراثة ، وعددهم اربعة وعشرون شعبة ، وهم المقيدة اسماؤهم بالطرة يمنته ، اولهم العلميون وءاخرهم الجزوليون ، فقد اوضحنا لكم ما اعلن به الظهير الشريف حسبما ادخل في دفاتر الامامين ، وخرجت لهم الصلة ، فالعمل على ما وجدنا ، ولا تكون فضيلة لأحد منكم على الآخر الا بتقوى الله ، قال مولانا جلت قدرته : ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، واما اهل الاراثة سامحهم الله لما تأملنا كلامهم فيكم وجدناه لا حجة لهم عليكم غير ما يقولونه بأفواههم ، ولا دليل لهم على ان يمنعوكم من صلتكم معهم ، فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، انتم وهم ذرية بعضها من بعض ، واما اهل فجيج فكونوا منهم على بال ، لأن

كل مَن يتوجه من تلك الناحية الى هنا يقول شريف ، وشرفهم قدر معلوم عند عامتهم وخاصتهم ، وجلهم يدعون النسبة النبوية وهم كاذبون ، فلا يخافون من الله ولا يستحيون ، واما الثلاثين (كذا) فرقة المضروب على بعضها الآجال فلا دليل لنا على اثباتهم معكم ولا على نفيهم عنكم ، والتسليم لهم اولى ، غير ان في كل صلة اعطهم الخمس من الجانبين جبراً لخاطرهم ، ولا يكلف احد منهم بمجيء العيد كما هو معلوم عندكم من المشاهير ، فعلى هذا يكون العمل ، والله يتقبل العمل من غير منازع ولا معارض ، والواقف عليه من قضاتنا وولاتنا يعمل بمقتضاه ، ولا يحيد عن ساحته ولا يتعداه .

صدر به امرنا النافذ بحول الله وقوته حكمه ، والسلام .

وفي 7 ربيع الأول الأنوار النبوي عام 1210

وبخط مَن يجب : استقل استقل استقل .

وبعد هذه النسخة نسخة ظهير حسني بداخل طابعه الحسن بن محمد الله وليه ، وبزواياه الله محمد ، ابو بكر ، عمر ، عثمان ، علي ، وبأركانه : وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ، وبدائرته :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها تجم
مَن يعتصم بك ياخير الورى شرفا الله حافظه من كل منتقم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

مسطورنا هذا رفع الله اقداره ، وشعشع على الخافقين شموسه واقماره ، يتشرف به ماسكوه شرفاء هذه الحضرة الادريسية المعظمة المباركة المكرمة المسطرة اسماء شعبهم الأربع والأربعين بهامش ذات اليمين ، ويقتبس من مسطور طروسه ، وزهور غروسه ، اننا بحول الله وحوله ، وعزته وطوله ، جددنا لهم مضمن ما بيدهم من الظهير السليماني الشريف ، الواجب الاجلال والتشريف ، المعلن بتحقيق نسبهم الطاهر ، والحاقهم بأبناء عمهم الاراثة

المشاهير في جميع الأحوال ، بحيث يعظمون تعظيمهم ، ويعمهم ما يعمهم ، ويقبضون الصلات كاملة معهم ، ويحاشون عن سائر الكلف ، ولا يجهل قدرهم ، ولا يهمل امرهم ، ولا يكون لأحد منهم على الآخر فضل الا بالتقوى ، المعتصم الأقوى ، حسبما هو لفظ الظهير الشريف المجدد عليه منطوقا وفحوى ، الحاقاً تاماً ، وتجديداً شاملا عاماً ، يلزم الواقف عليه ممن عمالنا وولاة اعمالنا امتثاله والخضوع لديه ، والوقوف عنده والانتهاء اليه .

صدر به امرنا الظاهر بنصر الله وعزته ، القاهر شأنه بسطوة الله وقوته ، في الثامن والعشرين من المحرم الحرام فاتح 1292 .

وبعده بخط مَن يجب استقل .

ونص ما بطرة السليماني : العلميون ، الودغيريون ، الحسنيون ، اليعقوبيون ، اولاد ابن عمرو ، الشبانيون ، اولاد النيار ، أولاد ابن الطائع ، المناليون ، البوزيديون ، اولاد عرهب ، العمريون ، العمرانيون ، المنصوريون ، اولاد التبر ، اولاد ابن تسعدانت ، الكثيريون ، اولاد الزواق ، المحمديون ، اولاد الزدعة ، اولاد الجمال .

هذا سطر من اعلا الى اسفل ، والسطر الموالي له هكذا : القادريون ، المومنانيون ، اولاد ابن العياشي ، اولاد الشماع ، الدرقاويون ، الوكيليون ، اولاد الشدادي ، اولاد بوسرغين ، الزكاريون ، الحموديون ، اولاد المري ، البلغيثيون ، اولاد الحصار ، البوعنانيون ، القصاريون ، التونسيون ، الدباغيون ، المنجريون ، اولاد ابن معزوز ، اولاد بوقشابة ، الزيدانيون ، الجزوليون ، فمنها اربعة وعشرون شعبة المشار له بداخله ولا حصر ، كل مَن تأهل لسكنى فاس فله ما لكم وعليه ما عليكم ، مع وجود التحقيق لنسبه الشريف ، وقد علمت ان عده تلك الفرق اربعة واربعون ، وهي المسطرة سابقاً كما نبه عليه في الظهير الحسني ، وهي المكتوبة بطرته حرفاً حرفاً من العلميون الى الجزوليون ، وهاتان النسختان اثبت استقلال ظهيريهما قاضي فاس العلامة سيدي حميد بناني بتاريخ 27 رمضان عام 1309 وشهد عليه بذلك محمد الطاهر ابن الكبير الفاسي وصنوه بوجيدة بشكليهما ، رحم الله الجميع .

1529) سليمان بن محمد المرتضَى العمراني

سليمان بن محمد المرتضى بن محمد الكبير ، بن ادريس ، بن محمد ، بن عبد الرحمان ، العمراني المراكشي ، من العمرانيين الذين بدادس ، أخذ رحمه الله عن العارف سيدي محمد بن احمد المدعو السيد دفين درب سبعة رجال بالموقف داخل باب الدباغ بحضرة مراكش ، كان المترجم رحمه الله صوفياً عارفاً فاضلا نبيلا ، اعجوبة في حفظ الحقائق واستحضارها ، جمّ المعارف غزير المادة ، رايت منه اعجوبة في ذلك ، وله قصائد موزونة وملحونة ، وله صيغة صلاة تدل على علو كعبه في الغوص على الحقائق والمعارف ، وتوغله في المحبة ، وتمكنه في مقام الوصول ، نصها : اللهم صل على كنز الأسرار ، وينبوع الأنوار ، ومجمع البحرين ، ونور الكونين ، السر الذاتي الأقدس ، وروح العالم الروحاني الأنفس ، سيدنا محمد عبدك ونبيك الذي استمدت جميع الأنوار من روحه الروحانية المطهرة من شهود الغيرية التي تبدلت اوصافها بالأخلاق الرحمانية الظاهرة بجميع الكمالات المستغرقة في الوحدة الذاتية التي لا تعدد لها من حيث كماله في نقطة دائرة الأرواح الحاكمة على اجزائها هدية الوحدة الكنزية ، وسر الواحدية الصمدية ، الساري سرها في اللاهوتية والناسوتية ، كنز الحقيقة الأحدية ، الحائطة بمعاني الجزئية والكلية ، قطب رحي دائرة الحضرتين المخصوص بسر حقيقة طه ويس ، اصل التكوين ، قبل التعين والتعيين ، المنوه به في حضرة المشاهدة والمكالمة في بساط قاب قوسين ، صلى الله عليه وعلى ءاله صلاة ازلية ديمومية قيومية الاهية ربانية لا تعدد لها ولا حصر ، ولا ابدَ ولا امد ، ولا نهاية لها ، صلاتك التي صليت عليه بها في ازل الأزل ، وفي غيب الغيب ، حيث كان علماً في علمك ، ونوراً من نورك ، وسرا من سرك ، الى ان ابرزته واظهرته وجعلته مظهراً من مظاهرك ، وعين وجودك ، ولو غيب وجبروت قربك ، وروح قدسك ، وامين وحيك ، وكنز حقك ، ومظهر حقيقتك ، الذي تجليت بسرك الأعظم في قلبه ، واودعت حكمتك في سره ، وكنت النائب عليه فيه ، فصلّ اللهم عليه به منه فيه اليه كما صليت بنفسك عليه ، وعرفني اياه معرفة ذاتية كاملة في نفس

الأمر بالسر المصون المكنون الواحد الجامع الذي لا يتعدد اصلا وفي ظاهر الأمر بالتعدد الكامل الجامع للأجزاء كلها من حيث هو ، وتعرفني به في معارج لنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، وتكملني بها بكمال اليوم اكملت لكم دينكم واتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ، ورقني بها عليها ترقياً مصحوباً بعنايتك وامانك مؤيداً بفضلك وكرمك ، وصلى الله علي نقطة الاطلاق وبحر السر المحقق ، الذي لا عثور لأحد عليه ولو وصل وتحقق ، وعلى ءاله ما حنت اليه ارواحُ العشاق ، الى يوم التنادي والتلاق ، وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

ويحكي انه رحمه الله هو مملي كتاب الانتصار على المنسوب اليه سيدي محمد بن الطيب .

والمترجَمُ حاتمي زمانه ، عز نظيره في ابناء عصره ، قال في شأن صلاته المذكورة : رايت في عالم الأرواح مظهر جدي المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي : مَن صلى بصلاتك هذه علي فكأنما صلَّى بجميع صلوات اهل السماوات والأرض ، وكيف لا وقد ضمن فيها معارف لطيفة ، واسراراً شريفة ، تؤذن بعلو قدر الكنز الأعظم ، والسر الذاتي المطلسم ، وخصوصيته التي خصه الله بها من بين جميع المكونات الباطنة والظاهرة بعبارات لطيفة انيقة ، واشارات شريفة دقيقة ، لا يدركها الا اهل الخصوصية والمزية المنغمسون في بحر مدد خير البرية ، عليه وعلى ءاله افضل الصلاة وازكى التحيــة .

وقال ايضاً : قد رام بعض الأكابر شرح صلاتنا هذه فمنع من ذلك ، وسمع قائلا يقول له : ولا تقفُ ما ليس لك به علم ؛ وحكى ايضا رؤيا تحببية وقعت له ، وهي انه كأنه رأى انه جالس بين القطب الشهير ، المولى الكبير ، سيدي عبد الله الغزواني رضي الله عنه وارضاه بحضرة مراكش وجماعة من الأفراد المحمديين حين انشأ هذه الصلاة ولم يخبر بها احداً ، والقطب المذكور يتذاكر مع المشار لهم في شأنها ، وعظم قدرها ، الى ان قال لهم وهاشرحها ، واشار بيده الى خزانة مملوءة من الكتب كأنه يقول رضي الله عنه ، لا يشرح هذه الصلاة الا مَن كان قلبه معداً للفيض الالآهي .

توفي رحمه الله عن نحو الثمانين سنة في عشية يوم الجمعة ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1329 وهو فاقد البصر .

1530) **ابن سماك العامري** ، صاحب (الحلل الموشية) (70) هكذا قال سيدي سليمان الحوات في (البدور الضارية ، في مناقب اهل الزاوية الدلائية) ، ولم يُسمه حيث نقل عنه ان صنهاجة ترجع الى حمير ، وذكر ذلك في ءاخرها حين تلخيص اعداد ملوكها ، كما ان ابن الخطيب لسان الدين ذكر في كتابه (ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب) في وصف ابي العلاء ابن السماك ما نصه : كاتب ماشق ، واديب لريح الأدب ناشق ، ذو طبع سائل ، وكلف بالمسائل ، فلا يفتر عن تقييد ونقل ، وجلاء الفوائد وصقل ، كتب مع الحلبة ، فأحكم الخط واتقنه ، وتلقى السجع وتلقنه ، وانشد الشعراء فاجرى بغير الخلاء ، وجعل دلوه في الدلاء ، وله بيت معمور في القديم بصدور قضاة ، وسيوف في الدين منتضاه ، ولم يزل منتظماً في السلك ، ومرتسماً في كتاب الملك ، الى ان عضه الدهر بناب خطوبه ، وقابله بعد البشاشة بقطوبه فتأخرت في هذه الأيام جرايته ، ونكصت عن العقب رايته ، وقد ثبت من شعره ما يشهد بأدبه ، وينظمه في فرسان الكلام وقادته ، انتهى .

وتأخرت وفاة المترجم عن مترجمه ابن الخطيب ، لأنه بقي يصنف في الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشنية الى يوم الخميس 12 من ربيع الأول عام 783 بعد وفاة ابن الخطيب بنحو ثمانية اعوام ، وعبد الله بن طلحة المحاربي الغرناطي المتوفى سنة 598 تفقه بأبي محمد ابن السماك ، وقد ترجم في بغية الملتمس لعبد الله بن احمد سماك العاملي ، الفقيه المحدث ، المتوفى في

---

70) اسمه الكامل : **الحلل الموشية ، في ذكر الأخبار المراكشية** طبع بتونس والرباط ، ونسب في الأول خطأ لمحمد ابن الخطيب السلماني ، ثم وقعت نسبته الى ابن السماك العامري ، وطبع الكتاب اخيراً بالدار البيضاء (دار الرشاد سنة 1979 هـ) بتحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة .

وهذه الترجمة كان من الواجب اثباتها في حرف الألف ، ولكننا لم ننتبه لها عند ما كنا نضبع الجرد العام لتراجم الكتاب .

السابع والعشرين لرمضان المعظم عام 540 وهو بن اربع وثمانين سنة ، وترجم له في التكملة تحت عدد 1355 وتقدم ذكر ولده محمد ص 370 من ج 4 ، وترجم في درة الحجال لعبد المنعم بن سالم بن عبد الله ابن سماك العاملي الوزير ، وقد تقدم ص 357 الجزء الأول ذكر كمال الدين السماكي صاحب كتاب (التبيان ، في علم البيان) الذي رد عليه فيه ابن عميرة المخزومي المتوفى عام 636 ، وهو عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف السماكي ، سماه كتاب (التبيان ، في علم البيان ، المطلع على اعجاز القرءان) تحرير الفقيه الأجل الأديب البارع ، الفه في عشرين يوماً من رمضان عام 637 وتوفي رحمه الله سنة 651 التبيان في نحو ثلاثين ورقة ، والتمويهات في عشرين ورقة ، وتصحف السماكي في كشف الظنون بابن الزملكاني صفحة 246 من الجزء الأول ، وترجم في الذيل والتكملة ابن عبد الملك في الجزء السادس الموجود بمكتبة باريس تحت عدد 2156 لمحمد ابن عبد الله بن احمد ابن سماك العاملي مالقي ، وذكر انه صار الى مراكش ، وترجم في الميزان لمحمد بن عبد القادر ابن السماك ، وقال فيه حدث عن ابي طالب بن غيلان ، قال ابن ناصر كذاب ، انتهى صفحة 94 من الجزء الثالث .

وقال فيه في لسان الميزان بعد ذكر ما تقدم وهو ابن عبد القادر بن احمد بن الحسين كان كاتب الحكم ، قال السلفي هو من بيت الوعظ ، وفي شيوخه كثرة ، وسماعاته صحيحة ، وقال ابن ناصر : لا تحل الرواية عنه ، قال ولد في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة ، ومات في رجب سنة اثنين وخمسمئة ، انتهى صفحة 263 من الجزء الخامس .

1531) **سعيد بن احمد سعيد الصفاقسي** ، ثم الينونشي ، قرية من قراها ، الفقيه الزاهد ابو الطيب ، اجتاز ببلدنا وسكن اغمات ، كان من المحققين بالفقه والكلام ، من اهل البلاغة والتأليف والنظم والنثر ، تفقه بأبي الحسن اللخمي وطبقته ، كان من اهل الخير التام والفضل الكامل وسلوك طريق الزهد والورع والتقلل ، متواضعاً حسن الصحبة كريم العشرة ، يزداد على الأيام فضلا ، وشهر اسمُه وبعُد صيته عند السلطان وغيره ، فلم يزددْ الا خيراً

وانقباضاً وتواضعاً ، ولم يتشبث بشيء من امور الدنيا وخططها الى ان تُوفي رحمه الله من سقطة سقطها من درج منزله في صدر رجب سنة احدى وخمسمئة . قاله القاضي عياض في الغنية (71) .

1532) السعيد ابن السلطان ابي عنان (فارس) المريني

السعيد بالله ابن ابي عنان بن علي المريني ، والسعيد اسم له (72) وابو بكر لقبه ، كما في صحيفة 8 من الجزء الثاني من الاحاطة ، وان قال في تاريخ الدولتين ان اسمه محمد .

كان هذا السلطان اول من استبدّ عليه من ملوك بني مرين ، امه أم ولد اسمها الياسمين ، كنيته ابو يحيى ، وهي كنية كل من اسمه ابو بكر ، لقبه السعيد بالله ، صفته دري اللون ، مستدير الوجه ، حسن الأنف ، العس الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر .

بويع وابوه مريض في التاريخ المتقدم (73) وكان محجوباً لوزيره حسن بن عمر الفودودي لا يملك معه ضراً ولا نفعاً .

ولما بويع لحق اخوه عبد الرحمن بن ابي عنان بجبل الكاي (74) وكان اسن منه ، وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن عبد الرحمان بن ماساي من وزارته ، فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الأمان وجاء به الى اخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبته من فاس ، وبعث على ابناء السلطان الأصاغر الأمراء بالثغور ، فجاء المعتصم من سجلماسة ، وامتنع المعتمد بمراكش ، وكان بها

---

71) **الغنية** ص 271 ع 90

72) هذا غير صحيح ، فاسم السلطان المذكور ابو بكر وكنيته ابو يحيى ولقبه السعيد ، هذا هو الذي ذكـره اسماعيل ابن الأحمر في كتابه **روضة النسرين** ص 30 وهو من معاصري السلطان المذكور واخوته وكتاب ديوانهم .

73) المؤلف ينقل هنا عن احمد الناصري من غير ان يشير اليه ، والتاريخ المتقدم تقدم في كتابه **الاستقصا** لا في **الاعـلام** هذا .

74) هو جبل قبيلة لجاية الحالية ، وتنطق اليوم في الأغلب جاية .

في كفالة عامر بن محمد الهنتاتي ، وكان عامر هذا من بيوتات هنتاتة واهل الرياسة والشرف فيهم ، وكان السلطان ابو عنان قد اوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره ، فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم ، وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتاتة ، فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داوود مشاركه في الاستبداد ، وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمئة ، فسار الى مراكش فاستولى عليها ، ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى اشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بني مرين بفاس ، وظهور منصور بن سليمان بها على ما نذكـره ، فانفضَّ المعسكرُ من حوله وتسابقوا الى منصور فلحقوا به ولحق به سليمان بن داوود ايضاً ، وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله ، والله غالب على امره .

واما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان ابي سالم واستفحال امره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه ، فكان الأمر كذلك ، وخلع السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبعمئة ، ثم قتل بعد ذلك غرقاً في البحر ، فان السلطان أبا سالم بعثه في جملة الأبناء المرشحين من بني ابي الحسن الى الأندلس ، ووكل بهم مَن يحرسهم ، ثم بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ، ثم غرقهم في البحر ، والأمر لله وحده (75) .

1533) **سعيد ابن عبدون** وزير محمد المستنصر بالله ابي زيان المريني ، استوزره له والده (76) ، فوصل سعيد الى مراكش كمـا تقدم في ترجمـة المستنصر المذكور .

---

75) ما تقدم منقول بالحرف من **الاستقصا** 4 : 3 و 4 و 7 من غير اشارة اليه على عادة المؤلف في التمويه .

76) اي السلطان احمد بن ابراهيم (ابي سالم) المريني ، وكان هذا الاستيزار سنة 789 هـ انظر **تاريخ ابن خلدون** 7 : 745

1534) **سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني** ، امامُها وعلامتها ، فقيه في المذهب ، متفننها في علوم ، سمع من ابني الامام وتفقه بهما ، واخذ الأصول عن الابلي وغيره ، وصدارته في العلم مشهورة ، ولي قضاءَ الجماعة ببجاية في زمن ابي عنان والعلماء يومئذ متوافرون ، وولي ايضاً قضاء تلمسان ، وله في ولاية القضاء ما ينيف عن اربعين سنة .

الف شرح الحوفي لا نظير له ، وشرح جمل الخونجي ، وتلخيص ابن البناء ، وقصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ، والعقيدة البرهانية ، وتفسير سورة الفتح اتى فيه بفوائد جليلة .

والعقباني نسبة لعقبان قرية بالأندلس ، اصله منها ، تجيبي النسب ، قرأ الفرائض على الحافظ السطي ، وولي قضاءَ سلا ومراكش ايضاً ، وكان يقال له رئيس الفقهاء ، وقال ابن صعد كان فقيهاً علامة خاتمة قضاة العدل بتلمسان انتهى .

الف شرح الحوفية ولم يؤلف عليها مثله ، وتفسير سورتي الانعام والفتح ، وشرح البردة ، وشرحاً جليلا على ابن الحاجب الأصلي .

اخذ عنه الأئمة كالامام العارف بالله ابراهيم المصمودي ، والامام العارف ابي يحيى الشريف ، والامام الحجة ابن مرزوق الحفيد ، وولده الامام العلامة قاسم العُقباني ، والامام ابي الفضل بن الامام ، والامام الفاضل احمد ابن زاغو ، وغيرهم ، وبالاجازة الامام المحقق النظار ، محمد ابن عقاب الجذامي .

قال الونشريسي في وفياته : مولده بتلمسان عام عشرين وسبعمئة ، وتوفي عام احد عشر وثمانمئة ، انتهى (77) .

وترجم في النيل له ولحفيديْه القاضييْن احمد ، وابراهيم ، ولولده قاسم مع حفيديْه القاضي محمد بن احمد ، وعبد الواحد ، كما ترجم في طبقات المالكية له ولولده قاسم ، وحفيديْه احمد وابراهيم ، ومحمد بن احمد بن قاسم بن سيعد ، كما ترجم للمترجم في الديباج ، وفي البستان .

---

77) ما تقدم منقول بالحرف من **نيل الابتهاج** ص 125 .

وقال في النيل في ترجمة تلميذه محمد بن ابراهيم الشهير بابن الامام عن المترجم ، قال : اجتمعت بمدينة مراكش مع يهودي يشتغل بالعلوم ، فقال : ما دليلُكم على عموم رسالة نبيكم ؟ قال قوله : بعثتُ للأحمر والأسود ، فقال لي : هذا خبر ءاحاد لا يفيد الا الظن ، والمطلوب في المسألة القطع ، فقلت له قوله تعالى : وما أرسلناك الا كافة للناس ، فقال هذا لا يكون حجة الا على مَن يقول بصحة تقدم الحال على صاحبها المجرور ، وانا لا اقول بصحته ، انتهى .

قال الشمني : ويجاب بعد قيام البراهين القاطعة على رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو مذكور في الكتب ، فان هذا الحديث وان كان ءاحاداً في نفيه متواتر معنى ، لأنه نقل عنه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الدالة على عموم رسالته ما بلغ القدر المشترك منه حدَّ التواتر وافاد القطع ، وان كانت تفاصيله ءاحاد كجود حاتم وشجاعة علي ، انتهى .

هذا ما قال فتأمله ، قلت والحجة القاطعة قوله تعالى : ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ، فهو نص قطعي ، ولعلهم لم يستحضروه ، ولله الحمد انتهى كلام النيل .

قلت ومن الحجة القاطعة في ذلك قوله تعالى : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وقوله تعالى : واوحيَ الي هذا القرءانُ لأنذركم به ومَن بلغ ، فكل مَن بلغه القرءان من الخلق فرسول الله نذيره ، وراجع ص 9 من شمول الأحكام الشرعية لأول الأمة وآخرها للشيخ السيد محمد البشير النيفـر .

وما تقدم من ان عقبان قرية بالأندلس فلقد قال المرغيتي في فهرسته ما يُخالفه ، ونصه : والعقباني نسبة للعقبان احدى احياء الخلط ، كما ان الشباني منسوب للشبانات لا لبني شابان . انتهى (78) .

---

78) ينظر عن سعيد العقباني ايضاً **البستان** ص 106 و **وفيات الونشريسي** (في الف سنة من الوفيات) ص 137 .

1535) **سعيد المسناوي** ، نزيل صومعة تادلة ودفينها ، أخـذ عن الشيخ عبد العزيز التباع ، قال في الدوحة : كان فاضلا زاهداً ذا شوكة وعناية ، توفي في العشرة الخامسة ودفن بزاويته ولم يعقب رحمة الله عليه (79) .

وقال في الممتع بأثره : ثم اخبرني الثقة انه عنده بخط سيدي احمد بن ابي القاسم الزمراني الصومعي ان صاحب الترجمة من اصحاب سيدي محمد المسناوي المذكور بعده ، وكان اتباعه غاية في اتباع السنة ، كما ان اتباع سيدي محمد بن عيسى الفهدي آية في المحبة والأدب ، فكان يقال المحبة عيساوية ، والسنة مسناوية ، وكان كثير الأتباع ، منهم نحو الثمانمئة او عشر مئة متجردين يأكلون من عنده من طعام زاويته ، وكانوا اذا امسوا عرضوا عليه ما كان منهم بالنهار من قول او فعل او نية او عزم في العادات والعبادات ، وان وجد عند احدهم ما لا يصلح عاقبه بالقول او الضرب بعصا كانت في يده او بالهجران أو بغير ذلك مما يراه رادعا وكفارة ، ولا يتحركون بشيء الا باذنه وبنية صحيحة ، ويذكر انه كان لا يلد فتزيد له مرة ولد ، فأخبر بذلك فذهب الى الدار فوجدها مطبقة واهلها في فرح وسرور ، فقال لزوجه ان كنت تفرحين بموته كما فرحت بولادته فنعم ، والا فالله يعطيه ما يذهب به ، فلم يمكث الا ثلاث ليال او نحوها ومات ، ثم لم يلد بعده ، ويحكى ان سيدي ابا الرواين المكناسي زاره سيدي علي بن ابراهيم في حياته ، فلما قفل من عنده اتى في طريقه على محل سيدي سعيد المسناوي بعد موته ، فجلس يقضي حاجته في الطريق بمنظر من الناس ، فقيل له ألا تستتر من الناس ؟ فقال واين الناس ؟ ما هنا الا سيدي سعيد ، هو ذاك راقد ، هكذا حدثني بعض الناس والله اعلم بصحة ذلك ، ومثل هذا ما اتفق من سيدي عيسى بن حنشان من اصحاب سيدي الحسن بن عيسى المصباحي وكان بهلولا وكان عارياً دائماً لا يستتر ، فرأوه يوماً بسوق القصر وهو ينضم وينزوي فيستتر ، وقال هذا آدمي مار ، فنظروا فاذا سيدي يوسف الفاسي ، الا ان سيدي عيسى معلوم انه كان ساقط

79) **دوحـة الناشر** ص 95

التكليف وسيدي ابو الروابن ليس كذلك فيما يظهر ، فلعل الحكاية لم تصح عنه ، او لعله كان يحضر ويغيب بحيث ينقطع عن وجوده بالكلية في حال غيبته ويغلب عليه فتصدر عنه امور جبرية لحكمة ، او انه تستتر فلم يقنع منه السائل بما فعل ، او تستتر بثيابه ولم يبعد فكنى السائل او احد الناقلين من البعد بالتستر ، فلما سأله او أنكر عليه رد عليه ونبهه الى ما فقد هو والحاضرون من الآدمية التي هي اول شيء واولاه بالاهتمام موعظة وايقاظاً وترفيعاً للهمم ، لعل مَن يتذكر او يخشى ، اذ الناس ناصحون بكل حال الى غير هذا مما لا نفهمه ولا ندركه ولا نحيط به من احوالهم واسرارهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم ، وقيل لسيدي زيان الطليقي صاحب سيدي عبد الرحمان المجذوب لم يقال لك سيدي صكوك ؟ فقال اني ارى الناس في صور البقر فأصكك عليهم (80)

وسيدي محمد المسناوي المذكور ممن اخذ عن الشيخ التباع ايضاً حسبما نقله في الممتع عن بعضهم ، وترجمه ايضاً الحضيكي في طبقاته .

1536) **سعيد بن عبد النعيم ويقال ابن عبد المنعم الحاحي** ، شيخ السنة ، ومحيي الديانة ، كان من اكابر المشايخ واشهرهم علماً وعملا ، وله في المعاملات الشأو' الذي لا يدرك مع شدة الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوة الزهد والورع .

اخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع ، وعليه عول في الطريق ، وله مشايخ اخر ، وكان من شدة الدين وقوة الارادة بالمقام الذي لا ثاني له ، قال في الدروحة : قال لي سيدنا الامام عبد الله الهبطي رضي الله عنه يوماً وكان يتكلم على مقام الوراثة النبوية : ما رأيت فيمن ادركت من المشايخ مَن كان على الجادة وجاء بالتربية النبوية على اصلها المعروف من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الا رجلين : الشيخ سيدي سعيد بن عبد النعيم في حاحة ، والشيخ احمد ابن القاضي بجبل زواوة ، وكانا في عصر واحد ، وربما تأخر عنه الشيخ سعيد ، وكفى بهذه الشهادة لهما من مثل سيدي عبد الله رضي الله عنه .

80) ما تقدم منقول من **ممتع الأسماع** ص 51

ولقد رأيت في اصحاب الشيخ سعيد قوة عظيمة وشدة هائلة في طريق المعاملة ، ويأتون في ذلك بأبلغ ما يكون من التعمق والتشديد في اتقان العقيدة والطهارة والصلاة وغيرها من العبادات ، بحيث لا يرتكبون من المذاهب الا ما وقع الاجماع على التعبد به ، او اباحة فيما سبيله الانتفاع به للمركب البدني ، وكل ما فيه خلاف لا يسلكون سبيله .

وتوفى في العشرة الرابعة يعني من القرن العاشر ببلاد حاحة ، وقبره مزارة مشهورة ، والذي عند غيره انه توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة .

ترجمه في الدوحة والممتع وطبقات الحضيكي (81) .

قلت قبره بحاحة ، وعليه قبة وضريحه مشهور ، وله تأليف في شعب الايمان في مجلد ضخم ، وتقدم في ترجمة سيدي عبد الله الغزواني ذكر ما تكلم به المترجم سيدي سعيد حين قال وانا عالمكم ، من احتاج الى علم الظاهر والباطن فليأتني فانا صاحبه ، وعقيدته شرحها سيدي يبورك .

1537) **سعيد بن ابي بكر الدكالي المشنزائي المكناسي** ممن لقي الشيخ سيدي عبد العزيز التباع المراكشي كما في شمس المعرفة ، وقال في ممتع الاسماع : ومنهم الشيخ سعيد بن ابي بكر المشنزائي دفين خارج مكناسة الزيتون ، المولى العارف الكبير ، الكامل الراسخ الشهير ، قال في المرءاة : كان من اكابر الأولياء ، ومشاهير المشايخ وذوي الهمم العالية ، وقال في محل ءاخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية . انتهى .

وسأله بعض الناس عن مقامه ونشده الله على ذلك ، فقال له وتد يامزغوب ، قيل وتقطب بعد ذلك ، ومن كلامه هرولوا ياالأقطاب تنالوا حكمتي ، هاسرى سر الوجود ممكن" في ذاتي ، المشرق والمغرب في طي قبضتي ، وكان تلميذه سيدي قداز يتكلم يوماً مع سيدي يوسف الفاسي في الأحوال والمشايخ

81) الترجمة منقولة بالحرف من **ممتع الأسماع** ص 50 وانظر ايضاً **دوحة الناشر** ص 102 ع 100 **وطبقات الحضيكي** 2 : 329

ومَن يغلب الحال ومن يغلبه الحال ، فسأل سيدي يوسف سيدي قدار عن سيدي ابي عمرو وسيدي عبد الله بن حسين اذ كان رءاهمـا ، فأخبره عـن حال كل واحد منهما ، ثم سأل سيدي قدار سيدي يوسف قائلا : وانت ياسيدي يوسف ارايت سيدي سعيد ؟ فقال له نعم ، فقال له كيف هو ؟ فقال هو رجل مسكين ، ففهم مراده بالمسكنة وما اشار اليه بها ، فقال موافقاً له ايه ، بمعنى نعم ، اذا تراه تقول هو نبي او قال فرخ نبي ، وفي الدوحة : كان من عباد الله الصالحين ، واوليائه المتقين ، متواضعاً زاهداً متقشفاً كثير الخشية ، لا يفتر عن ذكر الله تعالى ، يطعم الطعام ، ويكفل الضعفاء والأيتام ، ولا يلبس سوى مرقعة خشنة وقلنسوة كذلك من الصوف ، كثير الصمت والفكرة ، وله موضع بزاويته يلازم الجلوس به ، فلا يرى قائماً الا الى الصلاة ، لا يرى له سبب ولا حراثة ، وترد الوفود زاويته في كل يوم وليلة ونِعَمُ الله تشمل جميعهم وتعمهم ، ولقد حدثني بعض الأخيار من اصحابه ممن كان يباشر خدمة زاويته قال : كان الشيخ يوصى صاحب خزانته وراعي بهائمه ويقولُ لهما لا تحسبا داخلا ولا خارجا ، فكل ذلك من باب الفتح ، والله يبسط الرزق لمن يشاء ، قال فكنا ندخل في بعض الأحيان لمخازن الزرع فلا نجد فيها شيئاً ، فيأتي الخازن ويخبره بذلك فيقول له ارجع وحقق البحث والنظر هل الزرع باق هنالك ؟ فيرجع الخازن فيجد الزرع في المخازن ، وكذلك الراعي اذا فرغت البهائم يخبره بذلك ، فيأتي الله بها في ذلك اليوم ، فكانت البركة ظاهرة للعيان في جميع اسبابه .

وكان يكاشف اصحابه وغيرهم بما يفعلون في كل حين ، ومن كراماته الشائعة الذائعة ما اتفق له مع الوزير محمد بن السلطان احمد المريني لما استوزره ابوه وولاه على مكناسة وكان بها ، فغضب على احد المشاوريين ، فهرب المشاوري الى زاوية الشيخ فبعث الوزير الى الشيخ بالأمان عليه وان يبعثه اليه ، فقال له الشيخ ان شئت ان تذهب الى ضيفك يعني سيدك فافعل ، فقال المشاوري يأسيدي اخاف أن يقتلني ، فقال الشيخ ان قتلك يقتله الله ، فذهب المشاوري الى الوزير وبقي عنده ليلتين ، وفي الثالثة قتله ولم يظهر له أثر ، فجاءت أمه الى الشيخ وقالت له ياسيدي ان ولدي قد قتله الوزير ،

فقال لها سبق ذالك في سابق علم الله ، وان الآخر سيلحقه الآن ، يعني الوزير ، فوعك الوزير في تلك الليلة وتسلط عليه أكال في جسمه فتمزق لحمه وتقطع قطعاً شيئاً فشيئاً حتى تمزق لحمه ومات لأيام قلائل ، فاعتبر الناس والسلطان من ذلك ، ومن ذالك الوقت زاد الأمراء وغيرهم في احترام زاوية الشيخ ، حتى ان الذي يفعل ما عسى أن يفعل من عظائم الجنايات ويلجأ الى ساحة الزاوية لا يتبعه أحد ، وحد الحرم من ناحية البلد الساقية الجارية بالماء ، وهي الى البلد أقرب منها الى الزاوية ، ولقد رأيت الحكام يتبعون الجاني حتى اذا وصل الساقية رجعوا عنه ، وعندهم بالتجربة المتكررة أن الذي يتخطى الساقية تصيبه عاهة من حينه ، وما رأيت بزوايا المغرب ومصارع الأولياء حرماً مثل حرم زاوية هذا الشيخ ، وان الأمراء يتحامون حماها احترازاً من وقوع العاهات بهم في العاجل .

توفي رحمة الله عليه في أواسط العشرة السادسة بل في ءاخرها ودفن بزاويته انتهى .

ومن كراماته الشائعة ان سلطان الوقت نزل بظاهر مكناسة قريباً من زاوية الشيخ ، وكانت هناك اقامة ، فجاءه بعض اصحاب السلطان يزوره ، وكان بصومعة زاويته ، فقال له ياسيدي سعيد او ما علمت بكون السلطان هنا ؟ ولم لم تلقه ؟ فقال له الشيخ واخرج ذراعه ومدها : السلطان هو الذي عرفته انـا ، فأخذت الصومعة تضطرب وتتحرك كالغصن ، ففـزع صاحب السلطان ولجأ الى الشيخ وامسك برجليه وجعل يضرع اليه الى ان سكن حاله وسكنت الصومعة ، فلما ذكر ذلك للسلطان قال له أي شيء دعاك الى ذلك حتى احرجت الشيخ وقال ما قال ؟

ومن كراماته ايضاً انه لما ولي الشرفاء الملك بالمغرب اتاه خديمهم يطلب منه ما استودع عنده بنو مرين من امتعتهم ، فوجده جالساً بناحية من زاويته يضفر الـدوم ، فجلس واذا بطائر لعله البلورج سلح امامـه ، فما رفع الشيخ بصره حتى سقط الطائر ميتاً متطاير الريش ، فلما رءاه خديم الملك فزع وولى هاربـاً .

ومنهـا ان سيـدي أحمد الشريف نزيـل بنـي سلمـان مـن جبل لمطة وكان صاحب حال وله قدم في الطريق وقعت له وحشة في باطنه بينه وبين سلطان الوقت ، وهو محمد الشيخ المهدي ، ادى ذلك الى أن صرف همته لاهلاكه ، فدخل عليه في الغيب ليوقع به بشاقور في يده او ورد عليه بذلك وارد جبري ، فاذا بالشيخ صاحب الترجمة قائم عليه ويده على رأسه كالحافظ له ، فلم يكن الا ان التفت اليه وقال له كالمنكر عليه : الى هاهنا ؟ اذهب فما لك الى ذلك من سبيل ، فرجع ، وهذا الذي اتفق له كذلك وقع في الخارج وحاله كان صحيحاً ، فـان الترك قطعوا رأس السلطـان المذكور بشاقور ، الا أن الوقت كان متأخراً ، وهذا الشيخ كان أكبر منه فأدبه لجرأته عليه ، فكان ذلك سبباً لتخليه وانحطاطه ، واحساسه بالنقص في حالـه ، وما كان يعتاده من شأنه ، وظهر اثر ذلك عليه في الظاهر ليفرق الناس عنه ، وتعطلت الزاوية ، فبينما هو في بعض الأحيان في مسجد القرويين اذ التقى بسيدي قدار وهو من أصحاب الشيخ سيدي سعيد فلما رءاه انكر حاله لأنه كان يعرفه قبل ، فاذا به مكسوف سيء البال ، فقال لـه ما شانك يافلان ؟ فقص عليه شأنه وما وقع له مع الشيخ ، وقال له أريد منك أن تتوسط لي عند الشيخ ، فساعده على مطلوبه ، فذهبا حتى قدما منزل الشيخ ، فقال لـه ياسيدي قدار ، لو ذهبنا الى سيدي فلان أحد كبراء أصحاب الشيخ فنستعين به على هذا الأمر ، فذهبا اليه فتفاوضنا معه على امرهما ذلك ، فقال لهما امهلا ، حتى اذا كان يوم الجمعة قصدنا الشيخ ، لأن الفقراء يجتمعون ويذكرون فيهتز الشيخ لذلك ويتواجد ، ففعلوا ذلك ، وذهبا به يقدمانه وهو وراءهما ، فلما مثلوا بين يدي الشيخ عرفـه وقال لـه انت هذا ؟ فقال نعم ياسيدي ، فأخذوا يقبلون رجليه ويعطفونه عليه ، فما زالوا به حتى قبله ورضي عنه وامره بالانصراف ، فقال له الى اين ياسيدي ؟ فقال له الى موضعك ، فرجع وانجبر حاله ، وعاد الى ما كان عليه واحسن .

وكان سيدي قدار يقول : كان سيدي سعيد ضابطاً لي بهمته ، وبقي على بالي اني سمعت عنه انه كان يقول : سيدي سعيد مَن أتى لصحبته وهو مع

نفسه امسك عنه نفسه واطلقه ، وكان صاحب الشيخ له بهائم وكأنها كانت تشغله ، فقال له الشيخ قلبي هائم هائم ، ما يشتغل ببهائم ، غير الحي الدايم ، جل الله ، وزاره الشيخ الصالح ، محب اهل الله ، احمد المرابط الصباغ رحمه الله فقال له كيف انت ياسيدي ؟ فقال له ما علينا الا فضله واحسانه ، فقال له كيف حالك ياسيدي ؟ فقال له ما نرجو الا عفوه ورحمته ، فقال له ايش رايت روحك ياسيدي ؟ فقال له ما لنا حول ولا قوة الا بالله .

وأخذ صاحب الترجمة عن الشيخ سعيد الداعي ، وروضته بزاويته شهيرة ، رضي الله عنه ونفعنا به (82) .

1538) سعيد بن علي الحامدي الجزولي

سعيد بن علي بن محمد بن عبد العزيز الجزولي الحامدي ، اخو عبد الرحمان ، قال في الفوائد : الفقيه الأديب الشاعر المفلق البليغ سعيد بن علي بن محمد ، سهم العريض المغرب ، وامام القريض بالمغرب ، من تسمَّى في زمام البلاغة بتمام الابداع وحسن الصياغة ، بشعره نافح اقصى المغرب ادناه ، وبسحر بيانه كافح جيش المحاورة فعاد ملك يمناه ، والأدب له عبد يجيب متى دعاه ، وسهم يصيب الغرض متى رماه ، ودوحة اللسان بقطره بتلقيحه اثمرت ، وروضة البيان بنضحه امرعت وعطرت ، وقصائد شعره التي سحرت الألباب ، وفاضت فيضان العباب ، تشهد له .

توفي رحمه الله قبل الثمانين وتسعمئة بمراكش ودفن بها ، انتهى .

اخذ عن ابيه عن ابن هلال ، وعن عبد الوهاب بن محمد الزقاق ، وعن علي بن موسى بن هارون ، وعن ابن غازي ، وعنه ابو بكر احمد بن سعيد الجزولي نزيل مراكش ، واجازه ما في فهرسة الامام ابن غازي .

ذكره الحضيكي في طبقاته (83) .

---

82) الترجمة منقولة حرفاً بحرف من **ممتع الأسماع** ص 101

83) طبقات **الحضيكي** 2 : 43

وقال في (شارة الزائرين) بعد ذكر الحامدي ثم الأسى صاحب القصائد العديدة الفريدة ، شاعر عصره ونحويه ولغويه توفي بمراكش قاصدا لحاجه ، فتوفى فيه ، وهو اخو الفقيه الورع الأتقى سيدي عبد الرحمان بن علي المتوفى سنة 984 انتهى .

ومن شعره في المدرسة المتصلة بجامع ابن يوسف التي اخترعها ابو الحسن المريني وجددها السلطان مولاي عبد الله :

ان الخليفةَ عبد الله يــوأنـــــي	اذ كنت اهــلاً لأهــل العلم والأدب
نجل الامام الرضى المشهور محتده	خليفة الله وابن خيــرة الـعــــرب
وفي الثلاثــة والسبعين زائــــــدة	وبعد تسع مئين عــد من حقـــــب

انشدها في ابتداء مرضه الذي توفي فيه بحضرة مراكش اواخر صفر من عــام 1073 وتوفي ليلة الأحــد الرابع من شهر ربيع النبوي من العــام المذكور (84) .

1539) **سعيد بن يعقوب السوسي الجزولي السملالي** ، دفين . . . . فحل من اصحاب الشيخ ابي عمرو المراكشي .

1540) **سعيد بن سعيد** سأل الله أن يدله على مَن يدله عليه فوضعت السلسلة في عنقه لحينه ، فذهب به الى مراكش ، فلقي الشيخ سيدي أبا عمرو المراكشي فوق ما أمل ، فبلغه الله به اقصى أمانيه حتى كان يقول رضي الله عنه : مَن أخذ حلة فانية من يد الفاني فهي فانية ، ومن اخذ حلة باقية من يد الباقي فهي باقية .

ذكره الزروالي .

---

84) كذا بالأصل ، ولا يستقيم هذا التاريخ مع ما ذكر من قبل من انه توفي قبل الثمانين وتسعمئة ، ولا مع القطعة المنظومة التي قالها في جامع ابن يوسف ، فلعل تاريخ وفاته هو عام 973 لا 1073 .

ويجب التنبيه الى ان تراجم من اسمه سعيد في الأصل وقع فيها خلط بما اضاف المؤلف اليها بعد كتابتها من زيادات بخطوط متداخلة توجب قراءتها بكثير من التحفظ والاحتراز .

1541) **سعيد بن ابي القاسم التاملي** ، الكاتب توفي سنة 999 تسع وتسعين وتسعمئة انتهى من لفظ الفرائد .

1542) **سعيد بن علي بن مسعود السوسي الهوزالي** ، حلاه في الفوائد الجمة بقاضي القضاة ، وقد وقفت على سؤال الفقيه اللبيب سيدي عبد الواحد الشريف فقيه مدينة مراكش للفقيه المدرس قاضي الجماعة سيدي سعيد بن علي ، وبعده نص اجابة سيدي سعيد (85) .

1543) **سعيد بن مسعود الماغوسي** الصنهاجي المراكشي ، ابو جمعة ، ولد بعد الخمسين وتسعمئة ، وجال في البلاد ، واخذ بمصر عن علي بن غانم ، والناصر الطبلاوي ، ولقيه المـَقـْري واجازه ، ذكره في تاج العروس صفحة 309 من الجزء الخامس ، وتصحـَّف في الطبع المراكشي بالمهاكش ، وذكر في صفحة 404 من الجزء الثالث ان عاشر بن احمد ابن عاشر الأندلسي حدث عن ابي جمعة بن مسعود الماغوسي ، وتصحـَّف في الطبع بالشين الماغوشي ، وقد وقفت على شرحه للامية العجم الذي اتمه ضحوة يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الثاني عـام 990 قرظـَه محمد بـن محمد بن سالم بن علي الطبـلاوي الشافعي ، وعلي بن محمد بن علي الشهير بابن غانم الخزرجي المقدسي ، ومحمد بدر الدين القرافي المالكي سبط العارف عبد الله ابن ابي جمرة ، ويحيى بن محمد بن محمد الحطاب المالكي المكي مولداً الطرابلسي بلداً ، وعبد الله بن محمد بن ابي القاسم العميري ، ومحيي الدين المقـْري العمري الحنفي ، وشرح ايضاً لامية العرب ، وسماه (اتحاف اهل الأدب ، بمقاصد لامية العرب) ، وعندي هذا الشرح بخط احمد ابن سودة بن علي بن ابي القاسم الشهير بابن سودة المتقدم الذكر ، فرغ من نسخه عشية يوم خامس صفر سنـة 1006 انتسخهـا مـن نسخـة بخط مؤلفـه مقابـل صحيـح ، ولم يكتب مـن خط مؤلفـه اولا غير هـذا ولـم ينقـل من حـاضـرة

---

85) ولد سعيد بن علي بن مسعود الهوزالي عام 913 هـ وتوفي ليلة الاثنين 18 صفر عام 1001 هـ ، ولـه ترجمة طويلة في **طبقات الحضيكي** (2 : 341) ، وترجمة ثانية في **درة الحجال** 3 : 299 ع 1383 لا ادري كيف غفل المؤلف عنهما .

مراكش المحروســة حيث الف الى فــاس المباركــة الميمونة قبل هذا الشرح عيره ، مؤلف هذا الشرح هو الشيخ فريد عصره السيد الحاج سعيد الماغوسي ، ولم اسأله عن اسم والده ولا عن مولده مع مخالطتي له بمراكش سنين كثيرة ، وسؤالي له عن اشياء في جميع الفنون العلمية اعتماداً منه على أن يكتب لي على هذا الأصل بخط يده نسبه بعد فراغي من نسخه ، ثم فرقت الأيام بالطاعون الكبير في الدولة المنصورية المشهور امرها ، ولم نجتمع فيما بعد ، حتى توفي المؤلف المذكور اثر الطاعون بسنة ؟ فحينئذ رسمت اسمه ولقبه وموضع نشأته ، وكان سكناه بمراكش المحروسة بدار لها بابان ، احدهما في أزبرط ، والآخر بتاشنباشت معروفة هنالك ، ولم اتحققْ بمولده ولا بسنة وفاته ، غير ان وفاته ما بين السبعة عشر والعشرة بعد الألف ، والله اعلم ، قال ذلك وكتبه بخط يده الفقير كاتب النسخة المذكور .

انتهى من خطه بلفظه .

وقال في درة الحجال (86) :

سعيد ابن الماغوسي الملقب بوجمعة ، فقيه اديب ، له تواليف حسنة ، منها شرحه على لامية العجم ، وآخر على لامية العرب ، وشرح درر السمط ، في اخبار السبط ، وكلها بقصد الخزانة المنصورية – ابقاه الله بمنه – وله رحلة الى المشرق ادى فيها فريضة الحج ، واخذ هنالك عمن لقيه من اعيان اهل المشرق ، وعن اهل مصر والحجاز والشام ، واهل القسطنطينية وغيرهم ، وله فيما اظن مشيخة قيَّد فيها اسماءهم وما سمع منهم ، ولد بعد 950 في غالب الظن ، وهو حي من اهل العصر ، وله خط رائق ومشاركة في العلوم وفهم ثاقب .

---

86) لم يورد المؤلف في الأصل ماكتب ابن القاضي عن سعيد الماغوسي في **درة الحجــال** ، فنقلنا ماكتبه عنه هنا تعميماً للفائدة .

ط **درة الحجال** 3 : 304 ع 1390 .

1544) **سعيد بن ابراهيم الهوزالي** من علماء مراكش في القرن الحادي عشر ، اخذ عنه بها قاضيها الحسن بن علي الهلالي المتوفى اواخر العشرة العاشرة من المئة بعد الألف كما تقدم في ترجمته ، واسم والده ابراهيم .

وتقدم ذكر سيدي سعيد بن ابراهيم الهوزالي في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن احمد ابن يعقوب الشرقي مجيزه في أول شوال عام 1086 المتقدم صفحة 27 الجزء 5 ، وتقدم ذكره في ترجمة سيدي الحسن الهلالي المذكور عند ذكر العلماء الذين كانوا بمراكش ايام قضائه وعدالته ، ومن الهوزاليين منصور قاضي رودانة ، توفي منصور قاضياً سنة 1074 وهو والدُ احمد بن منصور الأديب فيما يظن .

1545) **سعيد بن يوسف الحنصالي** الشيخ العلامة الشهير ، تلميذ سيدي علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي المتقدم ، وليس المترجم صاحب القبر بزاويته بحومة المصفح بمراكش ، لأنه دفن بالدلاء بتادلة ، وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول عام أربعة عشر ومئتين والف وله زاوية بآية عطا ، وانما ذكرته . . . القول بعض القاصرين انه صاحب القبر بزاويته بمراكش ، وراجع 181 من ج 2 من السلوة ثم 137 من الجزء الثالث منها (87) .

1546) **سعيد بن ابي القاسم العميري** ، التادلي الأصل ، المكناسي الوفاة ، الفقيه العلامة ، المشارك المحقق الفهامة ، المعقولي الأشهر ، البياني الأكبر ، كان رحمه الله ءاية في النحو والبيان ، مجبولا على محبة أهل الولاية والعرفان ، يكثر من مخالطتهم ، ويوثر حديثهم ومجالستهم ، وكان السلطان مولانا اسماعيل قدس الله سره لما رأى فصاحته وتحصيله ، وحسن ادراكه واجماله وتفصيله ، اعجبه كل الاعجاب ، وامره بالتدريس في حضرته العلمية وولاه قضاءها ، وجعل له الشورى في مهماته ، وكان مع ذلك يخالط السيدين الوليين سيدي احمد بن عبد الله ، وسيدي احمد اليمني ويتردد لزيارتهما ،

87) له ترجمة صغيرة في **نشر المثاني** 2 : 170 (طبع فاس)

فتأدب بهما حتى حصل على طائل ، وكمل جاهه بموالاة السلطان مولانا اسماعيل المذكور ، وكان تردُ عليه مسائل غامضة فيعرب عنها ، سيما في علم البيان ، وأخذ رحمه الله عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي وطبقته ، وأخذ عنه جماعة من فقهاء مكناسة وغيرها ، منهم العلامة سيدي الحسن ابن رحال المعداني ، والفقيه القاضي سيدي احمد الشرادي ، واولاده الفقيه سيدي احمد والفقيه المفتي القاضي سيدي ابو القاسم والفقيه النحوي سيدي عبد الرحمان ، وغيرهم .

توفي رحمه الله بمكناسة ودفن بها عام 1131 واحد وثلاثين ومئة والف .

ذكره في نشر المثاني (88) .

1547) **سعيد الشلح الجزولي** ، كان من كتاب سيدي محمد بن عبد الله العلوي معتبرا في الانشاء والترسيل .

1548) **سعيد بن محمد بن أحمد جيمي** ، السوسي التيوتي المراكشي ، كان رحمه الله فقيهاً علامة مشاركاً متبحراً نظاراً محصلا مفتياً بارعاً ناظما ناثراً ، اخذ رحمه الله عن العلامة شيخ مصر الشيخ أحمد منة الله ، وعن والده العلامة الزاهد الورع سيدي محمد بن احمد الروداني ، وعن عالم فاس سيدي بدر الدين الحمومي ، وغيرهم ، حج رحمه الله قديماً ، ولقي في حجته اعلاماً ، ثم رجع لمراكش فأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة وانتفعوا به ، منهم الفقيه المفتي السيد صالح بن المدني السرغيني ، والفقيه السيد عبد السلام بن المعطي السرغيني ، والفقيه الحاج محمد ازنيط ، والفقيه الحاج العربي الرحماني ، والفقيه السيد ابراهيم الضرير ، والفقيه السيد محمد بن المهدي ابن شقرون ، والفقيه السيد أحمد الحيحي ، والفقيه السيد محمد بن علي الزعراوي ، وغيرهم من نجباء طلبة مراكش ونواحيها ، كقطر سوس وغيره ، تصدر للفتوى بمراكش رحمه الله ، وكانت تقع بينه وبين عصريه شيخنا

---

88) **نشر المثاني** 2 : 117 (طبع فاس) .

العلامة السباعي انتقادات يرد كل منها على الآخر ، ويقول كل منهما ما يقوله المتعاصران جعجعة ولا أرى طحناً ، ويجيبه الآخر بأنه لم يأت الا بالهز بلا جز ، ووقعت بينهما رسائل في ذلك وقفت على الجميع ضمن الفتاوي وغيرها ، وصنيعه في فتواه انه يلخص الفقه ويقول كما قرر في محله على وجه الابهام والتعمية على معاصريه ولا يبين لهم المحل الذي نقل منه ، وكان يقول لا اعلمهم ، وقد سلك هذا الصنيع عصريه السيد المطيع رحمه الله ، وقد درج بيدي كثير من فتاويهما على النهج المذكور حين كنت اتعاطى الفتوى بمراكش وتظهر الرسوم القديمة ، وكان قلمه أفصح من لسانه ، اذ كانتْ فيه عقدة ، ووقفت له على رسالة وكل تسميتها الى أهل العلم ، صنفها في الرد على عصريه العلامة الأمين الصحراوي ، مصنف رسالة (المبدىء المعيد ، في حكم ناسي تكبير العيد) ، اذ غلط فيها الصحراوي فحكم بصحة مَن نسي ثلاث تكبيرات من تكبيرات العيد وفاته التدارك بالسجود لها محتجاً في ذلك بأنقال وضعها في غير موضعها والكمال لله تبارك وتعالى .

درس المترجم بجامع الشرفاء بمراكش وبجامع الزاوية العباسية وغيرهما ، وكان يتبجح بكبر سنه وعلو سنده ، وكان خطيباً بجامع سيدي ابي اسحاق بعد وفاة خطيبه الفقيه المدرس السيد عبد الله الدراوي العثماني المتوفى في خلافة مولانا عبد الرحمان قدس الله روحه ، وخطب بجامع الشرفاء أيضاً لما عزل عنه السيد أحمد بوضربة لقراءته للكتاب الذي كتبه مولاي احمد ابن الكبير بأمر رؤساء مراكش في الثورة على ابن داوود ، ثم رجع بوضربة الى محلة بعد ذلك ، وتولى العدالة على الربيعة العباسية ، وجرت له في ذلك قضية شهيرة بلغت السلطان مولانا الحسن رحمه الله ، وكان له خط رائق ، وترسيل حسن ، وله أمداح في الأمراء وغيرهم ، واجاز الفقيه العلامة سيدي الحاج العربي بن بنداوود الشرقي نزيل مراكش اجازة حافلة كتبها له بتاريخ 1287 في الحضرة المراكشية ، وتقدمت في ترجمة سيدي العربي المذكور وذكر بعض فتاويه وتصحيح الفقيه السيد عبد الوهاب ابن البهلول وشيخنا الفقيه سيدي الحاج محمد ازنيط وصاحبنا الفقيه العلامة سيدي المهدي الوزاني في حاشيته على التحفة لدى مسائل الرهن فراجعها .

توفي المترجم رحمه الله في ليلة 28 رمضـــان سنة 1313 في النصف الأخير منها .

اجازه جماعة من اهل العلم منهم الشيخ سيدي بدر الدين الحمومي ، قال في اجازته له : وان ممن جال في ميدانه ، يعني العلم ، وحاز قصب السبق فيه بين اقرانه ، صاحبنا الفقيه النبيه السيد سعيد بن محمد جمي السوسي ، فلازم كاتب هذا الرقيم ، لما اقشعرت البلاد ورعي الهشيم ، مدة ، وسمع منه مسائل عدة ، وقد طلب مني الاجازة فأسعفته ، وقلت قد اجزت الأخ المذكور ، في كل منظوم ومنثور ، على الشرط المسنون ، عند ارباب الفنون ، وهو الصدق والتحري ، وان يقول فيما لا يدريه لا أدري ، انتهى . وهي مؤرخة في رمضان عام 1259 ، ومنهم العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان الحجرتي قال فيها : فان الفقيه السيد سعيد المجاز قرأ علينا وكان يحضر مجلسيْ درسنا واقرائنا ، وطلب منا الاجازة فأجبته في مرامه ، فأقول قد أجزت الفقيه المذكور في جميع مسموعاتي ومقروآتي ومروياتي ، وجميع مـا تجوز عني روايتـه ، وتنسب الي درايته ، اجازة بالعموم متصفة ، وبالشمول معترفة ، بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر . انتهى . ومنهم العلامة سيدي محمد عبد الله المجاوي التلمساني ، قال فيها : وان ممن تعاطاه ، يعني العلم ، وفارق في طلبه مقره ومأواه ، طالباً بذلك من الله رضاه ، الفقيه النجيب ، الآخذ من الأصول والفروع اوفر نصيب ، السيد سعيد بن محمد السوسي الجمي ، فطلب مني أن اجيزه فيما سمع مني من معقول ومنقول ، فأقول اسعافاً له : قد أجزته اجازة تامة ، وافية عامة ، كافية بشرطها المعتبر ، وقيدها المحرر ، انتهى . ومنهم العلامة سيدي أحمد المرنيسي قال فيها : هذا وممن ارتقى منبر ذلك مراقي .... وتخرج من مشاقة الشدى وخاض بحار العلوم ، وافتتح قلاع الحديث وحصونها ، وتسنم منبر المعالي ودانت له شواردها ، وترك في تحصيلها نومه ، فساد قومه ، النبيه الأرضى ، الخير المرتضى ، الفقيه النجيب ، الحيي الحسيب ، سيدي سعيد بن محمد أعلى الله في درجة الرفعة مقامه ، واولاه من كل خير وزاده ، ولقد طلب ان اجيزه فيما أخذ عني من العلوم المتعلقة بالسنة والكتاب ، فما وسعني الا الجواب ، فقلت والله الموفق للصواب ،

قد اجزتك ايها الأخ بشرط الاتفاق اجازة شاملة مطلقة عامة . انتهى . وتاريخها 22 جمادى الأخيرة من عام 1259 ، ومنهم الفقيه الأديب نقيب الأشراف العلويين بالحضرة الادريسية ، مولاي العربي بن احمد بن علي البلغيثي واطال في الثناء على المجاز بالتحصيل والنجابة وملازمته له ملازمة الجوهر للعرض والظفر بفنون التوقيت والفرائض والحساب ، ثم قال : قلت قد أجزت الفقيه المذكور في كل ما سمعه مني او نقله عني ان صحت الرواية عن مثلي ، وعد من النقل نقلي ، بالشرط المعتبر . انتهى . وأرخها بتاريخ مهل جمادى الأولى عام 1261 .

ولما حج عام 1277 تلاقى بمكة المكرمة برئيس المدرسين ببلد الله الحرام ، جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي المفسر المحدث بالمسجد الحرام ، واجازه اجازة عامة في جميع ما تجوز له روايته بعد أن سمع منه اوائل الكتب التي صنفها تاج الدين محمد بن القاضي عبد المحسن القلعي وحلاه في اجازته بحضرة فخر العلماء العاملين ، وقدوة أهل الورع واليقين ، الأخ في الله رب العالمين ، السيد سعيد جيمي بن محمد المراكشي داراً واستقراراً ، وتاريخ هذه الاجازة 14 محرم عام 1278 ، واجازه أيضاً اجازة عامة العلامة سيدي محمد بن محمد العزب ، خادم العلم بالمسجد النبوي ، وحلاه بالشيخ الفاضل ، والعالم العامل ، المتحلي بحلا الفضائل والفواضل ، سلالة الأماجد الأفاضل ، اخانا العارف بالله تعالى ، الحاج سعيد جيمي بن محمد المراكشي داراً واستقراراً ، قال فيها : واجزته بكل ما تلقيتُه من معقول ومنقول ، لا سيما ما حواه ثبت شيخ مشايخنا العلم المنير ، محمد بن محمد الأمير الكبير . انتهى ، ومنهم شيخ العلماء والمدرسين ، بحرم سيد المرسلين ، سيدي يوسف الغزي ، اجازه اجازة عامة ، وذكر فيها من أشياخه المحقق الشيخ محمد الأمير عن استاذه والده الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت ، والشيخ القوسيني ، واجازه ايضاً اجازة عامة العلامة الشيخ محمد قطة العدوي الأزهري المالكي وبالغ في الثناء عليه ، وارخها بتاسع صفر عام 1278 ، ومنهم العلامة الشيخ احمد منة الله المالكي مدرس العلم بالأزهر اجازه بثبت شيخه الشيخ الأمير الكبير وبكل ما تصح له روايته ، اجازة عامة .

وتقدم ذكر المترجم في ترجمة تلميذه سيدي محمد بن عبد العزيز بن سليمان ، وفي ترجمة سيدي بنداوود الشرقي .

1549) **سعيدة بنت محمد** بن فيره الأموي التطيلي ، ولها أخت أصغر منها سنذكرها بعد بحول الله ، سكنتا مراكش ، وكانتا من بيت خير وصيانة ، قال احمد بن عبد الرحمان ابن الصقر : جاورتاني فتعرفت منهما خيراً وفضلا ، وذكاء ونبلا ، وكانت سعيدة تنسخ الكتب نافذة فيها تكتبه أو تخاطب به ، وتزوجت (89) .

1550) **سفيان الأندلسي** المعمر ، اشتهر بتأليفه كتاب التجربتين على ادوية ابن وافد الذي اشترك معه فيه ابن باجة كما تقدم صفحة 383 من الجزء 3 كان طبيباً ماهراً خاصاً بعلي بن يوسف بن تاشفين .

توفي سنة 537 بمراكش .

1551) **سهل بن محمد ابن مالك الأزدي**

سهل بن محمد بن سهـل بن مالك بن احمد بن ابراهيم بن مالك الأزدي ، صدر هذا البيت ، وياقوته هذا العقد ، قال احمد ابن مسعدة : كان رأسَ الفقهاء ، وخطيبَ الخطباء البلغاء ، وخاتمة رجال الأندلس ، تفنن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله ووصفه في اقطار الدنيا لا يجهله أحد ، فحدثْ عن البحر ولا حرج ، ولا أظن ان الزمانَ يسمح برجل حاز الكمال مثله .

حالـه : قال ابن عبد الملك : كان من اعيان مصره ، وأفضل اهل عصره ، تفنناً في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثاً ضابطاً ، عدلا ثقة ثبتاً حافظاً للقرءان العظيم ، مجودا له ، متفنناً في العربية ، وافر النصيب من الفقه واصوله ، كاتباً مجيداً للنظم جده وهزله ، ظريف الدعابة ، مليح التندير ، له في ذلك أخبار مستظرفة متناقلة ، ذا جدة ويسار ، متين الدين ،

---

89) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 249 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

تام الفضل ، واسع المعروف ، عميم الاحسان ، تصدق على القرب من وفاته بجملة كثيرة من ماله ورباعه ، وله وفادة على مراكش .

مشيخته (90) .

مَن روى عنه (91) .

ثناء الناس عليه المجال في هذا فسيح ، ويكفي قول عبد الرحمان الفازازي :

عجباً للناس تاهوا ... بثنيات المسالك

وصفوا بالفضل قوما ... وهم ليسوا هنالك

كثُر النقل ، ولاكن ... صح عن سهل ابن مالك

شعره : وشعره كثير شهير ، ومن نمط النسيب قوله وهو بسبتة بعد وصوله مراكش لما اجتمع مع جماعة من الأدباء ، فيهم المهر ابن الفرس وغيره بمدينة سبتة سنة 581 فتذكّروا محبوباً لهم يسكن الجزيرة الخضراء امامهم ، فقالوا ليقلْ كل واحد منكم شيئاً فيه ، فقال المترجم :

لما حططت بسبتة قتَبَ النوى ... والقلب يرجو ان تحول حاله

والجو مصقول الأديم كأنما ... يبدي الخفيَّ من الأمور صقاله

عاينتُ من بلد الجزيرة مكنساً ... والبحر يمنع ان يصاد غزالُه

كالشكل في المرءاة تبصره وقد ... قربت مسافته وعزَّ مناله

فقال الجماعة والله لا يقول احدٌ منا بعد هذا شيئاً .

ومن شعره :

تبسم واستأثرت منه بقبلة ... فشمت اقاحاً وارتشفت عقارا

ومرَّ فأيدي الريح ترسل شعره ... كما ستر الليل البهيمُ نهارا

---

90) لم ينقل المؤلف اسماء شيوخه ، وهي مثبتة في **الاحاطة** .

91) لم ينقل المؤلف اسماء من روي عنه ، وهي مذكورة في **الاحاطة** .

فيالك ليـلا بالكثيب قطعتـــه ... كما رعتْ بالزجر الغراب فطــارا
تغصُّ بنا زهرُ الكواكب غيـــرة ... فتقدح في فحـم الظـلام شـــرارا

ومن ذلك قوله :

ولمـا رأيت الصبحَ هبَّ نسيمـه ... دعاني داعيـه الى البين والشـت
وقلت اخاف الشمس تفضح سرنـا ... فقالت معاذَ الله تفضحني اختـي

ومن قوله في الحكم والأمثال :

منغص العيش لا يأوى الى دعـة ... مَن كان في بلد او كـان ذا ولـد
والساكن النفس مَن لم ترض همته ... سكنى مكان ولم يسكن الى احـد

محنته : وامتحن رحمه الله بالتغريب عن وطنه لبغي بعض حسدته عليه ، فأسكن بمرسية زماناً طويلا الى ان هلك بالمدينة الأمير محمد بن يوسف ابن هود ءاخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فسرح سهل الى بلده في رمضان من هذه السنة .

قال علي الرعيني دخلت عليه بمرسية وبين يديـه شمامة زهـر فأنشدني لنفسه :

وحامل طيب لـم يطيبْ بطيبـه ... ولاكنـه عند الحقيقـة طـيـب
تألف مـن اغصـان ءاس وزهـرة ... فمن صفتيـه زاهـر ورطيـب
تعانقت الأغصان فيه كما التقـى ... حبيبٌ على طول النوى وحبيـب
وان الذي أدنـاه بعد فـراقـه ... الي لسـرٌ في الوجـود عجيـب
مناسبة للبين كـان انتسابُهـا ... وكـل غريـب للغريـب نسيـب
فبالأمس في اشجـاره وبـداره ... وباليوم في دار الغريـب غريـب

تواليفه : صنف في العربية كتاباً مفيداً رتب الكلامَ فيه على أبواب سيبويه ، وله تعاليق جليلة على كتاب المستصفَى في اصول الفقه ، وديوان شعر كبير ، وكلامه الهزلي ظريف شهير .

مولـده في تسعة وخمسين وخمسمئة .

وفاتــه توفي بغرناطة منتصف ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وستمئة ، وزعم ابن الأبار ان وفاته كانت سنة اربعين وستمئة وليس بصحيح ، ودفن بمقبرة شقستر ، قال ابن عبد الملك : وكان كريم النفس ، فاضل الطبع ، نزيه الهمة ، حصيف الرأي ، شريف الطباع ، وجيهاً مبروراً معظماً عند الخاصة والعامة (92) وتقدمت ترجمة عبد الرحمان الفازازي (93) .

1552) سيدي بن المختار بن الهيبة الأبييري ثم الانتشائي ، قال في الوسيط : ونسبه الأصلي يرجع الى تندغ ، ثم ان فخده اولاد انتشايبيت كذلك ، وانما سكنوا في اولاد ابيير وتواشجت بينهم الأرحام ، ثم ان الله اعلا به اولاد ابيير وغيرهم ، هو العلم الذي رفع على اهل قطره ، واستظل به اهل دهره ، وما ذا اقول في رجل اتفق على انه لم يظهر مثله في تلك البلاد ، وقد راينا من احفاده ما يرفع العنــاد ، اذ من المعلوم انهم قاصرون عن مــداه ، او لم يجاوزوه الى ما وراه .

اشتغل في شبابــه بالعلوم وبــرع فيها بملازمتــه لحــرمـــة بن عبد الجليل العلوي ، وكان يخدمه خدمة العبد لمولاه ، فجازاه الله تعالى بذلك ، حتى ان تلاميذه كانوا لا يدخلون عليه الا حبواً على ركبهم اجلالا له .

وحدث من رآه في زمن اشتغاله عليه قال : ارسل حرمة المذكور الى التلاميذ ان يذهب احدهم الى المنهل ليسقي البقر فان العبد القايم بأمره غير موجود ، فلم ينتدب لذلك الا الشيخ سيدي ، فلما اتى بالبقر جعل يقرأ مع التلاميذ على ضوء النار ، فأرسل اليهم ايضاً ان يحلب احدهم البقر ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي ، ثم انه رجع بعد حلب البقر وجعل يقرأ ايضاً ، فوافى

---

92) ما تقدم منقول بالحرف مع اختصار من **الاحاطــة** 4 : 277

93) ينظر عن سهل بن محمد ابن مالك الأزدي : **برنامج الرعيني** ص 59 و **بغية الوعــاة** 1 : 605 ع 1287 و **التكملة** ع : 2007 (طبع مدريد) ، **والمغرب** 2 : 105 و **اختصار القدح المعلى** ص 60 و **مسالك الأبصار** 11 : 482 و **زاد المسافر** ص 96 و **الديباج المذهب** ص 125 و **الذيل والتكملة** (بقية السفر الرابع ص 101 ع 229) .

رسول من حرمة ايضاً بأن يحضر احدهم قرى الأضياف النازلين عنده ، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي .

ولما تضلع من علمه شد الرحل الى الشيخ المختار الكنتي بئازواد من مسيرة شهر ، واكثرها غامر ، ثم وصل اليه ولازمه ستة اشهر ، ثم مات الشيخ المختار فبقى عند ابنه سيدي محمد المعروف بالخليفة لقيامه مقام ابيه ، فلازمه عشرين سنة يخدمه فيها حتى برع في معرفة الطريق وعلم الأسرار ، ثم رجع الى بلاده ، فنزل اولا في تندغة اصله القديم ، فلم يكترثوا به ، ثم رجع الى قبيلته اولاد أبيير فتلقوه بما هو اهله واكرموه واعترفوا بفضله ، فلم تزل فضائله تبدو حتى اذعنت له الزوايا وحسان ، وصار مثل الملك بينهم فلا يعقب امره ، وكان اهلا لذلك ، كرماً وحلماً وعلماً ، ولم تزل الدنيا تنثال عليه ويفرقها في الناس ، وقدم مراكش في أيام المولى عبد الرحمان ، واظنه كان متوجهاً للحج ، فرجع بسبب المرض في الحجاز ، ونال حظوة عظيمة من السلطان .

وحدثني الفاضل عبد الرحمان الجزولي المعروف في مراكش بابن التلمود وكان ابوه كاتباً للمولى عبد الرحمان انه لما قدم مراكش وجد المولى سيدي محمد بن المولى عبد الرحمان ألكنَ لا يبين الكلام ، فتفل في فمه فانطلق بالكلام ، وكان يبحث عن الكتب في مراكش ليشتريها ، فاذا اراد أن يقضي الثمن يسلم الى البائع ما بقي عن المحاسبة بالغاً ما بلغ .

وكانت العرب في ارض شنگيط تجعله حرماً ءامناً ، فيجتمع عنده احدهم بمَن قتل اباه او اخاه فيجلسُهما على مائدة واحدة ، واذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به أمِن على نفسه ، ولم يمض عليه يوم الا وعنده ءالاف من الناس يطعمُهم ويكسوهم ويقضي جميع مئاربهم حتى لقي الله ، ولا يسأله احد حاجة الا اعطاه اياها بالغة ما بلغت .

وكان تلامذته يريدون ان يقللوا من ذلك فما امكنهم ، وسأله يوماً شخص حماراً فقال أعطوه الحمار الفلاني ، فقالوا انه غائب ، فقال اعطوه الجمل الفلاني ، فقالوا ان الحمار قد حضر ، فقال اعطوه اياهما معاً .

وجاءه احد ابناء شيخه فأعطاه جميع ما يملك من الدنيا ، ثم عاد اليه بعد ففعل ذلك ثلاث مرات .

وشكا اليه انسان سوء معاملة امرأته اياه ، فقال له وما مالكم ؟ فأخبره بأن عنده شيئاً من الغنم وحمارا وامة ، وقال ان هذا لامراته ، فدعا بأحد تلامذته وامره ان يعطيه غنماً وحماراً وامة ، وقال له انه سيسهل امرها .

وشكا اليه تلامذته المكلفون بالأضياف كثرتَهم ، فقال انحروا من الابل ما يكفي ، فقالوا انها مهازيل وليس فيها من السمان الا ناقة روى من لبنها اثنان لكثرته ، فقال انحروها فانها ستشبع مئة .

وكان يبلغه ان الطريق منقطع في الجهة الفلانية لعدم عمارتها فيفجر فيها الآبار ويبعث المئون الطائلة لقري المارين ، وفضائله اكثر من ان تذكر رحمه الله .

وكان مجيداً ، وما رويتْ له الا القليل ، قال يحض على حسن المعاشرة :

ايامعشرَ الاخوان دعوة نادب	الى الحق والمعروف ليس بكاذب
اعيروني الأسماعَ اهدِ اليكم	وصية مصفي النصح غير مخالب
فمن كان منكم ذا وداد وخلة	لمرتفع الأخلاق جم المناقب
ليسحبْ على عيب الخليل ذيولَه	ويسترْ فشأن الخل سترُ المعايب
خليلي لا ابدي الى مَن يذمه	طلاقةَ وجهي بل عبوسة حاجبي
احب الذي يهوى وابغض ما قلا	ولست عليه ان يزل بعاتب
واما دعا يوما لصدمة حادث	ألمَّ عليه كنت اول واثب
فمنزلة الاخوان فيها تفاضل	فمنهم لذيذ الطعم عند المصاحب
ومنهم زعاق لا تطاق طباعُه	معاشره يرتاح اذ لم يقارب
ومَن كان ذا لوح وهم وطاعة	فلا يدن للمستصبيات اللواعب
وما افسد الألواح والهم والتقى	كبيض التراقي مشرفات الحقائب
مراض العيون النجل حوٌ شفافها	رقاق الثنايا حالكات الذوائب

وله قصيدة بديعة يمدح بها ولي الله ، الشيخ المختار الكنتي ، وتستخرج منها ثلاث قصائد لكل منها بحر ، أعني انها كلها في بحر الكامل ،

ثم تقرأ اشطارها الأول فتكون قافية من بحر المديد ، ثم تستخرج من اوائل اشطارها الثواني قافية من بحر البسيط ، وليس في حفظي الا مطلعها وهو :

طلعت ببرجـك للبريـة أسـعـــد ايام جاد بك الزمـان الأجـــود

وله قصيدة اخرى مطلعها :

امعالم الميمونـة السعـــدى ذه ؟ ام انت ناظرهـا بمقلـة امـــره ؟

وسيمر بك في هذا الكتاب من امداحه ما يشهد لما قلت .

ورأيت من تئاليفه شرحاً على لامية الأفعال لابن مالك ، وبلغني انه شرح مقصورة ابن دريد .

واخبرني بعض الثقات انه مات سنة ثلاث وثمانين ومئتين والف او نحو ذلك ، رحمه الله رحمةً واسعة (94) .

وقال في ترجمة الهادي بن محمد العلوي ما نصه : ومن جيد شعره قوله يرثي الشيخ سيدي :

الأرض بعد الشيخ ثكلى يالـهـــا قـد زلزلت مـن فقـده زلزالَهـــا
أنَّى لهـا تجـد السـلــو وراءه عـز السـلـو وراءه انَّى لـهـــا
ياللجوائح والخطـوب اذا دهــت ذهب المعد لهن كـان فيـالهـــا
زرءٌ اصـاب العالمين جميعَهـــا اطفالهـا ونساءَهـا ورجـالَهـــا
كهف البريـة حامـل اعبـاءهـــا دون الورى ومصـدق ءامـالهـــا
غوث الأنام اذا السنون تتايعت (95) والأرضُ اصبح ماؤها صلصالَهـا
كم كاعب او فـارض او يـافــع او عائـل قدمت اليـه فعالَهـــا
كم عصبة ضربت اليه جيادهـــا وعصابة ضربت اليـه جمالَهـــا

94) ما تقدم منقول بالحرف من **الوسيط** ص 240

95) ذكر صاحب الوسيط ان التتايع بالياء هو الاسراع في الشر ، وعكسه التتابع بالباء : الاسراع في الخير ، وهو الأرجح فيهما .

تبغي حوائج من يديْـه كثـيـرة ... حطت لهن سروجَهـا ورحالَهـا
الواهب الجردَ العتاقَ وقد حمـت ... قصبَ الرهان اذا تجـول مجالهـا
ان العطيـة لا يتـم نفـادُهـا ... الا وأردف بعدهـا امثـالهـا
دار راى اقبالهـا ادبـارهـا ... وراى الورى ادبارها اقبـالهـا

ومنهـا :

مأوى الورى قطب الرحى من جـاءه ... يجد الرحى ابـداً تحك ثفـالهـا
ويجد كريمـة سؤلـه معقـولـة ... بالباب قد خضب النجيع عقالَهـا
تخشى المساء او الصباح سوامـه ... فكلاهما انتظرت بـه ءاجـالهـا
فالناسُ ينتجعـون سيب يمينـه ... لا سيفها وسنانهـا وبـلالهـا
كلم ليلة او بلـدة احيـاهمـا ... بالذكر والحفر المفيض زلالَهـا
لما رأى سبل الـرفـاق مضلـة ... عمر البلاد وهادَها ورمـالَهـا
منع البـلاد من ان تصـاب بسـيء ... حتى اجار من الرعـاة سيالهـا
واذا العداة مـع العـداة تقابلـت ... وضع العداة عن العـداة نبالهـا
وحمى جميع العالمين حمـايـة ... لم تحمها اسدُ الشرى اشبالهـا
لكنما المولى رحيـم بـالـورى ... فلتحمد المولى الذي ابقى لـهـا
مَن كان وارثَ سـره ومقامـه ... حذو الرجال على النعـال نعالهـا
اتت الخلافة مربعاً قـد طالمـا ... سحبت بـه من قبل ذا اذيالهـا
وتسنمت آرامهـا أرآمـهـا ... وتكنست اطلاؤهـا اطـلالـهـا

وهذا مابقي في خاطري منها ، وهي طويلة (96) .

وقال في الكلام على امثال شنقيط ما نصه :

(فهم اولاد ابييري) ، اولاد ابييري قبيلة من قبائل الزوايا في شنقيط ترميهم الناس بسقم الفهم ، وينسبون لهم حكايات عجيبة ، فمنها ان رجلا من غيرهم حكى انه مرَّ على اناس منهم يدفنون ميتاً ، فحضر لينال الثواب ،

96) **الوسيط** ص 75 .

فلما وضعوه في القبر صبّوا عليه شكوة من اللبن ، فقال لهم الغريب : ما هذا ؟ فقال له عالمُهم قال ابن ابي زيد : ويصبُّ عليه اللبَن ، الأصل ينصبُّ عليه اللبِن بكسر الباء ، فحرف هذا ، فقال الغريب تكفيه الشكوة الواحدة .

ومن ذلك ايضاً ان احدهم ولدت له ناقة قبل اوان ولادتها ، فجاءت بحوار ميت ، فسأل عن اباحة اكله ، فأجابه احدهم فوراً : أعليه زغب ام لا ؟ قال نعم ، قال يؤكل ، وسرد قول ابن عاشر :

او بمني او بانبات الشعر   او بثمان عشرة حولا ظهر

وقال ذلك ادبيزن عند آتنيتات ، ادبيزن بمعنى تعليمنا ، اذ نكثر مما نكتب ، واتنيتات بصيغة الجمع اسم موضع ، وبيت ابن عاشر انما هو في امارات بلوغ الشخص سنّ التكليف .

والناس يحكون عنهم كثيراً من هذا النوع ، وعلى تقدير صحته فانه زال من ظهور الشيخ سيديّ فيهم ، فانهم صاروا من ارقى تلك القبائل في العِلم والفهم (67) .

1553) **سير بن أبي بكر ابن تاشفين** الأمير الكبير من أمراء المرابطين (98) قال فيه الوزير الكاتب ابو محمد (عبد الغفور بن ابي القاسم محمد) ابن عبد الغفور الاشبيلي ، وكتب بها اليه في غزاة غزاها :

سرْ حيث شئتَ يحثّه النوار   واراك فيه مرادك الأقدار
واذا ارتحلتَ فشيعتك سلامة   وغمامة لا ديمةٌ مدرار
تنفي الهجيرَ بظلها وتنيمُ بالرش   القتامَ وكيف شئتَ تدار
وقضى الالهُ بأن تعودَ مظفراً   وقضت بسيفك نحبها الكفار

---

97) **الوسيط** ص 565

98) هو ابن اخي يوسف بن تاشفين واحد قواده واعاظم رجال دولته ، وهو الذي استنزل ملوك الطوائف عن عروشهم ، وكانت له مقامات صدق في الجهاد بالأندلس ولاسيما في معركة الزلاقة.

هذا غيرما تمناه الجعفي حيث قال : حيث ارتحلت وديمة ، وما تكاد تنفذ معها عزيمة ، واذا سفحت على ذي سفر ، فما احراها بأن تعوق عن الظفر ، ونعتها بمدرار ، فكان ذلك أبلغ في الاضرار .

ذكره في النفح (99) .

ويعجبني قول صاحبنا محمد بوعشرين .

الا فارقتَنا عمر بن عدي	ففارقنا التعاظم والتعدي
الى مراكش لا عدت منها	وانا سوف ننظر من يعدي

وفي سنة اربع وخمسمئة فتح المترجم مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والأشبونة وجميع بلاد غرب الأندلس ، وفي سنة سبع وخمسمئة توفي باشبيلية ودفن بها ، وهو الذي دخل على المعتمد على الله اشبيلية ، ولما فتح مدينة شنترين كتب بذلك كتاباً لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من انشاء كاتبه الوزير عبد المجيد ابن عبدون ، راجعه في 105 من المعجب (100) .

حرف الشين

1554) الشريف بن عبد الهادي العلوي

الشريف بن مولاي عبد الهادي ابن ولي الله مولاي أحمد بن محرز بن علي السجلماسي العلوي ، كان كثير النسك والسلوك ، لسانه لا يفتر عن ذكر الله ، استوطن مراكش داره بزاوية القطب الرباني سيدي أبي العباس السبتي نفعنا الله به ءامين ذكره في الشجرة الزكية .

---

99) القطعة في **نفح الطيب** (3 : 345) وفيه ان ابن عبد الغفور قالها في الأمير ابي بكر سير ، وهو يوافق ما عند الفتح في **قلائد العقيان** (ص 185 طبع تونس) وماعند ابن سعيد في **المغرب** (1 : 242) .

100) كذا في الأصل ، يقابل هذا الرقم 229 من طبعة المعجب بالقاهرة (1963) و ص 98 من طبعة سلا (1938) .

قلت كان المترجم المذكور يعتريه حال ، ولا يراقب احداً فيه حتى السلطان المولى عبد الرحمان ، وكان مصاهراً المولى المامون بن هشام خليفة مراكش ، وكانت له نوادر ، كثير الذكر للأسماء ، تلاقى مع بعض الأولياء .... في حوز مراكش ، فقال له قل ماشئت والف مثقال لا يشد عن صندوقك ولا تدعي السلطنة ، وتلاقي مع سيدي العربي بن المعطى الشرقاوي وأولياء عصره ، ولما وقعت ثورة اهل مراكش على عاملها القائد العربي الهداجي الرحماني بسبب رجل اصبنيولي من اصبانيا .... يقطر الحشيش واشتكى منه اهل مراكش اليه فلم يزل شكواهم فعزلوه وولوا مكانه القائد قاسم الرحماني ، وكان السلطان مولاي عبد الرحمان بالغرب وخليفته سيدي محمد في اول خلافته بها بعد عزل مولاي المامون في حدود الخمسين بمراكش فاشتكى له القائد العربي فخرج وركب فرسه وجاء لزيارة الشيخ ابي العباس السبتي ولمشاهدة الواقعة فأغلقوا دونه الباب باشارة المترجم ورجع وحلف على هدمها وبر قسمه بهدم بعضها وبنى فيها سوق المجادلية عام أربعة وستين ومئتين وألف ، ولما ورد مولاي عبد الرحمان لمراكش عزل قاسما المذكور وسجنه وغرب كثيراً من اهل مراكش لفاس .

1555) الشريف بن محمد العلمي

الشريف بن سيدي محمد بن المهدي الادريسي العلمي ، كان هيناً ليناً خاشعاً باراً بوالديْه على هدي حسن جداً مواظباً على الصلوات النبوية بجامع بن يوسف .

توفي .... بالسل عن نحو الأربعين سنة في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان عام 1318 ثمانية عشر وثلاثمئة والف رئي بعد موته عام 1323 فقال له الرائي ألست قدْ مت ودفناك ؟ فقال بلى ، ولاكنا اناس يحبهم الله ، لا يحجبهم قبر ولا غيره .

1556) **شعيب بن الحسين الأنصاري** ، ابو مدين ، رضي الله عنه ، أصلُه من حصن قطنيانة من عمل اشبيلية ، ثم نزل بجاية وأقام بها الى أن امر باشخاصه الى حضرة مراكش فمات وهو متوجه" اليها بموضع يسر (101) عام اربعة وتسعين وخمسمئة ، وقيل عام ثمانية وثمانين وخمسمئة ، ودفن بالعُبَّاد خارج تلمسان .

ذكره الشيخ أيوب بن عبد الله الفهري فقال : كان زاهداً فاضلا عارفاً بالله تعالى ، قد خاض من الأحوال بحاراً ، ونال من المعارف اسراراً ، وخصوصاً مقام التوكل ، لا يشقُّ فيه غباره ، ولا تجهل ءاثاره ، وكان مبسوطاً بالعلم ، مقبوضاً بالمراقبة ، كثير الالتفات بقلبه الى الله تعالى ، حتى ختم اللهُ له بذلك ، ولقد اخبرني مَن اثق به ممن شهد وفاته انه قال : رايته عند ءاخر الرمق يقول الله الحــق .

قال في التشوف (102) حدثنا محمد بن ابراهيم بن محمد الأنصاري قال : سمعتُ ابا مدين يحدث ببدء امره ويقول : كنت بالأندلس يتيماً ، فجعلني اخوتي راعياً لمواشيهم ، فاذا رأيت مَن يصلي أو مَن يقرأ أعجبني ودنوت منه ، وأجد في قلبي غماً لأني لا أحفظ شيئاً من القرءان ، ولا أعرف كيف أصلي ، فقويت عزيمتي على الفرار لأتعلم القراءة والصلاة ، ففررت ، فلحقني اخي وبيده حربة وقال لي : والله لئن لم ترجع لأقتلنَّك ، فرجعت واقمت قليلا ، ثم قويت عزيمتي على الفرار ليلا ، فأسريت ليلة وأخذت في طريق آخــر ، فأدركني أخي بعد طلوع الفجر وسلَّ سيفَه علي ، وقال لي والله لأقتلنك واستريح منك ، فعلاني بسيفه ليقتلني ، فلقيتُه بعود كان بيدي فانكسر سيفه وتطاير قطعاً ، فلما رأى ذلك قال لي ياأخي اذهبْ حيث شئت ، فذهبت الى البحر وعبرت الى طنجة ، ثم ذهبت الى سبتة ،فكنت اجيراً للصيادين ، ثم ذهبت الى مراكش فدخلتها ، وادخلني الأندلس معهم في جملة الأجناد ، فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطونني منه الا اليسير ، فقيل لي ان اردت أن تتفرغ لدينك فعليك

101) نهير يقع في الشمال الشرقي لتلمسان غير بعيد عنها ينصب في وادي تافنا .

102) وما سبق ايضاً منقول بالحرف من **التشوف**

بمدينة فاس ، فتوجهتُ اليها ولزمت جامعها ، وتعلمت الوضوء والصلاة ، وكنت اجلس الى حلق الفقهاء والمذكرين فلا اثبت علي شيء من كلامهم ، الى ان جلستُ الى شيخ ثبت كلامه في قلبي ،فسألت مَن هو ؟ فقيل لي هو علي ابن حرزهم ، فأخبرته اني لا احفظ الا ما سمعتُه منه خاصة ، فقال لي : هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان ، وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب ، ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات ابي يعزى فذهبت اليه في جماعة توجهتْ لزيارته ، فلما وصلنا جبل ايروجان ودخلنا على ابي يعزى اقبل على القوم دوني ، فلما احضر الطعام منعني من الأكل ، فقعدت في ركن الدار ، فكلما احضر الطعام وقمت اليه انتهرني ، فأقمت على تلك الحالة ثلاثة ايام حتى اجهدني الجوع ونالني الذل ، فلما انقضت ثلاثة ايام قام ابو يعزى من مكانه فأتيت الى ذلك المكان ومرغت وجهي فيه ، فلما رفعتُ رأسي نظرت فلم أر شيئاً وصرت اعمي ، فبقيت أبكي طول ليلتي :

قليل لمثلي زفرة ونحيب	وليس له الا الحبيب طبيب
وامثلُ ما يلقي المحب خضوعه	اذا كان مَن يدعوه ليس يجيب

فلما أصبحت استدعاني وقال لي اقرب ياالندلسي ، فدنوتُ منه فمسح بيده على عيني فأبصرت ، ثم مسح بيده على صدري ، وقال للحاضرين : هذا يكون له شأن عظيم او كلاماً هذا معناه ، فأذن لي في الانصراف ، وقال ستلقى في طريقك اسداً فلا يرعْك ، فان غلب عليك خوفْه ، فقل بحرمة يلنور الا ما انصرفت عني ، وسيلقاك ثلاثة من اللصوص تحت شجرة ، وستعظهم فيتوب منهم اثنان على يدك ، ويرجع الثالث ثم يقتل فيصلب على تلك الشجرة ، فوادعتُه وانصرفت ، فاعترضني اسد في الطريق فأقسمت عليه بأبي يعزى فتنحَّى عن الطريق الى ان جزت ، ومازال يتبعني الى أن خرجت من الشعْراء فرجع عني ، ثم أتيت على ثلاثة من اللصوص وهم قعود الى اصل شجرة ، فقاموا اليَّ فوعظتُهم ، فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم ، وذهب الثالث الى أصل الشجرة فقعد عندها ، فسمع به الوالي فبعث اليه من ضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة ، ولم أزل سائراً الى ان وصلت بجاية فأقمت بها .

وحدثني حسن بن محمد الغافقي الصواف وكان قد صحب ابا مدين نحواً من ثلاثين سنة ولازمه الى أن مات بيسير قال : سمعت الشيخ ابا مدين يقول كنت بقطنيانة ، فاردت التخلي عن الدنيا ، فسرت قاصداً نحو المغرب ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، فلاحت لي كدية على البحر وعليها خيمة ، فخرج الي منها شيخ وليس عليه الا ما يستر به عورته ، فنظر الي وظن اني اسير قد فررت من أرض الروم ، فسألني عن شأني فأخبرته ، فأخذ حبلا وربط في طرفه مسماراً فرمى به في البحر فأخرج حوتاً وشواه لي فأكلته ، فأقمت عنده ثلاثة ايام ، كلما جعت رمى بالحبل والمسمار في البحر فيخرج حوتاً ويشويه وآكله ، ثم بعد ذلك قال لي : أراك تروم أمراً فارجع الى الحاضرة ، فان الله لا يعبد الا بالعلم ، فرجعت الى اشبيلية ، ثم ذهبت الى شريش ، ومن شريش الى الجزيرة الخضراء ، فجزت البحر الى سبتة ، وذهبت الى فاس ، فلقيت بها الأشياخ ، فسمعت رعاية المحاسبي على علي ابن حرزهم ، وسمعت كتاب السنن لأبي عيسى الترمذي على علي ابن غالب ، وأخذت طريق التصوف على محمد الدقــاق وعلي السلوي ، فكنت اقيم بفاس وءاخذ ءايــة من القــرءان وحديثاً فأخرج الى موضع خال في جبل متصل بالساحل ، فاذا فتح لي بالعمل بالآية والحديث عدت الى فاس فآخذ ءاية وحديثاً كذلك فأعمل عليهما ، وكان الموضع الذي ءاوي اليه في الجبل عمراناً فطرأ عليه الخراب ، فلم يبق من بنيانه شيء قائم الا مقصورة المسجد خاصة ، فكنت اذا قعدت فيه تأوي الي غزالة فلا ادري هل كانت تأوى الى اهل ذلك المكان فرحلوا عنها وبقيت تأنس بالمكان ، أم كانت تأوي الي ، فكانت تأتيني متى جئت الى ذلك المكان فتشمني من قرني الى قدمي ثم تربض امامي ، فذهبت يوم خميس الى فاس وبت بها ليلة الجمعة ، فلقيت رجلا من الأندلس اعرفه ، فسألت ابا عبد الله ابن ابي حاج عن ثوب كان عنده ، فقال لي ما تريد ؟ فقلت له اريد ان يباع ويدفع ثمنه لهذا الرجل ويكون ذلك ضيافته ، فقال لي : خذ عشرة دراهم وادفعها له ، فأخذتها وطلبت الرجل فلم اجده ، وصررت الدراهم في صرة وجعلتها في مئزري وخرجت الى الجبل ، فمررت بقرية في طريقي فيها كلاب كثيرة ، وكنت اذا مررت بها تبصبص الي الكلاب وتدورُ بي ، فلما قربت من تلك القرية انكرتْني كلابُها

ونبحتني وما تخلصت منها الا بأن حال بيني وبينها اهل القرية ، فلما وصلت مكاني من الجبل جاءتني الغزالة وشمتني ثم تنحت عني ونظرتني نظراً منكرا ونطحتني مرة وثانيــة وثالثة بقرنها وانا اتلقى قرنيهــا بيدي ، فتفكرت في سبب ذلك وفي انكار كلاب القرية ، فعلمت انه من اجل الدراهم التي صررتها في مئزري فنزعتها ورميتها ناحية ، فنظرت الي وربضت امامي على عادتها ، فبت بذلك المكان واخذت الصرة وحملتها الى فاس ، فوجدت الرجل الذي اعددتُها لضيافته ، فدفعتها له ، ثم سرت الى الجبل على عادتي ، فمررت بالقرية التي في طريقي فبصبصت الكلابُ على عادتها ولم تنبحني ، فوصلت موضعي من الجبل فجاءتني الغزالة فشمت السلهامة من قرني الى قدمي فربضت امامي على عادتها .

قال ابــو مدين : وكنت ازور الشيخ ابا يعزى ، فأول مرة زرتــه مشيت مع رجلين فاشتهى كل منا طعاماً يأكله عنده ، فلما وصلنا قدم لكل واحد منا ما اشتهاه قبل الوصول اليه ، فأقمت عنده اياماً فرأيته في تلك الأيام يقدم الرجل للصلاة ، فان كان قارئاً مجيدا اقره ، وان كان لحاناً اخرجه ، وكان ابو يعزى امياً ولكنه رزق ادراك علم هذا .

قال ابو مدين : وقالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى ثبتت عندنا ولاية ابي يعزى ، ولكن نشاهده يلمس صدور النساء وبطونهن ، ويتفل عليهن فيبرأن ، ونرى ان لمسهن حرام ، فان تكلمنا في هذا هلكنا ، وان سكتنا حرنا ، فقلت لهم ارأيتهم لو ان ابنة احدكم او اخته اصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد مَن يعاينه الا طبيب يهودي او نصراني ، الستم تجيزون ذلك مع ان دواء اليهودي والنصراني مظنون ؟ وانتم من معاينة ابي يعزى على يقين من الشفاء ، ومن معاينة غيره على شك ، فبلغ كلامي ابا يعزى فكان يقول اذا رايتم شعيباً فقولوا له عسى أن يعتقني ، كأنه استحسن جوابي عنه .

قال أبو علي : وكان ابو مدين يقول رايت اخبار الصالحين من زمان اويس القرني الى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار ابي يعزى ، وينبغي أن تكتب بالذهب .

وسمعت الحسن الصواف يقول سمعت ابا مدين يقول : الملتفت الى الكرامة كعابد الوثن ، فانه انما يصلي ليرى كرامة ، قال أبو علي ولما احتضر أبو مدين استحييت أن أقول له أوصني فأتيته بربيبه وقلت له هذا فلان فأوصه ، فقال لي سبحان الله ، وهل كان عمري معكم كله الا وصية ، وأي وصية أبلغ من مشاهدة الحال ، فسمعته عند النزع وهو يقول الله الله حتى رق صوته .

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام علي القلب بالخفقان
فلما رءاني الوجد انك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عيان

سمعت محمد بن ابراهيم الأنصاري يقول : خرج ابو مدين الف تلميذ ظهرت على كل واحد منهم كرامة .

حدثني محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري قال : سمعت الشيخ ابا مدين يقول رايت من واصل ستة اشهر ، وذكرت عنده العقبات السبع التي في كتاب منهاج العابدين ، فقال رايت مَن قطعها كلها في سبعين عاماً قطع كل عقبة منها في عشرة أعوام ، ورايت من قطعها كلها في ساعة كابراهيم ابن ادهم الذي قطعها كلها في ساعة واحدة ، وجاء التوفيق من الله .

حدثنا محمد بن خالص الأنصاري قال حدثني ابو الربيع المديوني قال : وصل رجل من اهل المكاشفة الى تلامذة ابي مدين ، فأنكر عليهم بعض امرهم ، فأعلموا ابا مدين فقال لهم سيسلب ما وهب ، فسلب المكاشفة ، فتغير قلب ذلك الرجل ، وصار كأحد العامة ، نعوذ بالله من الخذلان :

قف بالديار فهذه آثارهم ... وابكِ الأحبةَ حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا ... عن اهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في حبهم ... فارقت مَن تهوى وعزَّ الملتقى

حدثنا ابراهيم بن محمد الأنصاري قال : حدثنا عبد الله بن ماكسن الصنهاجي قال : جاء رجل الى الشيخ ابي مدين ليعترض عليه ، فأراد القارىء أن يقرأ عليه الكتاب ، فسكّته ابو مدين وقال له : اسكت ، ثم التفت الى الرجل وقال له : لم جئت ؟ قال له جئت لأقتبس من انوارك ، فقال له ماهذا الذي في كمك ؟ فقال له مصحف ، فقال له ابو مدين اخرجْه ، فأخرجه ، فقال له اقرأ اول سطر ، ففتحه وقرأ اول سطر منه ، فاذا فيه (الذين كذبوا شعيباً كأنْ لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) ، فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا ؟

سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري يقول ، سمعت ابا مدين يقول : جاءني رجل من الصالحين ، فقال لي رأيت البارحة في النوم حالة عظيمة لجماعة من الصوفية ، فيهم أبو زيد البسطامي وذو النون المصري وغيرهما من المشايخ ، وهم على منابر من نور ، وابو طالب المكي على منبر من نور ، وابو حامد الغزالي على منبر يقابله ، وابو طالب يسأل اولئك الصوفية فيجيبه كل واحد بمبلغ علمه ، فقال ابو طالب لأبي حامد : اين غابت هذه العلوم التي يصرفها ابو مدين في دار الدنيا ؟ فقال له أبو حامد : هذا هو عن يمينك فاسأله ، فقال له أبو طالب ياابامدين : اخبرني عن سر حياتك ، فقال : بسر حياته ظهرت حياتي ، وبنور صفاته استنارت صفاتي ، وبديمومته دامت مملكتي ، وفي توحيده افنيت همتي ، فسر التوحيد في قول لا الاه الا انا ، والوجود بأسره حرف جاء لمعنى ، فبالمعنى ظهرت الحروف ، وبصفاته اتصف كل موصوف ، وباسمه ائتلف كل مالوف ، فمصنوعاته له محكمة ، ومخلوقاته له مسملة ، لأنه خالقها ومظهرها ، ومنه مبدؤها واليه مرجعها ، كما اظهرهما ذراً ، فقال (ألست بربكم قالوا بلى) ، ياأبا طالب ، هو لوجودك محرك ، هو الناطق والممسك ، وان نظرت بالحقيقة تلاشت الخليقة ، فالوجود به قائم ، وامره في مملكته دائم ، وحكمه في خلقه عام ، كحكم الأرواح في الأجسام ، الحواس به بانت على اختلاف انواعها ، منها اللسان للبيان ، ومع ذلك لا يشغله شأن عن شان ، فقال له ابو طالب : من اين لك هذا العلم يا ابا مدين ؟ فقال له : لما امدني بسره ، غرف وادي من بحره ، فامتلأ وجودي نوراً ، واثمر غيبة

وحضوراً ، وسقاني شراباً طهوراً ، وأذهب عني ضلالا وزورا ، فغشيتْ انواره اخلاقي ، فنظرت الباقي بالباقي :

فــاح الندي بمنطقي فتنــازعــوا أبأسحــل استــاك ام بــــأراك ؟
هيهات عهدي بالســواك وانــمــا شفةُ الحبيب جعلتُها مسواكــي
ويظنُّ مَن سمع الحديثَ بـأنــه حــق ، بلى ومدبــرِ الأمــــلاك
رؤيــا رايت وان مَن احببتــــه لمنـــزه عــن مــهــنــة الادراك

حدثني حسن بن محمد الغافقي ، قال حدثني ابو مدين ، قال صليتُ مع عمر الصباغ صلاة المغرب ، فلما سلمنا قال لي رايت انا في الصلاة ثلاثاً من الحور أو اربعاً وهن يلعبْن في ركن البيت ، فقلت له ارأيتَهن ؟ فقال لي نعم ! فقلتُ له اعد صلاتك ، فان المصليَ انما يناجي ربه ، وانت انما ناجيت الحــور (103) .

وممن عرف بأبي مدين ابنُ الأبار في التكملة ، وابن الزبير ، وصاحب النجم الثاقب ، وصاحب عنوان الدراية ، وابن باديس ، وابن قنفذ في انس الفقير ، والجذوة ، ونفح الطيب ، وصاحب الشذرات ، وغيرهم كصاحب المعزى ، ذكر ان الشيخ ابا يعزى وعده بالمقامات العظيمة لما وادعه في انصرافه للمشرق ، ثم قال وستهدى لك جارية حبشية ويولد لك معها ولد ، فان عاش فسيكون له شأن عظيم ، فاهدى له تاجر ببجاية جارية ، فما كان الا يسير فولدت له ولداً سماه محمداً ، فحفظ القرءان في امد يسير ، وظهرت له فراسة وكرامة ، ثم اخترمتْه المنية صغيراً ، ثم ان الشيخ ابا مدين تعرف بعرفة بتاج العارفين مولانا عبد القادر الجيلاني ، فقرأ عليه بالحرم الشريف كثيراً من الحديث ، وألبسه خرقة التصوف ، واودعه كثيراً من اسراره ، وحلاه ملابس انواره ، ويحكى ان سيدي ابا مدين كان يفخر بصحبته لسيدي عبد القادر ، ويعده من أفضل مشايخه الأكابر .

---

103) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 316 ع 102

قال صاحب النجم : كان أبو مدين رحمه الله تعالى من أعلام العلماء وحفاظ الحديث ، وكانت ترد عليه الفتاوي في مذهب مالك فيجيب عنها ، ويحكى انه بلغ في قراءة القرءان الى سورة تبارك ، وشيخه سيدي ابو يعزى روى انه قرأ الى ءاخر سورة الزلزلة ، فلما بلغ (فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومَن يعمل مثقالَ ذرة شراً يره) ، قال حسبي ، وتلمذ له الشيخ الامام عبد الحق الاشبيلي صاحب الأحكام ، والقاضي الصالح عبد الحق المسيلي صاحب التذكرة ، فقال للأول امرك النبي صلى الله عليه وسلم ان تقرأ علي القرءان ، قل بسم الله ، فسمى وقرأ الفاتحة حتى ختمها ، فقال له الشيخ اقرأها على الوجوه السبع ، ثم قال له فسرها بأتم الوجوه الى أن بلغ (اياك نعبد واياك نستعين) ، ثم قال له الشيخ لو كنت تستعين بالله لما استعنت بالسلطان والوزير ، فتكلم عبد الحق الاشبيلي كالمستعذر ، فقال له الشيخ ان كنت متعلماً فاسمع واشتغل بما يعنيك والزم بيتك ، فان الله يكفيك ، وعن سائر الخلق يغنيك ، فقال له صدقتَ وفعل ما امره به ، فروي ان الأمير والوزير ورد على بلده فلم يخرج اليه على ماكان من عادته ، فسأل عنه فتكلم مَن له غرض وقال ان عبد الحق تكبر عليك ، فقال الأمير العلم يُوتى ولا يأتي ، فزاره في داره ، فصار بعد ذلك عبد الحق الاشبيلي اذا دخل على الشيخ ابي مدين يجد من المواهب الربانية والعلوم اللدنية والغرائب كما ذكر ذلك الامام ابن العربي الحاتمي المعروف بابن سراقة .

وللشيخ ابي مدين كلام وادعية وشعر .

وقوله عبد الحق المسيلي سماه في عنوان الدراية : حسن بن علي بن محمد ، وكناه بأبي علي ، وترجم له في 13 وراجع ص 6 منه .

وحكى صاحب النجم عن أخص أصحابه واكبر تلامذته صالح الدكالي الماجري القرشي المخزومي رضي الله عنه قال : كنت يوماً عند الشيخ ابي مدين في جملة من اصحابه ، واذا به طأطأ رأسه وقال اللهم اني اشهدك واشهد ملائكتك اني سمعت واطعت ، فسأله بعض أصحابنا عن ذلك ، فقال لهم : الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني صعد منبره في مجلس وعظ في بغداد في هذه الساعة ، وقال

قدمي هذا على رقبة كل ولي ، وقد أمرنـا بالسمع والطاعة ، قال صالح : فأرخنا ذلك اليوم ثم بعد ذلك قدم اصحابنا المسافرون من بغداد فحدثونا بهذه المقالة عن سيدي عبد القادر في ذلك اليوم بعينه ، قلت وأورده في بهجة الأسرار بسنده الى صالح بنحوه ، راجع صحيفة 15 منها .

ومن أعيان تلامذة ابي مدين الذين بلغوا في المغرب الف شيخ للهداية اربعة أقطاب : الشيخ جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة الخزاعي بشرق الأندلس من عمل شاطبة ، والشيخ عبد العزيز بن ابي بكر القرشي المهدوي بمرسى جرام ، والشيخ عبد الرزاق الجزولي دفين الأسكندرية (104) .

قال صاحب النجم وغيره من كرامات سيدي ابي مدين ان السلطان يعني يعقوب المنصور الموحدي لما روعه واهمل حقه خوفاً على دولته وطمعاً في حياته وبقاء ملكه ، عاقبه الله بنقيض مقصوده ، فكانت وفاة هذا السلطان بعده بسنة ، قال في (المعزى) قلت بل اقل من ذلك ، وعاش منغصاً بمرض تطاول به ما يقرب من سبعة أشهر حتى توفي منه ، وهكذا سنة الله مع أوليائه لا يروعهم احد ويقتحم حرمتهم او يهتك سترهم الا هتك الله ستره ، وهذا مجرب من لدن زمان اويس القرني الى الآن ، ولا نظن ان ظالماً تجرأ على أولياء الله تعالى وتكون عاقبته خيراً أبداً .

ويحكى عنه أنه لما كان في سكرات الموت كان يكرر (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الى ءاخرها ، وينشد :

ما عودونـي أحبائـي مقاطعـة بل عودوني اذا قاطعتهم وصلـوا

وما زال يكرر الآيات مع البيت حتى خرجت روحه رحمه الله تعالى .

واكبر تلامذة ابي مدين قدرا صالح قيصار بن عقيان بن الحاج يحيى يلاضت ، هكذا وجد بخط يده نسبه هذا ، ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن أحمد ابن حجون المغربي ، ومحمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي اندلسي ثم نزل بيت المقدس وبه توفي عن خمس وخمسين سنة ، وقبره مقصود للزيارة ،

---

104) سقط الرابع من اعيان تلامذة ابي مدين من النسخة الأصلية .

وكانت وفاته سنة 599 ، وموسى ندراس الحلاج آية الله في المكاشفة ، ومحمد بن ابراهيم الأنصاري ، وأبو مسعود بن عريف من جبال شلف ، وغيرهم .

واعلم ان ابا مدين فُتح له في مقامات ممزوجة بالعلم والعمل والحال قل ان يدركها افراد الأفراد ، ومن اصحابه ايضا محمد بن احمد الصنهاجي ، وسيدي عبد الله البوني ، وابو عبد الله النفطى ، والشيخ ابو عبد الله الهمداني ، وطاهر الجدوعي ، وابن همداس ، ومحفوظ بن جعفر ، وسالم التباسي ، وربيع الأنصاري البجائي وغيرهم ، وقد عرف بهم في (المعزى) .

ثم اعلمْ ان ابا مدين له من الأشياخ ابو يعزى قدوة وتصوفاً وخرقة وصحبة ، وابو عبد الله ابن الدقاق وابو الحسن السلوي تصوفاً وصحبة فقط ، وعلي ابن حرازم وعلي ابن غالب تلميذ الامام ابن العريف وابن الصباغ في العلوم الشرعية ورواية الحديث ، انتهى .

ومن تلاميذة ابي محمد صالح محمد بن ابي القاسم السجلماسي العابد الزاهد المترجم في 72 من عنوان الدراية ، وممن لقيه المحصل المتقن يحيى بن علي بن حسن ابن حبوس الهمداني المترجم في 150 من عنوان الدراية ، وشيخ ابي مدين المذكور ابو عبد الله الدقاق مترجم في التشوف .

وما احسن قول ابن باديس في سينيته :

واما ابـو يعزى فشيخ شعيبهـــم	وبالغرب حلا للافـادة والحـــرس
وحالُهما قدْ عمَّ الأقطار نورهـــا	بمقتصد في وصفه معجـز النفـس

وقال في بهجة الأسرار : الشيخ ابو مدين شعيب رضي الله عنه ، هذا الشيخ من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين وعظماء العارفين ، وأيمة المحققين ، صاحب الكرامات الخارقة ، والأفعال الظاهرة ، والأحوال العزيزة ، والمقامات العلية ، والهمم السامية ، صاحب الفتح السني ، والكشف الجلي ، والحقائق النفيسة ، والمعارف الجليلة ، له التصدر في مراتب القرب ، والتقدم في منازل القدس ، والسبق في طرق الملكوت ، والترقي في معارج الوصل ،

والتعالي في مدارج المعالي ، والنظر الخارق في عوالم الغيب ، وله القدم الراسخ في التمكين الموطد ، والباع الطويل في التصريف النافذ ، واليد البيضاء في احكام الولاية ، والقوة الشديدة في أحوال النهاية ، والمظهر العظيم بخرق العوائد وقلب الأعيان ، وهو احد أوتاد المغرب ، واحد اركان هذا الشأن ، واجلاء ائمة (المغرب) البارعين ، وساداته المحققين ، واعلام العلماء بأحكامه ، واولى الاسد ؟ والابصار بمناهجه ، وهو أحد مَن اظهره الله تعالى الى الوجود ، وصرفه في العالم ، ومكنه في الأحوال ، وملكه الأسرار ، واظهر على يديه العجائب ، وانطقه بفنون الحكم ، واجرى على لسانه لطائف الأسرار ، وأوقع له القَبول العظيم والهيبة الوافرة في قلوب الخلق ، وقصد بالزيارات من كل قطر ، واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً ، وهو أحد مَن جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة ، وافتى ببلاد المغرب على مذهب الامام مالك بن انس رضي الله عنه ، وناظر واملى ، وقصده طلبة العلم واخذوا عنه ، واجتمع عنده جماعة من الفقهاء والصلحاء وانتفعوا بكلامه وبصحبته ، وانتهت اليه رياسة هذا الشان ببلاد المغرب ، وتخــرج بصحبته غيرُ واحــد من اكابــر مشايخها ، مثل الشيخ عبد الرحيم بن احمد ابن حجون المغربي ، والشيخ القدوة محمد بن ابراهيم القرشي ، والشيخ محمد الفشتالي الفاسي ، والشيخ القدوة ابي محمد صالح بن ويرجان الدكالي ، والشيخ ابي غانم سالم ، والشيخ ابي علي واضح ، والشيخ ابي الصبر ايوب المكناسيين ، والشيخ ابي حامد عبد الواحد ، والشيخ ابي الربيع المظفر ، والشيخ ابي زيد بن هبة الله الورثي وغيرهم رضي الله عنهم ، وتلمذ له جماعة من أهل الطريق ، وقال بارادته جم (غفير) منأصحاب الأحوال ، وانتمى اليه عالم عظيم من الصلحاء ، وأجمع العلماء والمشايخ على تعظيمه واحترامه ، واعترفوا بفضيلته ، ورجعوا الى قوله ، وتأدبوا بين يديْه ، وكان جميلا ظريفاً متواضعاً زاهداً ورعاً محققاً مشتملا على أكرم الشيم وأشرف الصفات وأطيب الأخلاق واكمل الآداب ، مع اقبال شديد على المجاهدة ، وثبوت دائم على محافظة الأوقات ومراعاة الأنفاس والقيام بوظائف الشرع ، وكان له كلام عال نفيس على لسان أهل الحقائق ، ثم ارود بعضه وجملة من كراماته الباهرة ، كسقيه من الكاس حين قراءة قوله تعالى (ويسقون فيها كاساً

كان مزاجها زنجبيلا) ، واشهاده مقام الفريقين حين قراءة قوله تعالى (ان الأبرار لفي نعيم ، وان الفجار لفي جحيم) ، ورؤيته مُقاتلا للكفار في غزوة الأرك حتى انتصر المسلمون بسببه ، وهو لم يذهب لها ، وكان بينه وبين موضع القتال أكثرُ من شهر ، وتدليله للأسد ، ودفعه للرجل الذي اكل منه حماره الى أن جاءه به ، وامتناع السفينة من التحرك لما اسره ووضعه فيها الفرنج مع جماعة من المسلمين الى ان شرط عليهم اطلاق الجميع ، فلما سرحوهم انطلقت السفينة ، وملء دواليه بالعنب الذي لا نوى له بعد ان جنيت ولم يبق بها شيء ، وطلوع سمكة بخاتمه الذي سقط له في البحر ، ورجوع غروده ؟ صحيحاً فيه السويق بعدما تكسر ، واشراق شجرة بصحراء لما طلب منه مريدوه الضوءَ خوفاً ممن يؤذيهم ، ودوران الطيور حول مجلسه لسماع كلامه ، وتصفيق بعضها بجناحيه حتى سقط ميتاً ، ومات رجل ممن كان حاضراً ، وغير ذلك رافعاً ، ونحوه في قلائد الجواهر وطبقات الامام الشعراني الكبرى .

وقال في نظم رجال البهجة :

ولذْ بشعيب في الشدائد تنجلى ... ابي مدين مفتاح كل غنيمة
كرائمه لم يحوها العدُّ كثرة ... ويكفيك منها ماجرى في السفينة
وفي بابه رحل اشتباكي حططته ... وقلت لصحبي قد ارحتُ مطيتي

وقال في النفح : وله نظم كثير مشهور بأيدي الناس ، ومما ينسب له قوله :

بكت السحاب فأضحكت لبكائها ... زهر الرياض وفاضت الأنهار
وقد اقبلت شمسُ النهار بحلة ... خضرا وفي اسرارها أسرار
واتى الربيع بخيله وجنوده ... فتمتعت في حسنه الأبصار
والورد نادى بالورود الى الجنى ... فتسابق الأطيار والأشجار
والكأس ترقص والعقارُ تشعشعت ... والجو يضحك والحبيبُ يزار
والعودُ للغيد الحسانِ مجاوب ... والطار اخفى صوتَه المزمار
لا تحسبوا الزمرَ الحرامَ مرادنا ... مزمارنا التسبيحُ والأذكار

وشرابنـا من لطفـه وغناؤنـــا	نعم الحبيب الواحـد القـهـــار
والعود عادات الجميل وكأسُنـــا	كأسُ الكياسة والعقار وقـــار
فتألفـوا وتطيبـوا واستغنمـــوا	قبلَ الممـات فدهركـم غـــدار
والله أرحـمُ بالفقيـر اذا اتـــى	من والديـه فـانـه غـــفـَّـــار
ثم الصلاة على الشفيع المصطفـى	ما رنمت بلغاتهـا الأطـيـــار

وللولي الصالح سيدي محمد بن عبد الرحمان الحوضي مخمساً قصيدة المترجم المشهورة في الاستسقاء :

يامَن برحمتـه الأرزاق تنبســط	يامَن يغيث الورى من بعد ما قنطوا
يامن يعامل بالاحسان ان قسـطوا	يامن يغيثُ الورى من بعد ما قنطوا

ارحم عبيداً أكفً الفقر قد بسطوا

وممن ترجم لأبي مدين صاحب السلوة صحيفة 364 من الجزء الأول

وقد زرته رضي الله عنه في أوائل ربيع النبوي عام ثلاثة واربعين وثلاثمئة والف ، ثم زرته ثانياً لما رجعتُ من تونس في خامس وعشري صفر عام خمسة واربعين ، ثم زرته ايضا بعد ذلك .

وقد ذكر في عنوان الدراية ان الدعاء عند قبره رضي الله عنه مستجاب ، وكذلك الدعاء عند قبر الشيخ يحيى الزواوي ببجاية وقبر الشيخ ابي مروان اليحصبي ببونة ، وقبرِ معروف الكرخي ببغداد نفعنا الله بخالص النيات ، واعاننا على الأعمال الصالحات . انتهى .

وقال بلدينا في (درر الحجال) بعد ان ذكر ترجمة سيدي يوسف بن علي صاحب الغـار بمراكش ولواحقها مانصه : وقـد آن ان المَّ بطرف من التعريف بالشيخ ابي مدين الغوث رحمه الله ، لأنه عم سيدي يوسف رحمه الله ، وعم الرجل صنو ابيه ، ولجريان ذكره في هذه الترجمة ، ولكون غالب الطرق الموجودة في المغرب والمشرق وخصوصاً الشاذلية ترجع اليه ، انتهى المقصود .

وقال زين العابدين السيد محمد افندي . . . . الحسيني في (عقود اللئالي ، في الأسانيد العوالي) المتصلة بالشيخ محمد شاكر مقدم سعد العمري عنه ذكر المسلسل بتلقين . . . . لا اله الا الله عن السيد الكبير ،

والمولى الشهير ، احمد البدوي ، عن السيد عبد السلام بن مشيش الحسني ، عن الشيخ ابي مدين المغربي ، وهو عن الامام ابي يعزى ، وهو عن الامام نور الدين علي ابن حرزهم ، وهو عن الامام الحافظ ابي بكر محمد بن عبد الله المعافري ، وهو عن الامام ، حجة الاسلام ، ابي حامد الخ ، وقد شرح الأستاذ ابو محمد الهبطي قصيدته .

ومـمن ترجمه صاحب التحفة القادرية ، وقـال الشيخ مرتضى في صفحـة 388 من ج 7 من تـاج العروس لمـا ذكـر صاحب القامـوس الامام ابـا الحسن الشاذلي ما نصه : واختلف في أخـذ سيدي ابي الحسن الشاذلي ، فقيل اخذ عن سيدي عبد السلام بن مشيش عن ابي محمد صالح ، عن أبي مدين الغوث ، وذكر القشاشي في السمط المجيد ان سيدي عبد السلام اخذ عن ابي مدين من غير واسطة ، قال أبو سالم العياشي والتاريخ يقبله ، واخذ الامام ابو الحسن ايضاً عن أبي الفتح الواسطي شيخ مشايخ الرفاعية بمصر ، وسند هذه الطريقة وكيفية تسلسلها الى فرق قد بيناه في كتابنا العقد الثمين وفي اتحاف الأصفياء وغيرهما من الرسائل . انتهى .

وقد اثبت في عنوان الدراية من كلامه ما يدل على علو مقامه ، قال من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه ، وقال احذر محبة المبتدعين فهو ابقى على دينك ، واحذر محبة النساء فهو ابقى على قلبك ، راجعه من صفحة 11 و 13 (105) .

---

105) ينظر عن ابي مدين الغوث : شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي دفين تلمسان : **انس الفقير ، وعز الحقير** طبع الرباط سنة 1965 **وعنوان الدراية** ص 22 ع 1 طبع بيروت سنة 1969 و **جامع كرامات الأولياء** 2 : 39 و **شذرات الذهب** 4 : 303 و **سلوة الأنفاس** 1 : 364 و **البستان ، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص** 108 و **نيل الابتهاج** ص 127 و **شجرة النور الزكية** 1 : 164 و **تعريف الخلف ، برجال السلف** 2 : 172 و **لواقح الأنوار** 1 : 154 و **السعادة الأبدية** .

وللشيخ ابي مدين كتاب **حرز الاقسام** محفوظ في مكتبة بايزيد باسطمبول تحت عدد 253 ومنه نسخة خطية اخرى بالمكتبة السليمانية باسطمبول محفوظة تحت عدد 398 وله ايضاً بالمكتبة السليمانية رسالة في التصوف محفوظة تحت رقم 1810 وبها رسالة اسمها حكم ابي مدين محفوظة تحت رقم 613 .

وبعد ترجمة الشيخ ابي مدين الغوث اورد المؤلف ترجمة ابي شعيب بن محمد الدكالي الزبوجي ، وهي مثبتة في الجزء الأول من هذا الكتاب ، ثم عنون لشقرون الفخار ، فقال تقدم فيمن اسمه محمد ، ثم عنون للشيخ بن المنصور السعدي المتوفى في 5 رجب سنة 1022 هـ وقال انه تقدم في المحمدين ، ولابن شبونة تلميذ اشيخ سالم بن سلامة السوسي وقد اثبتناه في حرف الهمزة من الجزء الأول .

حــرف الــهــاء

1557) **الهادي المراني** ، الشيخ الامام الشريف العلوي ، امام الضريح الادريسي ، دخل مراكش في اليوم الذي توفى فيه العلامة المحدث سيدي محمد بن الطاهر العلوي منتصف جمادى الأولى عام ثمانية واربعين ومئتين والف ، وصلى عليه رحمهما الله .

1558) **الهادي بن محمد بن عمر العباسي القاضوي المراكشي** ، صنو القاضي السيد السعيد والسيد المطيع ، وهو أصغر من الأول وأكبر من الثاني ، واخوهم السيد أحمد صاحب الأزجال الشهيرة اصغرهم .

كان المترجم فقيهاً مشاركاً مفتياً محققاً ، وقفت على بعض فتاويه على قضايا عام 1255 خمسة وخمسين ومئتين والف ، وهو والد القاضي السيد محمد بن الهادي ، وقد ذكر في (الحسام المشرفي) ان المترجم كان يحضر في قراءة الصحيح مع السلطان سيدي محمد .

1559) **هارون بن عبد الله بن محمد بن هارون السماتي الاشبيلي ،** نزيل مراكش ، الأديب الكاتب البارع ، له قصيدة في الشيخ ابي عبد الله ابن رشيد البغدادي صاحب الوتريات المتقدم الترجمة اولها :

اواعظَنا جلتْ لدينا بك النعمـــى ... فنلنا الذي كنا نهيم به قدما (106)

راجعها في ترجمة الممدوح بها .

1560) **هاشم بن الصديق بن قاسم المدغري** ، من ذرية مولاي محمد بن علي بن طاهر ، دخل مراكش في ايام مولاي عبد الرحمان ، كان عالماً فاضلا كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، واجازه الكوهن وبدر الدين

---

106) انظر 4 : 249 من هذا الكتاب

الحمومي وغيرهما ، وتوفي بمدغرة اواسط القرن الثالث عشر ، وكان من مقدمي الطائفة الصادقية .

1561) هاشم بن مَحمد المدغري

هاشم بن مَحمد بن مُحمد بن مَحمد بن عبد الله بن طاهر بن عبد الكريم بن علي ابن طاهر المدغري ، كان عالماً مشاركاً في عدة فنون ، قرأ على القاضي مولاي عبد الهادي العلوي ، وعلى الفقيه السيد ممحد بن عبد الرحمان الحجرتي ، وعلى سيدي عبد السلام الأزمي وطبقتهم ، رحل به والده لفاس بقصد قراءة العلم ، وكان والده يقرأ اولاد القاضي المذكور القرءان ، منهم ابو العلاء ، ثم رجع مليءَ الحقيبة لبلده مدغرة ، ثم استوطن الغرفة وتزوج بها واقرأ بها عدة فنون وتفسير القرءان العظيم بتفسير ابن عطية ، وحضر عليه غير واحد من علماء سجلماسة وغيرهم ، منهم ابن عمه القاضي سيدي محمد بن محمد ولازمه مدة ، وهو احد عمده ، وله حاشية على مختصر السعد على التلخيص أحرقها بعض حسدته من أهل الغرفة بسجلماسة فضاعت ، وكان يدرس بأسرغين أعظم قرى الغرفة ، وحصل له شهرة وصيت عظيم في تلك البـــلاد .

توفي اواسط العشرة السابعة بعد أن درس بالقواعد الثلاث بسجلماسة وفاس ومراكش ، وأخذ عنه جماعة من أهل العلم ، منهم الفقيه سيدي احمد ابن الخياط ، والفقيه سيدي الحاج محمد ازنيط .

ووقفتُ لمولاي هاشم العلوي على رسالة ارسلها الى السلطان مولاي عبد الرحمان نصهـــا : بعد تعمير الديباجة بأخمص مَن لاحظ رعيته بعين الاهتمام ، ورعى لحسن رعايته ذا الرعي للدين الموصول المستدام ، سيدنا الذي قصرت عن ادراك شأوه في نصح عباد الله الجموع ، وأخصب له في الخافقين في سماء الخلافة وارض التواضع اعلام الثناء المرفوع ، ينبوع الفضائل ومركز الاحسان ، ابا المفاخر والمثائر مولانا عبد الرحمان .

فليعلم سيدنا أيده الله تأييداً ينظم المزايا تاجاً ، ويوضح لسعادة الدنيا واقتناء كل مكرمة عليا طريقا لا حبا ومنهاجاً .

ومنها : جاءني لما منّ الله عليّ بأن نلت من زيارة محياه املي ، وامطر من صوب سماء نوره في الترغيب في العلوم ما تمّ به توالي لديه وصولي ، كان من جملة ما أملاه علي قوله عليه الصلاة والسلام : اذا مات المرء انقطع عمله الا من ثلاث الحديث ، فوقع مني موقعاً كأني ما الفيتُ له قبل ذلك مسمعاً ، ففهمت لسيدنا مع مخالفة الحيا ، وتعجبي مما نزل من سماء علومه من الحيا ، ان ما اقتضا لي الحديث بظاهره من الانحصار غير مراد مستدلا بقول الأسيوطي :

اذا مات ابن ءادام ليس يجري   عليه من خصاله غير عشر

فأطرق ملياً ، وكنت من علومه واجلا حيياً ، فانقدح في ذهني انه حصل له من ذلك لشهرة الحديث استشكال ، وعاقني للوقوف مع الأدب عن الخوض وتقتئذ في ذلك المجال ، فبدا لي بعد الانفصال ان أبين له فيما قلت مستندي ، وما عليه من الأحاديث وكلام الأئمة في ذلك معتمدي ، فاقول : قوله عليه الصلاة والسلام اذا مات ابن ءادم انقطع عمله الا من ثلاث ليس المراد من هذه الثلاث انواعها ، وانما المراد منها اجناسها العامة ، وجعل كل واحد من هذه الثلاث علماً على جنسه لعظم شأنه فيه ، فالصدقة علم لايصال النفع الحسي للغير ، والعلم علم لايصال النفع المعنوي للغير ، والولد الصالح علم لتسبب الانسان فيمن يخلفه في العمل الصالح اذا علم انه راحل لامحالة ، ثمّ ان هذه الأمور جملة وتفصيلا قد يحصل بينها تداخل بحسب الاعتبارات ، وهذه الأمور وما يتعلق بها هي المكتنفة بكل انسان ، فحسُن الاقتصار عليها ، وقد جاء تفصيل شيء من ذلك في الأحاديث الدالة على عدم الانحصار ، فقد اخرج أبو نعيم عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره : مَن علّم علماً او اجرى نهراً ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته ، وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال : انما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علم علمه ونشره ، وولد صالح تركه ، ومصحف ورثه ، ومسجد بناه ، وبيت لابن السبيل بناه ، ونهرا اجراه ، وصدقة اخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته ، فقد اتفق الحديثان في خمس ، وهي تعلم العلم ، واجراء النهر ، وبناء المسجد ، وتوريث المصحف ، واستغفار الولد ، وانفرد انسٌ بزيادة حفر البير وغرس النخل ، كما انفرد ابو هريرة بزيادة بيت ابن السبيل واخراج الصدقة من المال في الصحة ، فهذه تسع والعاشر سن السنة الحسنة ، فقد اخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن سنَّ سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، فالأحاديث في عدم الانحصار بينة ، يعلم منها اني فيما خاطبتُ به سيدنا على بينة ، ثم المراد بانقطاع العمل في الحديث انقطاع العمل الذي يترتب عليه جزاء ، هذا هو العمل الموصوف بالانقطاع الذي استـُثني منه ما استثني ، اذ ذاك هو العمل الموصوف بالانقطاع في عرف الشرع ، فلا تعارض بين ذاك وبين مادلتْ عليه الأحاديث من اثبات عمل الجنة ، اخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على اثرهم كأشد كوكب اضاءة ، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، لكل امريء منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخُّ ساقها من وراء لحمها من الحسن ، يسبحون لله بكرة وعشية ، قال أبو العباس القرطبي هذا التسبيح ليس عن تكليف والزام ، وقد فسره جابر في حديثه عند مسلم بقوله يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس ، فهذا التسبيحُ ايضاً لنفسه من جملة الذي أثيبوا به على أعمالهم الصالحة ، لا انه من جملة اعمالهم التي يثابون عليها ، فان اعمالهم التي يجازون عليها قد انقطعت بموتهم ، فليس لهم بعد موتهم عمل يثابون عليه الا ما ورد فيه من الأعمال انه لا ينقطع كما اسلفناه ، وقد دلت حكايات لا تحصى على حضور ارواح الشهداء والأولياء في الجهاد وغيره ، وذلك كله محمول على أنه ليس مما يستحق أن يسمى في عرف الشرع عملا يترتب عليه الجزاء ، وانما هو من جملة كرامتهم عند ربهم بصالح اعمالهم ، لأن تمكنهم

من ذلك وتفسيرهم له هو من جملة جزائهم ، لا انه يترتب على ذلك غاية العمل الذي هو الثواب كما صح في حديث احوال أهل الجنة أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه سبحانه في الزرع ، فقال اولست غنياً ؟ قال بلى ، ولكن احب أن أزرع فاسرع وبادر فبادر الطرق نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره اسال الجبال ، فيقول الله تعالى دونك ياابن آدم ، فانه لا يشبعك شيء ، فظهر أن هذا الحرث ليس مقصوداً منه غايته المعهودة في الدنيا ، وانما المقصود غاية أخرى وهي ما يحصل للنفس من الانبساط والاتساع في التنعم برؤية ذلك والتمكن منه ، فقد ظهر بما تقرر امران ، الأول عدم الانحصار في الحديث ، الثاني بيان ان العمل الذي ينقطع بالموت عمل الجزاء لا مطلق العمل ، اوالله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، انتهى .

1562) هاشم المركطاني

قال . . . (107)

1563) الهاشمي بن أحمد بوعبولة المراكشي المنبهي ، أخذ الفقيه والنحو عن السيد علي بن الفاضل ، والسيد سعيد جيمي ، والحاج محمد ازنيط ، والفقه على السيد عبد القادر الدكالي ، والفقه والعربية وعلم الفرائض والتوقيت والحساب عن السيد الطاهر بوحد المكناسي نزيل مراكش ، والسيد الحسن المزميزي ، وأخذ عن غيرهم .

كان المترجَم حافظاً يحفظ الشيء من أول ما يراه ، وكان فقيهاً مدرساً عارفاً بصياغة التدريس حسن الالقاء فصيح اللسان ، عفيفاً نزيهاً ، تولى الامامة بضريح الامام ابي العباس السبتي ، والخطابة بضريح سيدي غانم بن سعد السباعي ، وكان يدرس بضريح السبتي وبجامعه الكبير مختصر خليل وغيره كالهمزية والبردة ، وكان يسرد (الشفا) في رمضان ، وله في كل ذلك مجالس حفيلة يحضرها كثير من العوام ، سيما اذا كانت بالضريح

---

107) كذا في الأصل من غير ايراد ترجمة له ، وهاشم المركطاني المذكور اسمه هاشم بن عبد الله الحسني العلمي المروني ، من مجاذيب القرن الثالث عشر الهجري بفاس ، توفي يوم الأحد 20 صفر عام 1241 هـ ، له ترجمة في كتاب **سلوة الأنفاس** 1 : 195 لم يرد فيها انه دخل مراكش .

العباسي ، ولا يطيل مجلس الدرس فيه ، بل ربما مكث فيه نحو ربع ساعة فقط ، يقرر بيتاً او بيتين ويختم المجلس .

أخذ عنه صاحبُنا الفقيه الحافظ السيد مَحمد المدعو حم بن محمد الفطواكي الضرير ، وحضر عليه جميع ماكان يقرأه من وفاة السلطان المولى الحسن ، ولازمه سنين عديدة واجازه بكل ما تصح له روايته ودرايته في ثامن شعبان عام ثلاثة وعشرين وثلاثمئة والف ، وممن حضر عليه في قراءة الألفية من أولها الى ءاخرها الفقيه العدل المفتي السيد الطيب ابن كيران ، ثم ورد علينا نعيُه في 9 جمادى الثانية عام 1325 خمسة وعشرين وثلاثمئة والف بجبل ولتانة من ايالة دمنات حين كنت فيه متفسحاً متنزهاً في بساتين قراه ، وارداً من جداول انهاره ، وفيه زرت السيد ابا الخلف ، والسيد ياللتن الأسود ابا يلبخت المعروف السيد ابا البخت ، وتحققتُ بقوله تعالى (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) حين رايتُ منبع وادي دمنات العجيب الذي ينبع الماء فيه من حجر مرتفع عن الأرض كالسقف تحته شبه مغارة يتفجر في اسفلها الماء من احجارها منهمراً ، وتراه ينبع من شقوق احجارها فيجتمع وادياً من ذلك المحل ، فسبحان الصانع البديع ، كما رايت به خامات الزرع خضراً وقت ماحصده الناس وذروه بمراكش لشدة البرد به اذذاك ، وشاهدتُ ببعض قننه الثلج في الحر الشديد لم يذب كأنه في الليالي ، لكون الجبل شامخ تلك القنن ، حتى انني رايت الطير لا يتجاوز القنة ، بل اما ان يسامتها او يطير تحتها ولا يقدر على الصعود الى قننها ، والغابات فيه ملتفة الأشجار لا يمكن المرور فيها الا بعد تمزيق الثياب للمارة في بعض المواضع ان لم يتحفظوا ، والطريق في بعض مواضعه لا يمكن ان تسلك الا على الأرجل ولا تمرُّ بها البهائم ، بل يذهب بها الى طريق اخرى طويلة المسافة ، ورايتُ به متنزهات عجيبة وغراسات يحسن ترتيبها الزارعون والغارسون هناك في رباها ، واما أصناف الفواكه فحدثْ عن البحر ولا حرج ، وبه رايت الأنهار التي تصبُّ في وادي تساوت الكبير وعدتها كثيرة ، كل مسيل من قننه يخرج منه نهر فيلتقي بتاخر الى أن تصير نهراً عظيماً يمكن للزوارق أن تسافر فيه لولا الحجارة والاعوجاج ، وصبيانهم عارفون بالسباحة كبيرهم وصغيرهم ، ومن

قبيح عوائدهم ان أولادهم يتركونهم عراة ما داموا لم يبلغوا الحلم ، ويتعللون بالفقر ، وهذه عادة العرب ، والطريق في هذا الجبل كثيرة الأحجار الرقاق التي تزلق البهائم وتتعثر بها بخلاف جبال وادي نفيس فانني لما تفسحت فيها عام 1319 تسعة عشر وثلاثمئة والف رايتها مصلحة مبنية بالخشب والطوب يمكن السير فيها بلا تخوف من سقوط ، وان كانت جبالها شاهقة ايضاً ربما يسير الراكب في بعض عقباتها صعوداً وهبوطاً نحو فرسخين فأعلا ، وقد وصلت فيها الى تنمل وزرت مقبرتها الكبيرة ورايت جامعها البديع نقش الجبص المذهب ، مسامير الباب من صنع الموحدين رحمهم الله ، وهو وسط ليس بالكبير ولا بالصغير ، وقد تخرب ، ولما كنت بأجرجور من ايالتها على مرحلة من مراكش ظهرت لي من قنته مراكش كأنني بظاهرها غير بعيد منها ، كما شاهدت صومعتها العجيبة المعروفة بالكتبية حين كنت راجعاً من دمنات على مسافة اكثر من مرحلة (108)

توفى المترجم رحمه الله في يوم الأحد ثاني جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمئة والف عن نحو سبعين سنة .

1564) هلال بن ابي عقيل ابن عطية القضاعي

هلال بن أبي عقيل عطية بن ابي احمد بن جعفر بن محمد ابن عطية القضاعي .... مراكشي طرطوشي الأصل ، روى بمراكش عن احمد ابن مضاء ومروان بن عبد العزيز ، ودخل الأندلس كاتباً لبعض الولاة بها .

1565) هشام بن محمد العلوي (الأمير)

هشام بن أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، أمير المومنين ، لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى اليزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم ، وانزلهم في العطاء دون البربر والوداية وغيرهم ، فساءت ظنونهم به وانفسدت قلوبهم عليه ، ولما رجعوا الى بلادهم تمشت

---

108) ليت شعري اي علاقة لهذا الحشو بالمترجم

رجالاتهم بعضها الى بعض ، وخبّ الرحامنة في ذلك ووضعوا ، واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم ، وآتوه بيعتهم وطاعتهم ، ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة اقلع عنها وسار الى الحوز فشرد قبائله ووصل الى مراكش فدخلها عنوة ، يقال ان دخوله اليها كان من الباب المعروف بباب يغلي ، فاستباحها وقتل وسمل ، وكان الحادثُ بها عظيماً ، ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز اليه المولى يزيد ، (ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازاكورت (زاكورة) انهزم جمع المولى هشام ، وتبعهم المولى يزيد) ، فأصيب برصاصة في خده ، فرجع الى مراكش يعالج جرحه ، فكان في ذلك حتفه رحمه الله ، وذلك اواخرَ جمادى الثانية سنة ست ومئتين والف ، ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش .

ولما قتل المولى يزيد بمراكش استمرت قدم المولى هشام بها واطاعته قبائل الحوز كلها ، وكان وزيراه القائمان بأمره صاحب آسفي القائد عبد الرحمان بن ناصر العبدي وكان غاية في الجود وبسط الكف ، وصاحب دكالة والحوز القائد محمد الهاشمي ابن العروسي وكان ذا شوكة بعصبيته وقومه ، فكان هاذان القائدان اليهما النقض والابرام في دولة المولى هشام ، هذا بكثرة ماله وعطائه ، وهذا بعصبيته وشدة شوكته ، فدانت للمولى هشام قبائل دكالة وعبدة واحمر والشياظمة وحاحة وغير ذلك ، واستمرّ الحال على ذلك برهة من الدهر الى أن افترقت عليه كلمة الرحامنة وتجنّوا عليه بأنه قتل عاملهم القائد عبد الله بن محمد الرحماني غيلة على أنه كان مدبر دولته والقائم بأمره .

قال كنسوس : هكذا شاع ان المولى هشاما هو الذي امر بقتل عبد الله الرحماني وابن الداودي ، قال والذي تحدث به السلطان المولى سليمان مع

بعض الناس هو أن الفرقة المنحرفة من الرحامنة قتلوه واظهروا ان المولى هشاما هو الذي دسَّ اليهم بذلك ، وكذلك امر ابن الداووي والله اعلم .

ولما قتل القائد عبد الله خلعت الرحامنةُ طاعة المولى هشام وبايعت اخاه المولى حسين بن محمد وزحفوا به الى مراكش ، فلم يرع المولى هشاما الا طبولهم تقرع حول القصبة وارهقوه واعجلوه عن ركوب فرسه ، فخرج يسعَى على قدميْه الى أن أتى ضريح الشيخ ابي العباس السبتي فعاذ به وثابت اليه نفسه ، وبعد ايام تسلل وسار في جماعة من حاشيته الى ءاسفي ، ونزل على وزيره القائد عبد الرحمان ابن ناصر ، فأكرم مثواه واحسن نزله ، وغدا وراح في طاعته ومرضاته ، ودخل المولى حسين قصر الخلافة بمراكش فاستولى على مافيه من الذخيرة والأثاث متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد ، فاضطرَّ أهل مراكش حينئذ الى مبايعة المولى حسين والخطبة به ، وكان ذلك سنة تسع ومئتين والف ، وافترقت الكلمة بالحوز ، فكان بعضه كعبدة واحمر ودكالة مع المولى هشام ، وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين ، واتقدت نار الفتنة بين هاؤلاء القبائل وتفانوا في الحروب ، الى أن بلغ عددُ القتلى بينهم اكثر من عشرين ألفاً ، هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز متربص بأهله الدوائر ، الى أن ملـُّوا الحروب وملتْهم ، وكان ذلك من سعادته ، فصاروا يتسللون اليه ارسالا ، ويسألونه الذهاب الى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم ، فكان يعدهم بذلك ويقول اذا فرغت من امر الشاوية قدمت عليكم ان شاء الله .

توفى المولى هشام رحمه الله سنة 1213 ثلاث عشرة ومئتين والف ، وقيل سنة ست عشرة أو سبع عشرة بالطاعون ، ودفن بقبة صغيرة عند حائط قبة الجزولي من جهة راسه وبلصقه اخوه المولى الحسين (109)

---

109) الترجمة كلها منقولة من الجزء الثامن من **الاستقصا** من غير ان يشير المؤلف — الناقل الى ذلك على عادته .

1566) واجب بن ابي الخطاب ابن واجب القيسي

واجب بن أبي الخطاب بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب بن عمر بن واجب بن عمر ابن واجب القيسي البلنسي ، سمع ابن هذيل وابا عبد الله ابن سعادة ، وغيرهما ، واجاز له أبو مروان ابن قزمان ، والسفلي ، سمع منه داوود ابن حوط الله اذ كان على قضاء ابذة من عمل بلنسية ، وشكرت سيرته ، وكان كاتباً بليغاً شاعراً خطيباً مصقعاً ، من بيت جلالة ، صحب السلطان .

وتوفي بمراكش سنة 582 .

وجد جده واجب سمع صحيح البخاري من أبي العباس العذري مع ولده ابي الحسن محمد وكان أحد الفقهاء ، توفى قبل التسعين واربعمئة .

ذكره في التكملة (110)

1567) **الوافي بن عمر الشيخ الكنتي** ، ورث الولاية عن والده المذكور المتقدم الترجمة ، وله ءاخ اخر اسمه أحمد الملقب بالفيرم وتقدمت الاشارة اليهما في ترجمة اخيهما المختار بن عمر نقلا عن كتاب التوحيد للشيخ المختار الكنتي ، كما تقدمت ترجمة احمد المذكور .

1568) **ولجوط بن وامزيل** أبو تونارت الايلاني ، من أهل رباط تاسماطت من أعمال مراكش ، من أهل الفقه والفضل ، حدثوا عنه انه كان يصلي العشاء الأخيرة بجامع تاسماطت ويبيت بمكة ، فسمع ذلك مَن انكر هذا ، فصلى معه ليلةً العشاءَ الأخيرة وجاء الى البـاب الجوفي الذي عند الصومعـة فاتبعه ، فالتفت اليه ولجوط وقال له اركب معي ايها الشـاك ، فاذا بدابة بيضاء كأنها ناقة باركة عند الباب ، فركب الرجل خلفه وسارت بهم الى أن حطتهم بمكة ، فعـاد ولجوط الى المغرب ، واقام ذلك الرجـل

---

110) **التكملة** ص 719 ع 2030 طبع مدريد

بالمشرق فلم يصل الى أن توفي ولجوط رحمه الله ، فوصل الى تاسماطت وحدث الناس بهاذه القصة .

محا بعدكم تلك العيونَ بكاؤهـــا وغال بكم تلك الأضالعَ غولهـــا
فمن ناظر لم يبق الا دمـوعـــــه ومن مهجة لـم يبق الا غليلـهـــا
دعوا لي قلباً بالغـرام اذيبـــــه عليكم وعيناً في الطلول اجيلهـــا

ترجمه في التشوف (111)

وقال في نظم رجاله :

وهذا الايلاني كان بعد صلاتـــــه العشاء هنا يمشي سريعاً الى الحجر

1569) الوليد بن زيدان السعدي

الوليد بن زيدان بن احمد المنصور السعدي ، بويع يوم مقتل اخيه عبد الملك يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، فلم يزل مقتصراً على ماكان لأخيه وابيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش واعمالها ، وعظمت الفتنة بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة ، ولم يصل به ليلة القدر الا رجل من شدة الهول والحروب التي كانت بين أهل المدينة ، واقتسم المغرب في ايام اولاد زيدان طوائف ، فكان حاله كحال الأندلس أيام طوائفها (112) .

قال في شرح (الزهرة) : كان الوليد بن زيدان متظاهراً بالديانة ، لين الجانب ، حتى رضيته الخاصة والعامة ، وكان مولعاً بالسماع لا ينفك عنه ليلا ولا نهاراً ، الا انه كان يقتل الأشراف من اخوته وبني عمه ، حتى افنى اكثرهم ، وكان مع ذلك مُحباً في العلماء مائلا اليهم بكليته ، متواضعاً لهم ، وله الف القائـد علي بن الطيب منظومتـه المشهورة في الفواكـه الصيفية

---

111) التشـوف ص 143 ع 47
112) الاستقصا 6 : 78

والخريفية ، والف القاضي عيسى السكتاني شرح صغرى الصغرى للسنوسي برسمه (113) .

واما وفاته فسببُها أن جنده من العلوج طالبوه بمرتباتهم واعطياتهم على العادة ، وقالوا له اعطنا ما نأكل ، فقال لهم على طريق التهكم : كلوا قشر النارنج بالمسرة ، فغضبوا لذلك وكمن له اربعة منهم فقتلوه غدراً يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة خمس واربعين والف . انتهى .

قال في الاستقصا : والقصبة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين ءاسفي وتيط هي منسوبة اليه ، واظنها من بنائه والله اعلم .

والقصبة المذكورة بينها وبين الجديدة ثمانون الف متر ، وبينها وبين تيط واحد وسبعون الف متر ، وبينها وبين ءاسفي ستون الف متر ، وبينها وبين مشنزاية المعروفة بمدينة الغربية واحد وعشرون الف متر ، وهي الآن خراب لم يبق بها الا اطلال سورها وبعض الديار ، كما ان الوليدية الآن خراب لم يبق فيها الا السور وبعض الديار ، وهي فوق ربوة مطلة على البحر ، وفيها برجان مقابلان له ، وبرجان مقابلان لهما ، وهي حدُّ دكالة الفاصل بينها وبين عبدة ، زرتهما .

وممن تقدم ذكره من صلحائها سيدي علي ابن ابي القاسم دفين سور الحجر بمراكش ، وسيدي سعيد بن ابي بكر دفين مكناسة الزيتون .

1570) **ويحلان** خديم الشيخ الهزميري ، انتفع به وشاهد العجب من كراماته ، وهو مذكور في اثمد العينين .

1571) **ويرزجان بن محمد الجزولي** ، قدم مراكش ، وكان عالماً عاملا صالحاً فاضلا ، رحل الى المشرق ، وكان ضريراً ، وصحب الامام ابا بكر بن العربي ، وكان بصيراً بمذهب مالك بن انس ، واخذ عنه عبد الله ابن ياسين

---

113) **الاستقصا** 6 : 82

فقيه المصامدة ، ومات ويرزجان بقرية رماسة من بلد رجراجة ، وكان ويرزجان مجابَ الدعوة .

قال في التشوف اخبرني مخبر انه سمع برجل اضر بجيرانه ، فدعا الله تعالى عليه ، فحمل الرجل ميتاً ، واخبرني الثقة عن الفقيه عبد الله ابن ياسين قال ما اتيت قط الى ويرزجان الا وادبني بنوع من الأدب ، فتحفظت يوماً وأتيتُ اليه فسلمت عليه وقعدت ، فقال لي استقبل بوجهك القبلة اذا قعدت . انتهى .

ونقله الحضيكي في طبقاته ايضا (114) .

1572) **ويسينَنْ بن عبد الله البردعي** أبو علي الأسود ، اصله من حاحة ، ونشأ بدكالة ، ونزل مراكش وبها مات عام ستة وثمانين وخمسمئة ، خدم ابا يعزى وغيره من الصالحين ، وكان عبداً صالحاً فاضلا .

قال في التشوف (115) : سمعت محمد بن احمد الزناتي يقول : جلست يوماً بدكان ويسيننن مع موسى بن مسعود المعلم قبلي مسجد الجزارين وويسينن يحدثنا بأخبار مَن ادركه من الصالحين الى أن رايناه في قلق شديد ، فقال لي موسى اذهب بنا عن هذا الشيخ ليلا نكونَ قد آذيناه بالجلوس عنده ، فقال لنا ويسينن يصيبني وجع في رجلي اذا حانت أوقات الصلوات فلا يزيله عني الا اسباغ الوضوء ، قال محمد بن احمد : وكانت عينا ويسينن بيضاويْن ، وكان مع ذلك يبصر بها ويتصرف في عمله ، فقال لي : كنت قد عميت واقمت عامين لا ابصر ، ولزمت البيت ، فسمع ذلك الشيخ ابو يعزى ، فبعث لي رقعة من برنسة وامرني ان احرقها بالنار واكتحل برمادتها ، ففعلت ورجعت ابصر كما ترى (116) ، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ءامين . (117)

---

114) الترجمة منقولة من التشوف ص 276 ع 127 ونقلها الحضيكي في طبقاته 2 : 350

115) وما تقدم هو ايضاً منقول من **التشوف** .

116) **التشوف** ص 276 ع 127

117) بعد هذا كتب بالهامش امام حرف الياء ما يلي : اليابانى اسمه عبد الله بن علي بن سعيد تقدم .

حـرف الـيـاء

1573) **يالَـلْـتَـن الأسود** ، ابو يلبخت ، تلميذ الشيخ ابي يعزى ، كان بجبل دمنات من جبال هسكورة ، وبه مات عام اثنين وستمئة ، وكان من أكابر المشايخ والأولياء .

قال في التشوف (118) : سمعت القاسم بن عبد العزيز يقول : كان ياللتن يقول عاهدت الله تعالى أن لا يفتح لي في شيء من الدنيا الا رددته اليه ، وكان يالَـلْـتَـن قد أعدَّ ثوراً يطعمه جيرانه اذا ختن ولده ، فجاءه رجل فقير ، وقال له نفستْ زوجتي وليس عندي ما اطعمها لولادتها ، وقد ولد لي مولود ذكر ، فقال له يللتَن : احملْ هذا الثور وأطعمْه اهلك ، فقيل له انت الآن أحوجُ اليه منه ، فقال سيفتح الله لي فيما اطعمه الناس ، فما طلع الفجر حتى سيقت اليه جملة من الثيران فأطعمها الناس .

واخبرني الثقة عن عبد الحـق بن عبد الله الميـنوني عن بيـدان بن عبد الكريم وكان من الصالحين ، قال نزلت ليلة من جوف الليل لأتوضأ يعني اسفل الجبل ، فرأيت ياللتن ينزل من الهواء على مدارج من نور ، فوضعت يدي على ءاخر درجة نزل منها حتى لمستها بيدي ، قال بيدان بن عبد الكريم : وجلست معه يوماً فاذا رجل واقف بين يديه ، فقال له ياابا يلبخت ، ما بقي من الناس الا الصور ، فالتفت فلم ير احدا ، قال عبد الحق بن عبد الله : وحدثني محمد بن ابي سلمة ، قال اخبرني ياللتن مشافهة قال : ادعت نفسي التوكل ، فأردت ان اصحح ذلك ، فذهبت الى الغابة فاضطجعت بين طريقين ، ولففتُ الثوب على رأسي ، فجاءني أسد أسمع زئيره ، فلما وصلني انصرف ، ثم جاءني ثالث فانصرف .

وحدثني يوسف بن سليمان عن ابراهيم بن ولجوط ، عن علي بن عبد العزيز الهزرجي ، تلميذ ياللتن قال : زرت ياللتن فأقمت عنده سبعة اشهر

---

118) وما تقدم منقول ايضاً من **التشوف**

وهو يطحن لزائريه ما يأكلونه ، فأبطأ يوماً فطحنت له وجعلت حفنة من القمح في فم الرحا فدخل علي فقال لي تنحّ بارك الله فيك ثلاث مرات ، فتنحيت في الثالثة ، فقعد يطحن وهو يجمع الدقيق من تلك الحفنة الى أن ملأ برمة كبيرة .

وحدثني يوسف بن سليمان عن ابراهيم بن ولجوط قال حدثني يحيى ابن يلول صاحب ياللتن قال : قال لي ياللتن حدثتني نفسي اني من المتوكلين ، فأردت تصحيحَ دعواها ، فأتيت موضع السباع واضطجعت ، فجاءني سبع فشمني ولحس ركبتي ، فقلت له انا خلق مثلك ، فذهب عني وتركني ، ثم جاءني سبع ثان وثالث الى أن جاءني سابع ، وكل واحد منهم يفعل مثل ما فعل الأول ، وانا اقول لكل واحد مثل ما قلت للأول فينصرف ، ثم قمت فرجعت الى منزلي .

وحدثني يوسف عن ابراهيم ، قال حدثني علي بن عبد العزيز ، قال قلت لياللتن اتعرف فلاناً من اهل أغمات وريكة ؟ فقال لي اعرفه وقد زرته البارحة ورجعت من عنده في ليلة واحدة .

قال ابراهيم وحدثني الثقة قال كان ياللتن يطحن ليلة الى ان قال لي اطحن لي ساعة لأصلي ركعات ، فقلت له نعم ، فطحنت له حتى ركع ما قدره له ، فقال لي قم يافلان فصلّ انت ، فقمت لأصلي ، فنظرت الرحى تدور وحدها وتطحن دون ان يطحن بها احد ، فلما رءاني رايت ذلك قال : لا تعجبن مما رايت ، فانه مَن اتقى الله رأى اكثر من هذا .

وحدثني عيسى بن يعقوب ، قال : لي عبد الحق بن عبد الله الميموني : اتيت مرة من الفحص الى اهلي ، فلقيت العرب في طريقي وهم يعيثون في الناس يميناً وشمالا ، وانا راكب فحفظني الله تعالى منهم ولم يتعرضوا حتى وصلت اهلي ، ولم احدث بذلك احداً ، ثم اني زرت ياللتن فجلست معه نتحدث الى أن وصلته جماعة من المريدين من أهل تامسنا ، فقالوا اردنا ان نستقي فخرجنا الى المسجد الفلاني فجردنا العرب ، فقال لهم ياللتن اعرف رجلا من ابناء هسكورة اجتاز بالعرب فلم يتعرضوا له وهم يعيثون في كل جانب ،

فتطمعوا انتم ان تستنزلوا المطر من السماء وقد عجزتم عن استرجاع اثوابكم من عند العرب ، قال عبد الحق : وما اخبرت بما اخبر به عني احداً من الناس انتهى (119) .

وترجم له في المعزى ايضا مختصرا لما في التشوف ، وقد زرت قبره رضي الله عنه في عام خمس وعشرين وثلاثمئة والف .

1574) ياقــوت (120)

لما استولى ابن غانية على الجريد استنزل ياقوت ، فولى قراقش (121) مَن طرده ، كذا ذكره التجاني في رحلته ، ولحق ياقوت بطرابلس ونازله ابن غانية بها ، وطال امر حصاره وبالغ في المدافعة ، وبعث يحيى عن اسطول ميورقة ، فأمده أخوه عبد الله بقطعتيـْن منه ، فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن اخذها الموحدون ، وكان من خبر ميورقة أن عليا ابن غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك محمداً وعلياً بن الربيرتير في معتقلهما ، فلما خلا الجو من اولاد غانية وكثير من الحامية داخل ابن الربيرتير في معتقله نفرٌ من أهل الجزيرة ، وثاروا بدعوة محمد وحاصروا القصبة الى أن صالحهم اهلُها على اطلاق محمد ابن اسحاق ، فأطلق من معتقله وصار الأمرُ له ، فدخل في دعــوة الموحدين ووفــد مع علي بن الربيرتير على يعقوب المنصور ، وخالفهم الى ميورقة عبد الله بن اسحاق ، ركب البحر من افريقية الى صقلية ، وامدوه بأسطول ، ووصل الى ميورقة عند وفــادة اخيه على المنصور فملكها ، ولم يزل بها والياً ، وبعث الى أخيه علي بالمدد الى طرابلس

---

119) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 389 ع 203

120) ياقوت هذا يعرف بياقوت الافتخار ، وكان فتى لقراقش الغزي ونائبه وواحداً من قواد عسكره .

121) قراقوش الغزي الأرمني ، قائد عسكري كان مملوكاً للملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي ابن اخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، يلقب بالمظفري لأنه مملوك المظفر ، وبالناصري لأنه يخطب للناصر صلاح الدين ، وله اخبار طويلة تذكر في ثورة بني غانية على الموحدين وتحركاتهم بشط الجريد وطرابلس .

كما ذكرناه ، وبعثوا اليه ياقوت فاعتقله عنوة الى أن غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين (وخمسمئة) فقتل ، ومضى ياقوت الى مراكش وبها مات .

ذكره ابن خلدون (122) .

1575) **يس بن يوسف المراكشي** ، الشيخ الولي الصالح من أولياء الله تعالى ، كان حياً سنة 641 وكان يسكن نوى من قرى دمشق ، ورأى الشيخ سيدي يحيى ابن شرف الدين النووي الامـام وهو اذذاك ابن عشر سنين والصبيان يكرهونه على اللعب معهم ، والنووي يهرب منهم ويبكي لاكراههم ، ويقرأ القرآن في تلك الحال ، قال المترجم فوقع في قلبي محبته ، وكان قد جعله ابوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرءان ،قال الشيخ ياسين ، فأتيت الذي يُقرئه القرآن فوصيته به ، وقلت له هذا الصبي يُرجا ان يكون اعلم زمانه وازهدهم وينتفع الناس به ، فقال امنجم انت ؟ فقلت لا ، وانما انطقني الله الذي انطق كل شيء بذلك ، فذكر المعلم ذلك لوالده فحرص عليه الى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام ، ذكره الشبرخيتي في أول الأربعين النووية ، وذكره السخاوي محمد بن عبد الرحمان قبله في كتاب (الاهتمام ، بترجمة النووي قطب الأولياء الكرام) .

وقال في الشذرات في سنة 687 ما نصه :

وكان صاحب كشف وحال ، وكان النووي رحمه الله يزوره ويتتلمذ له ، وتوفي في ربيع الأول وقد قارب الثمانين انتهى (123) واصله في تاريخ الاسلام للذهبي ، فقد نقل عنه في كتاب الاهتمام في اوله بعد ما تقدم عنه ما نصه : وقد ذكر اعني الذهبي في تاريخ الاسلام يس هذا واشار لما تقدم ، فقال يس بن عبد الله المغربي الحجـام الأسود الصالح ، كان له دكان بظاهر بـاب الجابية ، وكان صاحب كشف وكرامات ، وقد حج اكثر من عشرين مرة ،

---

122) **تاريخ ابن خلدون** 6 : 398

123) **شذرات الذهب** 5 : 403 سماه الحاج يس المغربي ، ونعته بالحجام الأسود ، وذكر انه كان جرائحياً على باب الجابية .

وبلغ الثمانين ، اتفق انه سنة نيف واربعين مر بقرية نوى فرأى الشيخ محيي الدين النووي وهو صبي ، فتفرس منه النجابة واجتمع بأبيه الحاج شرف ، ووصاه وحرضه على حفظ القرءان والعلم ، فكان الشيخ فيما بعد يخرج اليه ويتأدب معه ويزوره ويرجو بركته ، ويستشيره في اموره ، توفي في ثالث ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستمئة ، ودفن بمقبرة باب شرقي رحمه الله ، وقد اخبر بموت النووي والده ، وقال اين تختار ان يموت عندكم او في دمشق ؟ يقال انه قتله بالحال لأمر ثم نام . انتهى كلام الذهبي وفيه ايضا مخالفة لكلام ابن العطار ، وان كان يمكن الجمع بينهما بأن الشيخ يس بعد ان اخبر المعلم شافهَ بذلك والده ايضاً ، واما قوله ويقال انه قتله بالحال فمنكر ، وقد استبعده التقي بن قاضي شهبة حيث قال وهذا بعيد جداً ان يقع ان مثل النووي يقع منه ما يوجب ان ولى الله يتغير عليه حتى يصل الى قتله ، وبعيد من الولي ايضا قتل النووي ، قال وانما هذه يعني على تقدير الصحة نزغة شيطانية نعوذ بالله من ذلك ، انتهى .

ثم قال وافاد التاج السبكي في الطبقات الكبرى ان شيخه في الطريق الشيخ يس المراكشي الماضي ، ويشهد له ما اسلفناه عن الذهبي في ترجمته ان الشيخ كان يخرج اليه ويتأدب معه ويزوره ويرجو بركته ويستشيره في اموره ، ووصفه اللخمي بالعلم بالقراءات السبع ،لاكن لم يبينْ عمن اخذها فيمكن ان يكون عن ابي شامة مع اني لم ار الذهبي ولا ابن الجزري ولا مَن بينهما ممن افرد تراجم القراء ذكره فيهم ، والله اعلم انتهى .

اما ابن العطار فقد . . . . فيه تأليفاً في ترجمة الامام النووي ، واللخمي المذكور اسمه محمد بن الحسن ، ألف في النووي تأليفاً في اربعة اوراق كما ذكر السخاوي بعد .

1576) **يبريدن بن وبيدن الأيلاني** أبو ويعزان القدار الأسود ، تلميذ عبد الخالق بن ياسين من أهل وقراط من بلد بني سمايل من دكالة ، وبه مات عام عشرة وستمئة .

قدم مراكش وكان عبداً صالحاً ، وكان يستجيب بوقراط ، فيُقال له مَن ناداك ؟ فيقول ناداني الشيخ عبد الخالق بن ياسين بسبت بني دغوغ ، فيذهب بعد العصر فيصلي معه المغرب ، ثم يرجع الى وقراط فيصلي العشاء في أهله ، وبينهما ستون ميلا .

وكان يبريدن يصنع القدور بيده ويطبخها فيبيعها ويقتات بأثمانها ، وكان يشتري زبيباً فيدقه ويصنع منه كوراً ، فاذا كان وقت افطاره اخذ كورة فمرسها في الماء وشرب ماءها فيكتفي بذلك .

قال في التشوف (124) : سمعت موسى بن عيسى الأيلاني يقول : سمعت يبريدن يقول : خرجت في يوم جمعة قبل الزوال لاسباغ الوضوء من النهر ، فمررت برجلين عليهما ثياب بيض ، وهما يحفران قبراً ، فسألتهما عن صاحب ذلك القبر ، فقالا هو لرجل لا نعرفه ، فتوضأت ورجعت وهما يحفران ، فقالا لي عسى أن تقيس لنا هذا القبر بقامتك ، فنزلت فوجدته على قامتي ، فقلت لهما مَن صاحب هذا القبر ؟ فقالا لي هو قبر رجل اسمه يبريدن القدار ، فقلت لهما انا هو ! فاعتنقاني ثم مشيت معهما قليلا فغابا عنا ، فنظرت يميناً وشمالا فلم ارهما ! فقلت لعلهما نزلا في القبر ، فاطلعت عليه فلم ارهما ، قال موسى بن عيسى فجاء يبريدن بأعواد فغطى القبر بها ووضع على الأعواد تراباً ، واقام اربعة عشر عاماً فدفن في ذلك القبر (125)

1577) يحيى بن همام ابن ازراق السرقسطي

يحيى بن همام بن يحيى من اهل سرقسطة ، يعرف بابن أزراق ، من اهل الأدب والنباهة ، مع براعة الخط والتميز بذلك ، وكتب للمستعين ابن ابي جعفر ابن هود مع ابيه همام بن يحيى ، ولحق به في ادبه وحسن

---

124) يوهم المؤلف الناقل ان العبارات التي تقدمت في اول هذه الترجمة هي من عمل يده ، والحقيقة انها كلاحقتها منقولة بالحرف من **التشوف** .

125) **التشوف** ص 451 ع 258

وراقته ، وكتب ايضاً ليوسف بن تاشفين ثم لابنه علي ، واستدعي الى مراكش في سنة 495 وتوفي بقرطبة سنة 537 ، ذكره ابن حبيش ، وفيه يسير عن غيره .

ذكره ابن الآبار (126)

1578) يحيى بن محمد ابن عباد اللخمي

يحيى بن محمد المدعو بشرف الدولة ولد المعتمد بن عباد ، يكنى ابا بكر ، قرأ في حياة أبيه على مالك بن وهيب ، وابي الحسن بن الأخضر باشبيلية ، ونشأ خاملا وتعيش من كتب الوثائق بمراكش ، وهو القائل وقد دعاه المقدم للحسبة من قبل القاضي ابي محمد ابن ابي عرجون ليكتب له ، وكان امياً جاهلا .

عجباً لدهـر كل مـا فيه عجـب ... فدم" سما ، ونبيه قدر قد رسب

لا تنفـع الآداب فيه وان غـدت ... تعزى الى ذي همة عالي النسب

أو ليس من نكد الزمـانَ بـأن ارى ... ادعى لأكتب صاغراً للمحتسَب

خسف اسام بـه وتأبى همـة ... لخميـة" الا الصيانـة للحسب

اراد بالمحتسَب مفتوح السين انه لفدامته كالميت الذي احتسب .

ترجمه في الحلة السيرا ، وقفت على نسخة منها في مجلد بخط اليد من القالب الكبير في صحائف 330 (127) .

وتقدم ذكره في ترجمة والده .

1579) يحيى بن ابي بكر ابن الصحراوية اللمتوني

يحيى بن ابي بكر بن ابراهيم المسوفي الصحراوي اللمتوني المشهور عندهم بابن الصحراوية ، وهي بنت يوسف بن تاشفين ، زوج والدَه اياها

---

126) **التكملة** ص 398 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) ، وص 721 ع 2039 طبع مدريـد .

127) **الحلة السيرا** 2 : 76

اخوها علي بن يوسف ، حظى عند الموحدين وقودوه على من وجد من لمتونة ، ولم يزل وجيهاً عندهم مكرماً لديهم ، وكان خليقاً بذلك ، الى ان نقلت عنه الى عبد المومن اشياء كان يفعلها واقوال كان يقولها احنقتْه عليه ، فتحدث عبدُ المومن ببعض ذلك في مجلسه ، وربما همَّ بالقبض على يحيى هذا ، فراى الوزير احمد ابن عطية ان يجمع بين المصلحتيـْن من نصح اميره وتحذير صهره اذ كانت عنده اخته بنت ابي بكر من زوجه بنت يوسف بن تاشفين التي تعرف ببنت الصحراوية ، فقال لامرأته اخت يحيى المذكور قولي لأخيك ليتحفظْ واذا دعوناه غداً فليعتل ويظهر المرض ، وان قدر على الهروب واللحاق بجزيرة ميورقة فليفعل ، فأخبرتـْه اخته بذلك فتمارض واظهر انه لما به ، فزاره وجوهُ اصحابه وسألوه عن علته ، فأسرَّ الى بعضهم ممن كان يثق به ما بلغه عن الوزير ، فخرج ذلك الرجل الذي اسرَّ اليه فنقل ذلك كله بجملته الى رجل من ولد عبد المومن ، فكان هذا هو السبب الأكبر في قتل ابن عطية المذكور سنة 553 ، وامر عبد المومن بتقييد يحيى المذكور وسجنه ، فكان في سجنه الى أن مات (128) .

وتقدم ذكر والده ابي بكر في حرف الهمزة (129) .

1580) يحيى بن محمد ابن ريدان الفهري

يحيى بن محمد بن يحيى بن سعيد بن سعدون بن دبيل ابن ريدان (130) الفهري من اهل قرطبة ، واصلـُه من منتانجش من الثغور الجوفية ، روى عن ابيه وتفقه به ، وعن ابي عبد الله ابن الطلاع وابي الحسن العبسي ، وخازم بن محمد ، ومحمد ابن حمدين ، وابي الحسين ابن سراج ، وابي القاسم ابن النخاس ، وابي عبد الله ابن خليفة المالقي ، وابي القاسم الهوزني ، وابي

---

128) ما تقدم منقول بالحرف من **المعجب** ص 120 طبع سلا

129) انظر 1 : 204 ع 59 من هذا الكتاب

130) براء مهملة ، كذا في نسخة خطية من **التكملة** محققة على مبيضة المؤلف ، وفي كتب اخرى كثيرة مطبوعة وخطية ، ويكتبها بعض النساخ احياناً بزاي ، وذلك خطأ بكل تأكيد .

الوليد ابن رشد ، وابي محمد ابن عتاب ، وابي الحسن ابن عفيف ، وسمع الموطأ من ابي بحر الأسدي لم يسمعْ منه غير ذلك ، وكتب اليه ابو عبد الله ابن شبرين ، وابو علي الصدفي وغيرهما ، وكان فقيها حافظاً مشاوراً ،ولي الأحكام بقرطبة ، ثم انتقل منها الى لبلة وغيرها ، وتجول كثيراً .

حدث عنه ابو القاسم القنطري ، وابو بكر ابن خير ، وابو الحسين ابن ربيع ، وابو القاسم ابن الملجوم ، وسمع منه بمراكش وبفاس .

قال وتوفي باشبيلية سنة ست وخمسين وخمسمئة ، ومولده في رمضان سنة سبع وسبعين واربعمئة .

نقله في الجذوة (131)

1581) يحيى بن محمد ابن الصيرفي

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة ، يعرف بابن الصيرفي ، قال ابن الأبّار القضاعي في التكملة : كان من الأدباء المتقدمين ، والشعراء المجودين ، وله تاريخ في الدولة اللمتونة افاد به ، وكان من شعرائها وخدام امرائها وسكن بآخرة ....

توفي سنة سبع وخمسين وخمسمئة وهو ابن تسعين سنة او نحوها انتهى (132) .

قال يمدح تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شهدها ويذكره بأمور الحــرب في وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب ، يقول فيها :

---

131) **جذوة الاقتباس** ص 541 ع 627 طبع الرباط ، والترجمة منقولة ـ في الحقيقة ـ من التكملة ، وعلى نسختها الخطية المحفوظة بالخزانة الحسنية الملكية بالرباط اعتمدنا في التحقيق .

132) **التكملة** ص 399 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) ، وص 723 ع 2045 طبع مدريد .

يأيها الملأ الذي يتقنع … مَن منكم الملكُ الهمام الأروعُ ؟
ومَن الذي غدر العدو به دجى … فانفضَّ كل وهو لا يتزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصدها … عنه ، ويزجرها الوفاء فترجع
والليلُ من وقع السنابك بينهم … صبح" على هام الكماة ملمَّع
اني فزعتم يابني صنهاجة … واليكم في الروع كان المفزع
ما انتم الا اسود خفية … كل لكل عظيمة مستطلع
ما بال سيدكم تورط لم يكن … لكم التفات حوله وتجمع
انسان عين لم يصنْه منكم … جفن" وقلب اسلمتْه الأضلع
وصددتموا عن تاشفين وانه … لعقابه لوشاء فيكم موضع
ياتاشفين اقم لجيشك عذره … بالليل والقدر الذي لا يدفع

ومنها في سياسة الحرب :

اهديك من ادب الوغا حكماً بها … كانتْ ملوكُ الفرس قبلك تولع
لا انني ادري بها لكنها … ذكرى تحضُ المومنين وتنفع
خندق عليك اذا ضربت محلة … سيان تتبع ظافراً او تتبع
والبَسْ من الحلق المضاعفة التي … وصى بها صنع السوابغ تبَّع
والهندواني الرهيف فانه … امضى على حلق الدلاص واقطع
واركبْ من الخيل السوابق عدة … حصناً حصيناً ليس فيه مدفع
واجعلْ مناجزة العدو عشية … ووراءك الصدفُ الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك … ضنك ، فأطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترثْ … شيئاً فاظهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة … للصدق فيهم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفاً … لا راي للكذاب فيما يصنع

وهي طويلة اشتملت على ستة وخمسين بيتاً ، مذكورة في الحلل الموشية (133) .

133) **الحلل الموشية** ص 124 طبع الدار البيضاء 1979 وما هنا من الأبيات يختلف في الترتيب والكلمات عما في الحلل الموشية .

قلت وتاريخه هو المرسوم بالأنــوار الجلية ، في محاسن الدولــة المرابطية ، تكرر النقل عنه في هذا الكتاب قبل ، وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة ، وقال : قال ابن الزبير كان من اهل المعرفة بالعربية والآداب ، ومن الكتاب ، اخذ عن ابن العربي ، والف تاريخَ الأندلس ، ومات في حدود السبعين وخمسمئة او قبل ذلك عن سن عالية . انتهى من طبقات المالكية ، وتقدم فيمن كنيته ابو بكر في حرف الباء (134) .

1582) يحيى بن العزيز ابن حماد الصنهاجي

يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد الصنهاجي ، صاحب بجاية ، العزيز بالله ، كان بين الخليفة عبد المومن وبين ابن حمدون وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة ، فلما سمع به فتح له باب بجاية سنة 547 ففرَّ من قصبتها صاحبها المترجم الى قسنطينة وحصره بها الموحدون فنزل منها على امان ، وسار مع الخليفة عبد المومن الى حاضرة مراكش ، فأعمره الديار وأقطعه الضياع ، واقام هو وبنوه تحت اكرام ومبرة الى ان انقرضوا ، ولما استقر ابن حماد تخامل وتجاهل ، وشغل نفسه بالصيد ، واستعمل شباك الحديد لصيد الأسد ، وكان يهديها للخليفة عبد المومن فيثيبه عليها (135) وراجع المعجب ، وتقدم ذكره في ترجمة محمد المهدي ابن تومرت (136) .

ثم انتقل المترجم الى سلا سنة ثمان وخمسين ، فسكن قصر بني العشرة الى أن هلك في سنته .

ذكره في المعجب وفي الحلل الموشية وابن خلدون وغيرهم .

---

134) ترجم المؤلف مرتين ليحيى ابن الصيرفي ، مرة تحت اسمه يحيى ، واخرى تحت كنيته ابي بكر ، وقد ادمجنا الترجمتين وجعلناهما ترجمة واحدة ، وانظر ايضاً **صلة الصلــة** ص 183 ع 361 **والاحاطــة** 4 : 407

135) ما تقدم منقول من **الحلل الموشية** ص 149 طبع الدار البيضاء

136) انظر 4 : 59 و 60 من هذا الكتاب

1583) يحيى بن محمد ابن بقي

يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي ، سلوي ، أخذ القراءات والحديث والأدب عن مشيخة بلده ، ودخل الأندلس وسكن مرسية ، وصحب فيها ابا العباس ابن ادريس وابا العباس ابن الحلال ، روى عنه أبو عمر ابن عياد ، وكان من أهل العلم بالتفسير والأصول والمعرفة بالآداب ، متقدماً في طريقة الوعظ والتذكير ، قاصراً زمانه على ذلك ، ذا حظ نزر من قرض الشعـر .

مولده لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة عشر وخمسمئة ، وتوفي بمرسية يوم الأربعاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمئة ، وصلى عليه أبو القاسم ابن حبيش رحمه الله .

انتهى من الذيل والتكملة (137) .

1584) يحيى الدكالي ، من اصحاب ابي عبد الله ابن امغار ، وكان عبداً صالحاً ، قدم مراكش واستقر ءاخراً بسجلماسة وبها مات في حدود السبعين وخمسمئة .

قال في التشوف : سمعت محمد بن ابي القاسم يقول حدثنا غير واحد من اصحاب يحيى الدكالي قالوا كان ليحيى صاحب" من مومني الجن ، فاذا قام الى ورده يصلي صلاة صاحبه بصلاته (138) .

1585) يحيى بن محمد بن عبد الرحمان التادلي ، من اهل تادلة ، مات بفاس سنة ست وسبعين وخمسمئة ودفن في روضة الفقيه ابراهيم ابن قرقول ، وكان عبداً صالحاً ورعاً مجابَ الدعوة .

قال في التشوف : سمعت عبد الله بن موسى يقول ، سمعت محمد بن ابراهيم يقول ، قال لي يحيى التادلي في عام مجاعة بمراكش : اريد أن تعينني

---

137) **الذيل والتكملة** ص 194 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

138) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 266 ع 121

اليوم ، فقلت له نعم ، فقال جئني بالفقراء الذين بجامع علي ابن يوسف ، فأتيتُه بهم ، فأخرج قمحاً وسمناً كان عنده ففرقه عليهم حتى لم يبقَ لـه منه شيء .

وحدثني علي بن عيسى بن عبد الله بن محمد عن محمد الحضري وكان خاصاً بيحيى ، قال كان ليحيى بفاس عام احد وسبعين وخمسمئة قمح في غرفتيْن ، فقال لي يحيى اريد أن اطلعك على سري فلا تخبرْ به احداً حتى اموت ، فقلت له وماذاك ؟ قال نذرت ان اتصدق بجميع القمح الذي في الغرفة الواحدة ، ففرقه على المساكين ، فعتبتُه على ذلك ، فقال لي افعلْ ما امرتُك به ، ففرقتُها كلها على المساكين ، ثم مكث يسيراً فرأى الحال قد اشتد ، فقال لي الحقْ الغرفة الثانية بالأولى ، وكان له ولدٌ أعمى ، فقلت لـه يايحيى انظر من ولدك هذا واترك له شيئاً ، فقال لي يابني ، بيني وبين الله سر لا يضيع معه ، فلما كان ذاتَ يوم ماطر جاء وخلفه جماعة من المساكين ، وفي يده اوراق كرنب ، فأخرج قدراً من سمن لم يبق له شيء سواها ، فجعل يخرج السمن ويجعله على ورقة حتى لم يبق منه شيء ، وانصرم ذلك العام ، ولم يبق له من ماله شيء .

وحدثني يوسف بن موسى التادلي قال ، ماتت زوجُ يحيى فأنكحه محمد بن واملال المعروف بأصناج امـرأة جميلة من قرابته ، وكـان يوسع عليهما ، فقال يحيى اخاف الفتنة من بقائي مع هذه المرأة ، فانها جميلة ، وارى الدنيا قد اقبلت علي ، فطلقها وتوجه الى مكة ، فوجد بمصر مولى كان اعتقه ، فأتى الى يحيى بستين ديناراً فأبى من قبولها ، وقال انما احتاجُ ان تكتري لي جملا يوصلني الى مكة ، فاكتراه له ، فوصل مكة واقام بها ، وكان يحتطب الاذخر ويبيع الحُزمة منه بدرهم ، فاشترى منه رجل من أهل فاس حزمة فحملها الى منزله ودفع له عشرة دنانير ، فقال له يحيى انما آخذ منك درهماً او ترد الي الحزمة ، فما زال الكلام بينهما الى أن قال له الرجل يايحيى عرفتك بفاس ، فسأله عن الزوجة التي كان طلقها ، فقال له : تزوجتْ ، فقال ما حبسني بهذه البلاد الا امرها ، اما الآن وقد تزوجت فاني ارجع الى

المغرب ، فعرض عليه الرجل مالا ، فقال له لا أقبل منك شيئاً الا على وجه السلف ، فاكترى له الرجلُ وأنفق عليه واجتمع له عليه من الكراء والنفقة من مكة الى فاس ثمانية عشر ديناراً ، فجاء الرجل الى يسكر بن موسى ودفع له مئة دينار ، وقال له عسى ان تدفع الى يحيى هذه المئة دينار ، فلي عليه دينٌ يقضيه منها ، فجاءه يسكر ، فوجد عنده جمعاً كثيراً ، فلما خرجوا من عنده قال له يسكر : هذه مئة دينار من كسب طيب رغب ربُّها ان تقبلها منه ، فجلس وكان مضطجعاً وقال له : ابهذا تواجهني يايسكر ؟ وتريد أن آخذ أوساخَ الناس ؟ فقال سمعت ان عليك ديناً فرأيت أن تقضيه منها ، فقال له سيأتي ولدي من تادلة وآخذ منه ما أقضي به الدين علي ، ثم جاء ابنُه بعد يومين ، فأخذ منه ثمانية عشرة ديناراً فقضى منها دينه ، ثم مرض فمات رحمه الله تعالى .

وحدثني عيسى بن علي : قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمان قال دفع الي عباد بن اسماعيل بأغمات عشرين ديناراً ، فأمرني ان اشتري له بها سلعة من مدينة فاس ، فلما وصلت فاس دخلت في السقاية ، فنسيت في السقاية العشرين ديناراً ، ودخلت الى يحيى فوجدت عنده جماعة ، فلما حضر لنا الطعام تذكرت العشرين ديناراً التي نسيتُها في السقاية ، فامتنعتُ من الأكل ونالني غم عظيم ، فقال لي يحيى كل فاني اعطيك العشرين ديناراً من مالي ، فقلت له اني من شأنها في غم عظيم لا يطيب لي الأكل معه ، فقال لي : قم الى التابوت وخذ منه عشرين دينارا ، فقمت فأخذتها من تابوته ، وسكن خاطري وأكلت ، فلما أصبح اتيتُه وهو نائم في مصلاه ، فأفاق من نومه وقال لي : نمت الساعة ورأيتك في النوم ، فقلت لي وجدت العشرين ديناراً التي للفقيه عباد ، فخرجت من عنده الى المسجد ، فجلست مع قوم وتأسفوا لضياع العشرين دينارا ، وكان معنا رجل يسمع حديثنا ، فقام عنى وجاءني بالدراهم نفسها ، وذكر انه التقطها ، قال فذهبتُ من فوري الى يحيى فأعلمته ، فقال لي جئني بدراهمي بأعيانها قبل ان تختلط بغيرها ، فأتيته فردها الى موضعها (139) .

---

139) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 232 ع 99

1586) **يحيى ابن واصل الاشبيلي** اصله من اشبيلية ، قدم مراكش فنزل بالجانب الشرقي في بحيرة الصفصفة ، ومات في حدود الثمانين وخمسمئة ، ودفن في روضة الفقيه مروان خارج باب فاس من ابواب مراكش ، وكان اجذم ظاهر الولاية .

قال في التشوف : سمعت موسى بن يوسف المعلم يقول : دخلت على ابن واصل في السادس والعشرين من رمضان ، وقد توضأ للصلاة وكبَّر وشرع في الصلاة ، فلما سجد طال سجوده الى ان حركتُه فوجدتُه ميتاً رحمة الله عليه (140) .

1587) **يحيى بن ابراهيم ابن عبد الله التادلي** ، من اهل تادلة ، قدم مراكش ومات بتادلة وقد زاد على المئة بنحو عشرة اعوام ، وكانت وفاته عام اثنين وثمانين وخمسمئة ، وكان عبدا صالحاً لزم المسجد نحو خمسين سنة ، وأنفق ماله في سبيل الخير حتى لم يبق له شيء .

يامظهرا وهو يحب الغنى	زهدا لدعواه له ينتمي
هيهات منك الزهد حتى ترى	تزهد في الدينار والدرهم

ترجمه في التشوف (141) .

1588) **يحيى بن عبد الجليل ابن مجبر الفهري**

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمان ابن مجبر الفهري ، من اهل فرتش من احواز شقورة ، وسكن اشبيلية ، قال فيه ابو بحر صفوان بن ادريس الكاتب انه من بلش وغلط في ذلك .... ونشأ بمرسية واخذ عن مشيختها وتأدب بهم ، وكان في وقته شاعر الأندلس بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع ، وكان يمتدح الأمراء والرؤساء ، وربما كتب لبعضهم ، ولم يكن احد يجري مجراه من فحول الشعراء في وقته ، يعترف له بذلك الأكابر من اهل الآداب ، ويشهد بقوة عارضته وسلاسة طبعه قصائده التي

---

140) **التشوف** ص 235 ع 100

141) **التشوف** ص 231 ع 98

سارت امثالا ، وبعدت على قرائها منالا ، وشعره مدون متداول ، وقد حمل عنه ابو القاسم حسان بعضه ، ومن جيده المحفوظ :

ان الشدائد قد تغشى الكريم لأن ... تُبينَ فضل سجاياه وتوضحه

كمبرد القين اذ يعلو الحديد به ... وليس يأكله الا ليصلحه

وله :

لا يغبط المجدب في علمه ... وان رايت الخصب في حاله

ان الذي ضيع من نفسه ... فوق الذي ثمَّر من ماله

توفي بمراكش سنة 588 ودفن ليلة عيد الأضحى ، قرات وفاته بخط ابي عمرو ابن عيشون ، وحكى بعض اصحابنا انه لما افتتحت شلب توجه الى مراكش في اثر ذلك ، فتوفي ودفن هنالك في سنة 587 وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

ذكره في التكملة (142) .

وقال في بغية الملتمس في ترجمته مانصه : اديب شاعر متقدم في طريقة الشعر برع فيها وفاق اهل زمانه ، ثم ذكر وفاته ، ثم قال انشدت من شعره يرثى القائد سعيد بن عيسى :

قيل لي اودى سعيد بن عيسى ... يرحم الله ابن عيسى سعيدا

اكلته الحربُ شيخاً كبيرا ... وقديماً ارضعتْه وليدا

ولما صلب الجزيري ومَن اخذ من اصحابه بحضرة اشبيلية ، وعاينهم قد رفعوا في خشبهم انشد :

ركبٌ الى نار الجحيم مسيرهم ... وركابهم لا تستطيع مسيرا

الحي منهم لا يرى مستوطناً ... والميتُ منهم لا يرى مقبورا

مما يزيد الأرضَ طيباً انها ... لفظت عداتك ابطنا وظهورا

---

142) **التكملة** ص 725 ع 2055 طبع مدريد ، ونسخة الخزانة الحسنية الملكية بالرباط (مخطوطة) .

وقد رأيت شعره مجموعاً في سفرين ضخمين انتهى (143) .

وقال في نفح الطيب عند ذكر المترجم وشعره كثير يشتمل على اكثر من تسعة آلاف واربعمئة بيت ، واتصل بالأمير ابي عبد الله بن سعد ابـن مردنيش ، وله فيه امداح .

وانشد يوسف بن عبد المومن يهنيه بفتح :

ان خير الفتوح ما جـــاء عفـــواً مثل ما يخطب الخطيب ارتـجـــالا

وكان احمد الجراوي حاضراً فقطع عليه لحسادة وجدها وقال : ياسيدنا اهتدم بيت وضاح :

خير شراب ما كـان عـفـــوا كـأنـه خطبـة ارتــجـــال

فبدر المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب العشرين ، وقال ان كان اهتدمه فقد استحقّه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف ، فسر ابوه بجوابه ، وعجب الحاضرون .

ومر المنصور ايامَ امرته بأونبة من ارض شلب ، فوقف على قبر الحافظ علي ابن حزم ، فرفع راسه وقال : عجبـاً لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم ، ثم قال كل العلماء عيال علي ابن حزم ، ثم رفع رأسه وقال : كما ان الشعراء عيال" عليك ياأبا بكر يخاطب ابن مجبر (144) .

وقال في معاهد التنصيص عند ذكر الايغال : ومن ابدع ما وقع فيه لمتأخر قول يحيى ابن مجبر : وخليفة بن خليفة بن خليفة ، وستفعل جفونه وتفعل ؟ تبليغ بديع افاد به بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه . انتهى .

وقال المنصور ايضاً لما انشده ابيات المقصورة فطرب لسماعها ، وارتاح لاختراعها ، والتفت الى الجراوي وكان يعلم قلة تسليمه ليحيى وكثرة غضه منه : سلم له ياأحمد ، ثم انشده :

---

143) **بغية الملتمس** ص 508 ع 1494

144) **نفح الطيب** 3 : 238

اذا لم تستطعْ شيئاً فدعه ... وجاوزه الى ما تستطيع

قال ابو عبد الله : فخرج يحيى ابن مجبر والشعراء يلومونه ان لم يكن اول منشد حتى يخفوا اشعارهم بعده ويستروا عوارهم كما في شرح المقصورة .

وممن روى عنه ابو علي الشلوبين وطبقته .

توفي بمراكش سنة 588 وعمره 53 سنة رحمه الله تعالى .

ومن نظم ابن مجبر ايضاً ماكتب به الى السلطان ملك المغرب وقد ولد له ولد ، اعني لابن مجبر :

ولد العبد الذي انعامكم ... طينة انشيء منها جسده

وهو دون اسم لعلمي انه ... لا يسمي العبد الا سيده

وقال في النفح في محل آخر : ولما مات يوسف الموحدي رثاه اديب الأندلس يحيى ابن مجبر بقصيدة طويلة اجاد فيها ، واولها :

جلَّ الأسى فأسلْ دمَ الأجفان ... ماء الشؤون لغير هذا الشان

وتقدم ذكره في المقدمة وما انشده في المقصورة حيث يقول :

طوراً تكون بمن حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار

وتقدم ذكر المساجلة بينه وبين احمد بن عبد السلام الجراوي وابي بحر صفوان في ترجمة صفوان المذكور .

وذكر في الوافي ، في نظم القوافي ، كثيراً من شعره منها في تهنئة الوزير ابي بكر ابن اخيل وقد ولد له ولد اثر موت آخر :

تعزَّ عن الندب الذي كنت تندب ... بوافدة البشرى التي كنت ترقب

راجع تمامها فيه .

ثم انشد له :

وزائــرة والليل ملــق رواقَـــــه ... ومن اين للظلمــاء ان تكتم القمـــر

حسرت نقاب الصون عن حر وجهها ... فياحسن ما انشق الكمام عن الزهر

وراودتهــا عن لثمهــا فتمنعـــــت ... وماعادة الأغصان أن تمنع الثمـــر

رشأ كلما ادمتْ لحاظي خـــــده ... اشار الى قلبي بعينيــه فانتصـــر

وطالبني شوقي بتقبيــل ثــغـــره ... لقد غاص في بحر الجمال على الدرر

وانشد الشيخ عبد الغني في نفحــات الأزهار على نسمات الأبحــار للمترجم هذا البيت في تجاهل العارف :

يقولون داو القلب واسلُ عن الهوى ... فقلت لنعم الرأيُ لو ان لي قلبـــا

وذكر المترجم في الشذرات (145) .

1589) يحيى بن ابي الحجاج الليلي صهر الحافظ احمد ابن خليل قال ابن الزبير : انتقل الى مراكش صغيراً ونشأ بها ، وأخذ العربية بمدينة فاس عن ابي بكر بن طاهر (الخدب) واخذ عن غيره ، وكان له تقدم في علم العربية واصول الفقه، مع دقة نظر ونفوذ سهم وغموض استنباط وقوة ادراك ، وهو الذي استخرج من تفسير ابى الحكم ابن برجان من كلامه على سورة «الم ، غُلبت الروم» فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين ، وحقق وعيَّن ماكان اغمض فيه ابن برجان وابهم ، ووقف عليه المنصور فبقي مرتقباً له ومعتنياً في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله ، فأمر ان يحضر مجلسه ويرتسم في جملة طلبته .

روى عنه ابن اخته القاضي ابو الخطاب ابن ابي العباس ابن خليل .

---

145) **شذرات الذهب** 4 : 295

توفي في حدود سنة تسعين وخمسمئة او بعد ها بقليل ، رحمة الله تعالى عليه .

نقله في الجذوة ، وترجمه ايضاً في بغية الوعاة (146)

1590) **يحيى بن ميمون الصنهاجي** من اهل رباط اييسين من بلد أزمور ، وبه مات عام احد وستمئة ، خدم ابا شعيب ايوب السارية ، وكان يقول سألت ابا شعيب يتفل في فمي فما زلت به الى ان فعل ، وكان يبرىء العلل بالتفل عليها ، واشتهرت عنه اجابة الدعوة وبذلك سمي يحيى المزبرة لسرعة اجابة دعوته ، وكان الناس يتقون دعاءه لما جربوه من دعائه .

قال في التشوف : واخبرني الثقة قال : رايت يحيى بن ميمون قدم مراكش ، وكان يحفر التراب من الأرض ويصنع به القدور ويبيعها ويشتري بأثمانها شعيراً فيطحنه بيده ويأكله ، وكان يقول : خدمت الشيخ ابا شعيب احد عشر عاماً اطحن له بيدي قوته (147) .

1591) **يحيى بن محمد ابن طفيل القيسي**

يحيى بن محمد بن عبد الملك ابن طفيل القيسي ، كان والده طبيب يوسف بن عبد المومن الموحدي ، وتقدم ذكره في المحمدين ، وان ولده هذا روى عنه صاحب المعجب بمدينة مراكش سنة 603 قصيدة فراجع ما تقدم ، وتقدم ذكره في ترجمة محمد بن احمد بن محمد اللخمي وانه روى عنه المترجم يحيى بن محمد ابن الطفيل ، وانه اختصر تأليف شيخه المذكور المسمى (حجة الحافظين ، ومحجة الواعظين) ، وسمى اختصاره (انوار مجالس الأذكار ، وابكار عرايس الأفكار) ، وهذا المختصر في مجلدين ضخمين بخط منتخبه .

---

146) حققنا الترجمة على **صلة الصلة** ص 187 ع 370 وانظر ايضاً **جلوة الاقتباس** ص 537 ع 620 طبع الرباط ، و **بغية الوعاة** 2 : 331 ع 2111

147) **التشوف** ص 429 ع 238

1592) يحيى بن عبد الرحمان الأصبهاني

يحيى بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن عبد الله القيسي ، دمشقي نزل غرناطة وسكنها سنين ، مجد الدين الأصبهاني ، شهر بذلك في مجلس ابي الطاهر السِّلَفي لدخوله اصبهان واقامته بها ازيد من خمسة اعوام لدرس الخلافيات ، روى عن ابراهيم بن سفين بن ابراهيم بن مندة ، ومحمد بن احمد بن ابي الفرج بن الفضل السكري ابن ماشاذة ، وابوي الرشيد اسماعيل بن غانم بن خالد السبيع وعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو الزاهد العدل ، ومحمد بن معمر بن عبد الواحد ومحمد ابن ابي الرجا بن محمد بن الفضل التميمي ، وسفين بن الفضل بن محمد بن ابي الطاهر ، والنبيه ابو الفتوح ظافر بن محمد بن بختيار ، وابى موسى الأصبهاني الخـلال ، لقيهم كلهـم بأصبهان ، قال وهم من كبار محدثيها ، ومحمد بن محمد بن محمد الطوسي البر .... وله مصنفات ، ومحمد بن ابي سعد بن ابي سعيد البكر .... وابي الطاهر السلفي بالأسكندرية ، واخذ عنه وقصد .... عن عبد الحق ابن الخراط ببجاية ، واجاز له وهو .... بالوعظ والتذكير فامثل ذلك ، وقدم الأندلس ، وتجول ببلاد .... من اهلها ابا جعفر ابن الجيار ، وابن يحيى ابن عميرة ، وابن يوسف ابن .... الحجاج بن علي بن عبد الرزاق ، وابنا حوط الله ، وابو الربيع بن سالم ، وابو .... بن احمد بن صالح وابن سعيد الطراز ، والحسن بن علي بن سمعـ ...... وابو ...... ابن سالم ، وابو القاسم الملاحي ، وابناه عبد الواحد وعلي ، وكان شديد الحياء ورعاً كثير الصدقة ، مثابراً على اعمال البر زاهداً في الجاه ، منقبضاً عن رؤساء الدنيا مداخلا لأهل العلم متحببا الى طلبته القاصدين اليه للأخذ عنه ، منبسطاً مع اهل الدين والفضل ، عالماً بأصول الفقه والتصوف ، فقيهاً شافعياً متسع الرواية في الحديث ، ولم يكن ضبطه بذلك ، ومن مصنفاته الروضة الأنيقة .

انتحل اول قدومــه الأندلس الوعظ والتذكير ، واستمر على ذلك زماناً ، ودخل مراكش واغمات وريكة فيما قيل ، ووعظ بهما ونفع الله به خلقــاً كثيراً ، ثــم تخلى وانقطــع الى ······ الله تعــالى ، واقبــل على العبادة والمجاهدة ، وآثر الخمول والخلوة الا مع طلبة العلم ، ولزم سكنى رويضة خارج غرناطة ، وارسل اليه واليها اسحق بن يوسف بن عبد المومن وزيره راغباً منه في الوصول اليه فأبى من ذلك بعداً من التظاهر وفراراً من ملابسة ابناء الدنيا ، فبينما يحيى في موضع سكناه سمع قرع بابه ، فقام الى فتحه ، فاذا الأمير اسحاق مع احد غلمانه ، فدخل عنده وقال له جئت اليك اذ لم تردْ ان تصل الي ، فاشتدَّ قلقُه لذلك ، وقال له اصلحك الله هذا امر لا يهون علي ولا يحتمله حالي ، فقال له اسحاق لابد من اجتماعنا اما بوصولي اليك واما بوصولك الي ، فقال اذ ولابد من ذلك ، فعسى ان يكون في موضع خارج البلد خامل لا يؤبه له ولا يفطن لتلاقينا فيه ، واذا اردتَ ذلك فتقدم الى الموضع الذي تعينه لتلاقينا فيه ، وارسلْ الي ········· الموضع فأقصد اليك فيه ، فنجلس فيه ماقدر ونفترق ················ حالهما في التلاقي على هذا برهة من الدهر ، ثم ان ابا ······ رايت ان نبيت معاً ، فقال يحيى هذا ما يمكنني ················ فقال له : وما يمنعك من ذلك ؟ فقال انني عاهدت الله ان لا ابايت ·············· ولا عنده ، فتركه على حالــه مستكثراً بما تأتّى له من مساعدته ، ·········· الاجتماع به على ما وصف ، قال ابو جعفر الجيار : مارأيت اشد حياء ············ ازهد ، وما ترك بعده مثله فيما علمت ، وكانت له دراهم من مكسب ············ حلال ، وكان قد دفعها الى ثقات من اخوانه ليتجر لــه بها على حكم القراض فيتقوت بما يفيء الله عليه من ربحها ، فلما مرض مرضه الذي مات منه اوصى بثلثه لأولي الستر من اهل غرناطة ، وجعل رحمه الله تنفيذ ذلك الى سعيد بن الحاج بن سعيد فنفذه بعده ، وكان قد بعث الي بجملة مال الى مالقة من غرناطة ، وكتب الي ان اشتري بها حكرة ، فاذا بلغك اني توفيت فتصدق بجميعه على أهل الستر ففعلت ، وبقيت السلع نحو العامين ، فلما توفي بعتُها وتصدقتُ بثمنها كما ذكر ، وصادف ذلك وقت شدة في السعر .

وكانت وفاته رحمه الله بغرناطة يوم الأحد لخمس خلون من شوال ثمان وستمئة ، وقال ابن الأبار يوم الاثنين يوم وفاة ابيَ عبد الله ابن نوح ببلنسية ، ومولده بدمشق سنة سبع وقال ابن الأبار آخر ثمان واربعين وخمسمئة (148)

1593) **يحيى بن داوود** ، تادلي سكن فاس ، أخذ العربية بفاس عن ابي بكر بن طاهر الخدب ، وبمراكش عن ابي موسى الجزولي ، وبالأندلس عن ابي عبد الله بن محمد ابن ابي البقاء ، واياه اعتمد ، وروى الحديث عن ابي الحسن ابن حنين ، وابي عبد الله ابن الرمامة ، وتفقه به وبغيره من فقهاء فاس ، روى عنه محمد ابن الأبار ، وابو محمد بن عبد الرحمان ابن برطلة ، وكان بصيراً بالأحكام ، ذا حظ من الفقه واصوله ، مشاركاً في العربية والأدب ، ذاكراً للأشعار مع ضبط ولسن وبلاغة ، استقضي بجزيرة شقر مدة طويلة ثم صرف عن قضائها وسكنها ، وولي الأحكام ببلنسية لقاضيها ابي ابراهيم بن يغمور ، وتوفي بها سنة اثنتي عشرة وستمئة (149) .

1594) **يحيى بن موسى ابن دافال**

يحيى بن موسى بن عيسى بن عمران ابن دافال المكناسي ثم الورديميشي ، مراكشي (كان) فقيهاً زاهداً فاضلا من بيت نباهة وعلم وجلالة .

1595) **يحيى بن ميمون ابن ياسين اللمتوني** ، مراكشي ، وروى باشبيلية عن ابيه وسكنها معه .

1596) **يحيى بن احمد الأنصاري** ، سبتي ، ابو بكر النكائي ، روى عن ابي الحسين بن ······· ابراهيم بن حجاج بن يوسف بن حجاج التجيبي ، **مراكشي** ··················· **عن بعض اهل بلده ، وكان له حظ من الفقه ليس بالوافر** ، ························· وريكة ، وهو الذي

---

148) **الذيل والتكملة** ص 192 (قسم الغرباء) **مخطوط** الخزانة العامة بالرباط .

149) **الذيل والتكملة** ص 192 (قسم الغرباء) مخطوط الخزانة العامة بالرباط .

تولى قبله جامعها الأعظم ، واستقضى .... استدعاء عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق الى قضاء .... مراكش ، وكان يحيى هذا مرضيَ الأحوال في احكامه ولا مشكورا .... ، سمع الله لـه (150)

1597) يحيى بن ابي بكر الزناتي

يحيى بن ابي بكر بن محمد بن مع الله بن يحياتن الزناتي ، نزل مراكش وبها مات يوم الثلاثاء الثالث عشر من شعبان عام اربعة عشر وستمئة ، ودفن خارج باب الدباغين ، وكان عبداً صالحاً لا يعرف شيئاً مما الناس فيه .

قال صاحب التشموف : وهو اول مَن قرأت عليه كتاب الله تعالى ، وكان من اهل التهجد بالقرءان سريع الدمعة على سنن اهل الدين والفضل ، رايته بعد موته في النوم فسألته عن حاله فذكر خيراً .

حدثني ابنه عمر بن يحيى قال : لما حضرت ابي الوفاة مدّ يديه ورجليه وقرأ (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) ، ثم تبسم وردّ السلام على يمينه ، ثم رد السلام على يساره ، فلقنته الشهادة فقال بصوت رقيق اشهد ان لا اله الا الله ، واشار بحاجبيه ، ثم خرجت نفسه رحمه الله تعالى .

وحدثني عمر بن يحيى قال : مـر ابي لزيارة الشيخ الصالح ابي محمد صالح بن ينصارن برباط ءاسفي ، فحدثني انه لما قرب من موضعه تلقاه تلامذته وعليهم المرقعات وهم في وردهم من الذكر فاعتنقوه وهم يبكون وهو يبكي معهم ، فقال لهم : اين الشيخ ابو محمد صالح ؟ فقالوا تركناه في منزله ، فسألهم عن سبب خروجهم اليه ، فقالوا له كنا معه جلوساً الى ان اطرق ورفع

---

150) **الذيل والتكملة** ص 191 (قسم الغرباء) مخطوط الخزانة العامة بالرباط واظن ان اول الترجمة لشخص سبتي ، وآخرها لآخر مراكشي ، وجعلهما المؤلف ترجمة واحدة لما في الأصل المنقول منه من محو .

رأسه وقال لنا جاءكم رجل صالح فاخرجوا الى لقائه ، فخرجنا اليك ، فاجتمع بأبي محمد صالح وخلا به مع شدة انقباضه عن الناس ، فلما انصرف عنه قال : ما ظننت ان بمراكش مثل هذا الرجل ، انتهى (151) .

واختصر في ترجمته في الذخيرة السنية (152) .

1598) **يحيى بن يسولان الصنهاجي** ، تلميذ عبد الجليل بن ويحلان ، وشيخ منصور بن عبد الرحيم الهسكوري ، وكان من اكابر الأولياء ، مائلا الى التشدد على نفسه والزهد في الدنيا والاعراض عنها وعن اهلها ، واقام مدة في بيته بأغمات لم يخرج منه ، فقيل له في ذلك ، فقال لقيت في الطريق امرأة متزينة ، فرأيت الحور في الدنيا فكرهت ان اخرج ليلا ارى مثل ما رايت :

اعص الهوى واطع نهاك ولا يكـــن   لسوى العفاف عليك من سلطـــان
وتوقَّ من خــدع النســاء حبائــلا   ان النســاء حبائــل الشيطـــان

قال في التشوف : وحدثني مخلوف بن ياسين عن منصور ان يحيى امره بعض اصدقائه بالخروج من البلد خوفاً عليه ، وكان الحرس على باب المدينة ، فخرج عليهم ولم يشعروا به حتى بعُد عنهم ، فقالوا متى خــرج علينا هذا ؟ فاشتدوا ليدركوه فأخطأوا الطريق التي اخذ فيها فلم يدركوه ، وسلم منهم فلم يقفوا له على أثر (153)

1599) **يحيى بن ميمون القرطبي** ، صاحب الفقهية المشهورة ، دفين خارج باب الخميس من مراكش ، وعليه حوش بين حدائق هناك على بعد نصف ميل ، وقبره مزارة مشهورة .

---

151) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 461 ع 267

152) **الذخيرة السنية** ص 51

153) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 213 ع 84

وتقدم في ترجمة حسن بن علي بن محمد الأنصاري المتوفى بمالقة سنة ثلاث او اربع وستمئة ، انه اخذ عن يحيى بن ميمون القرطبي بمراكش وصحبه هناك .

1600) **يحيى بن حسان المرادي** ، النحوي الحافظ الشلبي المرجيفي ، كذا ذكره ابن الزبير ، وقال اخـذ عن موسى بن زكريـاء وعقيل بن الفضل الشلبيين وتلا عليهما ، واستوطن مدينة مراكش واقرأ بها القرءان الى أن مات سنة اربع عشرة وستمئة .

ذكره في البغية (154)

1601) يحيى بن محمد بن يعقوب المنصور الموحدي

يحيى المعتصم بن الناصر محمد بن يعقوب المنصور الموحدي ، لما قتل العادل بايع الموحدون يحيى بن اخيه المترجم ، فعمل ابن يوجان على افساد الدولة ، فداخل هسكورة والعرب في الغارة على مراكش وهزم عساكر الموحدين ، وفطن ابن الشهيد لتدبير ابن يوجان فقتله بداره ، وخرج يحيى بن الناصر الى معتصمه كما ذكرناه ، فخلع الموحدون العادل وبعثوا بيعتهم الى المامون ، وتولى كبر ذلك الحسن ابو عبد الله الغريغر والسيد ابو حفص بن ابي حفص ، فبلغ خبرهم الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين (وستمئة) وقتلوهم ، وبايع للمامون صاحب فاس وصاحب تلمسان محمد بن ابي زيد بن يوجان ، وصاحب سبتة ابو موسى بن المنصور ، وصاحب بجاية ابن اخيه ابن الأطاس ، وامتنع صاحب افريقية ، وكان ذلك سبباً لاستبداد الأمير ابي زكرياء على ما يذكر ، ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر الا افريقية وسجلماسة .

وزحف البياسي الى قرطبة فملكها ، ثم زحف الى اشبيلية فنازل بها المامون والطاغية معه ، بعد ان نزل له عن مخاطة وغيرها من حصون المسلمين ،

---

154) **صلة الصلة** ص 192 ع 380 طبع الرباط ، و **بغية الوعاة** 2 : 332 ع 2112

فهزمهم المامون بنواحي اشبيلية ولحق البياسي بقرطبة فثاروا به ، ونجا الى حصن المدور ، فغدر به وزيره ابو يبورك ، وجاء براسه الى المامون باشبيلية .

ثم ثار محمد بن يوسف ابن هود ، وملك مرسية ، واستولى على الكثير من شرق الأندلس كما ذكرناه في اخباره ، وزحف اليه المامون وحاصره فامتنع عليه فرجع الى اشبيلية ، ثم خرج سنة ست وعشرين الى مراكش لما استدعاه اهل المغرب وبعثوا اليه بيعاتهم ، وبعث اليه هلال بن حميدان امير الخلط يستدعيه ، واستمد الطاغية عسكراً من النصارى فأمده على شروط تقبَّلها منه المامون ، واجاز الى العدوة ، وبادر اهل اشبيلية بالبيعة لابن هود ، واعترضه يحيى بن الناصر فهزمه المامون واستلحم مَن كان معه من الموحدين والعرب ، ولحق يحيى بجبل هنتاتة ، ثم دخل المامون الحضرة واحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم قولاتهم وتقبض على مئة من اعيانهم فقتلهم واصدر كتابه الى البلدان فمحوا اسم المهدي من السكة والخطبة والنعي عليه في النداء للصلاة باللغة البربرية ، وزيادة النداء لطلوع الفجر ، وهو اصبح ولله الحمد ، وغير ذلك من السنن التي اختصَّ بها المهدي وعبد المومن ، وجرى على سننها ابناؤه ، فأوعز بالنهي عن ذلك كله ، وشنع عليه في وصفهم الامام المهدي بالمعصوم ، واعاد في ذلك وابدأ ، واذن للنصارى القادمين معه في بناء الكنيسة بمراكش على شرطهم ، فضربوا بها نواقيسهم ، واستولى ابن هود بعده على الأندلس واخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة في كل محل ، وقتل السيد سليمان بن اخي المنصور ، وكان المامون تركه والياً بقرطبة ، واستبدَّ الأمير ابو زكرياء بن ابي محمد بن الشيخ ابي حفص بافريقية وخلع طاعته سنة سبع وعشرين وستمئة ، فعقد للسيد ابي عمران ابن عمه محمد الخرصاني على بجاية مع ابي عبد الله اللحياني اخي الأمير أبي زكرياء ، وزحف اليه يحيى بن الناصر فانهزم ثم ثانية كذلك ، واستلحم مَن كان معه ، ونصبت رءوسهم بأسوار الحضرة ، ولحق يحيى بن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة .

ثـم انتقض على المامـون اخـوه ابـو موسى ودعـا لنفسـه بسبتة وتسمى بالمؤيد ، فخرج المأمون من مراكش وبلغه في طريقه ان قبائل بني فازاز ومكلاته حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها ، فسار اليها وحسم عللَها ، واستمر الى سبتة فحاصرها ثلاثة اشهر ، واستمدَّ اخوه ابو موسى صاحب الأندلس ابن هود ، فأمـده بأساطيله ، وخالف يحيى بـن الناصر المامون الى الحضرة فاقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ، ومعهم ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة ، وعاثوا فيها ، فأقلع المامون عن سبتة يريد الحضرة ، وهلك في طريقه بوادي ام الربيع ، مفتتح سنة ثلاثين (وستمئة) ، ولحين اقلاعه دخل اخوه السيد ابو موسى في طاعة ابن هود وأمكنه من سبتة ، فأداله منها والله تعالى اعلم (155)

توفي المترجم يحيى ابو زكرياء بفج عبد الله بين مدينة فاس وتازة في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمئة .

ترجمـه ابن خلـدون وصاحب الحلل الموشية وتاريـخ الدولتين وغيرهـم .

1602) **يحيى بن ذي النـون بن يحيى الاشبيلي** النحوي ، قال ابن الزبير : اخذ عن علي بن جابر الدباج والشلوبين وغيرهما ، واقرأ القرءان والعربية والفقه ببلده مدة ، ثم انتقل الى العدوة عند استيلاء النصارى دمرهم الله على قرطبة سنة 633 فسكن مراكش وأقرأ بها يسيراً ، ثم توفي وسنه نحو من ستين سنة ، وكان من جلة الأساتيذ النبهاء ومن اهل الفضل والدين رحمه الله (156) .

1603) يحيى بن عبد الواحد الحفصي

يحيى بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص صاحب تونس ، ولـد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسمئة ، وكانت خلافته بتونس عشرين سنة

155) ما تقدم منقول من **تاريخ ابن خلدون** 6 : 528 طبع بيروت .

156) **صلة الصلة** ص 195 ع 386 طبع الرباط

ونصف سنة ، وتوفي سنة سبع واربعين وستمئة عن سبع واربعين سنة ، ذكره في تاريخ الدولتين ونزهة الانظار ، وقال محمد بن ابي القاسم الرعيني ذكره في تاريخ الدولتين ونزهة الانظار (157) .

وقال محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار في المؤنس في اخبار افريقية وتونس صحيفة 125 الخبر عن خلافة امير المومنين يحيى (158) .

وباشارة المترجم الأمير يحيى بن عبد الواحد صنّف الشيخ الفقيه الحكيم الطبيب العارف الماهر المتفنن احمد بن محمد ابن الحشا (159) كتابه (مفيد العلوم ، ومبيد الهموم) في تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواقعة في الكتاب المنصوري ، الذي ألفه الحكيم الفيلسوف محمد بن زكراء الرازي — المتوفي سنة 311 او 320 المترجم في اخبار الحكماء وعيون الأنباء وابن خلكان — للأمير منصور بن اسماعيل احد الملوك السامانية .

وللحكيم ديسقوريدوس كتاب صور فيه الحشائش بالتصوير الرومي ، وكان مكتوباً بالقلم الاغريقي الذي هو اليوناني القديم ، وفي سنة 340 (160) بعث ارمانوس قيصر صاحب القسطنطينية الى الملك الناصر صاحب الأندلس براهب يُسمى نيقولا لاستخراج ما جهل

---

157) تنظر اخبار يحيى بن عبد الواحد الحفصي فيما بين الصفحتين 23 — 32 من **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** للزركشي — طبع تونس .

158) لم ينقل المؤلف الناقل شيئاً عن المؤنس في الأصل ، واخبار الأمير يحيى بن عبد الواحد الحفصي توجد في **المؤنس** (نشر المكتبة العتيقة بتونس) ابتداء من ص 132 .

159) **احمد بن محمد ابن الحشا** : فقيه حكيم توفي في حدود سنة 647 هـ وكتابه مفيد العلوم ، ومبيد الهموم توجد منه نسخة خطية بالرباط محفوظة بخزانتها العامة تحت رقم 955 وقد طبعه معهد الدروس المغربية العليا .

160) كتاب ديسقوريدوس الذي ترجمه اصطفن بن بسيل واصلحه حنين بن اسحاق (توفي سنة 260) كان معروفاً بالأندلس قبل عصر عبد الرحمان الناصر (300 — 350 هـ) ، اما تاريخ اهداء الكتاب المذكور الى عبد الرحمان الناصر من طرف ملك القسطنطينية فهو سنة 337 هـ وهو ما يفهم من كلام سليمان ابن جلجل في كتابه **طبقات الأطباء والحكماء**

من اسماء عقاقير ديسقوريدوس المترجم في ص 126 من اخبار الحكماء الى اللسان العربي ، وترجمه اصطفن بريسيل° الترجمان ، وممن شرح ادوية كتاب ديسقوريدوس المذكور عبد الله بن احمد المالقي النباتي المعروف بابن البيطار ، وكذلك فسرها سليمان ابن جلجل في ربيع الآخر سنة 372 بمدينة قرطبة في دولة هشام بن الحكم وزاد عليه ، وابن البيطار مترجم في عيون الأنباء وابن جلجل ، وممن ينقل عن ابن الحشا المذكور في كشف الظنون الشريف الطبيب سيدي عبد السلام بن محمد العلمي المترجم سابقاً في هذا الكتاب في كتابه ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس المطبوع بفاس سنة 1318 هـ راجع ص 23 منه ثم 107 ثم 110 ، واصطفن المذكور كان يقارب حنين بن اسحاق في النقل ، راجع الجزء الأول من عيون الأنباء .

1604) **يحيى بن ميمون بن مصمود** ، الوزير كان من رجالات دولتهم (161)، وربي في دولة السلطان ابي الحسن ، وكان عمه علال عدواً له لعداوة ابيه ، ولما انتزى السلطان ابو عنان على ملك ابيه استخلص يحيى هذا سائر أيامه ، وهلك يوم مهلكه كما ذكرنـاه ، واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يـزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده ، وصار الى تونس واعتقل بها مدة ، ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر ، فاختصّ به ، ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوي الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحد ، وكان عمه علال بعد أن اطلقه السلطان من الاعتقال مكنه من اذنه واقامه متصرفاً بين يديه ، فألقى الى السلطان استبداد يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من ءال عبد الحق ، وانه داخل في ذلك قواد الجند من النصارى ، واصاب الوزير وجع قعد به عن مجلس السلطان ، فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى ، فاستراب بأمرهم ، وتيقن الأمر بعكوفهم ، فأرسل السلطان من حشمه مَن تقبض عليه واودعـه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغـد

161) اي من دولة بني مرين .

وقتل قصعاً بالرماح ، وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعاً وصاروا مثلا في الآخرين ، والأمر لله (162) .

1605) **يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني** ، كان جده سعيد واحدَ وقته علماً وديناً ، وهو الذي احيى الله به السنة بسوس وانتعش الاسلام به فيه ، وتقدمت ترجمتُه (163) ، فخلفه ولده عبد الله ، وجرى على نهجه وسبيله ، بل كان بعض الناس يفضله على ابيه ، وتوفي سنة 1012 ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته ، ولما مات جلس ولده يحيى موضعَه ، وانتهج سبيله ، وكان فقيهاً مشاركاً ، رحل الى فاس واخذ عن شيوخها كالمنجور وغيره ، وعن الشيخ العارف بالله احمد الحسني ، على ما وجد بخطه ، السوساني الشهير بأدفال دفين درعة ، وهو معتمده ، اخذ عنه كثيراً من الفنون ، واجازه في علوم الحديث اجازه عامة ، وكان يحيى شاعراً محسناً ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، وله اتباع كوالده وجده ، وتوجهتْ الى زيارته الهمم ، وركبت اليه النجائب ، الا انه وقع له قريب مما وقع لأبي محلى ، فتصدى للملك وخاض في امور السلطنة ، فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : ان الرياسة اذا دخلت قلبَ رجل لا تقصر عن اذهاب راسه ، ولذلك قال صاحب الفوائد (164) في حقه : انه قام لجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة ، فاستمرَّ به علاجُ ذلك الى ان توفي ولم يتم له امر .

وكان يراسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه مَن استجار به ، ويروم الى مناصحته ابتغاء ، ويسر من ذلك حسواً في ارتغاء ، وكان زيدان يتحمل منه امراً عظيماً ، فمما كتب به يحيى اليه مانصه :

---

162) الترجمة او الخبر منقول بالحرف من **تاريخ ابن خلدون** 7 : 674

163) انظر ص 140 ع 1536 من هذا الجزء

164) يريد كتاب **الفوائد الجمية ، باسناد علوم الأمة** لعبد الرحمان بن الجزولي الشهير بالتمنارتي .

من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله لـه بجميل لطفه ءامين .

اللهم انا نحمدك على كل حال ، ونشكرك ياولي المومنين على دفع اللأواء والمحال ، ونصلي ونسلم على صفيك افضل من شدت اليه الرحال ، ونستوهبك يامولانا جميل لطفك وجزيل فضلك في المقام والترحال ، عائذين بوجهك الكريم من مواخذتنا بسوء أعمالنا ياشديدَ المحال .

هذا وسلام الله الأتم ، ورضوانه الأعـم ، ورحمته وبركاتـه ، على المـولى الامـام ، العلـم المقـدام ، العلـوي الهمـام ، كيـف انتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان ، الذي شمَّر عن ساقه لسلب الأديان ، وألحَّ في اقتضاء هواه على كل مديـان ، فانا لله ، ولاحول ولا قـوة الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وبعد فالباعث به اليكم في هذه البطاقة امور ثلاثة ، مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم : الدينُ النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم ، فالأول بيان سبب الركون الى جانبكم ، والثاني الحاملُ على دفع مناويكم ، والثالث ملازمة نصحكم وتذكيركم ، والضجر بما يصدر منكم ومن اعوانكم للرعية .

امـا الأولُ فلـه أسباب كثيرة ، منها مراعـاةُ الجنـاب النبـوي الكريم في اهل بيته ، ورضي الله عن ابي بكر الصديق القائل : ارقبوا محمداً في اهل بيته ، والقائل : لَقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم احبُّ الي من أن اصل قرابتي :

يااهلَ بيت رسـول الله حبكـم	فرضٌ من الله في القـرءان انزلـه
يكفيكمُ من عظيم المجـد انكـم	مَن لم يصلِّ عليكم لا صلاةَ لـه

ومنها نصح خاصة المسلمين الذي هو الدعـاء بالهداية لهم ، ورد القلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وقد بذلْنا الجهدَ في الجميع ، اخلص الله القصدَ في الجميع .

واما الثاني فلما جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على النفس والحريم والأموال ، وادخل بتاويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب ، وتعدى خصوص الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضولها ، ومدَّ مع ذلك يد الوعيد المؤكد بالايمان الينا في الأنفس والأموال ، فناشدناه كما تقرر في فتاوي الأئمة رضي الله عنهم حيث توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد العيان ، فكان الأمر كما قدر الله تعالى ، ولله الأمرُ من قبل ومن بعد .

واما الثالث فالكتاب والسنة والاجماع ، اما الكتاب فسورة (والعصر) ، قائمة البرهان في كل اوان وعصر ، وقال تعالى في قضية كليمه (رب بما انعمتَ علي فلن اكونَ ظهيرا للمجرمين) ، وقد استشهد به بعضُ العلماء في بـرى قلم لكاتب بعض الأمراء المتقدمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقوله جل من قائل (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ، واما السنةُ فالحديث الأول قولـه صلى الله عليه وسلم (المعين شريك) ، وقوله (مَن راى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدرْ فبقلبه وذلك اضعف الايمان) ، وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم ، لكون التغيير العملي اليكم حتى جذبتمونا اليه ، ودللتمونا بارتكاب اصعب مرام عليه ، وقوله : من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه ءايس من رحمة الله ، وقد قال المواق في شرحه على المختصر : مَن اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمن سفك دم مسلم فهو شريك في دمه ان سفك ، ثم اتى بالحديث المتقدم استعظاماً لذلك الأمـر العظيم ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا انخدعنا بالله حتى كنا نأمن بالقطع سفك الدماء اذذاك ، حيث كتبتَ الينا مراراً وامنت وارسلت ، وكنت اتخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وأسفي ومراكش والغرب ، ولذلك كنت الححت عليكم في تقرير العهد حتى اتاني القائد عبد الصادق بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان في جرم صغير ، وقال لي امرني السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقائه على العهد بينك وبينه من تأمين كل مَن امنته ، وامضاء كل ما رايته صلاحا للأمة ، ثم لم اكتفِ حتى اتى القاضي ، فكتبت الي معه ان كل ما رأيت

فيه الصلاح للأمة امضيتُه ، وانك امنت كل مَن امنته ، ثم بعد استقرارك في دارك كتبتَ الي كتاباً انك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الأمور كلها على معيار الشريعة ، فما راعني الا وقد اخفرت في ذمة الله وأماني الذي عقدته للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطرود عن بلد ، واخبار أخَر ترد علينا من جهة السواحل ، وان الناس تباع فيها للعدو دمره الله ، ولم نر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه امورَ الثغور ، فلم ندر هل بلغك ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع او لم يبلغك ، فأعلمنا لله لتطمئنَّ قلوبنا ، فاني اكاتبك في ذلك فلا ارى جواباً ، فقضيتُ والله من الأمر عجباً ، فان عددت ما منَّ الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك ءامناً من قبل النعم فقيده بما تقيد به كما في كريم علمك ، وان رايته بنظر ءاخر فان لله ما في السماوات وما في الأرض .

واما الاجماع فلم نر من العلماء مَن نهى عن نصح خاصة المسلمين وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعية ، بل عدوه من الدين للحديث الأول وغيره .

واما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم الانة القول في مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعياً لذلك ولو بنصف ما خاطب به الأئمة الأول اهلَ زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم وعملكم بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، ويكفيكم نصح الفضيل وسفيان وامامنا مالك رضي الله عنهم لمعاصريهم من الولاة ، ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم مَن غُشي عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على اختلاف الأعصار ، وتنوع الدول والأقطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه اشياخنا واسلافنا لكم ولأسلافكم عملنا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدي عبد الله الهبطي لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعه دنياً واخرى ، فهذا اصل قضيتنا معكم وهلم جرا ، والذكرى تنفع المومنين على كل الأحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وءاله خير ءال .

وبتاريخ اواخر ربيع النبوي الأنور ، كتبه عن اذنه رضي الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابي القاسم لطف الله به بمنه انتهى .

فأجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً

من عبد ربه تعالى ، المقترف المعترف زيدان بن احمد بن محمد بن محمد بن محمد ، الى السيد ابي زكرياء يحيى بن السيد ابي محمد عبد الله بن سعيد .

اعاننا الله واياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد فقد ورد علينا كتابكم ، ففضضنا ختامه ، ووقفنا على سائر فصوله ، ثم اننا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيَّركم ذلك وادى الى المباغضة والمشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضي الله عنه انه بعث الى علي رضي الله عنه واحضره عنده ، وألقى اليه ما كان يجده من اولاد الصحابة الذين اعصوصبوا بأهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضي الله عنه ، وهو في كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضي الله عنه : ما اسكتك ؟ فقال يأمير المومنين ، ان تكلمت فلا اقول الا ماتكره ، وان سكت فليس لك عندي الا ما تحب ، ولكن لما لم اجد بداً من الجواب ارى ان اقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فلتعلم ان الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرتــه ما يغني اشتهــاره عن تسطيره هنا ، فتأول ابن الأشعث الخروج عليه ، وتابعه على ذلك جماعة من التابعين ، كسعيد بن جبير وامثاله من اولاد الصحابة رضي الله عنهم ، ولما قوي عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصري لذلك ، فقال لا افعل ، فانني ارى الحجاج عقوبة من الله فنفزع الى الدعاء اولى ، قال بعض فضلاء العجم : يوخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر ، وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، قد علمت ماكان من امر عبد الرحمان بن الأشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية اهل الحرة لما أوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ، ولما بلغه الخبر انشد :

ليت اشياخي ببدر شهدوا   جزعَ الخزرج من وقع الأسل

وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد اكابر الصحابة لاواودهم ، وما تعرض احد منهم لنكير عليه ، ولا تصدى لقيام ، ولا خاطبه بملام .

واما مايرجع الى جواب الكتاب ، فأما ماحكيت عن الصديق رضي الله عنه في اهل البيت والأحاديث الواردة فيهم ، وانه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لأجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب علي اولي واولى ، عملا بقوله تعالى : (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) ، واجرى الله تعالى عادته انه ماتصدى احد لعداوة هذا البيت النبوي الا كبه الله لوجهه .

واما ما اوردتم من الأحاديث في النصح فاني والله احب ان تنصحني سراً وعلانية ، مع زيادة شكري عليه ، واراها منك مودة ، واعدها محبة ، ولكني افعل ما اقدر عليه ، لأن الله سبحانه يقول (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) ، ولهذا قال اكثر العلماء في صدور تصانيفهم ولم ءال جهداً في كذا ، لأن النفوس الشريفة العالية لاتترك من فعل الخير والجد في اكتسابه الا ما عزّ تناولُه عليها وصعب اكتسابه .

واما ماذكرتم من امر ابي محلي وسيرته وما كان تسلط عليه ، أما ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت في ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يشق عصاكم فاقتلوه كائناً مَن كان ، والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه اهل الحل والعقد ، واخذ في ذلك بوسائط مثل بيعة جدنا المرحوم التي تضافرت عليها علماء المغرب واهل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بمثل هذه الوسائط لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لأن السلطان لاينعزل بالفسق والجور ، والا فان الصحابة في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وماتصدى احد للقيام عليه بما ذكرتم ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا

بالمناشير ، واما ابو محلي فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتنا عليه ، لأنك في بيعتنا وهي لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك .

واعلم ايضاً ان والدك افضل منك ، بدليل ءاباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة ، وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمه الله وسامحه على ماكان عليه واشتهر به اعلانا وكان والدك في دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ، ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضياً بفعله فهو مثله ، وان لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية احمد بن موسى الجزولي كادت تكون قطعية ، واشتهر امره عند الخاص والعام حتى اطبق اهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان قد شرد منه الى زاويـة الشيخ المذكور المرابط الأندلسي وولد اصناك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته ، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد ذلك ولا اكثر فيه ولا جعله سبباً لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء وعبد الكريم ابن الشيخ وعبد الكريم بن مومن العلج والهبطي والزرهوني وعبد الصادق ابن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمور واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من ءالات الفضة والذهب ، وكان في عصره احمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد الشرقي وابو عمرو القسطلي ومحمد بن ابراهيم التامنارتي والشيظمي وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين لا يسع من يدعي هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة وما تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الأمر وقادة الأجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع في تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الأولياء كان علامة الزمان ، وواحد وقته ، شيخ مشايخ افريقية وبعض اهل المغرب ، عبد العزيز

القسنطيني المتكلم الصوفي صاحب الآيات البينات قد كان من سكان تونس ، وكان ملوك تونس ومَن انضاف اليهم على الفساد الذي لا ينحصر ، واشتهر امرهم حتى عرفوا به في المشارق والمغارب ، ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ، ولا تصدى لتغيير المنكر والأمر بالمعروف حتى قبضه الله اليه .

واما ماذكرتم من ان مَن اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : ءايس من رحمة الله تعالى ، هذه حجة عليك لا علينا ، لأني ما سعيت في قتل احد يعلم الله ولا قُتل مَن قتل الا بأمر القضاة واهل العلم ان كان ، واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيداً في قتل الواحد ، فما بالك بمَن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتلُ على المئين والآلاف ونهب الأموال وكشف الحريم الى غير ذلك ، اما تعلم ان فتنة ابي محلى قد هلك بسببها من النفوس والأموال ما لا يحصى عدده ، ولا يستوفى نهايته كاتب ، وكان كل ذلك على رقبته ، لأنه هو المتسبب الأول الفاتح ابواب الفتنة ، لأنه كان يقتل كل مَن انتمى الينا ، حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمئة قتيل ، ولولا ابو محلى ما قتلوا ، واعظم في حرمة النفوس من هذا الذي قلت قوله تعالى : (كتبنا على بني اسرائيل انه مَن قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومَن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) ، وليس في قول المواق ما يحتجُ به على السلطان ، وانما هو في اصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده ، مثل اصحاب الشرط ، كصاحب الشرطة الذي ينفذ احكامَ القاضي ، وصاحب شرطة السوق الذي ينفذ الأحكام عن قاضي الحضرة ، وغير ذلك من الولايات ، وولاية ابي محلي لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الأشياخ الجلة ، وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن ينطبق عليه : (اشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه) ، ولكن لما ذا تحتج بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك به في يونس اليوسي ، وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم (الحرم لا يجير عاصياً) ، قال الأبي وهذا يحتج به على اهل الزوايا ، واضربت عن

الجواب وليس ذلك من ادب الجدل ، ولكن اخبرنا عن الوجه الذي منعت به يونس اليوسي من الشرع ، فان متاعنا عنده ، واماء اهلنا في داره الى يوم الوقعة ، وترتب في ذمته للمسلمين من الأموال والدماء ما عملت ، فان كنت ممن يريد العدل فهل عدلت فيه ؟ فحينئذ نعلم انك لا تريح جهته ولاتذهب بك النفس مذهباً ، لا جرم حينئذ نكون عند ما تريد ، ومع هذا لما امسكنا زوجته وكتبت لنا فيها سرحناها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت عنادياً لعبثتُ بها عبثه هو باماء اهلي واهل داري ، على اني ما رددتُ شفاعتك منذ عرفتك ، بعثت لي على ابراهيم بن يعزى فسرحناه لغرضك على انه ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين الف وقية ، وذلك المال انما يقال له بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخليده في السجن ، واهل الحصن اخرجناهم منه عن ءاخرهم ، وانفذتم كتابكم بردهم فأمرنا بردهم عن ءاخرهم ، وابن يعقوب وزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من غير اذننا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه فأنفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما هو الأمر الذي سافرت كتبك فيه ولا اسرعنا فيه خفافاً ؟ واما مسألة اهل ءازمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرحنا مَن كان عنده ورددنا الخيل ، وقضية الحناشة : الناس في شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب اعلم ان العرب افسدوا الأرض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب ، والذي يليق بهم ما افتى به سحنون في عرب افريقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد العشر مدة هذه الفتنة بالمغرب لأتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن اطوارهم واحبوا الفتن طلباً للراحة ، وانظر كتاب الافادة «كذا» للقاضي واستطالتهم فيه عليه في قضية شرعية مشروحة في رسمها القديم ، على انهم اضعف الناس قلوباً ، انظر ما صدر منهم ، فما بالك بالعرب الذين خرجوا عن الطاعـة ، وتساوي الشيخ والصغير في ذلك ، فان كنت تصغي لمقالاتهم واسعـاف شهواتهـم والتعرض للسلطان دونهم ، فهذا نفسُ خراب العالم ، وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر منهم لخديمكم ، رايت ان اقدم لك مقدمة امام هذا وان كانت ادبية ، قيل لابن الرومي وهو علي بن العباس لم لم تقل كقول ابـن المعتـز .

كأنّ اذريونا والشمس فيه عالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فأجاب بأن قال لايقدر بأن يقول هو في وصف الرقاقة :

ما انس لا انس خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشك اللمح بالبصر
مابين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراءَ كالقمر
الا بمقدار ماتنداحُ دائرة في صفحة الماء يُرمَى فيه بالحجر

وقال كل منا وصف اوانيَ بيته ، ورب البيت اعلم بما فيه ، واهل مكة ادرى بشعابها ، والصيرفي اعرف بنقد الدينار ، وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار ، والكليم يردُّ عليه في كل ذلك حتى انبأه الله بسرٍّ ما لم يعلم ، على ان علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ، ومن هنا جوز ابن عربي الحاتمي في بعض كتبه واحسب ان ذلك في الفصوص ان الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم يطلع عليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال مشيراً الى نفسه اطلعني الله على علم لم يطلع عليه ءادم فمن دونه .

واعلم ان السلطنة لها اسرار لابد منها ، وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن نرجع الى غرضك ومرادك ، اخبرنا كيف تحب ان يسلك الناس في العرب ، فان كنتَ تحب ان يسلك الناس فيهم مسلك مولاي عبد الله فالزمان غير الزمان ، والأسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهذا يعرفه مَن خالط الشرائع والكتب المنزلة ، واخذ العلم من افواه الناس ، وادبتْه مجالسُ العلم ، ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما اورد الناس في الخراج ، اما ما بنوا عليه فرضهُ في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته ، واما في المغرب خصوصاً فأول مَن فرضه عبد المومن بن علي وجعله على اقطاع

الأرض بناء على ان المغربَ فُتح عنوة ، واليه ذهب بعض العلماء ، ومنهم مَن يقول ان السهلَ فتح عنوة والجبل فُتح صلحاً ، فاذا تقرر هذا وعلمتَ ان اهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا وبقي السهلُ كله ارثاً لبيت المال ، تعين أن يكون الخراجُ فيه على مايرضى صاحب الأرض وهو السلطان ، والجبل تتعذر معرفة ماكان الصلح عليه ، ولا سبيل الى الوقوف عليه ، فيرجع فيه الى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لأول الدولة الشريفة على حسب وفق ائمة السنة ومشايخ اهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الأمرُ على السنن القويم ، الى ان هبت عواصف الفتنة لأيام ابن عمنا صاحب الجبل وادالة مولانا الامام وصنوه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالأتراك ، وامتدت به الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله من مولانا المقدس بالجبل العاصم للاسلام من طوفان الأهوال ، فقدر رضي الله عنه الأشياءَ حق قدرها ، ورأى ان المغرب غب تلك الفتن قد فغر فمه لالتهامه عدوان عظيمان : الترك وعدو الدين الطاغية ، فاضطرَّ رحمه الله الى الاستكثار من الأجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام ، فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء الى تضاعف الخراج ، وتضاعف الخراج الى الاجحاف بالرعية ، والاجحاف بالرعية امر يستنكفُ — رضي الله عنه — من ارتكابه ، ولا يرضاه في سيرة عدله طول ايامه ،

يستنكفُ — رضي الله عنه — من ارتكابه ، ولا يرضاه في سيرة عدله طول ايامه ،

فلم يمكن له حينئذ الا ان امعن النظر رحمه الله في اصل الخراج ، فوجد بين السعر الذي بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذي تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت اضعافاً ، فحينئذ تحرى رحمه الله العدلَ ، فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة ان يطلع الى ما هو اكثر ، فأجابهم اليه رضي الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكره احد من اهل الدين ولا من اهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية بسعر الوقت الذي طلع الى اضعاف مضاعفه ماذا تقولون وقد انتقدتم علينا ما هو اخف من ذلك ؟ والحاصل راجعوا رضي الله عنكم

ما عند الامام الماوردي في الأحكام السلطانية في ضرب الخراج ، فقد استوفى الكلام في ذلك .

واما ما تقتضيه من العجب لتعطل اجوبتنا عنك فنحن نراجع اقل منك ، ولكن كتابك آكد مبناه على قصة اهل أزمور ، فأنفذنا مَن اخرج الذي كان به واقصاه عنه ، وشرد مَن كان عنده ، فتوقف الجوابُ حتى رجع الخديم ، فحينئذ اجبناكم بما وصلكم ، وتعجيل الأجوبة وبطؤها فاعلم ان الذي يقتضي ذلك امور ، منها ان يكون الأمر الذي ورد الخطاب فيه منكم ما سمعتم به ولا بلغني فنتوجه للبحث عليه والفحص عن اسبابه ، فربما اوجب ذلك البطء بحسب الأماكن والبلدان ، فيكون جوابنا على اساس وبنيان ، وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع منا هذا غير مرة ، وكون تعطيله منشؤه ما منّ الله به علينا من رجوعنا الى سرير ملكنا واجتماعنا بسربنا ءامنين ، اعلم ان اهل هذا المغرب لما تمالأوا علي وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والأروام وجالسوني وجالستُهم ، وخاطبوني وخاطبتُهم ، فمنهم مشافهة ، ومنهم مراسلة ، وكنت ايام مقامي في ارضهم كمقامي على سرير ملكي ، لأن كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرءوسهم كان ينتجع فضلي ويمد كفه رغبة في نعمتي ، وواسيت الجميع عطاء مترفاً مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفعت عن مواساة الأماثل والأكابر من العجم والعرب ، ولا ركنت لأحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الأخبية حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، فترامت علي العجم بالرغبة ، وبسطوا اكف الضراعة في المقام عندهم والدخول في جملتهم ، وعرضوا علي الاقطاعات السنية ، والبلادات الملوكية ، بلطف مقال ، وادب خطاب ، حتى قال لي القبطان مراد رئيس المجاهدين : وما مثلك يكون مع العرب ، هانحن نخدمك بأموالنا وانفسنا وبما لنا من السفن حيث اردت واحببت ، وما انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي اني احمل اهلي وحاشيتي وارجع اليهم الا ان تمكن الدخول في الملك والغلبة على البلاد او بعضها ، وقفلت من عندهم ، ولم يتعلق بثوب عفافي ما يشينه معهم ولا مع العرب ، ولاكان لأحد علي منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثـم اني دخلت سجلماسة على رغـم انف اهلها وواليها ، ومنهـا دخلت السوس ، وجعلت ولي الله العارف بالله عبد الله بن المبارك واسطة بيني وبين اخي ، حتى اجتمعت بأهلي ومالي ، ثم بعث اليَّ التركُ بأحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجي الى السوس ، راغبين في انجاز الوعد ، وجنحت للمسير اليهم ، فرأيت الأهل والأتباع قد عظم الأمر عليهم واستعظموا الخروج ، فأسعفت رغبتهم في المقام بالمغرب ، وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثاني لها ومغالبة اهلها عليها ، وعززتـه برسول من عندي اليهم بتحف واموال ورد بها عليهم مع رسولهم ، ثم اني اقتحمت مراكش على اهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقلتي ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى واوقعت بولد مولاي احمد الشريف وجموع مراكش وقد تعصبوا عليه لأنهم شيعة جده ، ففضضتُه على رغمهم ، ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه وحكم بيني وبينه ، ثم نجم الغوي ابو محلي وغلبت على الرأي ، وقد قال مَن هو افضل مني مولانا علي كرم الله وجهه : لا رأيَ لمَن لا يطاع ، ودخل هذه البلاد وخرجت انا الى السوس ريثما تجتمع قبائلنا في المكان الذي كان اجتماعهم فيه الى ان بلغتهم ، وقصد اليهم ابو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد ان اثخنوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجالا ، فهل سمعتم خلال هذه الأحوال اني احتجتُ الى احد فيما قل او جل ؟ وهذا كله لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفادة التي وفدنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج فلا ادري ، على اني ماقصدتك لطلب دنيا لأني كنت اسمع ما انت عليه من متانة الدين والصلاح والاقبال على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو ان مَن كان هذا وصفه كان جديراً بأن يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك اننا نزلنا دارك وحللنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرةُ في ابي محلى وغيره ، حتى كتبت الكتاب الذي علـّمنا عليه ، وها هو بخط يدك ، فان نسينا بعض ما فيه ولا فعلنا فأخبرنا به نستدركه ، وهذه مراكش التي ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المومن بن ساسي وعدته مرة اخرى في مرضه ، وهل قصدته لطلب دنيـا او عرفته لأجلها ؟ ومحمد بن ابي عمرو لما وقفت على

المدرسة التي من بناء مولاي عبد الله وقفت عليه في داره ، وكل ذلك انما نفعله تاكيداً للمحبة ، وزيادة في المعرفة بالله ، ولو علمت ان ذلك يعد عيباً ويظن انه نوع من الاحتياج ما كنت والله لأقف على احد ولو انه يملكني الدنيا بحذافيرها ، لأن الخير والشر بيد الفاعل المختار ، فهو اولى بالاضطرار اليه .

واما سربي فما تروع قطُّ حتى يأمن ، واما مَن كان بالدار التي ذكرتم فانما هم اهلي ومتروك اعمامي ، وهذه الدار التي ذكرتم فها نحن ننتقل عنها الى بعض البلاد الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لي ينبغي للأشراف بناء بالجبل لوقت ما ، وحكيت ذلك عن والدك .

واما ما اخبركم به القاضي ايام ورودي الى السوس وقت بلغني كتابكم الذى نصه : قد اجتمعت اناس وفسدت النيات وتعينت المطامع واردنا تدبيركم ، لأن الملوك اهل التدبير ، والمـــراد رجوعنا لأوكارنا من غير وصمة تلحق الجانبين ، فكل ما حمل فهو عني والتزمته الى الآن ، الا ما طـــرأ علينا فيه النسيان فذكرونا به ، فانا لا نخرجُ عنه .

واما يمين المصحف واني حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا احلف لأحد الى لقاء الله ، اما علمت اني حضرت بيعة الشيخ المامون صاحب الغرب سامحه الله وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا انا رضي الله عنه ، فانه قال فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما نأمره به ونفعله ، وعظم ذلك على اخوتي ، وظهرت في وجوههم لأجله الكراهية ، ولكن الذي قلت لعبد الصادق احلف للمرابط ، فاني اوفي لك به ، وما زلت على ذلك ، لأن الذي كنت تقول في ذلك الوقت اخـــاف ان تقع في اهل مراكش والأكابـــر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر ونحوها .

اما اهل مراكش فما تعرضنا لأحد منهم حتى تركنا متاعنا لأجلكم كولد المولوع وغيره ، وهذا الميدان والشقراء فابعثْ من رضيت ينادي فيهم مَن له حق علينا ننصفه منه ومن خدامي ايضاً ، وان كنت سمعت قضية منصور العكاري فالعكاري نزل اهلنا في خيمته عند وقعـــة راس العين ، فلما ارادوا

الطلوع الى الجبل تركوا اكثر مالهم في خيمته مع بعض الخدم خوفاً من غائلة البربر لما كان وقع منهم لأهل بابا ابي فارس ، فأخذ سماطاً من ذهب يزيد على ستين الف اوقية ، وكان ايام ابي حسون وفي جملته حتى مات القائم فبذل حجته بانجاز عشرين ألفاً والباقي حتى يؤديه على سعة ، وطلب منا ان يتعمل ويتولى بعض الخطط لينتفع ويجمع بعض ذلك فصرفناه ، حتى اذا جاء ابو محلي ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وهو لا يسعه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذي في زاويتك بنفسه يعلم ان اخوتي اخذوا لي سلعة في وسط حلتهم وانا بين بيوتهم تزيد على خمسين ألفاً ، واخذوا الابل ، وها نحن سكتنا عنهم ولا طلبناهم بها ، وأيضاً قال لك انظر ما فعل باخوتي ، وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة .

واما الأموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله ، وعندنا ما يكفي الخامس والسادس من الولد ، وعرفنا الناس وعرفونا ، وعاملناهم وعاملونا ، ولو اردت خمسمئة ألف مثقال من اصحاب افلامنك او من اصحاب الانجليز وكتبت لهم في ذلك ما تأنوا في بعثه ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الظن فيك جميل ، ولولا ذلك ما اعطيت خمسة آلاف مثقال وسمحت بالمال الذي حمل اليكم ابن عبد الواسع اولا وسلعة السفن اخيراً ، وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك .

واما الامتعاض من عدم الانة القول وحسن الخطاب ، فكما قال تعالى : (وقولوا للناس حسناً) ، وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب الأئمة رضوان الله عليهم اهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، وحسبي نصح الفضيل بن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم ، فهذه المسألة حسبي في الجواب منك .

انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة ، وهي دالة على براعة الرجل فقهاً وادباً وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه (165) .

وكان الفقيه يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي لما رجع من مراكش الى السوس حسبما مرَّ بدا له في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديه ، وكان المرابط علي بن محمد بن محمد ابن الولي الصالح احمد بن موسى السملالي ويقال لـه ايضاً أبـو حسون قد ظهر بالصقع السوسي عند فشل ريح السلطان زيدان اوستولـى على رودانة واعمالها ، فلما ثار الفقيه يحيى سار الى رودانة فتغلب عليها وملكها من يد ابي حسون المذكور بعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة ، وكان القاضي برودانة يومئذ الفقيه العالم عيسى بن عبد الرحمان السكتاني ، وكان يحيى قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافقه على ذلك ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب عليه الفقيه يحيى حتى امر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من المدينة خائفاً يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقرَّ بها وعصمه الله منه ، وكتب الى يحيى رسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمان الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

يقول الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه ، الغني به عمن سواه ، السائل منه التوفيق واللطف في ظعنه ومثواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمان السكتاني عفا الله عنه وسمح له .

الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الأنبياء ، واورثه بعدهم منخلْقِه فريقَ العلماء ، والصلاة والسلام على مَن اكد امر النصح وقال الدين النصيحة ، فقيل لمن يارسول الله ؟ فقال : لله ولرسوله ولأئمـــة

165) كل ما تقدم في هذه الترجمة منقول من **الاستقصا** 6 : 35

المسلمين وعامتهم ، والرضى عن ءاله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى وقوع القصاص بين الخليفة .

وبعد ، فاني لما قفلت بحمد الله بسلامة وعافية الى جبلي ، ووجدت اهلي واولادي ، مستوحشين من البادية وان كانت محلى سفلي ومقر تلادى ، بعد ان الفوا الحواضر وطبعوا على طباعها ، فكانوا احق بها ، وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حلَّ بالأولاد ، فتذكرت قول بعض فقهاء الأندلس ممن نابه مثل ما نابني ، واصابه مثلُ ما اصابني .

أليس من القبيح مقـــام مثلـــــي بدار الخسف منكسفَ الجمـــال
اخالط اهــلَ سائمــة وســـــرح وارتعُ بـــين راعيــة الجمـــــال

فأجلت فكري وان كان الكل بقدر الله وارادته ، فرأيت اذذلك وفي القضاء لطف ، امراً انتجه كما لا يخفى على ذي بصيرة ، ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الانس والجن بدوي العقول منهم ، فصاروا احزابـــاً وفرقاً ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ، حتى اذا عرض لعاقل او عرض عليه منهم الاقلاع بادره الشياطين فسدّوا عليه بابَه وأروه بأغوائهم وزينوا له ان ذلك يشينه لدى العامة ويوجب له السقوطَ من اعين الناس ، مع انه لا يعده من السقوط الا الخناس الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس ، واين غاب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ؟ واين غاب عنه ان العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به ءاخذاً بزمامه ، ساكناً على قلبه ولسانه ، واين يغيب عنه من كتاب الله (فاما مَن طغى وءاثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى ، واما مَن خاف مقامَ ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) ، فقلت انا لله وانا اليه راجعون ، هذه مصيبة عظيمة نزلت بمغربنا ، فافترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم ، وانتهبت اموالهم ، وهتكت حرمهم ، ومزقت اعراضهم ، وفسدت اديانهم ، واختلت

وبعدت عن التوفيق اراؤهم ، وكادت تطمع بل طمعت فيهم اعداؤهم ، اللهم ياذا الطول والامتنان ، ياحنان يامنان ، ياذا الجلال والاكرام ، تداركْنا بألطافك الخفية في ديننا ودنيانا ياخالقَ الأرض والسماء .

فان قلت ماذكرته من خروجك من الحواضر الى البوادي هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله مَن يقتدى به من الصحابة رضي الله عنهم ، فتبدى صحيح ، وما دليلك على التلاعب ؟ قلت ماخرجه ائمة الصحاح من منع الخروج على الأئمة ، وان الواجب في حق مَن راى منهم ما يكره الصبر والاحتساب ، اذ غائلة الجور وان تفاحش اقل بكثير من غائلة الخـروج الذي يترتب عليه فسـاد المهج والأموال والاعراض والأديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين مَن صبر حتى لقوا الله تعالى سالمي الأديان ، وبعبادته مغتنمي الزمان ، وتذكر – فما بالعهد من قدم – بالمرابط ابي محلى ، كان في قطره عاليَ الصيت يقصد ويتبرك به ، ويعتقد فيه انه قطب زمانه ، وبلغ به الحال الى ان سولت له نفسه او سول له انه يصلح به ما لم يصلح بغيره من اهل الزمان ، فقام واعانه عليه قوم ءاخرون ، حتى ملأ الدنيا صياحاً ودعاوي وعياطاً واكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل ، فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب ، واغتاب وحمل نفسه ما لا تطيقه ، فاستهوتْه شياطينُ الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل ، وءافته الغفلة عن الكتاب والسنة ، والرضى عن النفس حتى انه حكمها فصارت تلعب به ، الى ان فاه وادعى بدعاوي استبيح بها ما كان معصوماً من دمه ، وهلكت بسببه بعده نفوس واموال وغير ذلك ، أيشك مَن ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه مَن تجب مخالفته من الشياطين والنفس والهوى ؟ وربما استحسن فعله ذلك مَن شيعته مَن ابتلي به او قلده تقليداً ردياً في فعله ، (فان توليت فانما عليك اثمُ الاريسيين) ، والى الآن كانوا يستصوبون فعله ، ويستحسنون قوله ، مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة .

فان قلت وهذه طائفة الفقراء ما بين متعصب متحزب ، ومتحيل متصيد ومتسور على ما استأثر به الباري من الغيوب ، مرتكب للأثام مصر على العيوب ،

قلت وهذه الطائفة من الفقراء فيها جل ماتقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بهـا السطـور والطـروس ، قـد بددتْها والعيـاذ بالله الفتن ، وشردهـا ما تخوفته من المحن ، بانت العلوم ، واضمحلت الفهوم ، وتعطلت الرسوم ، فلا منطوق يذكر ولا مفهوم ،

هذا الزمـان الذي كنـا نحـاذره ... من قول كعب ومن قول ابن مسعود

قلت وهذا الشيخ يحيى وهو الذي يسـاق الى نصحه الحديث ، كنا نستسقي به ونستشفي ، وكانت تشد اليه الرحال ، ولا يأنف من اتيانه النساء والرجال ، قد اتتْه من اقطـار مغربنا الوفـود ، ودانت له الذيـاب والأسود ، وكان يُعلم الجهـال ، ويهدي الضلال ، ويطعم الجائـع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان ، وهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقه ما احسنها من طريقة ، ثم صارت تلك الجموع ، وكان امرُ الله قدراً مقدوراً ، ايدي سبأ ، وتلاشت شذر مذر ، ما لها من نبا .

ايها الشيخ اكرمك الله بتسديده ، اوتجد في الوجود مَلكاً اعظم من ذلك الملك فتطلبه ، او سلطاناً يوازيه أو يقاربه فتحاوله ؟ اين خفي عليك الشيء وهو ضروري ؟ اين ضلت عنك النصوصُ من الكتاب والسنة وانت منقولي معقولي ؟ (الم يأنِ للذين آمنوا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) ، (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) ، وان ابغض الكلام الى الله ان يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك ، وهو طرف من حديث خرجه النسائي ، وقد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكرى ، قال جل من قائل (فان الذكرى تنفع المومنين) :

فقلت من التعجب ليـت شعـري ... أأيقـاظ" أمـيـة ام نـيـام ؟

فان قال شطان من شياطين الانس والجن هذا ما اريد به وجه الله ، قلت الله الموعد ، اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم ، وان خطر هذا وهجس بقلب الشيخ اكرمه الله ، والشيطان يجري من ابن ءادم مَجرى الـدم ، قلت ادل دليل على اني قصدت محض

النصيحة هو انه استنصحني على دفاع ابي محلي ، فنصحته وقلت : له ان هذا لا تستقيم معه الديانة ، فكأنه ما قبل ، فانفصلتُ عنه وهو يقول : استخرْلي الله ، فكاتبتُه بأن لا يفعل ، ثم لما نــزل وكان على باب الغــزو من رودانة خلوتُ به ، فقلت له اذذاك ان الناس يقولون كذا وكذا ، وعرفته اذذاك بما عرفته من ابناء الزمان ، فجمعنا في رملة الى الآن اتخيل حرها ، وتبرأ من كل ما يقال ، وما زلت على المنع الى ان جاءت كراريس من قبل ابي محلي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفريات في جزئيات ، فحينئذ شرح الله صدري لاباحة دفــاعــه .

ثم وان قلت ذلك فنفسي ءامرة ، ولا اقول في نفسي ماكان يقوله سحنون في قضية ابن ابي الجواد : ما لي وله ، الشرعُ قتله ، ولو قلت او غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله اولا ، لأن ذلك هو مقتضى التعصب للأمير ، واذا لم اتعصبْ اذذاك فكيف استسهله الآن ؟ فتعين اني نصحت لكم ان قبلتم ، والا فكما قال تعالى عن نبي من انبيائه (ولكن لاتحبُّون الناصحين) .

انشدك الله الذي باذنه تقوم السماوات والأرض ، اما قلت لك بعد رجوعي العام الأول من مراكش بل الذي قبله ان الغدر لا يحسن ، وصرحت ولوحت بأن شق العصا لا يحل غير مرة ، وما كفاني القول الدال على ذلك الى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا ابغضُها كما قال :

فوالله ما فارقتها عــن قلى لهـــــا   واني بشطي جانبيهـا لعـــــارف

ورضيت بالبادية مع جفائها فراراً من الفتن ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال الرجل غنماً يتبع بــه سعف الجبــال ومواقع القطر يفرُّ بدينه من الفتن ، ثم بعد ، فعلى هذا كله : نصحت فلم افلح وخانوا فأفلحوا ، وعــدوا علي من القبائح طاعتي للأئمة ، مع انك يوم جــاء الى دارك قلت لهم هذا اميركم ، ونحن لانشك انك من المعتبرين في مغربنا ، وان بيعتك لأحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى مراكش في وقعة ابي محلي

قد اراد اهل مراكش فأبيت وابحت البلاد لخدم الأمير ، وقلت لهم انه الأمير ، وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ، ونصروه بمراى منك ومسمع ، افنشكك بعد ان كان منك هذا انك مبايع وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فأي حجة لك على الأمير ولا على الماورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك ، اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت موافقتي مشروطة بشروط لم يوفِ لي بها ، قلت هبْ انه لم يوف لك ، افتستبيح قتاله لأجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) الحديث ، فبالله ايها الشيخ ما تقول في هذا الحديث وانظاره ؟ وما تقول فيما انتهب او عسى ان ينتهب من اموال الناس واخذ بغير حق وانفق في سبيل الطاغوت ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس) ، اوما تستحيي من ربك يوم تسأل عن النقير والقطمير ، ولست ممن خفي عليه ذلك كله فتعذر عند المخلوقين ، او ما عملت إن كثيراً منْ العوام يعتقد جواز ذلك اذا رءاك ارتكبته فتكون قد سننت هذه السنة وضل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ اوما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب ؟ اوما كنت تُعير مَن يرتكب ذلك من الولاة وتتأسف عليه ؟ لا تعير اخاك المومن ، الحديث :

لاتنـه عـن خلق وتأتيَ مثلـه   عـار عليك اذا فعلت عظيـم

اما انتبهت لما وقع لأهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الأحرار وهتك الحريم ، (ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام) الحديث .

وقد اتانا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكتانة ذلك ، ولم يستطع اذذاك من نظر بنور العلم ان يقول لهم في وزر نظراً الى ما ءال اليه الحال في اهل درعة ، مع ان جلهم حملة القرءان ، وعامتهم بُلة ، واكثر اهل الجنة البُله ، افيليق بحق الصلحاء ان يسلط عليهم من لا يرحمهم ، ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي ، انما يرحم الله من عباده الرحماء ، مَن لا يَرحم لا يُرحم ، ارحموا

مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء ، ونسيت انه يقتص للجماء من القرناء ، وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض ، افي علمك ان حسناتك تفي بما عليك من التبعات ، او انه لا تباعة لأحد عليك ، ولو كنت بدرياً لاحتمل ان يقال في شأنك ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر : (وما يدريك ؟ لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، او كما قال عليه السلام (والظلم ظلمات يوم القيامة) ، اوتستطيع ان تقتحم ظلمات الصراط وانت مسؤول عن القيراط ، وحتى اهل رودانة بلغنا انه لم يغن في شأنهم الترويع ، بل بلغ بهم الحال والجور الى التقريع ، فاتق الله ايها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له اتق الله اخذتْه العزة بالاثم .

هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ، ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص ، انك اخذت عليه ان يؤدي الطاعة للأمير ، ويرعى ما هو من شيم المومنين من حسن العهد والتبرىء من الغدر وشق العصا بعد ان بذل وسعه في نصحك ونصح الأمير ، وحاول بكليته على جمع الكلمة ، وتعب في ذلك واقتحم فيه عقبات لا يقطعها الا بازل ، ولا سبيل اليها لمَن يكون في دينه وعمله مثلي ممن هو نازل :

لعمرُ ابيك ما نُسب المعلّى ... الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرّت ... وصوح نبتُها رُعيَ الهشيم

* * *

اذا غاب ملاح السفينة فارتمت ... بها الريح هوجا دبرتْها الضفادع

ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح ، كما انه ليس من شرط تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لأن هذه طاعة وتلك اخرى ، والتوفيق بيد الله سبحانه .

نعم بلغني مع ذلك وجزم لي به انك مع بذل النصح لك وللأمير اصلح الله الجميع واصلح ذات بينهم اخذت علي بالرصد في قفولي لصبيتي والرجوع

رعاية لما يجب ويندب من حقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ؟ أعندك ما تستبيحُ به ذلك مع اني والحمد لله اينما كنت لا اسعى الا في مصلحة جهد الاستطاعة ، او بث نصيحة حين لا ارى بداً من بثها ، او اغاثة ملهوف حين تجب اغاثته ، (لئين بسطتَ الي يدك لتقتلني) الاية ، ولكن الله عز وجل يقــول (ولا يحيق المكرُ السيء الا بأهلــه) ، وفي التوراة مَن حفــر حفرة فليوسعْها ، ولا تحفرنْ بئرا تريد به اخاً ، فأين وجدتَ ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا قولا او فعلا او اشارة او تصريحاً او تلويحاً ، واي جريمة توازي هذه الجريمة ، او كبيرة من الآثام اكبر منها ، والله الموعد ، (وسيعلمُ الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) .

هذا والسعاية المصحوبة بسؤالي عن دفاع سكتانة اين تجدون ما يوجب اباحتها ؟ اين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ واين غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم (ان الرجل ليتكلمُ بالكلمة يهوي بها في النار سبعين خريفاً) أهذا من اخلاق المومنين والصالحين ؟ وانت من بيت الصلاح ، ماكان جدك يرضى مثل هذا ، وماكان ابوك امرأ سوء ، وهذا — والله اعلم — نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب مَن لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقاله .

والى هذا ينتهي حق الصحبة اعني بذل النصح ، ان الله يسأل عن صحبة ساعــة ، ونحن صحبناك واعتقدناك ووعظناك ، انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً ، فنصرناك بالرد الى الجادة ، اين انت من مولانا الحسن بن علي : اذ تخلَّى عن الأمر لابن عمه معاوية ، مع انه هاشمي علوي فاطمي ، احدى ريحانتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية اموي يجمعهما عبد مناف ، فتخلَّى عن الامارة مع انه امام وابن امام ، واصلح الله به — وهو سيد — بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، بعد ان كان يلقب بأمير المومنين ، فقال له بعضُ اصحابه اذ سلم عليه ياعارَ المومنين فلم يكترث بذلك ، وقال النار اشد من العار .

الهمنا الله واياكم رشدَ انفسنا ، وجعلنا واياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، انتهى .

ولم يزل الفقيه يحيى مصمماً على طلب جمع الكلمة الى ان اخترمته المنية ، قال صاحب الفوائد ما صورته : قام الشيخ يحيى بجمع الكلمة والنظر في مصالح الأمة ، واستمرَّ به علاج ذلك الى ان توفي ، ولم يتم له امر ، انتهى.

وكانت وفاته ليلةَ الخميس سادس جمادى الثانية من سنة خمس وثلاثين والف بقصبة رودانة ، وحمل من الغد الى رباط والده فدفن بجنبه رحمه الله (166) .

وتقدم شيء من ترجمته في ترجمة احمد بن ابي محلى ، وعقيدته شرحها سيدي يبورك في 6 صفحات صغرى ، كتبت عام 1085 .

1606) يحيى اعـراص

خليفة المنصور بالله على مراكش ، ذكره افوقاي في رحلته .

1607) اليزيد بن محمد بن عبد الله العلوي (السلطان)

اليزيد بن امير المومنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، قال في الاستقصا : كان المولى يزيد هذا عند والده رحمه الله بعين العناية ملحوظـاً ، ومن النقائص محروساً ومحفوظاً ، وكانت عامة اهل المغرب وخاصتهم من الجند والرعيـة متشوفين له ، ومغتبطين به ، يهتفون باسمه ، ويلهجـون بذكره ، لما كان عليه من الكرم والشجاعة والتمسك بمذاهب الفتوة والدين والاعتناء بحاجات اهل البيت ومحبة اهل الخير واكرامهم واقامة الصلوات لأوقاتها حضرا وسفرا لايشغله عن ذلك شاغل ، فأصابته عين الكمال ، وصار ينتقل من حال الى حال ، حتى خالطته جماعة من الأغمار كانوا في خدمته ، فلزموه وحسنوا له الاستبداد على والده والخروج عليه ، واتوه من بين يديه ومن خلفه ، حتى وقر ذلك في صدره وارتسم فيه ، وكان ذلك علي حين اوان

---

166) كل ما سبق منقول بالحرف من **الاستقصا** 6 : 60

الشببية واخذها منه مأخذها ، وكانت همته طماحة لا تقف به عند غاية ، فاستعجل الأمر قبل اوانه ، وخرج على والده بجيش العبيد حسبما مر ولسان حاله ينشد :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مظنة الجهل الشباب

فسقطت منزلته عند ابيه بعد ان بلغ من الحظوة لديه ما بلغ ، وكان يرشحه للخلافة ويقدمه على كبار اخوته لما ظهر له من نجدته واقتداره وجوده في محل الجود ، ورغبته في الجهاد وولوعه بصناعة الرمي بالمهراس ، فأسند اليه امر الطبجية والبحرية وصار يوجهه مع الرؤساء والطبجية الى الثغور كل سنة ليقف على الملازمين لصقائلها وابراجها ، ويعلمهم ما يحتاجون الى تعلمه ، ولما رءاه والده مغتبطاً بذلك وتوسم فيه النجابة اقبل عليه بالعطاء ، ثم ولاه الكلام مع قناصل الأجناس الذين بالمراسي واستنابه في ذلك .

وفي سنة اثنين وثمانين ومئة والف ولاه السلطان على قبيلة جروان وهم يومئذ اعظم قبائل البربر خيلا ورجالا ، فأسند اليه امرهم وتقدم اليه في ان يكفهم عن الحرب مع ءاية يدراسن ، فسار اليهم واغتبطوا به واغتبط بهم ، وصار احداثهم وابناء اعيانهم يركبون معه للصيد فغمرهم بالعطاء ، وانعم عليهم بالخيل والسلاح والكسي ، ولزموا مجلسه حتى افسدوا قلبه ، وحسنوا له الانتزاء على الملك ، وقالوا هذا بيت المال الذي بقبة الخياطين هو في يدك وليس دونه مانع ، وبه يقوم ملكك ، ومتى استدعيت اخواننا ءاية ومالو لم يتوقفوا عنك طرف عين ، ولا يقوم لهم شيء من الجند وغيره ، ولم يزالوا يفتلون له في الذروة والغارب حتى شرهت نفسه وصار لا حديث له الا في ذلك ، واطلع على ذلك قائد الوداية عبد القادر ابن الخضر ، وكان محباً في جانب السلطان صادق الخدمة والطاعة له ، فكتب اليه بما عليه ولده مع جروان ، وانهم يأتون بالمئة والمئتين ويبيتون عنده بالقصبة ، ونحن خفنا ان يبرز من ولدك امر فتعاقبنا عليه فأخبرناك بالواقع ، ولما وصل كتابه الى السلطان بعث للحين قائده العباس البخاري في مئة من الخيل للقبض على المولى يزيد واصحابه ، وقد قلنا لك ان الجند والرعية معاً كانوا مغتبطين بالمولى يزيد ،

فلما وصل القائد العباس الى سلا دس الى المولى يزيد انه مقبوض فلينج بنفسه ، فخرج المولى يزيد من مكناسة ليلا في خاصته واصحابه من جروان وقصدوا ءاية ومالو ، ولما وصل القائد العباس الى مكناسة الفاها مقفرة من المولى يزيد وشيعته ، فأقام بها وكتب الى السلطان يعلمه بالخبر ، فبعث السلطان الى المولى يزيد كاتبه سعيد الشليح فقدم عليه بزاوية ءاية اسحاق ، لأنه لم يجد من قبائل ءاية ومالو الا مهاوش وشقيرين فتجاوزهم الى الزاوية المذكورة ، ولما اتاه سعيد المذكور بكتاب والده وامانه سار معه الى مراكش ، ولما وصل اليها دخل ضريح ابي العباس السبتي فاحترم به ، ثم عفا عنه السلطان واجتمع به ، فتنصل مما رمي به ونسب ذلك الى سفهاء جروان ، وانه لم يوافقهم على ذلك ، فاضمر السلطان الايقاع بهم ، ولما قدم من مراكش سنة اربع وثمانين ومئة والف قصدهم بالكريكرة واوقع بهم وقتل منهم نحو الخمسمئة حسبما مر ، وانزل المولى يزيد مع اخويه المولى علي والمولى عبد الرحمان بفاس فأقام بها مدة ، ثم حدثت حرب بينه وبين اخيه المولى عبد الرحمان بوسط فاس العليا ، وهلك فيما بينهما عدد ، وبلغ خبر ذلـــك الى السلطان ، فقدم مكناسة وبعث من يقبض عليهما ، فقبض على المولى عبد الرحمان واصحابه ،وفرّ المولى يزيد الى ضريح المولى ادريس الأكبر بزرهون ، فأتى به الأشراف الى والده فسامحه ، ثم سرح المولى عبد الرحمان ، وسأل عن احوال أصحاب الأخوين معاً ، ثم عرف صالحهم من طالحهم ، فأخرجهم من السجن وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، وكانوا ثلاثين رجلا ، وســـرح الباقين ، ونقل المولى عبد الرحمان الى مكناسة ، وترك المولى يزيد بفـــاس ، ثم ان المولى عبد الرحمان كان يسابق يوماً في الميدان ويلعب بالبارود ، فقتل رجلا من بني مطير ، فجاء اخوانه الى قائدهم محمد بن محمد وعزيز ، فأدى ديته من عنده وعفوا ، وكتب عليهم سجلا بذلك وسكنت الهيعـــة ، فاتفق ان وجه السلطان قائده العباس الى مكناسة لقتل اناس كانوا بسجن مكناسة ، فلما سمع به المولى عبد الرحمان ظن انه قدم في شأن المطيري المقتول ، وان خبره قد بلغ السلطان ، ففر من مكناسة ليلا الى وجدة ثم الى تلمسان ، واتصل خبر فراره بالسلطان ، فسأل عن السبب ، فأخبـــره

القائد العباس بالواقع ، فبعث اليه الأمان فلم يثق ، ثم سار من تلمسان الى سجلماسة ، فبعث اليه السلطان مَن يؤمنه ويأتي به فلم يثق وفر الى السوس ، فبعث اليه السلطان اماناً الى السوس ففر الى القبلة واقام يتردد في قبائلها الى ان توفى السلطان رحمه الله ، فجاء الى رودانة فأقام بها وطلب الأمر فلم يتم له امر ، ومات رحمه الله ، واما المولى يزيد فانه اقام بفاس الى ان استدعاه والده للقدوم عليه بمراكش فقدم عليه .

ثم اتفق قيام العبيد على السلطان بسبب الادالة التي امرهم بتوجيهها الى طنجة حسبما مر ، فبعث المولى يزيد لاصلاحهم وردهم عن غيهم ، فلما وصل اليهم استفزوه بقولهم وحركوا منه ما كان ساكناً ، واستخرجوا ما كان كامناً ، فبايعوه وخطبوا به حسبما مر الخبر عن ذلك مستوفي ، وانحرف قدور ابن الخضر بالوداية عنه ، ولما فتح المولى يزيد بيت المال واعطى العبيد بعث الى الوداية بعطائهم يستهويهم به ، وكان شيئاً كثيراً فردوه عليه ، وانضمَّ محمد وعزيز في بربره الىَ الوداية ، فقصدهم المولى يزيد والتقوا بالمشتهى بمكناسة فهزموه ، وقتل من العبيد ما ينيف على الخمسمئة ، ثم قدم السلطان في العساكر وجموع القبائل ففر المولى يزيد الى زرهون ، فتبعه السلطان وزار المولى ادريس رضي الله عنه ، فشفع له الأشراف الأدارسة فيه فقبل شفاعتهم وعفا عنه حسبما مر ، ثم بعد هذا بعثه الى المشرق ، وصدر منه بمكة في حق شيخ الركب ما صدر ، فكانت تلك الفعلة هي المخالفة وبها تبرأ السلطان منه ، ثم قفل من المشرق سنة ثلاث ومئتين وألف ، والتجأ الى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش الى ان توفي حسبما قصصنا عليك من قبل وبالله التوفيق .

بيعة امير المومنين المولى يزيد بن محمد رحمه الله

لما توفي السلطان سيدي محمد رحمه الله في التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي بايعه الأشراف هنالك وسائر اهل الجبل ، وتقدم اليه السابقون من الجند الذين كانوا محاصرين له

فبايعوه واستتب امره ، فتوجه الى تطاوين اذ هي اقرب الثغور اليه فبايعه اهلها والقبائل المجاورة لها ، واطلق الجند على يهود تطاوين فاستباحهم واصطلم نعمتهم ، ثم وفد عليه اهل طنجة والعرائش واصيلة فقابلهم بما يجب ، ثم توجه الى طنجة فخرج عسكرها للقائه ، ففرح بهم واحسن اليهم ، وبها قدم عليه وفدُ اهل فاس من اشرافها وعلمائها واعيانها ، فأكرمهم وولى عليهم محمد العربي الذيب ، ثم انتقل الى العرائش فوافاه بها حاشيةُ ابيه وخدمه ووجوه دولته بمتخلف والده وقبابه وخيله وبغاله وسائر اثاثه ، فأحسن اليهم وساروا معه في ركابه الى زرهون ، ولما وصل اليها قدم عليه اخوه المولى سليمان من تافيلالت بقبائل الصحراء عربها وبربرها ومعه بيعة اهل سجلماسة ، وكان قد استجار به محمد وعزيز فانه كان خائفاً على نفسه من المولى يزيد لانحرافه عنه ايام ابيه ، فسار في صحبته بقبائله ، ولما اجتمع بالسلطان سامحه وابقاه على قومه ، ولما دخل مكناسة قدمت عليه قبائل الغرب كلها عربها وبربرها حتى عصاة ءاية ومالو ودجالهم مهاوش ، فاعطى مهاوش وحده عشرة ءالاف ريال ، واعطى الذين قدموا معه مئة ألف ريال ، ثم قدمت عليه قبائل الحوز كله من عرب وبربر لم يتخلف عن بيعته احد ، وقدم عليه اهل مراكش واعمالها ببيعتهم ، ونصها : الحمد لله المنفرد بالملك والخلق والتدبير ، الذي ابدع الأشياء بحكمته واخترع الجليل منها والحقير ، الغني عن المعين والمرشد والوزير ، (الا يعلم مَن خلق وهو اللطيف الخبير) ، يوتي الملك مَن يشاء ، وهو المدبر القدير ، جاعل الملوك كفاً للأكف العادية ، وولايتهم مرتعاً للعباد في ظل الأمن والعافية ، وبيعتهم امناً من الهرج والفساد ، وقمعاً لأهل الشر والعناد ، فهم ظل الله على الأنام ، وحصن حصين للخاص والعام ، حسبما افصح بذلك سيد الأنام ، عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، فتبارك الله ربنا الذي شرف هذا الوجود ، وزين هذا العالم الموجود ، بهذه الخلافة المباركة والامامة الحسنية العلوية والطلعة القرشية المحمدية التي انصرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة ، واستبان الحق عند مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، نحمده تعالى ما منَّ به علينا من هذه الامامة السعيدة ، ونشكره جل جلاله شكراً نستوجب به من الهنا افضاله ومزيده ، ونشهد

انه الله الذي لا اله الا هو وحده لا شريك له ، ليس في الوجود الا فعله ، اجرى الأقدار على حسب ما اقتضاه حكمه وعدله ، ونشهد ان سيدنا ونبينا ومولانا محمد عبده ورسوله ، ومصطفاه من خلقه وخليله ، سيد المخلوقات كلها من انس وجان ، المصفى من ذؤابة معد بن عدنان ، صاحب الشريعة المطهرة التى لا يختلف في فضلها اثنان ، والدين القويم الذي هو افضل الأديان ، الذي اختصه الله ما بين الأنبياء بميزة التفضيل والتقديم ، وافترض على امته الغراء فريضة الصلاة عليه والتسليم ، واثنى عليه في كتابه الحكيم ، فقال جل ثناؤه ، وتقدست صفاته واسماؤه : (وانك لَعلى خلق عظيم) ، صلى الله عليه صلاة متصلة الدوام ، متعاقبة بتعاقب الليالي والأيام ، وعلى ءاله الكرام الأطهار ، وصحابته النجباء الأخيار ، الذين اوضحوا لنا الحق تبياناً ، واسسوا لهذه الملة السمحة قواعد واركاناً ، وعلى مَن اقتفى اثرهم القويم ، واهتدى بهديهم المستقيم ، الى يوم الدين .

اما بعد ، فان الله تعالى جعل صلاح هذا العالم واقطاره المعمورة ببني ءادم منوطاً بالأئمة الاعلام ، محوطاً بالملوك الذين هم ظل الله على الأنام ، فطاعتهم ماداموا على الحق واتقوا الله سعادة ، والاعتصَام بحبلهم اذذاك واجب وعبادة ، قال عز من قائل : (ياأيها الذين ءامنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) ، وقال عليه السلام : (ان امر عليكم عبد مجدع اسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا) ، قال عليه السلام (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره ، الا ان يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ، وقال عليه السلام (مَن خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومَن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية او يدعو الى عصبية او ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهليته ، ومَن خرج على امة يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذي عهدها فليس منى ولست منه) ، اخرجها مسلم كلها ، وقال عليه السلام (السلطان ظل الله في الأرض يأوي اليه الضعيف ، وبه ينتصر المظلوم ، ومَن اكرم سلطان الله في الدنيا اكرمه الله يوم القيامة) او كما قال ، وقال عليه السلام (السلطان العدل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ، يرفع الله له عمل سبعين صديقا) .

ولما كان اهل بيت سيد المرسلين ، اعظم قريش في قلوب المومنين ، واكرمهم منزلة عند رب العالمين ، انالهم الله تعالى في خلقه فضلا كبيراً ، ومنحهم اجلالا ورفعة وتعظيماً وتكبيراً ، قال الله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ اهلَ البيت ويطهركم تطهيراً) ، وقال عليه الصلاة والسلام : (النجوم امان لأهل السماء ، واهل بيتي امان لأمتي) .

وان ممن امتنَّ الله به علينا من اهل هذا البيت الشريف ، الذي أولاه الله أشرف التعظيم واعظم التشريف ، وقدمه تعالى لسلطانه العزيز ، ورفعه جل وعلا على منصة التبريز ، عميد المجد الذي لا يتناهى فخره ، ووحيد الحسب الذي جل منصبه وقدره ، الامام الذي القت له الامامة زمامها ، وقدمته الأفاضل لفضله امامها ، من جاءت له الخلافة تجر أذيالها ، واخذها دون بني ابيه ولم تكُ تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، ومَن جبلت قلوب الخلائق على محبته ، والقي له القبول في الأرض لمجده ولعلو همته ، السلطان السعيد ، الواثق بربه المعين الرشيد ، ابا المكـارم والمفاخر سيدنا ومولانـا يزيد ، بن مولانا الامام ، السلطان الهمام ، المرحوم بالله سيدي محمد ، بن اميـــر المومنين سيدنا ومولانـا عبد الله ، ابن السلطـان الجليل امير المومنين مولانا اسماعيل ، بن موالينا السادة الأشراف ، ذوي الفضل والكرم والانصاف ، قدس الله ارواحهم في اعلا الجنان ، ومنحهم بفضله الرضا والرضوان ، ايد الله ببقائه الدين ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكتب له النصر الى يوم الدين ، واعاذ به الأرض ممن لا يدين بدين ، واعاد بعدله ايامَ ءابائه الخلفاء الراشدين ، واسكن في القلوب سكينته ووقاره ، ومكن له فى الوجود وجمع له اقطاره ، هو والله ممن فيه استحقاق ميـراث ءابائه الاعلام ، وتراث اجداده الكرام ، المجمع عليه انه في هذه الأيام ، فرد هو الأنام ، وواحد وهكذا في الوجود الامام ، الراقي في صبح سماء هذه الذروة المنيفة ، الباقي بعد الأئمة الماضين نعم الامام ونعم الخليفة ، سلالة الأخيار ، وخلاصة ابناء النبي المختار ، اسمى الله ايالته الشريفة ، وانار البسيطة بأنوار مملكته الشامخة المنيفة ، انعقد الاجماع من اهل هذه الحضرة المراكشية حاطها الله وما حولها من اهـل السوس وكافة الرحامنـة وغيرهم من قبائل

عديدة حسبما تضمنته اسماء من يكتب اسمه منهم عقبه بخط من يكتب منهم او خطوط العدول الثقات عمن لم يكن يحسن الكتابة واذنوا لمن يكتب عنهم ، بيعة تم بمشيئة الله تمامها ، وعم بالصوب المغدق غمامها ، سعيدة ميمونة ، شريفة لها السلامة في الدنيا والدين مضمونة ، صحيحة شرعية ، ملحوظة مرعية ، دائبة دائمة ، لازمة جازمة ، صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، على الأمن والأمانة ، والعفاف والديانة ، وعلى ما بويع به مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، والأئمة المهتدون الموفون بعهده ، وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ، قرت بها نواظرهم ، وشهدت بذلك على صفاء بواطنهم ظواهرهم ، واعطوا بها صفقة ايديهم وامضوها امضاء يدينون به في السر والجهر ، والمنشط والمكره ، واليسر والعسر ، اجمع عليها ارباب العقد والحل ، واصحاب الكلام فيما قل وجل ، ومن يوصف بعلم وقضاء ، ومن يرجع اليه في رد وامضاء ، لم يخالف فيها امام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتوى يسأل فيجيب ، ولا من يجتهد في راي فيخطيء او يصيب ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا طاعن برمح ولا ضارب بصفاح ، ولا ولاة الأمر والحكام ، ولا حملة العلم الأعلام ، ولا حملة السيوف والأقلام ، ولا اعيان السادة الأشراف ، ولا اكابر الفقهاء ومن انخفض قدره ومن اناف ، بيعة تمت بها نعمة من وحد الله قائلين **(الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)** ، **(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله)** ، الآية ، فمن حضر خواص من ذكر وعوامهم قيد شهادته بمقتضى العقد المنصوص ، ملتزماً لجميع ما اقتضاه من العموم والخصوص ، باسطاً كفه بالدعاء والابتهال ، والتضرع لذي العزة والجلال ، قائلا اللهم كما خصصت مولانا امير المومنين بمزيد الكرامة ، وارتضيته لمقام الامامة ، وانتخبته من أشرف الناس ، وصنت به وجوههم عن الباس ، فانصره اللهم نصرا مؤزراً ، واجعل نصيبه من عنايتك وكفايتك جزيلا موفرا ، وانله في كل مرام فتحاً مبيناً ، وظفراً ميسرا معيناً ، واسعدنا اللهم بايامه ، واكلاه بكلاءتك في ظعنه ومقامه ، واجعل بيعته المباركة بيعةً تخلد بها مئاثره تخليدا ، وتؤيد علوه وتأييده ونصره تاييداً ، وابقه على الأنام شفيقاً ، وبجميعهم بارأ رفيقاً ، واعنه اللهم على ما وليته من امور عبادك ،

ومهد له اتم التمهيد في اقطار بلادك ، وكن له فيما يرضيك مؤيدا وظهيرا ، واجعل له من لدنك ولياً وسلطانا نصيرا ، اجب دعانا انك ياmolانا ولي ذلك وبه قدير ، وانت نعم الولي ونعم النصير ، وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي الكبير ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما ، وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

في ثامن عشر شعبان عام اربعة ومئتين والف ، انتهت .

انتقال الوداية من مكناسة الى فاس وعبيد الثغور منها الى مكناسة

لما كان السلطان المولى يزيد رحمه الله بمكناسة امر الوداية ان ينتقلوا منها الى فاس الجديد مسقط رؤوسهم ومنبت شوكتهم وباسهم ، وبذل لهم خمسين ريالا للرأس اعانة لهم على نقلتهم ، فعادوا الى فاس الجديد واستوطنوه بعد تغريبهم عنه بمكناسة ثلاثين سنة كما سبق ، ثم أمر عبيد الثغور ان ينتقلوا منها الى مكناسة لتجتمع كلمتهم بها ، وانعم على أهل كل ثغر منهم ببيت ماله الذي به فاقتسموه وانقلبوا الى مكناسة مغتبطين .

نقض الصلح مع جيش الاصبنيول وحصاره سبتة

قال منويل القشتيلي في كتابه الموضوع في اخبار المغرب : لما ولي المولى يزيد بن محمد رحمه الله اظهر معاداة الاصبنيول وصمم على حربهم ، فتفادى طاغيتهم من حربه بكل وجه ، وبعث باشدوره اليه بطنجة يهنيه بالملك ويتملق له ، فأعرض عن ذلك ولم يحفل به ولا بهديته ، بل عمد الى من كان بمراسيه من نصارى الاصبنيول تجارا وفرايلية وغيرهم وقبض عليهم وسلكهم في السلاسل وساقهم الى طنجة فحبسهم بها ، قال : وكانت قراصين المسلمين الحربية يومئذ ستة عشر قرصاناً ، وفيها من المدافع ثلاثمئة مدفع وستة مدافع .

قلت قد تقدم ان القراصين اكثر من ذلك بكثير .

واستمر النصارى محبوسين بطنجة الى أن اتفق ان كان قرصان الاصبنيول يطوف بساحل العرائش فظفر بمركب هنالك واسر بعضهم ، وكان المولى يزيد يومئذ بالعرائش فنظر اليهم بمرءاة الهند وهو على سطح داره اذ اسروهم ، وبعث الصريخ في اثرهم ففاتوه ، ثم وقع التفادي بينه وبين الطاغية في اولئك الأسرى بأسرى طنجة ، انتهى كلام منويل .

ثم ان السلطان المولى يزيد رحمه الله زحف الى سبتة واستنفر الناس لجهادها والمرابطة عليها واستصحب معه ءالة الحرب من المدافع والمهاريس ، ونصب عليها سبعة اشبارات (167) كان جلها لفنانشة سلا ، واهرعت اليه المتطوعة من حاضر وباد ، ونسلوا اليه من كل حدب وواد ، واقام على حصارها مدة ثم افرج عنها وسار الى ناحية مراكش لأمر اقتضى ذلك ، فلما وصل الى مدينة انفا بدا له في الرجوع ، فرجع ونزل عليها واستأنف الجد وارهق الحد ، وارسل الى قبائل الحوز يستنفرهم للجهاد والمرابطة ، فتقاعدوا عنه بعد ان اشرف على فتحها ، وكان ما نذكره .

انتقاض اهل الحوز على السلطان المولى يزيد وبيعتهم لأخيه المولى هشام

لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى يزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافي عنهم وانزلهم في العطاء دون البربر والوداية وغيرهم ، فساءت ظنونهم به ، وانفسدت قلوبهم عليه ، ولما رجعوا الى بلادهم تمشت رجالاتهم بعضها الى بعض ، وخب الرحامنة في ذلك واوضعوا ، واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم ، وءاتوه بيعتهم وطاعتهم ، ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد

---

167) جمع **اشبار** ، وهو فى العامية المغربية ما يتترس به المقاتل من بناء وشجر وحجر ونحوها ، وهو فى اللغة الحديثة المتراس جمع متاريس ، اما فنانشة سلا فهم آل فنيش اسرة سلوية اصلها اوربى ، وكانت تتولى حكم سلا ورياسة بحريتها

وهو محاصر لسبتة اقلع عنها وسار الى الحوز فشرد قبائله ، ووصل الى مراكش فدخلها عنوة ، يقال ان دخوله اليها كان من الباب المعروف بباب يغلي ، فاستباحها وقتل وسمل ، وكان الحادث بها عظيماً ، ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبده وقصده بمراكش ، فبرز اليه المولى يزيد ، ولما التقى الجمعان بموضع يقال لـه تازكورت انهزم جمع المولى هشـام وتبعهم المولى يزيد ، فأصيب برصاصة في خده فرجع الى مراكش يعالج جرحه ، فكان في ذلك حتفه رحمه الله ، وذلك اواخر جمادى الثانية سنة ست ومئتين والف ، ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش ، ولقد كان رحمه الله من فتيان ءال علي وسمحائهم وابطالهم ، له في النجدة والكفاية المحل الذي لا يجهل ، والسبق الذي لا يلحق ، والغبار الذي لا يشق ، ولا يضره تنقيص من نقصه من الحسدة عفا الله عنا وعنهم ، فان مكان الرجل غير مكانهم ، وهمته العالية فـوق تزويراتهم ، تغمد الله الجميع بعفـوه وغفرانه ءامين (168) .

وقال الضعيف في تاريخه في ترجمة مولاي اليزيد مانصه : ثم ورد على السلطان خبر خـروج ولـده مولاي ابراهيم من مراكش واتفاقهم على عبد الرحمان بن ناصر العبدي بعد أن نكثوا بيعته قبض منهم اي من اهل مراكش لما نكثوا بيعته مولاي اليزيد قاضي مراكش السيد عبد العزيز بن حمزة المطاعي المراكشي والهاشمي بن عمران وولده واخاه التونسي بن عمران وامين الدباغين والسيد محمد التادلي ومولاي عبد القادر ذا القصور (169).

1608) **يلارزج بن القاسم الركوني** ، من اهل بلد ركونة من عمـل مراكش ، مات عام احد وستمئة ، قدم مراكش وكان عبداً صالحا من ارباب القلوب .

قال في التشوف : سمعت عبد الصمد بن يوجكل الركوني يقول كان يلارزج يواصل اربعة وثلاثين يوماً ، وكنت ذات يوم بمراكش فأردت صحة ما تحدث به عنه ، فقلت وانا بمراكش وهو ببلد ركونة يايلارزج ، فأتاني

---

168) ما تقدم منقول من الجزء الثامن من **الاستقصا** ص 72 – 83 طبع الدار البيضاء

169) **تاريخ الضعيف** نسخة مصورة ص 271

بالمكان الذي كنت به ، وقال لي ما الذي اردت مني حين ناديتني فأتعبتني بالوصول اليك ؟ (170) .

1609)**اليماني بن ابي عشرين المكناسي** ، بيت بني عشرين كان قديماً في فاس ، قال عبد الرحمان الفاسي في تأليف ذكر فيه بعض مشاهير فاس فى القديم : ومنهم بيت بني عشرين الخزرجيين ، بيت علم واصالة ، منهم فقهاء أئمة ، كالفقيه علي بن عشرين ، كان فقيهاً حافظاً محصلا مستبحراً فى الفقه وتفقه عليه فقهاء المغرب ، وكان يحفظ المدونة ، ومن صدره نقلت بعد ان حرقها ملوك الموحدين من بني عبد المومن بن علي ، يروى انها لما جبذت (171) من صدره فى اول الدولة المرينية قوبلت بعد ذلك مع نسخة وجدت فوجدوها كهي لا خلاف بينهما الا فى واو او باء . انتهى .

وراجع التكملة لابن الابار فى ترجمة محمد ابن خطاب .

كان المترجم نساخاً عند المولى سليمان ، ثم اتخذه كاتباً ، وقال في (الحسام المشرفي) عند ذكر وزير الحرب القائد احمد مولى اتاي ما نصه : وعلى يده كتبة الديوان ، وامناء الصرح والايوان ، سوى قرينه في الصدارة ، جليل المفاخر تحفة المجالس وحضرة الامارة ، ابو اليمن والبركة ، الموفق في السكون والحركة ، الكاتب الأشهر ، الكبريت الأحمر ، بقية الأماني عزيز الكتبة السيد اليماني ، فكل منهما يقدر قدر الآخر ، ويحل صاحبه ويباهي به ويفاخر ، فصال بهما مولانا سليمان ، في سائر اقطار البلاد صولة المنذر بن النعمان ، وملوك ءال عثمان ، حتى طأطأت رؤسها اهل البغي والطغيان ، انتهى .

وفي (الجيش العرمرم) عند ذكر ولده العلامة الوزير سيدي الطيب ما نصه : فان والده المرحوم كان فى دولة السلطان العادل مولانا سليمان رئيس

---

170) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 401 ع 215

وبعد هذه الترجمة ترجم المؤلف لابى يعزى (مولاى ابو عزة) وقد اثبتنا ترجمة ابى يعزى فى حرف الالف فى اخر الجزء الاول من هذا الكتاب

171) جبذ : اخذ ، نزع ، جذب

الكتبة ، وكان للوزير الصالح القائد احمد به اعتناء زائد ، خارق للعوائد ، ولا يفارق جنبه الأيمنَ في صدر الديوان ، لأنه لا يتلون بغير الصدق والعفاف والمروءة بشيء من الألوان ، وكان رحمه الله لنا معاشر الكتاب مورداً صافياً لا نخشى تغيره ولا كدره ، وكنا له طائعين اولاداً بررة ، وبيته ثابت السيادة والأصالة ، لا يُبلي طول الزمان مآثره وخصاله ، حضرت يوماً عند صاحبنا الفقيه السيد الحاج المعطي الزداغي المراكشي وكان قدم لحضرة السلطان العادل بحضرة مكناسة بقصد سرد صحيح البخاري على العادة ، فأنزله عند قهرمان الحضرة الأمين الحاج الطاهر بادو ، فأنزله بدار العريفة حول داره ، فبينما نحن جلوس اذ قدم علينا الفقيه الكاتب سيدي اليماني ، جاءه بأمر سلطاني ، فساروه بذلك ثم خرج ، وكان معنا فتى من اهل مكناس بذيء اللسان ، مسلطاً على الأعراض ، لا سيما اهل المروءة والدين ، وكان اذذاك مشهوراً بالانظام الملاحين التى يتعاطاها سفهاء العوام ، لاسيما اهل مكناس ، فلما خـــرج الفقيه الكاتب قــال ذلك الموصوف كلمة ناقصـــة غاضَّة في حــق الكاتب ، فسمعه رجل كان معنا يقال له الحاج قدور الواني شيخ كبير تاجر من اهل مكناس ، جال البلاد شرقــاً وغربــاً وسودانــاً وبراً وبحراً اخباريا نسابــة صادقاً في كل ما يحدث به ، يرجع اليه في الأمور العظام ، لاسيما في الانساب ، فلما قال ذلك الفتى تلك المقالة ، قال الحاج قدور ما ذا تقول ؟ قال له كذا وكذا ، فسأل عنه ، فقال للحاضرين ولد مَن هذا ؟ فقالوا له هذا يقال له السيد فلان طالب نجيب حسن الخط شيخ الكلام ، وهو الذي غلب العميري لما تهاجيا بالملحون وفضحه على رؤوس الأشهاد ، فقال لهم سألتكم عن ابيه ، فقالوا لا نعرف اباه ، وكان فى ذلك المجلس ايضاً رجال مسنون : السيد المكي بادو واثنان آخران لا اعرفهما ، فقال له انت مجهول الأب ، وهؤلاء كبار اهل مكناس كبار لا يعرفون اباك ، وتقول فى الفقيه المسلم السيادة والأصالة ما لا يليق بمنصبه ، ثم قال لأولئك الأشياخ هل فيكم من يجهل والد الفقيه سيدي اليماني ؟ فقالوا نعرفه ونعرف جده بالمعاصرة ، ونعرف سَلفه المشهور بالخير والدين و النباهة والسيادة والوجاهة ، فقال لهـــم ما بالكم تسمعون كلام هذا السفيه المجهول الأب ولا تنكرون عليه ؟ هذا

سبب خراب العالم ان يسب الفاسدُ الصالحَ ولا ينكر عليه ، لا حول ولا قوة الا بالله ، وما زال يشنع على القوم ويقبح سكوتَهم عن ذلك ، وكان اكبر منهم بكثير ، وكان فيهم ذا جلالة وقدر ، فجعلوا يأخذون بخاطره ويسعون في رضاه حتى استنزلوه من حالة الغضب الذي اعتراه ، فسكن قليلا ثم قال والله اني لأعرف اصل هؤلاء القوم بني العشرين ، فأنهم من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا لتلمسان ، ثم لفاس ، ثم لسلا ، ثم كانوا مدة بجبال الزبيب ، ومن ثم انتقلوا لهذه البلدة وهم ينتسبون الى الأنصار . انتهى كلام الحاج قدور المذكور ، وكانت هذه القصة عام اثنين وثلاثين ومئتين والف .

ولما كانت فتنة اولاد مولاي اليزيد قدم الفقيه الكاتب سيدي اليماني لحضرة السلطان لفاس الجديد وهو محاصر لفاس البالي ، فنزل معنا سيدي اليماني بدار الموقت التي هي متصلة بمنار الجامع الكبير ونحن جماعة ، وكنت اباشره واتسخر له لأني اصغر القوم ، وكان به ضعف والم ، لأنهم قدموا به ليلا فتضرر بذلك ، وكانت الطريق التى بين فاس ومكناس مخوفة لا تسلك الا ليلا على خطر ، ثم حدثته ذات يوم بما وقع من حديث الواني ، فقال لي صحيح كل ما ذكره عن سلفنا ، الا انني ما عرفت الا الانتقال من تونس لفاس لا الى تلمسان ثم فاس ، وقال لي ان سبب الانتقال من سلا الى الجبل ان بعض الأسلاف اذذاك كان متزوجاً ببنت بعض اهل الجبل الساكنين بسلا ، ثم حصلت هيعة بسلا من الغلاء ، فخرج بقومنا صهرهم فأقاموا هناك مدة ، ومنه الى مكناس ، والله اعلم ، ثم الى قال لي وكان قومنا يقال لهم بنو ابي العشرين البياشي بالشين المعجمة فتنوسي الوصف الأخير وبقي الأول ولم ادر ما سبب الوصفين لا الأول ولا الثاني ، هذا حاصل ما ذكر لي الفقيه سيدي اليماني ، قلت رأيت السيد احمد المقْري في (نفح الطيب) ذكر ابا العشرين في محلين وذهب عني ذلك المحل ، وكنت عهدت من عادتي في المطالعة او اقف على المهمات في الهامش في المطالعة ، ولم اكن طالعت منه الا السفر الثاني والثالث ، فأعدت مطالعة السفريْن المذكوريْن ، ولكن انما انظر في الهامش لعلي ارى توقيفة على ذلك ، فسردتها ورقة ورقة فلم

اجد ذلك وعجزت عن مطالعة السفرين من اصلهما ، ثم اني رأيت في (وفيات الأعيان) لابن خلكان في ترجمة الشيخ يوسف بن محمد بن ابراهيم البياسى الأنصاري احد فضلاء الأندلس وحفاظها ، ثم قال وطاف بأكثر بلاد الأندلس وتنقل فيها ، ولما قدم من جزيرة الأندلس الى مدينة تونس جمع للأمير يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص عمر صاحب افريقية كتاباً سماه (الاعلام ، بالحروب الواقعة في صدر الاسلام) ابتدأ فيه بمقتل الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وخرج بخروج الوليد بن طريف الثائر على هارون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية ، ثم قال ابن خلكان فى ءاخر ترجمته : وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة ، وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمئة بمدينة تونس ، والبياسي بفتح الباء والياء المشددة المثناة من تحت والسين غير المنقوطة هذه النسبة الى بياسة مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كور جيان ، هكذا قال ياقوت الحموي في كتاب المشترك وضعاً .

انتهى كلام ابن خلكان .

وهذا يدل على ان ما ذكر الفقيه سيدي اليماني من ان البياشي بالشين المعجمة انما هو تصحيف جرى على ألسنة العوام كما هي عادتهم في كثير من الألفاظ ، هذا ولا يبعد ان يكون هذا النسب هو الذي ينتمي اليه قوم البياز بفاس ، فأبدلوا السين بالزاي لقرب المخرج ، وكثيراً ما يتعاقب الحرفان المذكوران كالصراط والزراط ، والسعتر والزعتر ، فيكون نسبهم الى البياسي المذكور ، ويصحُ لهم نسب الأنصارية بلا ايراد .

حدثني الفقيه السيد عبد الواحد الضرير السجلماسي البوعصامي رحمه الله تعالى قال : كنت عند القاضي الشريف مولاي عبد الهادي ، وكان عنده عامل فاس السيد الطيب البياز ، فقال له القاضي هذا النسب الذي تنتسبون فيه الى الأنصار هل تنتسبون الى بعض المشاهير من صحابة الأنصار ؟ قال نعم ، قال الى من منهم ؟ قال الى عبد الله بن رواحة ، فقال له القاضي عبد الله بن رواحة ما عقب ، فقال له العامل السيد الطيب البياز

ومن ذكر انه ما عقب ؟ فسكت القاضي ، فلا ادري هل سكوته على يقين من ذلك او انما ترك ذلك خشية اللجاج انتهى ، وربما يكون انما اغتر القوم اهل فاس المذكورون لما سمعوا اطلاقَ البيازين على ربض غرناطة من الأندلس فتمسكوا بهذا اللفظ ، والا فالأصل البياسي كما قلنا ، وهو مسلم النسبة الأنصارية ، والله اعلم .

وقد ظهر بمجموع ما ذكرناه ان نسب القوم ءال ابي العشرين الى الأنصار قريب من الصحة جداً ، بل هو اصح من نسب البياز ومن كثير من الأنساب الطويلة المدى .

انتهى كلام كنسوس (172)

وقال في (الحسام المشرفي) فرفعة قدر بني عشرين بالعلم والعدالة وشهرة بيتهم الرفيع العماد فى القرن الثامن اظهر من نار على علم ، وامتدت شهرتهم الى قرننا هذا ، قلت وذكر الامام البخاري لابن ابي العشرين الراوي بالتعريف يصح ما قاله الشيخ القدوة العلامة ابوراس الناصري ثم المعسكري فى تأليفه (الحلل السندسية ، فى فتح الجزيرة الأندلسية) لما تكلم على بني العشرين بالتعريف وهم اهل صلاح وعلم ايضاً بكلام ضل عني لطول العهد ، فمن وجده فليطالعه ، وكلا البيتين له مجد اثيل ، واصل اصيل ، انتهى.

1610) **يصلتن بن داود الأغماتي** قال ابن الفرضى في تاريخ الأندلس ، قدم علينا قرطبة طالبـاً ، فسمع معنا من محمد بن يحيى بن عبد العزيز ، وعبد الله بن محمد بن علي ، والحسين بن محمد ، والخطاب بن مسلمة ، وغيرهم من شيوخنا ، وجمع كتباً عظيمة ، وكان صائماً اكثر دهره كثير الصدقة ، وخرج منصرفاً الى بلده فتوفى قبل وصوله اليه في جزيرة من جزائر الساحل سنة احدى وسبعين او اثنتين وسبعين وثلاثمئة (173)

---

172) **الجيش العرمرم الخماسي** 2 : 154

173) **تاريخ علماء الأندلس** ص 210 ع 1649

1611) **يعزى بن الشيخ ابى يعزى يلنور ابن ميمون** ، قال في التشوف : حدثني محمد بن احمد الزناتي قال سمعت محمد التاودي يقول : زرت ابا يعزى بايروجان ، فوجدته مريضاً ، فقلت له الازمك ؟ فقال لي الترجمان عنه اذهب الى اهلك ، فاذا رايتهم فارجع الي ، فلما وصلت الى فاس اتاني رسوله يستدعيني ، فأتيته فوجدته قد افاق من مرضه وعنده ثور اسود يدنو من ابي يعزى وهو يلحس جسده بلسانه ، ويمسح عليه ابو يعزى بيده ، ويقول أي ثور هذا لطعام يصنع منه ، وهو يعيد هذا الكلام وانا لا أفهم معناه ، فأقمت عنده اياماً فمرض ، وكان ابنه يعزى غائباً بمكناسة وابو يعزى يقول ادعوا لي يعزى ويشتد حرصه على رؤيته والناس يختلفون الى يعزى ويأبى من الوصول اليه ، فقمت اليه وقلت يابني ان الشيخ شيق الى رؤيتك ، فودعه قبل الفوت ، فقال اخاف منه ، فما زلت به الى أن تجرد من اثواب سنية كانت عليه ولبس دونها وجاء اليه وهو يبكي ، فقبل راسه ، فقال له تبْ الى الله تعالى بايعزى ، فقال له تبت الى الله تعالى يا أبت ، فقال له افتح فاك ففتحه فبصق فيه ابو يعزى بصقة ثم مات رحمه الله تعالى .

قال محمد التاودي فذبح ذلك الثور الأسود وصنع منه طعامٌ للناس ، وخلفه ابنه في مكانه ، وقد لاحت عليه شواهد الولاية ، ولقد حضرته الى ان جاءه رجل مقعد ، فمازال يتفل عليه الى ان برىء وقام سوياً ، ولحق يعزى بالأولياء من ساعته ، انتهى (174)

وقال في (المعزى) ومن اصحاب الشيخ ابي يعزى ولده الولي الصالح يعزى المدفون بأم ابتمد موضع اسمه بالعربية فم القلتة من عمل مراكش ، وكان في بدء امره من ابناء الدنيا واهل الرفاهية ، ولم يسلك طريق ابيه من الفقر ، فلما مات ابوه ظهرت عليه بركاته ، ثم حكى ماتقدم وقال قبل ذلك : وتوفى الشيخ ابو يعزى وترك اولاداً ، والمعروف منهم الذي يكنى به وهو أبو علي يعزى .

---

174) **التشـوف** ص 214 ع 85

1612) يعزى بن محمد الصنهاجي بسريرة صنهاجة ، كان رضي الله عنه رجلا صالحاً صوفياً ورعاً زاهداً ، له قدم راسخة في طريق القوم وعلومهم واحوالهم .

توفي رحمه الله بمراكش ودفن بكدية الأنوار عام ستة عشر والف .

ذكره الحضيكي في طبقاته (175)

1613) يعــزى

قال في (شمس المعرفة) حدثني سيدي محمد بن سيدي محمد المراكشي انه حدثه السيد الفاضل سيدي علي بن موسى الكنسوسي ان رجلا من اولياء الله يسمى سيدي يعزى كان يكاشف بأولياء الله ، يعرف الأرض ويعرف القوي من الضعيف ، وكذلك يكاشف بقرب الماء وبعده في الأرض ومسكنه ، واشتهر بها شهرة لا تخفى ، قال فأول ماجاء الى مراكش احدق به الفقراء يلتمسون بركته والدعاء منه ، قال فطلبنا منه الاسعاف والزيارة فأجابنا ، فقال اليوم يتبين لنا مَن هو المحق في دعواه ، ومَن هو على بصيرة في فتواه ، اما اهل الظاهر واما اهل الباطن ، قال فدخلنا معه لورضة سيدي الفلاح ولم نعلمه بأحدهما (176) فقلنا له اي الرجلين اقوى من صاحبي هذين القبرين ؟ فقال نور صاحب هذا القبر اقوى واشرق انواراً واضواء ودلنا على قبر الشيخ ، فقلنا الحمد لله على صدق اهل البصيرة والصلاح ، فقلنا لعله صادق ، وجئنا معه الى روضة هنالك دفن فيها علجان ، وهي مبهجة غاية ، فقلنا انظر اي هذين السيدين اقوى ، فقال ليس هنا سيد ولا سيدة ، ولم أر هنا سوى جنازتي كلبين ، فقام لهم دلائل في موضع واحد على تصديقه واستدلوا بذلك على تحققه في طريقه .

---

175) **طبقات الحضيكي** 2 : 351

176) كذا في الأصل ، ولا شك ان الناسخ اغفل جملا من الأصل المنقول منه .

1614) **يعزى بن موسى التملي** ، كان رضي الله عنه عابداً زاهداً ورعاً مجاهداً ، اخذ عن سيدي عبد الله بن المبارك المتوفى سنة 1015 وصحبه زماناً وخدمه ، قال كنت اسأل رجلا يعرف بالخير في بلدنا ان يريني ولياً حياً ، فقال لي عليك بفلان بمراكش ، فذهبت اليه فوجدته رجلا من اهل الأسباب ، فقلت فلان بعثني اليك ان تريني ولياً حياً ، فكنا بجامع الكتبيين ، فقال غداً يوم الجمعة يصلي فى هذا المكان ، فرصدته من الغد حتى جلس فيه سيدي عبد الله بن مبارك الأقاوي كان بمراكش اذذاك ، فحصل بذلك ثلاث فوائد ، فلازمته ، وتقدم هذا فى ترجمة سيدي عبد الله المذكور .

1615) **يعلى بن وين يوفى** الأجذم ابو عصفور ، تلميذ ابي يعزى ، وشيخ سيدي يوسف بن علي ، احد البدور الرجال السبعة ، اصله من مكناسة نزل حارة الجذمى خارج حضرة مراكش بباب اغمات ، وبها مات عام ثلاثة وثمانين وخمسمئة ، ودفن برابطة الغار هناك التي بها تلميذه سيدي يوسف المذكور ، وقبره ظاهر هناك ، وعليه رخامة رقم فيها اسمه ، وكان عبداً صالحاً .

قال في التشوف : سمعت محمد بن احمد الزناتي قال حدثني علي بن يحيى قال ذهبت انا والشيخ يعلى في جماعة الى عيسى بن عبد الله الايلاني ببلد ايلان فنزلنا عنده ، وكان عنده عنب كثير نشاهده ، فلم يقدم الينا منه شيئاً ، فقال بعضنا لبعض هلا قدم لنا شيئاً من هذا العنب ، فقال يعلى : لعل الله حماكم عنه ، فلما قضينا الأمر الذي وصلنا فيه اليه انصرفنا نسير الى ان وصلنا ارضاً مقفرة ، فقال لي يعلى اذهب الى مكان كذا وكذا وما وجدته فيه فأت به ، فذهبت الى ذلك المكان فوجدت فيه عنباً مجموعاً وليس بمكان عنب ، فأتيته به واكلنا منه الى ان شبعنا وتركنا منه كثيراً ، قال محمد بن احمد : وكان يعلى حاضراً فسمع كلام علي بن يحيى ويعلى يقول له لا تتحدثن بذلك ، وعلي يقول له والله لاحدثن به ، (واما بنعمة ربك فحدث) ، ولم يقطع الحديث حتى استوفاه (177) .

---

177) **التشوف** ص 258 ع 115

1616) **يعقوب بن حماد الأغماتي** . الفقيه الحافظ من اهل تلمسان ، واصله من اغمات ، رحل الى مرسية فسمع بها من ابي علي الصدفي جامعَ الترمذي وغير ذلك في سنة 511 واسند ابن الأبار في المعجم من طريقه بسند عال حدث به سنة 523 بجامع تلمسان حديث الترمذي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم طعاماً فسقطت لقمته فليمط ما رابه منها ثم ليطعمْها ولا يدعها للشيطان (178)

1617) **يعقوب (المنصور) بن يوسف الكومي الموحدي (الخليفة)**

يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدي ، لقبه المنصور بفضل الله ، امه ام ولد ، مولده بقصر جده عبد المومن بمراكش سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، نقش خاتمه على الله توكلت ، صفته ءادم اللون ، معتدل القامة ، اكحل الشعر ، واسع الأكتاف ، اقنى الأنف ، عالي العنفقة ، مدور الوجه ، افلج ، اعين ، له وفرة ، جواداً سمحاً ، شجاعاً شهماً عالماً بالحديث والفقه واللغة ، مشاركاً فى كثير من العلوم ، محباً فى العلماء معظما لهم صادرا عن رايهم ، كثير الصدقة ، يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ، كان يجيد حفظ القرءان ، ويحفظ متون الأحاديث ويتقنها ويتكلم في الفقه كلاماً بليغاً ، وكان فقهاء الوقت يرجعون اليه فى الفتاوي ، وله فتاوي مجموعة حسبما دل اليه .... وكان الفقهاء ينسبونه الى مذهب الظاهر ، وقد شرح احوال سيرته وما جرى فى ايام دولته تاج الدين السرخسي الوافد اليه بمراكش فى كتاب التاريخ المسمى (عظة الذيل) وقد صنف كتاباً جمع فيه متون احاديث صحاح تتعلق بها العبادات سماه (الترغيب) ، اولاده الذكور أربعة عشر ، ولي الخلافة بعده منهم ثلاثة : محمد الناصر ، عبد الله العادل ، ادريس المامون .

بويع له يوم الأحد التاسع عشر لشهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمئة ، وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين : الحمد لله وحده .

178) **معجم اصحاب الصدفي** ص 333 ع 314

في سنة خمس وثمانين تحرك الى الأندلس برسم غزو غربها ، وهي اول غزواته للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (179) الى الخضراء ، وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول سنة خمس وثمانين ، فارتحل عن الخضراء الى ان نزل على شنترين ، وشن الغارات على مدينة الاشبونة وانصرف الى العدوة بثلاث عشرة سفينة من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس في آخر شهر رجب الفرد من السنة المذكورة .

وفي سنة احدى وتسعين وخمسمئة خرج من مراكش الى الأندلس برسم غزوة اخرى هي الأراك ، حكوا انه لما جاز الى الأندلس وقرب من مدينة الأراك رأى من الغد في منامه كأن باباً قد فتح في السماء ونزل منه فارس على فرس ابيض حسن الوجه وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم على المنصور بالله ، فقال له من انت يرحمك الله ؟ فقال انا ملك من ملائكة السماء السابعة جئت لأبشرك بالفتح من رب العالمين ، انت وعصابتك المجاهدين ، الذين اتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله طالبين ، ثم انشده الأبيات :

بشائر نصر الله جاءتك سافـــــره	لتعلـم ان الله ينصـر ناصـــــره
فأبشر بنصر الله والفتـــح انــــه	قريب وخيـل الله لاشــك ظافـره
فتفني جيوش الروم بالسيف والقنا	وتخلي بلاداً لن ترى بعدُ عامـــره

وعن امر المنصور هذا بنيت منارة اشبيلية ومنار الكتبيين بمراكش وقصبة مراكش ومدينة رباط الفتح وجامع حسان ومناوه ، ومسجد القصبة بمراكش المعروف بالمنصور وبجامع المنصور وبنى المساجد والمدارس فى بلاد افريقية والمغرب والأندلس ، واجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم .

---

179) هو المعروف اليوم بالقصر الصغير بين سبتة وطنجة ، وكان يعرف ايضاً بقصر مصمودة .

ولما رجع من غزو الأراك سنة 591 ورد الشعراء ، يهنئونه من كل ناحية ، وكان كل واحد ينشد البيت والبيتين لا يتجاوزهما ، ولما انزلت رقاع القصائد تكون منها سور حال بينه وبين جلسائه .

وقال الشيخ الأديب الماهر احمد بن محمد ابن الونان الحميري الملوكي التواتي الفاسي المشهور بأبي الشمقمق :

وسم عدو الدين بالخسف وكن — مثل أبي يوسف ذي التخبق
رد كتاب مَن دعاه للوغى — منهم ممزقاً لفرط الحنق
وقال اني لا أجيب بسوى — جيش عرمرم وخيل ذلق
وضرب القسطاط في الحين وقد — احاط جيشهم به كالشوذق
وكان ما قد ابصروا من بأسه — ابلغ من جوابه المشرق (180)

ولما اشتد به المرض قال ما ندمت على شيء فعلتُه الا على ثلاثة ، أولها ادخال العرب من افريقية الى المغرب ، والثانية بناء رباط الفتح وهو لا يعمر ، والثالثة اطلاق نصارى الأراك ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .

ثم لما رجع من الأندلس الى مراكش وبلغها قطع المناكر واقام العدل وباشر الأحكام ، وكان من اهل العدل والتوقيع في الجواب بأحسن توقيع .

وفي سنة خمس وتسعين امر المنصور بعمل الشكلة ، وجعل عصي اليهود طول ذراع في عرض ذراع ، وجعل لهم برانس وقلانس زرقاء ، وكانت خلافته اربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا واربعة أيام .

توفي بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الأول عام خمسة وتسعين وخمسمئة ، ودفن بمجلس سكناه من مراكش ، ثم نقل الى رابطة تينمل (فأقبر) لصق ابيه وجده .

---

180) **التخبق** : الرفعة والعلو ، **والخيل الذلق** : المتتابعة ، **والشوذق** : السوار ، **والمشرق** الممزق ، لأنه كتب في قطعة من الكتاب الذي مزقه (الجواب ما ترى لا ما تسمع) ، وانشد متمثلا ببيت المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية والقنى — ولا رسل الا الخميس العرمرم

(المؤلف) .

تنبيـه : زعم ابن خلكان وابن بطوطة وغيرهما ان يعقوب المنصور ترهب وانخلع من الملك ، وردد هذا غير واحد كصاحب النجم الثاقب فى ترجمة ابي مدين الغوث ، وصاحب نفح الطيب فى ترجمة السرخسي ، ونقل كلام الشريف الغرناطي فى شرح مقصورة حازم فى نفي ذلك ، وكرر ذلك فى محل ءاخر منه ، وقال فى (المغرب) كان أبوه يوسف قد استوزره فى حياته ، وخرج بين يديه وتمرس وهزم الفرنج الهزيمة الفظيعة ، وتولع بالعلم حتى نفى التقليد وحرق كتب المذاهب ، وقتل على السكر ، وحكى لسان الدين فى شرح (رقم الحلل) ان المنصور طلب من بعض اعيان دولته رجليْن لتأديب ولده يكون احدهما براً في دينه ، والآخر بحراً في علمه ، فجـــاءه بشخصين زعم انهما على وفق مقترح المنصور ، فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصف ، فكتب الى الآتي بهما (ظهر الفساد فى البر والبحر) ، وناهيك بهذا دلالة على قوة فطنته ومعرفته رحمه الله تعالى .

فائـدة : قال في (تحية الأسلاف) حين ذكـر الرصادين ما نصه : ثم رصد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن سلطان الموحدين ، بني سنة احدى وتسعين وخمسمئة بمدينة اشبيلية من بلاد الأندلس بمعرفـــة الحكيم ابي الليث السكلي وغيره ، وبقي الى ان هدمه بعض ملوك النصارى وصيره بيعة بعد ان مضى نحو خمسين سنة من بنائه . انتهى .

لطيفة : قال السرخسي بلغني ان قوماً من الغرباء قصدوه ومعهـــم حيوانات معلمة منها اسد وغراب ، اما الأسد فيقصده من دون اهل المجلس ويربض بين يديه ، وربما أومأ بالسجود ومد ذراعيه ، واما الغراب فكان يقول النصر والتمكين ، لسيدنا امير المومنين ، وفى ذلك يقول بعـــض الشعراء :

انس الشبل ابتهاجـاً بالأســـد ... ورأى شبَــه ابيــه فقصـــد

انطلق الخالق مخلوقاتـــــــه ... شهـدوا والكـل بالحـق شهــد

انك الخيـرةُ من صفوتـــــه ... بعد ما طال على الناس الأمـــد

فأعطاهم وكساهم واحسن حباهم .

قلت تقدم نحو هذا في ترجمة جده عبد المومن فراجعه .

قال السرخسي وبلغني ان قوما اتوه بفيل من بلاد السودان هدية فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم ، وقال نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل .

انتهى .

ومن شعره ابيات كتب بها الى العرب :

ياايها الراكب المزجي مطيته	على تسقي بها الأكم
بلغ سليماً على بعد الديار لها	بيني وبينكم الرحمان والرحم
ياقومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت	واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب مَن قد كان قبلكم	من القرون فبادت دونها الأمم
حاشى الأعاريب ان ترضى بمنقصة	ياليت شعري هل تراهم علموا
يقودهم ارمني لا خلاق له	كأنه بينهم من جهلهم علم
الله يعلم اني ما دعوتكم	دعاءَ ذي قوة يوماً فينتقم
ولا لجأت لأمر يستعابُ به	من الأمور وهذا الخلق قد علموا
لاكن لأجل رسول الله عن نسب	ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
فان رضيتم فحبلُ الوصل متصل	وان ابيتم فعند السيف نحتكم

ترجمه في وفيات الأعيان ، والحلل ، وتاريخ الدولتين ، والجذوة ، ودرة السلوك ، ونفح الطيب ، والشذرات ، وراجع الجزء الأول من (صبح الأعشى) .

تنبيه : ذكر في (المقصد) في ترجمة العارف سيدي احمد بن العارف سيدي محمد بن الفاضل محمد بن عبد الله ابن معن الأندلسي المحتد الفاسي الاقبار والمولد ، انه من ذرية يعقوب المنصور الموحدي ، قال اخبرنا به غير واحد منهم من كبارهم ، ويعقوب كومي السلف ، مضري الأصل من قيس عيلان بالمهملة بن مضر كما ذكره جماعة من المؤرخين لدولتهم ، وهو الصحيح ،

واصله من خط حفيده الأمير عبد الواحد حسبما نقل ابن ابي زرع وغيره ، وقال بعض الأعلام المؤرخين ان يعقوب المنصور شريف النسب بن يوسف بن عبد المومن بن علي بن علوى بن يعلى بن مروان بن نصر بن محمد بن علي بن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة وعلي رضي الله عنهما ، وسلف سيدي احمد رضي الله عنه ربما كانوا يذكرون شرف النسب لهم فيما بينهم ، ويمسكون عنه ولا يظهرونه حسبما اخبرنا بذلك اقاربهم وبنوهم ، ولعل امساكهم عنه وقع احتياطاً لما قيل ان يعقوب من قيس عيلان ، واوصى الشيخ سيدي محمد بن عبد الله والد سيدنا احمد رضي الله عنهما فيما بلغنا اولاده ان لا يذكروا القول بالشرف بـــل يدخرونه للآخرة ان كان ، وممن قال بشرف يعقوب المنصور الشيخ ابـــو القاسم السهيلي ألف فيه كتابـاً نسبه فيه الى النسب العلوي ، لكن قـال تلميذه ابو القاسم الملاحي في تاريخه لما عرف بالسهيلي اقصاه المنصور بسبب ذلك وابعده ، وقد اتفق للشيخ الولي الكبير حماموش دفين خارج باب الفتوح مثل هذا فى نسبه لكونه من ذرية يعقوب المذكور ايضا ، فقيد رسم شرف له بعلامات كثيرة ، ووقفت انا عليه مرفوعاً منه الى يعقوب ، ثم الى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، كما تقدم فيه ايضاً انه لما اطلع على كتاب الفقيه العالم العلامة المؤرخ ابي العباس احمد بن ....

.... ما فيه من التنصيص على شرف يعقوب رسمه كذلك تبركاً رجاء ان يكون يعقوب من ءال البيت فيندرج فيه ، ولكل وجه ، والأول احوط ، وبالجملة فنسبهما اعني الشيخيْن سيدي محمد وسيدي علي على كل من القولين عربي ، واخبرنا صديقنا ومفيدنا السيد العالم سيدي المهدي بـــن احمد بن علي بن الشيخ سيدي يوسف الفاسي حفظه الله ان سيدنا احمد رضي الله عنه قال له يوماً وهو فى حالة فيض قبل لي يعني يقيناً ما نسبك ؟ فقلت عربي ، انتهى .

وتقدم في ترجمة جده عبد المومن الموحدي رفع نسبه الى قيس عيلان ، ثم الى عدنان ، وانه زناتي الأصل (181) .

1618) يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان)

يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة بن محمد بن كرماط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن يدر بن يجتف بن عبد بن ورثيت بن المعز بن ابراهيم بن شحيح بن واتيش بن يصلمتن بن مشرى بن واكيا بن وسيك بن المعز بن زانات بن جانا بن يحيى بن يمريت بن ضريس وهو جالوت الأول ملك البربر ، ابن زحيح بن مادغيس الأبتر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، استولى على ملك الموحدين واجتث شجرتهم من فوق الأرض ، وورث سلطانهم ، وهو أول ملك مريني اجتمعت له السلطة التامة على المغرب ، واسس فاساً الجديد ، ومدرسة الصفارين بفاس الادريسية ، ومدرسة ابن يوسف بمراكش ، وكان له اهتمام بصنع المستشفيات للمرضى الغرباء والمجانين ، واجرى عليهم النفقات ، وامر الأطباء بتفقد احوالهم ، وهو باني دار الصناعة بسلا سنة 657 لتصنع فيها السفن الحربية ، وكان يذاكر العلماء في شهر رمضان ليلا الى الثلث الأخير ، وكان دخوله الى مراكش في يوم عاشوراء سنة ثمان وستين وستمئة لما اتته البيعة من اهلها ، ولمالك ابن المرحل المتوفى سنة 699 يهنئه بفتح مراكش قصيدة مطلعها :

فتح تبسمت الأكوان عنه فما رأيت املح منه مبسماً وفما

يكنى ابا يوسف المريني الزناتي ، امه حرة اسمها أم اليمن ابنة علي البطوئي ، كانت امه وهي بكر رأت القمر خرج من قبلها حتى صعد الى السماء

---

181) قصر المؤلف ـ الناقل تقصيراً شائناً في حق الخليفة العظيم يعقوب المنصور الذي بلغت الأسرة الموحدية بل المغرب به اوج عظمته ، وليته عمد الى بعض مصادره كالقرطاس او تاريخ ابن خلدون او الاستقصا فنقل منه معلومات جدية ومشرفة عن هذا السلطان الكبير ، كما فعل مع آخرين ممن هم دونه ، ولم يشغل نفسه وقراءه بنقل الأساطير المرفوضة عن نسبه المضري !

واشرف على الأرض ، فقصت رؤياها على ابيها ، فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الورياغلي فقصها عليه ، فقال له ان صدقت فستلد مكلاً عظيماً . **مولده** في سنة سبع وستمئة على ما اخبرت به الحاجة ام اليمن والدته ابا العباس ابن الحر ، وقيل سنة تسع ، لقبه المنصور بالله ، صفته ابيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، حليماً متواضعاً جواداً مظفراً منصورا ، ميمون النقيبة ، صادراً في احكامه عن رأي العلماء والصالحين . **قضاته** بفاس علي بن احمد المعروف بابن عزار ، ومحمد ابن عمران ، وعمر المزدغي ، وابو امية الدلاي ، وعلي ابن القاضي ابي عبد الرحمان المغيلي ، ويوسف بن الحكم البلنسي ، وبمراكش محمد الشريف ، وعبد العزيز العمراني ، ومن عماله محمد بن علي بمراكش واعمالها وجميع بلاد السوس ، وعلى اغمات وتنمل وجبالها الفقيه ابو علي الملياني .

بويع بالخلافة بعد وفاة اخيه ابي بكر بثمانية ايام ، وذلك في اليوم التاسع والعشرين من رجب الفرد سنة ست وخمسين وستمئة ، وفتح مراكش ودرعة وسجلماسة وطنجة وسبتة ووجدة ، وملك من بلاد الأندلس ما ينيف على الخمسين مسورا منها مالقة ورندة والخضراء وطريف والمنكب وربالة واصطبونة وما بين ذلك من الحصون والقرى .

قال ابن خلدون عند كلامه على حصار المترجم لمدينة سجلماسة ما نصه : ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد يبعث من خزانه امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها ، وهذا وقع سنة 672 قبل ان يستعمله الأوربيون بنحو ثلاث وسبعين سنة (182) .

وهو اول ملك حمى الاسلام من بني مرين ، ودوخ بلاد الروم ، واعز الله تعالى به الدين ، ورفع بدولته منارة المسلمين ، وكانت الروم قبل ذلك قد استطالت ايديهم فملكوا اكثر بلاد الأندلس ، ولم تنصر للمسلمين بها

182) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 388 طبع بيروت

راية من واقعة العقاب التى كانت فى سنة تسع وستمئة الى ان جازت للجهاد رايته المنصورة ، وذلك فى عام اربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين الى أن اتاه اليقين ، وهو مظفر فى ملوك المسلمين ، ولما استقام له الملك خرج من مدينة فاس الى رباط تازة يستشرف على اخبار يغمراسن ابن زيـــان ، فدخلها فى اول يوم من شعبان عام ثمانية وخمسين ، فأقام بها الى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر ان النصارى دخلوا مدينة سلا غدراً ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها ، وكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال منها ، فخرج من فوره مسرعاً لاستنقاذها مشمرا عن ساعد الجـد والاجتهاد ، وكان خروجه من رباط تازة بعد انصلـّى صلاة العصر من اليوم الرابع من شوال المذكور الذى اتصل بالخبر فيه فى نحو الخمسين فارساً ، فأسرى ليلته تلك ، ومن الغد صلى صلاة العصر بظاهر سلا ، ونزل على من بها من الروم وتداركت عليه جيوش الاسلام فحاصرهم حتى اخرجهم منهـــا قهراً ، وبعد ان اخرجهم بنى السور الغربي الذي يقابل الوادي ، لأنها كانت لا سور لها من تلك الجهة ، وكان يناول الحجر في بنائه بيده .

وفي هذه السنة ملك بلاد تامسنا ومدينة انفـا .

وغزوات هذا الملك لا حصر لها ، ورهـن الفنش لعنـه الله تاجـه لديه ، ولما وقع الصلح بينه وبين شانجه ملك اشبيلية يوم الأحد الموفى عشرين من شعبان سنة اربع وثمانين وستمئة امره ان يبعث اليه بما يجده فى بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم ، فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن عطية والثعالبي ، ومنها كتب الحديث وشروحها ، كالتهذيب والاستذكار ، وكتب الأصول والفروع واللغة العربية والآداب وغيرها ، فأمر رحمه الله بها فحملت الى مدينة فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناهـا نفعه الله تعالى بقصده .

وكانت مدته من اول ظهوره ثمانياً وعشرين سنة وستة اشهر وعشرين يومـــاً .

وفي ءاخر ذي القعدة مرض السلطان يعقوب مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل المه يشتد الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء فيضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم الذي من سنة خمس وثمانين وستمئة ، وحمل الى رباط الفتح فدفن بمسجد شالة ، والملك لله وحده .

ترجمه في القرطاس وابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن ، والحلل ، والذخيرة السنية ، والجذوة ، ودرة السلوك (183) .

1619) يعقوب بن علي (ابي الحسن) المريني

يعقوب ابو عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن المريني (184) كان السلطان ابو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان اولا وثانيا ينتظر قدوم صهره السلطان ابي بكر بن ابي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد بينه وبين ابيه ابي سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح ابو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ ابو محمد بن تافراجين شاهد ذلك الفتح ، قدم رسولا من عند مخدومه السلطان ابي بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبي الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه ، فتشوف السلطان ابو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، فارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة ، وعسكر ببسيط متيجة منتظرا لوفادة صهره عليه ، فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تثبيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك ، وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا في يوم على احدهما ، فنكره الحفصي لذلك

---

183) قصر المؤلف ـ الناقل في حق يعقوب بن عبد الحق المريني مثلما قصر في حق يعقوب بن يوسف الموحدي ، وينظر عنه **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 297 طبع الرباط ، **والحلل الموشية** ص 171 طبع الدار البيضاء ، و **الذخيرة السنية** ص 85 طبع الرباط ، و **جذوة الاقتباس** ص 556 ع 648 طبع الرباط ، و **نظم السلوك** ص 77 و **تاريخ ابن خلدون** 7 : 364 وليس في **المسند الصحيح الحسن** ترجمة للسلطان المذكور ، وانما ذكر فيها مرة واحدة اثناء الكلام على نسب بني مرين .

184) ابو عبد الرحمان كنية احد ابناء السلطان ابي الحسن المريني ، ذكر ابن خلدون خبر تمرده في تاريخه ، ولكن لا يعرف للسلطان ابي الحسن ابن اسمه يعقوب ويكنى بتلك الكنية ، ولا اعرف المصدر الذي اعتمده المؤلف في ذلك .

وتقاعد عنه ، وطال مقام السلطان ابي الحسن في انتظاره ، ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث اهل المعسكر بمهلكه ، وكان ابناه الأميران ابو عبد الرحمن وابـو مالك متنافسين في ولاية عهده منذ ايـام جدهما ابي سعيد ، وكان ابوهما قد جعل لهما لأول دولته القاب الامارة واحوالها من اتخـاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامـة وتدوين الدواوين واثبات العطـاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعسكره على حدة ، وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الأوامر السلطانية ، فكانا لذلك رديفين له في سلطانه .

ولما اشتد وجـع السلطان في هذه المـرة تمشت سماسـرة الفتن بينهما وتحزب اهل المعسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمله على القرابات ، وصار الجيش شيعاً ، وهمّ الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الأمر قبل ان يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك ، وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الأمر ويشيع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه ، وتسامع اهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبيل يده ، وتقبض على اهل الظنة من الجيش فأودعهم السجن ، وسخط على الأميرين ، وامر برحيل مَن كان معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة وسكن سعيُ المفسدين ، وابتعد الناس على الأميرين المذكورين فبقيا اوحش من وتـد ، فاشتد جـزع الأمير ابي عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض الليل فأصبح بحلة اولاد علي امراء بني زغبة من هلال الموطنين بارض حمزة ، فتقبض عليه اميرهم موسى بن ابي الفضل ورده الى ابيه فاعتقله بوجدة ، ورتب العيون لحراسته (الى ان قتله بعد ذلك سنة 742 هـ) ، ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسي بالموحدين اصحاب تونس فأجاروه ، ورضي السلطان صبيحة فرار ابي عبد الرحمان عن اخيه ابي مالك ، وعقد له على ثغور عمله بالأندلس وصرفه اليها ، وانكفأ راجعاً الى تلمسان والله اعلم (185) .

185) تاريخ ابن خلدون 7 : 538

1620) يعيش ابن القديم الأنصاري

يعيش بن علي بن يعيش بن مسعود ابن القديم الأنصاري ، من اهل شلب ، يكنى ابا البقاء ، قرأ القرءان ببلده على عقيل (بن العقل) وأبي عمران بن زكرياء وغيرهما ، وقرأ الحديث والآداب على محمد القنطري الشلبي ، واجاز له عمرو ابن حجاج وابن بشكوال وابو عبد الله ابن زرقون وعبد الله ابن عبيد الله وغيرهم ، ورحل عن شلب حين تغلب العدو عليها فاستوطن مراكش ، ولقي بها ابا ميمون العبدري ، ثم رحل عنها بعد مدة واستوطن مدينة فاس ، ولقي بها القاضي محمد ابن الرمامة ، والقاضي علي بن الحسين اللواتي ، ومحمد ابن خليل القيسي ، وابن عديس ، واخذ عن جماعة غير هؤلاء ، والف في القراءة وفي فضائل مالك وغير ذلك ، وكتابه سماه بـ (الشمس المنيرة ، في القراءات الشهيرة) ، وشرح في حديث بادنة بنت غيلان جزءاً .

حدث عنه علي ابن القطان واحمد النباتي وابو بكر بن عمر ، وكان شيخاً مباركاً مقرئاً للقرءان معمورا بنية صالحة في وقته .

توفي سنة ست وعشرين وستمئة .

روى عنه ابو اسحاق ابن الكماد الحافظ ، واحمد ابن فركون وابو عبد الله بن سعيد الطراز وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

نقله في الجذوة ، وبه ختم تراجمها (186) .

وتقدمت ترجمة شيخه ابي القاسم القنطري في المحمدين كما تقدمت ترجمة شيخه ابي عبد الله ابن خليل تمه ، وتقدم في ترجمة ابي الحسن مجاهد أن المترجم لقيه بمراكش ، وذكره في ترجمة محمد بن يوسف ابن مسدى المهلبي المتوفي بمكة المشرفة سنة 663 من الديباج في جملة شيوخه ، اخذ عنه بفاس ، وذكر في الجذوة في ترجمة ابراهيم ابن العشاب ان المترجم من

---

186) **جذوة الاقتباس** ص 564 ع 658 و **التكملة** ص 419 (مخطوط الخزانة الحسنية الملكية بالرباط) .

جملة مَن روى عنه ، وفي ترجمة محمد بن ابراهيم بن فتوح ابن مكحول الاشبيلي المتوفى في نحو 570 ان المترجم ممن روى عنه لما ترجم لشيخه علي اللواتي المتقدم المتوفى سنة 573 وذكر في ترجمة عَلي بن احمد بن علي الأنصاري الطليطلي المتوفى سنة 582 ان المترجم من جملة مَن روى عنه ، وفي ترجمة عبد الملك الأزدي المتوفى بمدينة فاس ان المترجم حدث عنه .

1621) **يعيش بن شعيب السقطى** ، قال فى عنوان الدراية ما نصه : ووقفتُ على مثل هذا المعنى فى ملخص من (المنتخب المقرب ، فى ذكر بعض صلحاء المغرب) (187) .

1622) اليسع بن عيسى ابن اليسع الغافقي

اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عمر الغافقي الجياني من اهل جيان ، وسكن ابوه المرية وبها نشأ هو ، المحدث الحافظ المقرىء النسابة ، اخذ القراءات عن ابيه وابي العباس القصبي وابي القاسم ابن ابي رجا وابي الحسن شريح ، وسمع منهم ومن ابي عبد الله بن زغيبة صحيحي البخاري ومسلم ، ومن ابي الحسن ابن موهب السنن لأبي داوود ، وابي الفضل بن شرف وابي عبد الله بن اخت غانم ، وسمع البخاري من ابن هذيل سنة اربع واربعين ، ولقي ببلنسية عمر بن واجب وابراهيم ابن خفاجة الشاعر ، واجاز له باستدعاء ابيه ابو عبد الله ابن الفراء وابو علي الصدفي وابو محمد بن ابي جعفر وابو محمد ابن عتاب وابو عمران بن ابي تليد وجماعة ، ورحل واستوطن الأسكندرية ، وكان فيها سنة 570 ثم رحل الى مصر واشتمل عليه الملك صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب ورسم له جارياً يقوم به ، وكان يكرمه ويشفعه في مطالب الناس ، لأنه كان اولَ مَن

187) ذلك كل ما ورد عن يعيش بن شعيب البكري السقطي في الأصل ، وبمراجعة **عنوان الدراية** ص 50 نجد الغبريني صاحبها ينقل في ترجمة ابي عبد الله العربي حكاية عن يعيش المذكور ، والحكاية المذكورة عديمة الأهمية ، وهي مذكورة ايضاً في ترجمة رجل مجهول ! من المجاهيل الذين يعرف بهم ابن الزيات التادلي في **التشوف** ، فليراجعها من يضيع وقته ، فهي في صحيفة 466 منه ، ولعل الغبريني يعني بكتاب **المنتخب المقرب** كتاب **التشوف** المنقولة منه الحكاية او مختصراً له .

خطب على منابر العبيدية عند نقل الدعوة العباسية ، صعد المنبر والاغزاز حوله وسيوفهم مصلتة خوفاً من الشيعة ان ينكروا فيقوموا ولم يجسر احد على ذلك حين تهيّبه سواه ، وابتنى بمصر داراً على شاطئ النيل ، وجعل بها اسطوانا يزار فيه ، وكان فقيهاً مشاوراً مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة من ابدع الناس خطاً ، وله تاريخ سماه (المغرب ، في محاسن المغرب) ، قال ابن الأبار : وهو متهم في هذا التاليف ، حدثنا عنه ابو عبد الله التجيبي واكثر خبره عنه ، وقال توفي بعد انصرافي في رجب سنة 575 خمس وسبعين وخمسمئة ، وكان مسناً ، روى عنه ابن المفضل المقدسي ، وابو القاسم الصفراوي ، وجماعة ، رايت تاريخه ، انتهى (188) .

قال في (الحلل) قال ابن اليسع وما خرجت انا من مراكش في سنة ثلاث واربعين وخمسمئة الا وهذا البستان الذي غرسه يعنى بستان المسرة الذي غرسه عبد المومن بن علي يبلغ بيع زيتونه وفواكهه ثلاثين الف دينار مومنية على رخص الفواكه بمراكش . انتهى .

وقد تقدم هذا مع ما يتبعه في المقدمة فراجعها .

وقد ترجم لوالده عيسى في (بغية الملتمس) وفي (التكملة) ، كما ترجم للمترجم ابن الأبار في التكملة والمعجم ، وسكت عن تضعيفه في المعجم ، وصرح به في التكملة .

وقال الذهبي في الميزان مانصه : اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي ، قد تكلم في نقله ، ويظهر على عبارته مجازفة ، وله تواليف وادب وفنون ، كان في زمن السلفى .

وقال الحافظ في (لسان الميزان) وقد روى اليسع المذكور عن ابيه وشريح وابن موهب الجذامي وابراهيم ابن خفاجة الشاعر ، واجاز له ابن عباس وابن ابي تليد وجماعة ، وتحول الى الأسكندرية ، ثم رحل الى القاهرة

---

188) **التكملة** ص 744 ع 2112 طبع مدريد ، و **معجم اصحاب الصدفي** ص 334 ع 315

فأكرمه السلطان صلاح الدين . ورسم له جارياً يقوم به ، وله تصنيف سماه (المغرب ، في محاسن المغرب) ، روى عنه ابو عبد الله التجيبي وابو الحسن ابن المفضل ، وأبو القاسم ابن الصفراوى وءاخرون ، مات في رجب سنة خمس وسبعين وخمسمئة .

وذكر في نفح الطيب نقلا عن الفتح ابن خاقان ذا الوزارتين ابا الحسن بن اليسع القائد ، وقال في ترجمة اليسع المترجم : ومنهم اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله ابن اليسع بن عبد الله الغافقي من اهل بلنسية ، واصله من جيان ، وسكن المرية ثم مالقة ، كتب لبعض الأمراء بشرقي الأندلس ، وله تأليف سماه (المغرب ، في اخبار محاسن اهل المغرب) جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بالديار المصرية بعد أن رحل اليها من الأندلس سنة ستين وخمسمئة ، وبها توفى يوم الخميس التاسع عشر من رجب سنة خمس وسبعين وخمسمئة رحمه الله تعالى .

وذكره في (حسن المحاضرة) في المقرئين الذين كانوا بمصر ، وذكره في (الشذرات) .

ثم وقفت على معجم السفر للحافظ الامام ابي طاهر احمد بن محمد الأصبهاني الشهير بالسلفي دفين الاسكندرية بجنب القاضي سند بالقرب من مسجد الطرطوشي فوجدته قال فيه ما نصه : انشدني اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الغافقي الأندلسي بديار مصر لنفسه :

قل لمن تـاه بدنيـا ساعدتـــــه	وترقى فـوق افـلاك المعالـــــي
ذاك قطب يقلب العالي سـفــــلا	ويرد السفل في الأغلب عـالـــي
لو توسطت سمــاه كنت نجمـــــا	ءامنا من صرفــه في كل حــــال

وبخطه رضي الله عنه سمعت الشريف الواعظ بالأسكندرية يقول قال فرعون انا ربكم الأعلا اهمله الله لأنه كلام مجمل ، يقال رب الدار ورب البيت ، فلما قال (ماعلمت لهم من الاه غيري) وجاء بما لا يحتمل التاويل اهلكه الله بلا مهلة وغرقه .

سمعت الشريف الواعظ بالاسكندرية يقول : لما قال فرعون (انــا ربكم الأعلا) اهلكه الله ولم يمهله ، وامهل ابليس بقولــه (خلقتني من نــار وخلقته من طين) .

وسمعته يقول اقر ابليس بالعبودية فقال (انك من المنظرين) ، وادعى فرعون الربوبيه فكان من المغرقين ، يعني بذلك قول فرعون (انــا ربكم الأعلا) وقول ابليس (خلقتني من نار) الى ءاخر ما وجد من معجم السفر بخط الامام الحافظ ابي طاهر الاصبهاني في جزازات ، ولله الحمد والمنة . انتهى .

وهذه النسخة التي كتبت منها نسخة لمحدث العصر السيد عبد الحي الكتاني من نسخة كتبت سنة 1239 وهي بمكتبة شيخ الاسلام عارف بالمدينة المنورة ، قال مالكها ولا اعلم في الدنيا نسخة اخرى فيه دون هذا الفرع اصله .

1623) يونس بن عثمان المازندراني

يونس بن مهذب الدين عثمان .... نجم الدين المازندراني ، روى عن اخيه ، وقدم الأندلس .... باشبيلية خلف بن عبد العزيز القبتوري ، واجاز الى .... عاد منها الى الأندلس ، واصحبه الكاتب الأبرع ابو عبد الله ابن الجنان .... الاعلام بقصده للشيخ الأوحد سهل بن ملك رحمهم الله ، وهي :

سرى النجم نجم الدين للغرب قاصداً ... من الشرق كي يلقى سراج المعارف
فقلت لــه يانجــم بلغ تحيتـــــي ... وذكري وشكري للندى والعوارف
وزر في ربا مجد ديار ابن مالـــك ... تجدْ كل مجد من تليد وطـــارف
وخيمْ لدى سهل فسهل جنابـــه ... رحيب لجواب الفلا والتنائـــف
وقرّ اذا تلقــاه عينــاً بقربـــــه ... فسوف يرى لقياك احدى اللطائف
وخذ عنه ما ترويه ان جئت مكـــة ... لكل ملب بالمشاعــر طـــائـــف
وصف لبني السبطيْن قومك فضله ... فياحسن موصوف وياحسن واصف

كتابي الى المجلس العلمي السني السني ، زاده الله تكريماً وترفيعاً ، وابقى للعلوم ببقائه تأصيلا وتفريعا ، وحرس جانبه فلا يزال بالعز منيعاً وبالسعة مريعاً ، كتاب يتشرف بالمحمول اليه والحامل ، وتغبط النفس فيه حظ الطرس وخط الأنامل ، ذلكم بأنه خاطبت به اشرف المجالس النيرة المقابس ، المحيية رسوم الفضل الدارس ، وبعثته مع كبير من الشرفاء اهل البيت النبوي ، وذوي المناسب الأطايب من ذرية التبول والوصي ، وهو الشريف السيد الأوحد الصدر العلي الأكمل ، الجليل الأفضل ، نجم الدين الحسني حفظ الله رتبةَ شرفه ، وصلى على المجتبين من سلفه ، وان هذا المنتمي الى المجد الباهر العليا ، والجد الخاتم ديوان الأنبيا ، لتظهر عليه بركات يستمدها من عنصرها ، وتسرى اليه من اسرة الرسالة ومعشرها ، فمن كمال انساني ، وجلال نفساني ، وءاداب حكيمة ، وءاثار مضيفة وصية حسنة حسنية ، فان تكلم فكلامه شرك العقول ، وان رسم في القرطاس تحير التفضيل بين المرسوم والمعقول ، وبالجملة فسترون منه كل ما رقّ .... ولما رمت به النوى الغربة الى بلاد المغرب وهي .... وما استحسنها ، واستوبأ هواءها ، واستوبل اهواءها ، و .... من الأرواح وسماحها قد غاض فلم يبق بلل من سيحه بالسـ .... واسترجاعه ، وقال اين رونق كان قد قرع الأسماع سماعه .... ما هنالك ، وغيرت الغير المسالك والممالك ، الا ان الله ابقى .... التي هي للفضائل بذلك ، وحسنتها التي هي نور في الليالي الحوالك ، .... فمن تعنون ؟ قلنا ابو الحسن سهل بن مالك ، سيد يفاخر به اقليمه الأقاليم ويباهي ، ويوجد الجــود في مالــه وهو الآمــر الناهي ، وتوخــذ عنه مــن شريعة جدك عليه السلام الأوامر والنواهي ، فقال وجدي لأعودنّ الى ارضه حثيثَ الركاب ، مستسهلا في طلب الأنس به وحشة القفر اليباب ، حتى احل بمغناه ، واحصل من كماله على فائدتيْ لفظه ومعناه ، فقلنا هديت يانجم سائراً وسارياً ، وسوف تلقى صباح المجد المنير لا محتجباً ولا متواريا ، فتحمد سراك ، وتشهد للمغرب ان شاء الله بحسن ما اراك ، وعند ما ثنى نحو ذلكم الربع الآهل العنان ، واحب ان يرد صفوتكم المناهل ليعلم الأثر والعيان ،

اصحبته هذه المخاطبة لتشرف بصحبته ، وتمجد باضافة تحمله لها ونسبته ، وقد اودعت شرفه ودائع اخلاص ، وبدائع اختصاص ، يتفضل بتبليغها ، وتلقيها بلاغته الى فصيح الدنيا وبليغها ، واني لأرجو ان اسعد منكما بين سعيدين ، وان نجد جميعاً الرحمة مبسوطة بحب بني السبطين ، والله تعالى يصل اسباب الرجاء في فضله العميم ، ويصلي على محمد وعلى اهل بيته الكريم ، وهو سبحانه يديم لكم ايها السيد الأعلا علو المراتب ، ومتلو المناقب ، ويمتع الوجود منكم بالعلم المُناكب ، لأوج الكواكب ، بمنه .

ولما ورد غرناطة لقي بها سهل بن مالك ، فشاهد منه الجلال يعبق نشره ، والاقبال يتألق بشره ، والنوال يتدفق بحره ، والكمال اربى على خَبره خُبره ، ولما ارتوى من لقائه ، واحتوى على ما استفاده من تلقائه ، كرَّ راجعاً الى سبتة مؤملا الوفادة على حضرة مراكش ، وكان بسبتة حينئذ الشيخ علي الرعيني ، فسأل .... مراكش فوعده بذلك ، ثم شغله عنه شواغل ما .... الى مراكش ، فكتب نجم الدين اليه يستنجز وعده :

.... اذا نُسينا ونكتب كلما غفل الكرام
.... لم ترضع فتاها مع الأشفاق لوسكت الغُلام

(فأجابه) ابو الحسن (الرعيني) :

(فعذراً) يابن خير الخلق طرا فان العُذر يقبله الكرام
....
ولاكن عاقني شغل توالى ففي اليد والفؤاد له ازدحام

واصحبه ابو عبد الله ابن الجنان ايضاً رسالةً الى ابي المطرف ابن عميرة وهو قاض بسلا ورباط الفتح يعلمه بشانه ، ومحله من الفضل ومكانه ، وهي هذه :

ايا راكباً نحو الرباط ولي به حبيبٌ رباط الصبر حُل لبعده
رويداً اودعْك السلام رسالة الى وده فامنُن على وداه

وبتَ وقيت البت ءاثارَ لوعتـــي ووجدي وما بي من غرام لمجـــده
وقل يابن عمي لو رايت الذي بـه لفقد التداني كنتَ تخشى لفقـده
وبالله يانجلَ الشفيـع شفاعـــة ليحفظ قلبي لا اقـول بـــــرده

كتابي هذا يحمله الى سيدي الحامل من العلوم لواءها ، ومن المكارم اعباءها ، ابقى الله كماله محروس السنا ، مانوس الفنا ، مقبوس الأضوا ، نجم في الآفاق سار ، وفي مطالع الاشراق مع الخنس الجواري جار ، وهو نجم الدين ابن مهذب ، الشريف الذي سبق بشرفه محل السيد الذي تعز قريش بسيادته ، وتقرُ عين المجد النبوي والجد العلوي بمجادته ، زاده الله تألقاً وسنا ، وقدس ابويه عليا وحسناً ، وانه لذو شيم علوية ، وحكم نبوية ، وءاداب محاسنها تجمع محاسن الزمن ، وصنعائها تطلع في القرطاس صنعة صنعاء اليمن ، ومع ذلك رقة كرقة النسيم ، وعذوبة كعذوبة التنسيم ، وما شاء الشرف من خُلق سني ، وخَلق حسني ، وهمة تكلف بالعليا ، وتعتسف المجاهل لتعلم اعلام الدنيا ، ولما سمع وصف ذلكم الكمال فراقه ، استسهل بتدانيه نزوحَ الوطن وفراقه ، فتحمل اليه ليحمل عنه ما يتحف به حجازه وعراقه ، وحين اخبر بانتمائكم لذلكم الحي من قريش قال ايش .... ابن العـم فياطيب العيش ، اسن بقرباه وقربه ، .... فقلت له عند ما ازمع السير ، وقال املي لقاء اخي .... يانجم على من يكتحل بسناك ، ويقول عند لقياك ، تبارك من .... فبجدك الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وبأهل البيت الذين بهم .... ومقامه ، اذا استقرت بك منازل قاضينا الفاضل وخيامه ، وتجارى .... اولى المحبة كلامك وكلامه ، فقرر عنده ماعندي وثبته ، واغرسه في ثرى .... لديه وانتبه ، وقل له هو فيك كما عهدته متشيع ، ويرفض ما سوى امانتك في .... متشرع ، ليعلم ان الأيام لم تكدر صفاي ، ولم تنقصْ وفاي ، ولم تنقض عهد ....فضمن لي التبليغ الذي يرضيني ، وتكفل بأكثر مما يقوله لساني وتخطه يميني ، فقلت الآن بلغت بغية وسولا ، وشرفت بأن وجهت اليكم من ابن عم الرسول رسولا ، فالحمد لله عليهما نعمة جلَت صورة

فرحي ، وتلت سورة مقترحي ، وهذا الشريف الماجد ، المنسوبة اليه المحامد ، مليء بأخبار المشرق المشرق ، والشرق الشرق ، فخذوا عن العدل من بني السبطين حديث الشرقين ان شاء الله .

ولما احتل برباط الفتح شاهد من قاضيه ابي المطرف روض الأنس ، ومنى النفس ، وحسب الوارد الوافد ، وعلم السراوة جُمع في شخص واحد ، وتشوف للوفادة على حضرة مراكش منتهى الرغائب ، وجامعة أشتات الغرائب ، السائرة الذكر في الآفاق ، المسلية ببهجتها وضخامة مملكتها عن دمشق الشام وبغداد العراق ، فأصحبه ابو المطرف كتباً وتعريف اعلام ، الى بعض مَن بها من السراة الاعلام ، فكتب الى رئيس الكتاب ، وعميد الآداب ، وجامع ضروب الاحسان ، ابي العلاء محمد بن ابي جعفر ابن حسان :

يابن الوصى اذا حملتَ وصيتي	اوجبت حقاً للحقوق يضاف
وتحيتي كل التحايا دونها	وكذاك دون رسولها الأشراف
احسنْ بأن تلقى ابن حسان بها	مهتزة لورودها الأعطاف
كالروض باكره الندى فلعرفها	يابن النبي على الندي مطاف
وعلاك ان ابالعلا ومكانه	يلقى به الاسعاد والاسعاف
مَن فيه للزور ارتياحةُ ماجد	من زورها وابيك لستَ تخاف
وأحق مَن عرف الكرام بوصفهم	مَن جمعت منهم به أوصاف

هذه ياسيدي تحية ، تجب لها اجابة وحية ، وتصلح بها هشاشة واريحية ، اودعتُها بطنَ هذه العجالة ، وبعثتها مع صدر من ابناء الرسالة ، ولله دره من راضع در النبوة ، متواضع على شرف الأبوة ، نارعته طرف الأشعار ، واطراف الأخبار ، فوجدت بحراً حصاه الدر النفيس ، وروضاً يجتني منه اطايبَ الثمر الجليس ، وينعت بنجم الدين ، وهو كنعته نجم يضيء سناه ، ويحل بيتاً من الشرف ربه بناه ، وقد جاب الفضاء العريض ، وراى القصور الحمر والبيض ، وورد الحجون ، بعد ما شرب من ماء جيحون ، وزار مشاهد الحرمين ، ثم سار في أرض الهرمين ، وطوى غيرها لهذا الأفق مختارا ، وعبر الى الأندلس فأطال اعتبارا ، وتشوف الى مطلع الأنوار المفاضة ، والنعم

السابغة الفضفاضة ، وجعل قصدها لحجة سفره طوافَ الافاضة ، وهمه ان يشاهد سناها العلوي ، ويبصر ما يحقر عنده المرئي والمروي ، وهي غاية يقول الأمـل عليها اطلتُ حومي ، وجنـة يتلو الداخل اليها ياليت قومي ، وسيدي الأعلا هو منها باب" على الفتح بني ، وجناب" عنانُ الأمل اليه ثني ، وقصده من هذا الشريف اجل قاصد ، واظلته سماء المجد بجمال المشتري وظرف عطارد ، ومتى نعتناه فالخبر ليس كالعيان ، وان شبهناه فالتمويهُ بالشبه عقوق للعقيان ، ومن يفضح قريحته بأن يقول لها صفيه ، لاكن هو يعرب عن نفسه بمـا ليس في وسع منصفيه ، ويقتضى من عزيمة بـره ما لا سعة للمترخص فيه ، ان شاء الله .

وكتب الى قاضي القضاة ، واسنى موصوف بالشيم المرتضاة ، بحر الندي وبدر النادي ، ابي اسحاق بن ابي زيد المكادي :

أن يقض جمعك بالكريم المرتضى … قاضي الجماعة فالمنى لك تقتضى
حكمت معاليـه لقاصـده بـمـا … يبغي وحاش لحكمه ان يُنقضـا
ولأنت ياابن الطيبين احـق مَـن … بالبر والفضل المبـر لـه قضـا
احببت من سادات قومك قدسـوا … في الفضل والأدب الوصي مع الرضا
واعدت فخر المعدن الحسنيٍّ فـي … باقي الزمـان كعهده فيما مضـى
انتم وحق البيت ءال البيت قـد … البستمُ الشرف النقي الأبيضـا
وابوكم سـأل المـودةَ فيكـم … صلى عليه الله مـا قمـر" اضـا

يرد على سيدي قاضي القضاة ، الفذ في شيمه المرتضاة ، من هذا الشريف الأجل ، المبارك الأطهر الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وقاه الله الأفول ، وابقاه فرعاً يحيي تلك الأصول ، نظير النجم سنا منيراً ، وسرى ومسيراً ، وحياه الله من ذي محيا بشره للوحشة طارد ، وظرفه كأنما استملى منه عطارد ، يروى من الآداب عيونها ، ويجلو من المحاسن ابكارها وعونها ، وقد راض من المسالك ما استعصى ، وانتهى من المغرب الأدنى الى المشرق الأقصى ، حتى كأنه اراد ان يبلغ حيث بلغ ذكر مجده ، او يفرع من ساحة ما كان زرىء لسيد الأولين والآخرين جده ، وله في معاني التجوال ، ومعاناة الأهوال

قصص انما يتأدى برونقه ، من عذوبة لفظه ومنطقه ، فاذا جاذبه سيدي اطرافه ، وهز بالاصغاء اليه اعطافه ، رأى صدراً نمته سادة سراة ، وبحراً متى يطعمه قال هذا عذب فرات ، وانما هو حسب وضاح كقمر الدجنة ، ومجد طالبي من شيعته ذلك الجلال الماضي على سنن السنة ، يقسم لـه محبة في ابـي القاسم من بره ، ويدري قدره فلا يفطم ابن فاطمة من دره ، ان شاء الله تعالى .

وكتب الى نقيب الطلبة ، وصاحب القلم الأعلا من الكتبة ، ابي زكرياء الفازازي :

لك الخير لا تخلها من قبـــول	وخل لها نفحـات القَبـــول
وخـذهـا تحيــةَ مستأنـــس	يسلم بالبـاب قبل الدخـــول
اذا وصلتك فـابـرزْ لـــهــا	من البر صفحةَ بَر وَصـــول
وكـن مع من لا يـرى برهـــا	كسهم المحب وعـذل العـــذول
فان شفيعي لها ابـن الشفيـــع	وان رسولي بها ابـن الـرســول

صلى الله على نبينا محمد وءاله ، ورزقنا من بركة المحبة فيه وفي ذويه ما نلظ بسؤاله ، والمشار اليه تولاه الله بحفظه من رقعتي وتحيتي تردان من يده ولفظه ، وهو الشريف الأجل ، المبارك الأطهر الأسنى الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وانه النجم في اوجه ، والبحر متدفقاً بموجه ، شرف الى سماء الكرماء مرقاه ، وادب" من ماء الكوثر سقاه ، وكأطايب الثمر تخيره وانتقاه ، فهو من المجد في بحبوحته ، ومع الدهر متقلب في ارجوحته ، سل به المنازل والمناهل ، والمعالم والمجاهل ، والعراق ورافديه ، والحجاز ووافديه ، طالب ربح في ماله ، وباغى ثواب لمثاله ، وان شاء سيدي باحثه عن حدثان الدهر ، وحديث ما وراء النهر ، ورفع الرواية منه الى عليم ، وكتب بقلمه قصة كـل اقليم ، فقد خبـر الخابـور ، وسبر نـاس نيسابور ، وعايـن خراب بخارى ، ودار حيث كان ملك دارا ، وطاف بمكة اول تربة مست جلدة جـده ، وحـل بيثرب مأواه المشــرف بقصـده ، ورأى القـــدس ومسراه فسبحـان الذي اسرى بعبده ، ولقـد جـاور جيرون ، بعد مـــا شرب من جيحون ، وقطع مابين مصر ونيلها ، وغرناطة وشنيلها ، فترون

منه ان شاء الله مَن جاب المسالك والممالك . وتشوف مـا هنا وهناك ، واحب ان تكـون حضرة الامـامـة ايدهـا الله لحسـاب مـا عايـن بذلك ، وما ثمر الجنة من سائر التمر ، وما ينطر الى السها الا ساه عن القمر ، وأي مذنب يذكر مع البحر ؟ ام اي يوم يقاس بيوم النحر ؟ وسيشاهد المعالم المقدسة شرفها الله بعين تدري قدر ماتعاينه ، ويصفها بلسان لو اعاره لوصفت به محاسنه ، ولسيدي الأعلا عادة ان يضم اليه مَن اعلق به رجاءه ، ويكرم كريمة قوم اذا جاءه ، وهذا بلا ارتياب كريمة الكرام ، وبقية سادة البلد الحرام ، والراوية الصادق اللهجة ، والحديقة الرايقة البهجة ، فهو يزيده على تلك العادة ، ويجلو عليه بدار الامامة وجه السعادة ، وانما يكبر ابن اكبر السبطين ، ويعظم مَن ينظم من جواهر لفظه وفخره سمطين ، واذا اعلى قدر هذا العلوي ، وحرك بالرفع ساكناً من بيت شرفه بمكان الروي ، اولاه يداً يعطر ذكرها اندية الجلالة ، ويحمل في شكرها على ذمة الرسالة ، ولا شرف كشرف هذه الحوالة ، ادام الله علاءكم ، وحرس مجدكم وسناءكم ، بمنه ، والسلام الأتم الأعم يخصكم به معظم قدركم ، وموجب اكباركم وبركم ، اخوكم المعتد بكم ، المثنى عليكم ، ابن عميرة ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمئة .

نقلتها من خط منشئها في البطاقة التي بعث بها صحبة نجم الدين الى ابي زكرياء الفازازى رحمهم الله .

وكتب الى اخيه القاضي الأديب المشارك الفاضل الحسيب موسى (الفازازي) :

اتاك شريف من ذؤابـة هـاشـــم	صريح كماء المزن باق بمـزنـــه
له وهو نجم الدين وجـه مبـــارك	كنجم الدياجي في سناه وحسنـــه
وبشـــر موسى بالنبـي مـحـمـد	وها انا ياموسى ابشـر بابنـــه

ترد عجالتي هذه ايها الأخ الحبيب ، والماجد الحسيب ، من جهة الشريف الأجل ، السيد المبارك الأطهر الأكمل ، نجم الدين بن مهذب الدين ،

ابقى الله منــه نجمـا سائـراً في فلك المجــد ، وصبحـاً مضيئـــاً على الغور والنجد ، واوصافه لا اعيرها استعارتي ، ولا ارضى لها عبارتي ، وما اقــول في مغذو بــدر النبوءة ، مقرو شرفــه في الآى المقروءة ، سؤدد يــزل النجم عــن مرقــاه ، وادب على شكل حسبــه تخيــره وانتقــاه ، فعنده منه شــرف المقــول ، وشرك العقــول ، ولله منه طــلاع من ثنايــا الكمال ، ناظم بين الجنوب والشمــال ، مجلسه لمذهب الفضل مدرسة ، وحفظه لكتب البــلاد فهرسة ، من جالسه ساح بــه حيث ســاح ، ونــاولــه من اخبار البلاد مستنداتها الصحاح ، فأدنى منه صينها ، وعرض عليه نصيبينها ، واحله بلخ وما اليها ، ونزل به الكرخ وما حواليها ، وقطع به السماوة ومهامهَها ، وأراه الغوطــة وخمائلها وفواكهها ، ومصــر ومنازلها ومنازهها ، واقرأه سور البسيطة وفهمه متشابهها ، ثم عاج به على البلد الحرام ، ومرَّ به على مواقف ءابائه الكرام ، واعتمر به من التنعيم ، ومشى معه على زمزم والحطيم ، الى تربة جــده مسلماً على الحسن مترحمــاً على الحسين ، ونقله الى مسراه صلى الله عليه وسلم حيث كان قاب قوسين ، وكم وعى من اعجوبة ، وكشف من خبيئة محجوبة ، وغريبة مكتوبة ، وقد قصد تلك الحضرة حرسها الله ، لينتهي الى موضع الفائدة من خبره ، ويبلغَ الصف الأول من صلاة سفره ، وهنالك يحقر من الممالك ما عاين ، ويوجب على كل متعال مزية ان يتطامن ، وسيدي وقى الله كماله من العين ، يبره اذا اجتاز في موضعين ، احدهما يليه بنفسه كما هو المعتاد ، والآخر يسنده الى اخيه المبارك ونعم الاسناد ، فمجده حفظه الله المجد المؤثل ، ومكانه من تلك الدار العزيزة المكان المؤمل ، وللواردين عليها امل به اعتقلوه ، وشكر عليه اطلقوه ، والمسؤول من الأخ الكريم وصل الله سعادته دين عليه في ذمته ، وزين لحسبه يسمو اليه بهمته ، ان شاء الله .

وكتب الى علم الجد وحسن المشاركة ، الآخــذ فيما يسند اليــه بالعزائم المباركة ، المنفق جاهه ونفائيس ماله ، كفاء لمن اعلق به اسباب ءاماله ، يحيى بن محمد ابن مزاحم :

فديناك ان الفضل منك سجية — وانت به بدأ وعوداً معود
اذا مر ذكر منك ترتاح انفس — وتهتاج اشواق ويختال مشهد
ويحيى بيحيى مَن تفاءل باسمه — وذلك من مقلوبه يتاكد
اتاك ابنُ بنت الهاشمي محمد — وحسبك فخراً من نماه محمد
شريف له من ذاته شرف له — على النجم وهو النجم مرقى ومصعد
وانك في بر الكرام لأوحد — كما ان هذا بينهم هو اوحد

وكيف لا وهو من الأرومة السنية ، والدوحة الحسنية ، ولدته الرسالة فيالَشرَف هذه الولادة ، وشهدت لجده اكبر السبطين بالسيادة ، وناهيك من منصب هذه الشهادة ، وهو الشريف ابوفلان ، مَن هو النجم سناء وسنا ، والروض ما شيئت من ظل وجنا ، وقد ركب البطاء والسوابق ، ونزل المدارس والخوانق ، واضل الغور والعلم ، واستظل الضال والسلم ،

وشرق حتى ليس للشرق مشرق — وغرب حتى ليس للغرب مغرب

وسترون منه نسب الكرام مرفوعاً ، وديوان الأدب مجموعاً ، ونخبة الشرفاء الطيبين اصولا وفروعاً ، وعندكم وصل الله رفعتكم عادتا بر وبشر ، كلاهما ينعم البال ، ويفعم السجال ، وهذا الشريف المبارك اولى مَن وفيتموه اياهما ، وانشقتموه رياهما ، وحق فضلكم ان يرعى فضل حقه ، ويختصه من معنى الأدباء والاعتناء بأجله وادقه ، وبازاء ذلك شكر هو في ذمة الرسالة مرتب ، وذكر كل سمع بمسرى طيبه مرحب ، ان شاء الله ، وهو تعالى يبقى جنابكم معمورا ، ويزيد فضلكم ظهورا ، ولا يعدمكم من لدنه عطاء حسابا ومناً موفورا ، والسلام .

وكتب الى نخبة الأدباء ، وقطب تأنيس الغرباء ، ابي الحسن بن محمد ابن علي العشبي :

هل لك ياسيدي ابا الحسن — في من له كل شاهد حسن
في الشرف المنتقى له قدم — اثبتها بالوصيّ والحسن

ايها الأخ الذي ملكته قيادي ، واسكنته فؤادي ، عهدي بك تعتام الآداب النقية ، وتشتاق اللطائف المشرقية ، وتنصف فترى ان في سيلنا جفاء ، وبمغربنا جفاء ، وان المحاسن نبتُ ارض ما بها ولدنا ، وزرع واد ليس مما عهدنا ، وانا في هذا اشايعك واتابعك ، واناضل مَن ينازلك وينازعك ، وقد اتانا الله بحجة تقطع الحجج ، وتسكت المهج ، وهو الشريف الأجل ، نجم الدين بن مهذب الدين ، وانه نجلُ الذرية المختارة ، ونجم الدرية السيارة ، جرى مع زعزع ونسيم ، ورتع في جميم وهشيم ، وشاهد عجائب كل اقليم ، وشرق الى مطلع ابن جلا ، وغرب حتى نزل شاطيء سلا ، وقد توجه الآن الى حضرة الامامة حرسها الله لينتهي من اصابع العد الى العقدة ، ويحصل من مخض الحقيقة على الزبدة ، وقد علم ان ما كل الخطب كخطبة المنبر ، ولا جميع الأيام كيوم الحج الأكبر ، وادبه ياسيدي من نسبة افقه ، بل على شكل حسبه وخلقه ، فاذا رايته شهدت بان الشرق قد اتحفنا برقة بغداذه ، بل رمانا بجملة افلاذه ، والحظ فيما يجب من بره وتأنسيه ، انما هو في الحقيقة لجليسه ، فياغبطة مَن يسبق لجواره ، ويقبس من انواره ، وانت لا محالة تفهمه فهمي ، وتشيم من شيمه عارضاً بري القلوب الهيم يهمي ، وتضرب في الأخذ من قلائده وفوائده بسهم وددت لو انه سهمى ، ان شاء الله ، وهو تعالى يديم عزتكم ، ويحفظ مودتكم .

وشيع ابو المطرف نجم الدين حين سافر في البحر بهذه القصيدة :

ياناثياً عني وهذا النـ ... ـأيُ لستُ اطيقه

النجم انت اذا يغرب ... عادة تشريقه

والفضل فارقنا وانت ... رفيقه وشقيقه

فالصبر حين تغيب ... معنى ليس لي تحقيقه

والأنس معنى كاذب ... لا ينبغي تصديقه

افما ترقُ لمَن لـه ... دمعٌ عليك يريقه

وجوى يحار لما جناه ... حره وحريقه

ياسيداً يزهى به ... حزب الهوى وفريقه

في البحر سـرت فهـان فـي ... دعـة عليـك طـريـقـه
وامنت فـيـه مـا يُحـمـل ... مـن اذى ويـذيـقـه
لك مـن سميك يـونـس ... منجـاتـه لا ضـيـقُـه
وجميـل عـقـبـاه الـتـي ... فيهـا اقـام طليـقـه
واقـول وفـقـك الالاه ... وحسبنـا تـوفـيـقـه

.... بما يتلقى به امثاله ، وترقى الى الغاية في تسويغ ...... كل من اعلامها حق وقارته ، وسعى بجده .... مايجب له في افادته ، واستشرف الى لقائه الرشيد فاستدعاه .... واناله من تانيسه وتقريبه اقصى ما تمناه ، وامتعه الشريف بما .... اخباره ، وطرز مجالسه بمستظرفات اشعاره ، وكان مما انشدني في .... عنده واخبر ، قال اخبرني اخي وانشدني ، قال حضرت مجلس الامام الواعظ ابي الفرج ابن الجوزي رحمه الله ببغداد يوم عاشوراء وقد اكتحل ، فقام اليه احد الشيعة وقال له لم تجدْ متى تكتحل الا في اليوم الذي قتل فيه الحسين وسفك فيه دمه ، اوما علمت ان الكحل من الزينة التي تناسب السرور ، كأن ذلك كان نذرا عليك ، فأجابه ابو الفرج بهذين البيتين ارتجالا :

ولائـم لام في اكتحـالـي ... يـوم استحلـوا دم الحسيـن
فقلت دعنـي احـق عـضـو ... يحظى بلبس السـواد عينـي

فاستظرفهما الرشيد ولهج بهما ، وأشار بالأخذ في تذييلهما بخمسة ابيات ، فأنهى نقيبُ الطلبة تلك الاشارة الى بعض مَن حضر من الأدباء ، فحفظت عنهم في ذلك تذييلات ، منها قول نقيبهم ابي زكرياء الفازازي :

غيري فهذا الكـلام يـرمـى ... فان مغـزاه غيـر هـيـن
لايدخلن العـذول جـهـلا ... في الحب ما بينـه وبينـي
فحبُّ ءال النبـي زيـن ... وبغضهـم شين كـل شيـن
صدقـت في قولتـي ومثلـي ... مهمى يقل قـال غيـر ميـن
حسبك منى هـذه وحسبـي ... بكـاء عيني بمثل عـيـن

وقول ابي علي حازم :

وهـل لـبـاس الســواد الا شعـار حــزن لا زي زيــن
كـأن عينــي بـعـد رزئــي بمقتل السبط تحـت ديــن
تقضي غريـم الغـرام دمعـــاً كالتبْر ذوبـاً لا كاللجيــن
لو اني يـوم كربـلا شهـدت مـاحــان فـيـه حـيـنـي
حتى اشد العـدا ضـرابــا بالسيف ....

وقول ابي الحسن حازم بن حازم :

امـا تراهـا تسح دمـعـا كـأن عيني بكـت بعـيـن
والـدمـع ممـا يـدل ان الـ ـحـداد للحـزن لا لـزيـن
ان مـصـابَ الـحسيـن رزء فـرق بين العـزا وبينـي
حيث لـون الشبـاب عـنـدي وصحف الشيب لـي بشـيـن
حتى كـان المشيب صـبـح سقى حسينـاً كؤوسَ حـيْـن

وقول عبد العزيز الطبيري :

كـم خلع الدهـر مـن لبـاس الا سـواداً في المقلتيْـن
فأين بالحـزن عـن جـفـون لجـم بـالدمـع بعـد ايـن
تبت يـدا فاتليه عـمـدا لـو ان بالصبـر لي يـديـن
مستهدف للخطـوب قلبـي يُصيبُه سهم كـل حـيـن
لا حملتـه الضلـوع منـى ان حمـل الـرزء في حسيـن

وقول ابي عبد الله ابن الخياط :

علالـة واحتيـال مـن لـم يذد عن الديـن بالـردينـي
وحيلـة ليس يـرتضيـهـا الا امـرؤ قاصـر اليـديـن
متيـم شـفـه غـرام كـواه مـنـه بشعلـتـيْـن
تصعدت مـن حشـاه نـار حريقُهـا بـيـن مقلـتـيْـن
لعل حسنى صفـات وجـدى افـوز منهـا بـالحسنَيَيْـن

وقول حجاج بن حجاج :

لأنهـا بالفـراق خـصـت ... وحجب الف عنها وبـين
فهي تلاقى الأسى بـدمـع ... كفيض نهر وماء عـين
فكـان حـقـاً عليَّ انـي ... كسوتُها ثوبَ حـزن حـين
وكي ارى الدمـع في سـواد ... يصنع خـداً مثـل اللجـين
مع ان وجدى وحـزن قلبـي ... زادا سـواداً في المقلتيْـن
.... بالوجـه والعين دون مـين
.... السواد حسنـاً ... الا بـفـود وعـارضـين
.... ـل مما يظن زينـا ... وربـمـا انـه لشـين
بل في حسين وفي اخـيـه ... المصلـح مـا بين الفئتيْـن
اكحلهـا هاكـذا وابـكـي ... ما عشت دمعـاً بغيـر عـين

وقول شيخنا ابي محمد العراقي :

خـصـت بادراكـه فكـانـت ... احـق بالحـزن يـوم بيْـن
فلبسهـا للسـواد فـرض ... من اجلها قيل فـرض عـين
سـواد قلبي يمـد كحلـي ... يجـري اضطـراراً بمقلتيْـن
فكم احـالا ثيـاب جسمـي ... للحـزن كـالغـار مـرتيـن
فلم تلم في بيـاض بسـود ... لـو قـدٌ مـن لـجـيـن

وقول ابي عبد الرحمان ابن زغبوش :

اقصـر فـان الـذي تـراه ... من اكـتـحـالٍ بـالمقتليْـن
دخـان قلـب قـد احـرقتـه ... نيرانُ حـزن بغيـر مـين
فصعَّدتـه انـفـاسُ وجـدى ... فـحـلَّ مـنـي بالناظريْـن
وانظر الى ذا الزمـاد مـنـه ... كيـف تـبـدي بالمفرقيْـن
فـحـبُّ ءال النبـي حـتـم ... على البرايـا وفرضُ عـيْـن

وقول ابي الحسن بن محمد العشبي :

ولائـم لام في اكتـحـالـــي — يـومَ استحلـوا دم الحسيـن

يحسبُه حليـةً وزيـنـاً — يابعـدَ مـا بينـه وبيـنـي

فقلت دعني احـقّ عـضـو — يحظى بلبس السـواد عينـي

واستمع الأمـرَ ثـم حـقـق — يبنْ لك الصدقُ دون ميـن

ان سوادي مـع السـويـدا — فاضا مـع الدمـع سائليْـن

واستوقفـا .... في — ....

كما خلعتُ الشباب حـزنـا — فهو حـداد ....

وقول ابي الحجاج بن موسى بن لاهية :

اقصر فما ذا السوادُ كـحـلا — ابديتُـه مظهـراً لـزيْـن

سـواد عيني الذي تـــراه — يسحُ دمعـاً من غير عـيْـن

مـحـاه طـولُ البكـا عليـه — فسال في الشفـر دون مـيْـن

وانظـر لشيب لـم احتسبْـه — تُثبتْ مصابي بشاهـديْـن

هل هـو الا بيـاضُ جفنـي — جـرى مشيبـاً في العارضيـن

وقول ابي الحسن بن .... ابن زنون :

ولو يودي مـلأت كـحـلا — كـل بيـاض في المقلتيـن

لو كان يجدي سودت شيبـاً — في الـرأس منى والعارضيـن

او كان يغني حللت حـبـرا — من فـوق راسي للاخمصيـن

حتى ارى كالحديد لونـاً — ما كـان مني لـون اللجيْـن

فـلا تلمنـي فـذا مـصـاب — مافيه للصبـر من يـديْـن

وقول ابي عبد الله بن يوسف المصانعي في خمس قطعات ، اولاها :

وشاهدي حـبـه بـأنـي — كحلت للحـزن لا لـزيـن

فأمـر قتل الحسين صـعـب — عليَّ ، والله ، غيـرُ هـيـن

وقـد بكيت الحسين حـتـى — قـرحت جفني دون مـيـن

فكان كحلى لستـر مـابـي — قـد يجلب الزيـن شرُّشيـن

فـلا تشنـع ولا تـبـشـع ... فلست مستوجبـاً لـديـن

وثانيهـا :

حزنت اذا لم اجـد دفـاعـاً ... عنه بلفظ ولا يـدْيـن
وانني حـاضـر لـديـه ... لـم اعـز في نصـره لأيـن
بل قمت في نصـره مقـامـا ... يبهت بالسيـف والـرديـنـي
تشيعـي للحسيـن يـدري ... فـجـل مـا بينـه وبينـي
.... كـلا لـزوم ديـن

وثالثهـا :

.... ـن ... صاحب قلب حليف زيـن
.... عليه حـزن ... بسائـر العمـر دون بـيـن
.... لبس السواد قـوم ... وحيل مـا بينـه وبـيـنـي
لو كان لي لبسُـه مباحـاً ... لكان زيني لحيـن عـيـن
وكان في حـقـه لبـاسـي ... لـه ولـو من سـواد عينـي

ورابعتهـا :

فكان كحلي لأجـل حـزن ... ما كان كحلـي لأجـل زيـن
وكيف لي زينـة وعينـي ... اولى بحـزن من كـل عيـن
لـولا اكتحالي لقيـل تـذرى ... عليه دمعـاً بغيـر عـيـن
فكان كحلي لصبـغ دمـعـي ... ابلغ صبغ وشفـر عـيْـن
فاعجبْ لعين تجـري بدمـع ... من غير دمع كـجـري عـيـن

وخامستها :

لو كان للجسـم لـون كحلـى ... لبس لمـا قلت زي زيـن
وقمت انعي الحسين فـيـه ... حتى يقولوا غـراب بـيـن
وربما النـار في فـؤادي ... ابـدت دخـانـاً بالمقلتيْـن

او ربما ان فيه سراً … يبديه شعري شهيد عين
سواد قلبي اتى يعزى … سواد عيني في الحسين

وقول شيخنا ابي الحسن الرعيني بآخرة على الشرط في التذييل بخمسة ابيات :

وما اكتحلت ابتغاء زين … ولا اعتناء بالمقلتيْن
لاكن سواد القلوب عمت … حتى تبدتْ في الناظريْن
سواد قلبي سرى لعيني … لكي يسيلا في المدمعيْن
فليس كحلا ترون كحلا … وليس زين خلتم بزين

وقد كان سبق له تذييل عليها بأمر رشيدي لأول قدومه على مراكش القدمة الثانية وطوله واتبعه بنثر وهما :

ولائم لام في اكتحالي … يوم استحلوا دمَ الحسيْن
فقلت دعني احق عضو … يحظى بلبس السواد عيني
حزنا ليوم عصيب كرب … افاض للعين كل عين
اصيب خير الأنام فيه … بالطاهر بن المطهريْن
مصرع سبط الرسول ما لي … فيه على الصبر من يديْن
كربَ بلاء بكربلاء … وهان ما لم يكن بهين
ارضوا عداة واسخطوه … قبح راض بالخطتيْن
ألم تمدْ يومَ ذاك ارض … وطبق الرزءُ الخافقيْن
ولم تجر الأفلاكُ طرا … ام كيف دارت بالنيريْن
فاليوم وددت اني … من قبله قد وردت حيني
حقاً يزيد القرود اضحى … يقرع در الشنيتيْن
وان راس الحسين وافي … لحملة صعدة الرديين
لا حزن عندي كحزن يوم … اودعه طسته اللجين
فليتني مت قبل ما قد … اصم ناعيه المسمعيْن
وليتني حاضر فأحظى … في الدمع عنه بالحسنييْن

ياءال حــرب بؤتــم بــحـــــرب	فقــد اتيتــم بكــل شـــيـــــن
عاديتــم المصطفــى جـهـــــارا	والصــدق عارضتــم بميْـــــن
حــقــداً قديمــاً اثــرتــمـــــوه	في حســن قبــل والحسيـــــن
وياشبــاب الجنــان صــبـــــراً	فقد اصبتــم في السيــديْـــــن
والله قــد شــاء ان يكــونـــــا	في جنــة الخلــد خالــديْـــــن
خـــاب معاديهمـــا وفــــــازا	بفضــل وافــي الشهادتيْـــــن

هذا ياسيدنا ومولانا رضي الله عنكم ما امرتم به من الزيادة وما قرنه بها مقامكم الأعلا من شرط الاستحسان ، فليس في وسع العبد أن يدخل تحت هذا الارتهان ، ومن الذي يتعاطى ان يجاري ابا الفرج عذوبة لفظ .... ونثر في ما انفرد به من سحته ورقة طباع .... على حسن المساق ، لدونة هواء العراق ، واحتذاوه .... بدوام الاستنشاق ، والعبد وسواه عاقه عن اللحاق ، البعد .... ومشاهدة درَن بالعشي والاشراق ، وتنسم هوائه السابق الى .... العبد بادرا يتمارا ، لا مدعياً اقتدارا ، ولن يـ...... ـق .... ـل في مثل ...... الشعراء المفلقون ، لا الكتاب الملفقون ، وسيدنا رضي الله عنه يوسع .... عذرا ، ويسدل عليه للاغضاء سترا ، ان شاء الله تعالى ، وهو سبحانــه ينظم المشارق والمغارب في ملكه ، وينعم بانعامــه كل عبد تشرف بالاعتزاء الى ملكه ، بمنه وكرمه .

وعاد نجم الدين الى الأندلس ، ودخل منها في كرته هذه اشبيلية ، ثم قفل الى سبتة ، وخاطب ابا المطرف يعلمه بذلك ، فكتب اليه ابو المطرف من ســلا :

عجالتي هذه رسمتها خدمة للنجم ، المستمد من نور سيد العرب والعُجم ، زاده الله ائتلاقاً ، وابقى للاعتناء به اعتلاقاً ، ووقى كماله يزين حجازاً وعراقاً ، وينير آثار الشرف الذي اعرق فيه اعراقاً ، وعندي لجلاله ما يعلمه يقيناً ، وانا اعتقد التوسل به الى الله دنياً ، ونفسي التي استحق

وملك ، سالكة بالحقيقة انى سلك ، وعلى عهده اقيم ، ما اقام الكهف والرقيم ، واستقام الصراط المستقيم ، ولعقد اضماري في محبته العقد النظيم ، ولله علي في تيسير تشريفي بلقائه المنة الجسيمة والفضل العظيم ، ولمخاطبته الكريمة من قلبي سويداؤه ومن عيني سوادها ، وبها افاخر نفوس الأمجاد التي بالنفائس مفاخرتها ومجادها ، وهي نصيبي من الأيام ، فلله موهوبها ومُفادها ، وعندها طبيبي اذا راى الأحبة نأيها وبعادها ، ومنها طبي وكافوري قرطاسها ومسكي مدادها ، وقد وصلتني منها صلات متصلات ، على بيت مهديها سلام وصلاة ، فحصلت على ذخائرها الأخاير ، ولهجت بها لهج المبشر بالبشائر ، ونهجت سبيل الشكر لتشريفاتها البواهي البواهر ، وكان ءاخرها طلوعا بأفقي ، ومجيئا على وفقي ، الكتاب المعلم بالانفصال من اشبيلية الى سبتة حرسهما الله معاً ، الملمع الى جلية ما تعرفه ذلك الجلال مرأى ومستمعاً ، ورغبتي الى شرفه الأعلا في موالاة ما عود من الاعلام ، ووعده وان شحطت النوى من اهداء التحية والسلام ، وقد ابلغت عن مجده كل من اشار بالابلاغ اليه ، وجميعهم شاكر لذلك العلاء الذي اجتمعت المئاثر الهاشمية لديه ، والله ينهض الأمة بواجب ابن نبيها الكريم ، ويصل للشرف الحسني سعوداً متلاصقة الحديث بالقديم ، ويصلي على اهل البيت النبوي صلاة متضوعة النسيم ، موروودة بتسنيم التسليم ، ومعاد التحية والرحمة عليكم ايها النجم الثاقب ، ما ازدهت بكم المحامد وازدانت المناقب (189) .

1624) **يونس بن سليمان التاملي** ، الفقيه الأديب الكاتب ، اخو علي بن سليمان صاحب المظالم ، توفي سنة ثمان وثمانين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (190) ، وقد تقدمت ترجمة اخيه المذكور .

---

189) الترجمة منقولة بالحرف من ج 8 من **الذيل والتكملة** لابن عبد الملك ، ص 225 (مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ، وصححت رسائل ابن عميرة المطموسة بعض جملها في **الذيل والتكملة** على **رسائل ابن عميرة** نسخة رقم 232 ونسخة رقم 233 (الخزانة العامة بالرباط) .

190) **درت الحجال** 3 : 363 ع 1518

1625) يوسف بن عيسى ابن الملجوم الأزدي الفاسي

يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملجوم الأزدي ، من اهل مدينة فاس ، تفقه بأبيه عيسى بن علي ، وروى عنه وعن عبد العزيز بن عامر الأسدي من اصحاب ابي عمران بن ابي حاج ، وعن عبد الجليل بن ابي بكر الربعي ، **ولي قضاء مدينة القرويين من فاس** المحروسة في ايام زناتة ، ثم صرفه عنها يوسف بن تاشفين في ولايته المغرب وولاه قضاء مكناسة الزيتون ، ثم قضاء الجماعة بمراكش ، وغزا معه غزوات بالأندلس ، وكان رأساً في الفتيا والحديث والآداب والتفسير ، حدث عنه ابنه ابو موسى .

توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين واربعمئة .

ذكره في الجذوة (191) .

1626) يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

يوسف بن تاشفين بن ابراهيم ابن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن امية بن واتملي بن تامليت الحميرى الصنهاجي اللمتوني من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، **امه** حرة من لمتونة بنت عم ابيه اسمها فاطمة ، **صفته** اسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت ، اكحل العينين ، اقنى الأنف ، له وفرة تبلغ شحمة اذنيه ، مقرون الحاجبين ، وكان بطلا شجاعاً صالحاً متقشفاً على ما فتح الله عليه من الدنيا ، **لباسه** الصوف لم يلبس قط غيره ، واكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرا على ذلك لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله .

---

191) **جذوة الاقتباس** ص 549 ع 636 وانظر ايضاً **التكملة** 2 : 720 ع 2097 طبع مدريد .

وكان فاضلا خيراً زكياً فطيناً حاذقاً لبيبا عطارداً يأكل من عمل يده ، عزيز النفس ، ينسب الى خير وصلاح ، كثير الخوف من الله عز وجل ، اكبر عقابه الاعتقال الطويل ، خطب له بالأندلس والمغرب من الاشبونة الى قرب بلاد الافرنج مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً طولا ، وما يقاربها من العرض ، وملك في المغرب من جزائر بني مزغنة الى طنجة الى ءاخر السوس الى جبل الذهب من بلد السودان ، وماكان يأخذ الا ما امر الله به من الأعشار والغنائم ، وقيل انه لما توفي وجد في بيت ماله ثلاثة عشر الف ربع من الورق ، وخمسة واربعون الف ربع من الذهب ، وردّ احكام البلد الى القضاة ، واسقط ما دون الأحكام الشرعية .

وكان محباً في الفقهاء والصلحاء مقرباً لهم ، صادراً عن رأيهم ، واجرى عليهم الأرزاق من بيت المال ، وكان متواضعاً حسن الخلق كثير الحياء ، جامعاً لخلال الفضل ، وكان قيل فيه وفي بنيه :

ملك لـه شرف العـلا من حميـر ... وان انتموا صنهاجـة فهمُ هـم
لما حـووا احـرازَ كل فضيلـة ... غلب الحيـاءُ عليهـم فتلثمـوا

مولـده ببلاد الصحراء في سنة اربعمئة ، وهو اول مَن تسمَّى بأمير المسلمين ، لاكن ما سمي بذلك الا بعد غزوة الزلاقة ، وهو الذي بنى مدينة مراكش بعد ان تزوج زينب مفارقة ابي بكر بن عمر عنوان سعده ، وافتتح مدينة فاس بعد أن حاصرها سنة خمس وخمسين واربعمئة ، ثم افتتحها ثانية سنة اثنتيْن وستين ، وجعل المدينتين مصراً واحداً ، وهدم الأسوار الفاصلة بين المدينتيْن ، وامـر ببنـاء المساجد في ازقتها ، وكانت خلافته من اول ولايته بالمغرب باستخلاف الأمير ابي بكر بن عمر اياه وانصرافه الى الصحراء سنة خمس وستين واربعمئة الى حين وفاته اربعاً وثلاثين سنة .

ولما كان في سنة اربع وستين واربعمئة قوي امره وعظمت شوكته ، فاشترى جملة من العبيد السودان وبعث الى الأندلس فاشترى منها جملة من

العلوج فاركبهم ، وانتهى عنده منهم مئتان وخمسون فارساً شراء ماله ، ومن العبيد نحو ألفين ، فأركبهم فرساناً ، فغلظ حجابه ، وعظم ملكه .

وفي سنة خمس وستين اجتمع مع الأمير ابي بكر بن عمر مابين أغمات ومراكش على تسعة أميال منها ، فسلم عليه راكباً على دابته ، ولم تكن تلك عادته قبل ، ثم ترجلا وقعدا على برنس ، وتعجب ابو بكر من ضخامة ملكه ووفور عساكره وترفيه جنوده ، ثم قال يايوسف انت اخي وابن عمي ، ولم ار مَن يقوم بأمر المغرب غيرك ، ولا احق به منك ، وانا لا غنى لي عن الصحراء ، وما جئت الا لأسلم عليك ، واسلم الأمر اليك ، فشكره يوسف على ذلك ، وحضر اشياخ لمتونة واعيـان الدولة وامراء المصامدة والكتـاب والشهود والخاصة والعامة ، واشهد على نفسه بالتخلي له ، فودعه يوسف ورجع الى مراكش ، ورجع ابو بكر الى اغمات ، ثم وجَّه له يوسف هدية عظيمة .

وفي سنة ست وستين فتح يوسف مدينة مكناسة ، وفي سنة ثمان وستين فتح تلمسان ، وكان اميرها العباس بن يحيى الزناتي ، ولما ضخمت مملكة يوسف تلقب بأمير المسلمين وناصر الدين ، وامر كتابه ان يكتبوا في ذلك فكتبوا :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

من امير المومنين ، وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين .

الى الأشياخ والأعيان والكافـة من اهل فلانـة ، ادام الله كرامتهم بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اما بعد حمد الله اهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ، وواهب النصر ، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، فانا كتبناه اليكم من حضرتنا

العلية مراكش حرسها الله في نصف محرم سنة ست وستين واربعمئة ، وانه لما منّ الله علينا بالفتح الجسيم ، واسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة وهدانا وهداكم الى شريعة نبيه محمد المصطفى الكريم ، عليه افضل الصلاة واتم التسليم ، راينا ان نخصص انفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر امراء القبائل ، وهو امير المسلمين وناصر الدين ، فمن خاطب الحضرة العلية السامية فليخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى ، والله ولي العدل بمنه وكرمه ، والسلام .

وكانت علامته (الملك والعظمة لله)

ولما كان في سنة سبعين شرع في تجديد العساكر ووفودها ، وبعث الى الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم ، ووفد اليه منهم جموع كثيرة ولاهم الأعمال ، وضم من جزولة ولمطة وقبائل زناتة ومصمودة جموعاً كثيرة وسماهم بالحشم ، وجاز الى الأندلس اربع مرات ، الجواز الأول سنة تسع وسبعين لما كتب له الأذفنش بما نصه : اما بعد ، فلا خفاء على ذي عينين انك امير المسلمين بل الملة المسلمة ، كما انا امير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساءكم بالأندلس من التخاذل والتواكل والاهمال للرعية والاخلاد الى الدعة ، وانا اسومهم الخسف ، فأخرب الديار ، واهتك الأستار ، واقتل الشبان ، وءاسر الولدان ، ولا عـذر لك في التخلف عن نصرتهم ان امكنت فرصة ، هذا وانتم تعتقدون ان الله تبارك وتعالى فرض على كل واحد منكم بعشرة منا ، وان قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار ، ونحن نعتقد ان الله ظفرنا بكم ، واعاننا عليكم ، ولا تعذرون دفاعاً ، ولا تستطيعون امتناعاً ، وبلغنا عنك وانك في الاحتفال عن نية الاستقبال ، فلا ادري اكان الجبن يبطيء بك ام التكذيب بما انزل عليك ، فان كنت لا تستطيع الجواز فابعث الي ما عندك من المراكب نجوز اليك اناظرك في احب البقاع اليك ، فان غلبتني فتلك نعمة جلبت اليك ، ونعمة شملت بين يديك ، وان غلبتك كانت لي اليد العليا ، واستكملت الامارة ، والله يتم الارادة .

فامر امير المومنين يوسف بن تاشفين ان يكتب اليه على ظهر كتابه : الجواب ياأذفنش ماترى لا ما تسمع ان شاء الله ، واردف الكتاب ببيت ابي الطيب المتنبي :

ولا كتب الا المشرفية والقنـــــا ولا رسل الا الخميس العرمـــــرم

وكتب اليه ابو القاسم بن عباد بخطه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً .

الى حضرة الامام امير المومنين ابي يعقوب يوسف ابن تاشفين ، من القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم الله من كريم مقدارها ، اللائذ بحرمها ، المنقطع الى سمو مجدها ، المستجير بالله وبطولها ، محمد بن عبـــاد .

سلام كريم يخص الحضرة المعظمة السامية ورحمة الله تعالى وبركاته .

كتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية في غرة جمادى الأولي سنة تسع وسبعين واربعمئة ايد الله امير المومنين ، ونصر به الدين ، فانا نحن العـــرب في هذا الأندلس قـــد تلفت قبائلنا ، وتفرق جمعنا ، وتغيرت انسابنا ، بقطع المادة عنا من صنيعتنا ، فصرنا فيها شعوبا لا قبائل ، واشتاتاً لا قرابة ولا عشائر ، فقلّ ناصرنا ، وكثر شامتنا ، وتولى علينا هذا العدو المجرم اللعين ادفونش واناخ علينا بطليطلة ووطيها بقدمه ، واسر المسلمين واخذ البلاد والقلاع والحصون ، ونحن اهل هذه الأندلس ليس لأحد منا طاقة على نصر جاره ولا اخيه ، ولو شاءوا لفعلوا ، الا ان الهواء والماء منعهم عن ذلك ، وقد ساءت الأحوال ، وانقطعت الآمال ، وانت ايدك الله سيد حمير ، ومليكها الأكبر ، واميرها وزعيمها ، نزعتُ بهمتي اليك ، واستنصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحيون شريعة

الاسلام ، وتذبون على دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم ، والأجر العظيم .

والسلام الكريم على حضرتكم السامية ورحمة الله تعالى وبركاته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ومما كتب في استدعائه من انشاء طلبته وتنسب لأبي بكر ابن الجد :

الى الملك المؤيد بفضل الله ، امير المسلمين ، وناصر الدين ، وزعيم المرابطين ، ابي يعقوب يوسف بن تاشفين ، نور الله به الآفاق وجمل ببهائه الجيوش والرفاق .

من الملك المفضل بنعمة الله ، المستجير برحمة الله ، المعتمد على الله ، محمد بن عباد .

سلام على حضرة تجدد ايمانها ، واشتهر امانها .

وبعد فان الله سبحانه ايد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف ، ومن على عباده بأمر جديد ، وقوم اولي بأس شديد ، وتطول علينا بمعلوم جدك وقد جعلك رحمة تحيى عينها ربوع الشريعة ، وخلقها سلماً الى الخير وذريعة ، وقد طرأ على الاسلام حادث انسى كل هم وهمت النكبات بوقوعه ، وذلك عدو طمعه في البلاد شتات وبين اختلاف سببه من لم تطرا له في الدعوات خير تقوى وتضعف وتتقي وتختلف ولتاخ مطمئنين من ءافات الزمان وتناسخ الأيام ، وقد جاءنا ابراقه ورعده وايعاده لنسلم له المنابر والصوامع والمحاريب والجوامع ، ليقيم بها الصلبان ، ويستنيب الرهبان ، ومما اطمعه استمالته ايانا بالدعوة واملاؤها في الرحب والسعة استجير لما ابطنه ، واعجاما علينا وطنه ، وقد وطن الله لك ملكاً شكر الله عليه جهادك ، وقيامك بحقه واجتهادك ، ولديك وليت الخير باعث يبعثك الى نصر مناره ، واقتباس انواره ، وعندك من جنود الله مَن يشتري الجنة بحياته ، ويحضر الحرب بئالاته ، فان شئت الدنيا فقطوف دانية ، وجنة

عالية ، وعيون ءانية ، وان اردت الاخرى فجهاد لا يفتر ، وجلاد يحز القلاصم ويستر ، هذه الجنة ذخر هذه الجنة ذخرها الله لظلال سيوفكم ، واجمال معروفكم ، تستعين بالله وملائكته وبكم على الكافرين ، كما قال سبحانه وهو اكرم القائلين : (قاتلوهم يعذبهم الله بأديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدورَ قوم مومنين) .

والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ، ونعمة الاسلام نشكرها ، ورحمةُ الله نتحدث بها وننشرها ، والسلام الموصل الجزيل على امير المسلمين ، وناصر الدين ، ورحمة الله .

فأجابه بما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

من امير المسلمين ، ناصر الدين ، معين دعوة امير المومنين ، الى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله تعالى المعتمد على الله ابي القاسم محمد بن عباد ، ادام الله كرامته بتقواه ، ووفقه لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد فانه وصل خطابكم الكريم ، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك ، وما ذكرته من كربتك وماكان من قلة حماية جيرانك ، فنحن يمين لشمالك ، ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا ذلك من الشرع وكتاب الله تعالى ، وانه لا يمكننا الجواز الا ان تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا اليك على ايدينا متى شئنا ، فان رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك وابعث الينا بعقودها ، ونحن في اثر خطابك ان شاء الله .

فوهبها له فاستنفر جميع حشوده وجوزهم ، وجاز في اثرهم ، ثم ورد عليه ابن عبـاد صاحب اشبيلية والأمير عبد الله بن بلقين بـن باديس صاحب غرناطة وعماله واخوه المستنصر تميم صاحب مالقة ، ثم كتب يوسف لما دنا من بطليوس على مقربة من فحص الزلاقة الى الاذفنش كتابـاً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الاسلام او الجزية او القتال ، من فصوله :

وقد بلغنا ياادفنش انك دعوت الى الاجتماع بنا ، وتمنيت ان تكون لك فلك تعبر البحر عليه الينا ، فقد اجزنا اليك ، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ، (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) .

فلما وصل الكتاب الى اذفنش طغى وتجبر ، فخرج ومعه ثمانون الف فارس ، منها اربعون الفا لابسين الدروع ، وكان بها من فرسان المسلمين اربعة وعشرون الف فارس ما بين دارع وحاسر ، ومن المرابطين واهل الغرب ما ينيف على اربعة وعشرين الفا ، وكتب اليه ابن عباد من منزله بهذه الأبيـات :

غـــزو عـــليـك مـبـــــارك	في طـيـه الفتـح القـريـــب
لله سـيـفـك انـــــــــــه	سخط على ديـن الصليـــب
لابـد مـن يـوم يــكـــــو	ن مؤاخـيـاً يــوم القليـــب

فكأنه نطق بالغيب ، فكانت الهزيمة على اللعين يوم الجمعة الثاني عشر لرجب الفرد سنة تسع وسبعين واربعمئة ، وكانت هذه الغزوة التي اظهر الله فيها دين الاسلام ونصر حزبه ، ولم يكن في الأندلس غزوة اعظم منها ، قتل فيها من النصارى نحو ثلاثمئة الف ، وكـان يومـاً لم يسمع بمثله من اليرموك والقادسية .

والجواز الثاني الى الأندلس كان سنة احدى وثمانين ، بعد ان عبر ابن عباد البحر اليه فتلقاه بالدخلة على وادي سبو ، فشرح له ضرر حصن لبيط ، فجاز الى الأندلس ، واستدعى ملوك الطوائف لمحاصرة حصن لبيط ، ثم اخلاه اللعين واحرقه .

والجواز الثالث في سنة ثلاث وثمانين لكلام بلغه عن ملوك الطوائف بالأندلس اوغـر صدره .

والجواز الرابع سنة ست وتسعين برسم التجول فيها والنظر في مصالحها .

واقامت بلاد الأندلس في مدته سعيدة حميـدة في رفاهية عيش وعلى احسن حال لم تزل موفورة محفوظة الى حين وفاته رحمه الله ، وقد كان الجهاد انقطع بها منذ تسع وسبعين سنة من مدة ءال عامر الى حين دخوله اليها ، فلما قربت وفاته اوصى ابنه ولي العهد بعده علي بثلاثة وصايا : احداها الا يهيج اهل جبل درن ومن وراءه من المصامدة واهل القبلة ، الثانية ان يهادن بني هود وان يتركهم حائلا بينه وبين الروم ، الثالثة ان يقبل من احسن من اهل قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم .

وقد مات في شهر ربيع الآخر سنة خمسمئة ، ودفن بقصره بحاضرة مراكش رحمه الله .

قال في (المعجب) وبعد دخول عبد المومن رحمه الله مراكش طلب قبر امير المسلمين يعني المترجم وبحث عنه عبد المومن اشد البحث فأخفاه الله وستره بعد وفاته كما ستره في ايام حياته ، وتلك عادة الله الحسنى مع الصالحين المصلحين ، انتهى بلفظه (192) .

وقال ايضاً : فانقطع الى امير المسلمين من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ، واجتمع له ولابنه من اعيان الكتاب ورسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار ، انتهى (193) .

فائدة : في جواب طويل لسيدي العربي الفاسي عـن القبائل الذيـن ظهر فيهم الفساد والحرابة لعدم السلطان اذا امكن رجوعهم بالعقوبـة الماليـة

192) **المعجب** ص 297 طبع الدار البيضاء

193) **المعجب** ص 243 طبع الدار البيضاء

هل يرتكب ام لا مانصه : ومما يشهد لأخذ المال عن طيب نفس اذا كان ذلك لمصلحة قطعية ضرورية كلية ما ذكـروه من جواز التوظيف على الأموال للضرورة الداعية اليه عند خلو بيت المال من القدر المحتاج اليه في اقامة المصالح التي في اختلالها خراب النظام كما قرر بيان ذلك ابن العربي والغزالي قائـلا وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد ، وقـد افتى فقهاء العدوتين الملك المجاهد يوسف بن تاشفين اللمتوني بجواز جمع المال على هذا الوجه للحاجة اليه للجهاد ، واستدلوا على ذلك بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعله ، انتهى .

فائدة ثانية : قال في (درة السلـوك) يوسف بـن تاشفين الرجـل الصالح الذي لم يكن في ملوك المغرب قبله ولا بعده مَن هو مثله ، ما عدا الامام ادريس بن عبد الله الكامل ، وطالت مدةُ ولاية يوسف على ستين سنة ، وكاتبه علماء الشرق مثل الغزالي والطرطوشي وغيرهما ، وافتوه بخلع ملوك الأندلس والتحجير عليهم ، وبعث له الامام العباسي الخلعةَ واللواء .

وراجع الرسالة التي كتبها الامام الطرطوشي مع ابن العربي في الركن السادس عشر من الكتاب الثاني من (بدائع السلك) ، وراجع المسألة الخامسة من الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب الرابع منه .

والرسالة التي كتبها له الامام الطرطوشي قد تقدم ذكرها في ترجمة محمد ماني الصنهاجي ، وانه قال فيهم بعد ان ذكر حديث مسلم : لايزال اهل المغرب الخ مانصه : وهل ارادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة ، وطهارتكم من البدع ، واقتفاء اثر السلف الصالح انتهـى .

وقال القاضي ابو بكر بن العربي في (عارضة الأحوذي ، في شرح جامع الترمذي) : المرابطون قاموا بدعوة الحق ونصرة الدين وهم حماة المسلمين الذائدون والمجاهدون دونه ، ولو لم يكـن للمرابطين فضيلـة ولا تقـدم ولا وسيلة الا وقعة الزلاقة التي انسى ذكرها حروبَ الأوائل وحروب داحس والغبراء مع بني وائل لكان ذلك من اعظم فخرهم .

وقال الزياني في (الروضة السليمانية) في الباب التاسع بعد ان ذكر يوسف بن تاشفين لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز ازهد في الدنيا ولا اعدل منه انتهى ، وردّ فيه على مَن لمزه بأنه لا يفهم معنى الشعر ، وردّ على من فضل الأندلس على بر العدوة .

ترجمه في وفيات الاعيان ، والكامل ، والحلل ، والجذوة ، والشذرات ، ودرة السلوك ، وغيرها (194) .

وقد ذكرت شيئاً من ترجمة محمد المعتمد ابن عباد .

1627) **يوسف** (195) **بن منغفاد** ، ثار بجبل تيزران من بلاد غمارة سنة احدى وستين وخمسمئة ، وفي سنة اثنتين وستين كانت حركة امير المومنين يوسف الموحدي لغزو المترجم واتباعه ، فظفر به وحمل راسه الى مراكش وبايعته جميع بلاد غمارة .

ذكره في الأنيس المطرب بروض القرطاس (196) .

1628) **يوسف بن موسى الكلبي** ، الضرير ، اصله من سرقسطة ، وسكن مراكش وبها توفي سنة عشرين وخمسمئة ، ومن اشياخه عبد الملك

---

194) قصر المؤلف ـ الناقل في حق السلطان المجاهد الكبير يوسف بن تاشفين كما قصر في حق ملوك عظام آخرين ، واورد نبذاً مقتضبة من اخبار حياته الحافلة وملكه الكبير ، وعلى من اراد التوسع في معرفة اخباره ان يراجع **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 136 طبع الرباط ، و**البيان المغرب** 4 : 21 و**تاريخ ابن خلدون** ج 6 ابتداء من ص373 و**جذوة الاقتباس** ص 545 ع 633 طبع الرباط و**جولات في تاريخ المغرب** ص 37 ومجلة **دعوة الحق** س 2 ع 10 ص 48 و س 4 ع 4 ص 33 و**المغرب عبر التاريخ** 1 : 172 و**العبر** 3 : 356 وكتاب **قيام دعوة المرابطين** ، و**وفيات الأعيان** 7 : 112 ع 844 وكتبا ومقالات اخرى عديدة .

195) هذا الثائر الغماري ليس اسمه يوسف ، وانما اسمه سبع بن منغفاد ، والمؤلف يساير في هذا الخطأ علي ابن ابي زرع في **القرطاس** ، وقد قمنا باصلاح الخطأ عند ما حققنا القرطاس ، ولم نتنبه لاصلاح هذا الخطأ هنا الا بعد طبع الاسماء المبدوءة بحرف السين .

ينظر عن هذا الثائر **تاريخ ابن خلدون** 6 : 498 و 580 و**البيان المغرب** 6 : 69 طبع تطوان ، و**المن بالامامة** ص 307 وفيه رسالة طويلة من انشاء ابي الحسين ابن عياش كتبها الخليفة يوسف بن عبد المومن يوم 14 شوال سنة 562 الى الطلبة والموحدين والشيوخ والاعيان بغرناطة يخبرهم فيها بالقضاء على ثورة سبع بن منغفاد المذكور .

196) **الانيس المطرب بروض القرطاس** ص 210 طبع الرباط

ابن سراج ، والحسن الجياني ، وغيرهما ، وكان نحوياً اصولياً اماماً ، وله تصانيف حسان واراجيز مشهورة ، وكان ءاخر ائمة المغرب فيما اخـذه عن محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي من علوم الاعتقادات ، وكان مختصاً به ، وكان المرادي اول مَن ادخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى ، فنزل بأغمات وريكة ، فلما توجه ابو بكر بن عمر الى الصحراء حمله معه وولاه القضاء فمات بأزكي من صحراء المغرب سنة تسع وثمانين واربعمئة ، فخلفه يوسف بن موسى المترجم في علوم الاعتقادات ، وغلب عليه الزهد في الدنيا واهلها ، وكان لباسه الخشن من الصوف ، وكان يتخلف من مراكش الى اغمات.

قال في التشوف : حدثني عبد الله بن موسى ، قال حدثني محمد بن الزاهد ، قال ادركتُ يوسف الضرير بمراكش وشاهدته جميل الصورة يلبس عباءة صوف ، وكان عالماً زاهداً ، وحضرت مجالسه ووفد مرة على السلطان ، فبعث اليه بجملة من مال فلم يخرج الى اغمات من مراكش حتى فرقـه على المساكين ، فقيل له لو امسكت منه لنفسك ، فقال لا حاجة لي به ، فان فلاناً من اخواني في الله يحرث لي قوتي ويبعث الي اضحية في كل عام ، فتصنع امراتي من صوفها عباءة ألبسها (197) .

ترجمه في الغنية وفي بغية الملتمس وفي صلة ابن بشكوال والتشوف .

وممن اخذ عنه عيسى ابن الملجوم متقدم الترجمة ، كما تقدمت ترجمة شيخه المرادي المذكور .

وقال القاضي عياض في الغنية : وقرأت عليه ارجوزته الصغرى التي الف في الاعتقـاد ، وحدثني بالكبـرى ، وبكتاب التجريد لمحمد المـرادي ، واجازني ارجوزته الكبرى وجميع تواليفه ورواياته ، منها تأليف الفقيه محمد المرادي شيخه ، وعنه كان اكثر اخذه ، ومن ذلك كتاب فقه اللغة للثعالبي ، اخبرني به المرادي عن عبد الرحمـان بن عمر بن محمد التميمي القزديري

---

197) ما تقدم منقول من **التشوف** ص 83 ع 11

عن محمد بن علي بن الحسن بن عبد البر التميمي ، عن اسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري ، عن ابي منصور الثعالبي .

انشدني رحمه الله ، قال انشدني محمد المرادي لنفسه في الحجة على اثبات القدر :

علمي بقبح المعاصي حين اركبها	يقضي بأني محمول على القدر
كلفت فعلا ولم اقدر عليه ولم	اكن لأفعل افعالا بلا قدر
وكان في عدل ربي ان يعذبني	فلم اشاركه في نفع ولا ضرر
ان شاء نعمني او شاء عذبني	او شاء صورني في اقبح الصور
يارب عفوك عن ذنب قضيت به	عدلا علي فهبْ لي صفحَ مقتدر (198)

1629)**يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي** ، المعلم ،اصله من داي من بلاد تادلة ، ونزل مراكش ، وبها مات عام اثنين وتسعين وخمسمئة وكان عبداً صالحاً ورعاً على سنن اهل الدين ، وكان لا يأكل الا من شيء عرق وجهه .

قال في التشوف : اخبرني عنه مخبر انه قام ليلة الى ورده ، فلما سجد لدغته عقرب في جبهته فلم ينفتل من صلاته الى أن سلم ، ولما مات يوسف غسله جيرانه ولم يعلم بموته غيرهم ، فما خرجوا بجنازته من باب الدباغين حتى انثال الناس من كل جهة واحتفل الناس لجنازته ، فاجتمع خلق كثير ، وكنت انا ممن حضرها ، وكان ذلك في يوم جمعة ، وكان يوماً صائفاً شديد الحر ، فغلب على الناس الغبار وشدة الحر، فجاءت سحابة فرشَتْ على قبره وما حواليه ، فسكن الغبار وخف الحر .

اخبرني عيسى بن علي قال ، سمعت محمد بن تميم يحدث عن ابيه عبد الله قال ، رايت في النوم جماعة وصلت من المشرق الى جنازة يوسف

198) الغنية ص 282 ع 97

المعلم فحملوه ، فسألت عنهم ، فقيل لي هم ملائكة حملوه ليصلوا عليه بالمشرق ، قال محمد فما ادري هل قال لي يصلون عليه بمكة او بالمدينة او بالمسجد الأقصى ، انما ذكر لي احدَ هذه المساجد فنسيت ، ثم لقيت عبد الله فسألته عن هذه الرؤيا ، فحدثني بها (199) .

1630) **يوسف بن علي (المبتلى) الصنهاجي** ، احد الرجال السبعة بمراكش ، كتبت في ترجمته من (اظهار الكمال) مانصه :

يوسف ذي الغار والصبر الذي عظمت   له المزايا لدى امداده الساري

الاعراب : يوسف بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل ، ذي الغار نعت لـه .

وانعت بمشتق كصعب وذرب   وشبهه كذا وذي والمنتسب

الصبر معطوف على الغار الذي نعت بعد نعت ، والجمور على ان العامل في النعت هو العامل في المنعوت ، نسب الى سيبويه ، وقيل العامل فيه التبعية لما جرى عليه ، وهو قول الأخفش والخليل ، وجملة عظمت المزايا من فعل وفاعل صلة الذي ، وله ولدى امداده متعلقان بعظمت ، ويحتمل أن يكون لدى امداده حالا من المزايا ، والساري نعت امداده .

اللغة والمعنى : يوسف فيه ست لغات كيونس ، ضم السين وكسرها وفتحها في الأول ، وضم النون وكسرها وفتحها في الثاني ، مع الهمز وتركه ، قاله الامام النووي عن ابن السكيت في معظم اللغات فيهما وعن ابي البقاء في باقيهن ، ويوسف اسم عبراني ، وقيل عربي ، وليس بصحيح ، لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب ءاخر سوى التعريف ، فان قلت فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان

---

199) الترجمة منقولة من **التشوف** ص 294 ع 144

يقال هو عربي على وزن المضارع المبني للفاعل والمفعول من ءاسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل ، قلت لا ، لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ، ونحو يوسف يونس ، رويت هذه الثلاث لغات ، ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من ءانس واونس ، قاله في الكشاف ، واشار اليه البيضاوي والخطيب ، وذي بمعنى صاحب ، والغار ما ينحت في الجبل يشبه المغارة ، فاذا اتسع قيل كهف ، والجمع غيران مثل نار ونيران ، والغار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه في جبل حراء ، والغار الذي آوى اليه ومعه ابو بكر في جبل ثور ، وهو مطل على مكة كما في المصباح ، وقال الخطيب في الغار اي غـار ثور الذي في اعلى الجبل المواجـه للركن اليماني بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها ، انتهى . وهو من اعظم المزارات ، قال الشيخ الامـام محمد بن احمد المكي الحنفي المتوفى سنة ثمـان وثمانين وتسعمئة في كتابه (الاعلام ، بأعلام بيت الله الحرام) قال المرجاني في (بهجة النفوس) ذكر لي أن رجلا كان له اموال وبنون وانه اصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره وتحمله ، فقال روى انه مَن دخل غار ثور الذي ءاوى اليه النبي صلى الله عليه وسلـم وصاحبه ابو بكـر رضي الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن على شيء من مصائب الدنيا ، وقد فعلتُ ذلك فما وجدت حزناً ، قال المرجاني رحمه الله تعالى : هذه الخاصية من تأثير قوله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنـا) انتهى .

وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ، ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابـه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربـه بجناحه ففتحه ، وقل ان يدخل اليه احد من بابه الضيق ، لأن الدخول عسير ويحتاج الى فطنة الغ ، راجعه ، وراجع الأول من رحلة الامام العياشي .

والمقصود بالغار هنا الغار المحفور عند رابطة الشيخ المدفون فيه رضي الله عنه ، وقد نزلتُ اليه بقصد التبرك وزيارة قبره ، وفي حائط جهة

راسه رخامة قرأتها الا ان نقشها وقع فيه تلاش ذكر فيه شيخه ابو عصفور رضي الله عنهما ، والذي اسم مبهم للمذكر ، وهو مبني معرفة ، ولا يتــم الا بصلة ، واصله لذي فأدخل عليه الألف واللام ، ولا يجوز ان ينزعا منه ، وفيه اربع لغات ، الذي والذِ بكسر الذال ، والذْ بسكونها ، والذيّ بتشديد وفي تثنيته ثلاث‌لغات ، اللذان ، واللذا بحذف النون ، واللذانّ بتشديد النون ، وفي جمعه لغتان : الذين في الرفع والنصب والجر ، والذي بحذف النون ، ومنهم من يقول في الرفــع اللذون ، وتصغير الذي اللذيا بالفتح والتشديد انتهى من المختار .

والصبر سياتي معناه ، وعظم الشيء بالضم بعظم عظماً بوزن عنب أي كبر ، فهو عظيم وعظام ايضاً ، والمزايا جمع مزية ، وهي الفضيلة ، ولا ينبني منه فعل كما في المختار والمصبــاح ، ولــدى تستعمل بمعنى عنــد ، والامداد اعطاء المدد ، والساري من السريان بمعنى النفوذ والوصول الى الشيء .

حاصل المعنى يارب اجبْ دعائي بحق السيد يوسف صاحب الغار الصابر عظيم الفضائل الممد بلا جحد ولا انكار ، فقد روى الطبراني في الأوسط عن انس رفعه : لن تخلو الأرضُ من اربعين رجلا مثل خليل الرحمان ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، الحديث ، وسنده حسن ، وفي لفظ اخرجه ابن حبان في تاريخه عن ابي هريرة مرفوعاً : لن تخلو الأرضُ من ثلاثين مثل ابراهيم خليل الرحمان ، فبهم تغاثون ، وبهم ترزقون ، وبهم تمطرون ، واخرج الطبراني في الكبير عن عبادة ابن الصامت مرفوعاً : الأبدالُ في امتي ثلاثون ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون ، وورد من طرق مرفوعاً : لولا عباد ركع ، وصبية رضع ، وبهائم رتع ، لصبّ عليكم البلاء صبا ثم لترصنّ رصــاً .

قد اطعم الناس شكــراً للالــه على سقوط بعضه ، نِعْمَ فعْلَ صبار !

الاعــراب : قد حرف تحقيق ، وهو خامس معانيها الستة مختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب . وحرف تنفيس ،

واطعم فعل ماض رباعي ، وفاعله يعود على سيدي يوسف ، والناس مفعوله ، وشكراً مفعول لأجله ، وشروط نصبه الخمسة متوفرة فيه ، وللاله وعلى سقوط بعضه متعلقان بشكراً ، لأنه مصدر ، والجملة استينافية لأجل بيان بعض المزايا المشار اليها قبل ، ونعم فعل لانشاء المدح جامد ، اما رافع لفاعل معرف بال الجنسية وبالاضافة الى ما قارنها او الى مضاف لما قارنها او مضمر مستتر مفسر بتمييز كهذا الواقع في هذا البيت ، فهو متحمل الضمير هو المفسر بفعل صبار ، اي نعم الفعل فعل صبار ، فهو منصوب على التمييز كقوله :

نعم امرءاً هرمٌ لم تعرُ نائبة ... الا وكان لمرتاع بها وزرا

والجملة لم تعطف على ما قبلها لاختلافهما خبراً وانشاء ، قال :

وعطفك الانشا على الاخبار ... وعكسه فيه خلاف جاري
اهل البيان وابن مالك ابوا ... كذا ابن عصفور وبالجلّ اقتدوا
وجوزته فرقة جليله ... كسيبويه وارتضوا دليله

اللغة والمعنى : الاطعام اعطاء الطعام ، وهو ما يؤكل ، والناس قد تكون من الأنس ومن الجن ، واصله اناس فخفف ، قاله في المختار ، وقال في المصباح الناس اسم وضع للجمع كالقوم والرهط ، وواحده انسان من غير لفظه ، مشتق من ناس ينوس اذا تدلى وتحرك ، فيطلق على الجن والانس ، قال تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) ، ثم فسر الناس بالجن والانس فقال (من الجنة والناس) ، وسمى الجن ناساً كما سموا رجالا ، قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) ، وكانت العرب تقول رايت ناساً من الجن ، ويصغر الناس على نويس ، لاكن غلب استعماله في الانس ، وشكرت الله اعترفت بنعمته وفعلت ما يجب من فعل الطاعة وترك المعصية ، ولهذا يكون الشكر بالقول والعمل ، ويتعدى في الأكثر باللام ، فيقال شكرت له شكراً وشكراناً ، وربما تعدى بنفسه ، فيقال شكرته ، وانكره الأصمعي في السعة وقال بابه الشعر ، وقول الناس في القنوت نشكرك ولا

نكفرك لم يثبت في الرواية المنقولة عن عمر ، على ان له وجهاً وهو الازدواج ، انتهى من المصباح . والاله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى ، فهو فَعال بمعنى مفعــول ، ككتاب بمعنى مكتــوب ، وبساط بمعنى مبســوط ، وسقوط بعضه ذهابه منه بتقطعه ، ونعم بكسر النون مبالغة في المدح ، والفعل المقصود به هذا الصنيع المذكور قبل ، والصبار مبالغة في صابر من الصبر ، وهو كما قال بعضهم اربعة انواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وهما اساس طريق الاستقامة ، وصبر عن فضول الدنيا ، وهو اساس الزهد ، وصبر على المصائب والمحن وهو اساس الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى وحسن الظن به ، وهذا اشق الانواع الأربعة على النفس ، والصبر لغة حبس النفس وتوطينها على المكاره والمشاق ، ثم استعير لمطلق التأني في الفعل ، وقــد حثَّ الله سبحانه وتعالى على الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ، منها قولــه (واستعينوا بالصبر والصلاة) ، وقوله (يأيها الذين ءامنــوا اصبروا وصابروا) ، وقوله (واصبروا ، ان الله مع الصابرين) ، الى غير ذلك من الآيات ، قال الامام ابو بكر الوراق رحمه الله تعالى : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله ، والرفقَ فيما بينك وبين الخلق ، والصبرَ فيما بينك وبين نفسك ، فهذا هو الذي يفيد النجــاة ، والشكــر والصبر من مقامات اليقين ، قال في المرشد المعين :

ويتحلــى بمقــامــات اليقيـــن

خوف رجا شكر وصبر تــوبــة

واعلم ان الشكر والصبر هما الايمان ، اذ كل واحد منهما نصفه كما ورد في الأخبار كما في (الاحياء) ، ويقبح بالانسان جهل ايمانه ، وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف ، وذكر الصبر في القرءان في نيف وسبعين موضعاً ، واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر ، وجعلها ثمرة له ، وقال صلى الله عليه وسلم من اقل اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما انتم عليه احبُّ الي من ان يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ، ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً ، وينكركم اهل

السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : (ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق) ، (وليجزينّ الذين صبروا اجرهم) الآية ، والصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً وانشر له ديواناً ، ثم اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه ، مع انه قال (ولذكر الله اكبر) ، فقال تعالى (اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) ، وقال تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وءامنتم) ، وقال تعالى (وسنجزي الشاكرين) ، وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) قيل هو طريق الشكر ، ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق ، فقال (ولا تجدُ اكثرهم شاكرين) ، وقال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) ، وقد قطع الله بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال (لئن شكرتم لأزيدنكم) ، واستثنى في خمسة اشياء ، في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة ، فقال تعالى (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) ، وقال (فيكشف ماتدعون اليه ان شاء) ، وقال (ويرزق مَن يشاء بغير حساب) ، وقال (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال (ويتوب الله على مَن يشاء) ، وهو خلق من اخلاق الربوبية ، قال تعالى (والله شكور حليم) ، وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة ، فقال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) ، وقال (وءاخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) ، وقال صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) ، وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت اخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكت وقالت أي شيء لم يكن عجباً ، اتاني ليلة فدخل معي في فراشي وقال في لحافي حتى مسَّ جلده جلدي ، ثم قال : يابنت ابي بكر ، ذريني اتعبد لربي ، قالت اني احب قربك لاكني اؤثر هواك ، فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صبّ الماء ، ثم قام يصلي فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع راسه فبكى ، فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : افلا اكونُ عبداً شكوراً ، ولمَ لا افعل ذلك ؟ وقد انزل الله تعالى (ان في خلق السماوات والأرض) الاية ، وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابداً وشكرا لقلب قصد الخير واضمــــره لكافة الخلق ، واللسان اظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، والجوارح استعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته ، حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراه من مسلم ، وشكر الأذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كيف اصبحت ؟ قال بخير ، فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير احمد الله واشكره ، فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي اردت منك .

واعلم ان للصبر درجات اقلّها ترك الشكـوى مع الكراهــة ووراءه الرضى وهو مقام وراء الصبر ، ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضى ، اذ الصبر مع التألم والرضى يمكن بما لا ألم فيه ولا ترح ، والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به ، وكذلك الشكر درجات كبيرة ، ويدخل في جملتها امور دونها ، فان حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ، ومعرفته بالتقصير عن الشكر شكر ، والاعتذار من قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف سنده شكر ، والاعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ، والعلم بأن الشكر ايضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر ، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر ، وشكر الوسائط شكر ، اذ قال عليه السلام : مَن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وقلة الاعتراض وحسن الآداب بين يدي المنعم شكر ، وتلقي النعم بحسن القَبول شكر ، واستعظام صغيرها شكر ، وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر ءاحادها ، وهي درجات مختلفة ، هذا ما اقتضى النظر تلخيصه من مواضع من (الاحياء) وغيره ، وراجع السفر التاسع من شرح الاحياء ، والشيخ رضي الله عنه ادرك مقام الشكر على البلاء الذي وراء الرضى ، وفي الحكم العطائية ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه المبتلي لك ، فالذي واجهتـك منـه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار انتهى ، راجع شروحها .

واعلم ان اهل البلايا الصابرين لا حساب عليهم ، ففي الحديث القدسي اذ وجهت لعبد من عبادي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً وانشر له ديواناً ، انتهى .

ومعنى البيت في غاية الوضوح ، وعليه انوار المحاسن تلوح ، وفيه من علم المعاني الفصل في جملة البيت ، اعني قد اطعم الخ لما بينها وبين ما قبلها من شبه كمال الاتصال لأنها مرتبة على سؤال مقدر اقتضته الجملة السابقة ، فنزل ذلك السؤال المدلول عليه بالفحوى منزلة المصرح به ، وجيء بهذا الكلام مفصولا كما يفصل الجواب عن السؤال الصريح ، ويسمى هذا الفصل في الاصطلاح استينافاً كما اشير اليه في الاعراب ، وفي البيت الاعتراض وهو من وجوه الاطناب ، فيكون من هذا الفن ، وبعضهم يلحقه بالبديع ، وحقيقته ان يؤتى في اثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب لغرض كالتنبيه والتقوية ونحو ذلك ، ومثاله قوله تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) ، وبيانه اني كنت في ذكر التوسل به ، ثم اعترضت بذكر بعض مزاياه تقوية للتوسل به ، ثم رجعت الى التوسل بعد خمسة ابيات ، وهكذا يقال في كل ما اشبه هذا مما وقع في هذه القصيدة .

قال في (عقود الجمان) :

وشبه الاتصال كونها جواب ... سؤال الأولى اقتضته والصواب
تنزيلها منزلة فتفصل ... فصل جوابه وقيل يجعل
مقدراً لنكتة كالاغتنا ... عنه وترك السمع منه يعتنى
وسمها وفصلَها استينافا ... الخ

وقال في تعريف الاعتراض ، ومنه يعني من الاطناب الاعتراض :

بجملة اوفوه ما لها محل ... بين كلام او كلامين اتصل
لنكتة تقصد كالتنزيه ... لدفع الايهام وكالتنبيه
وكالدعا في قولهم بلغتها ... بعد الثمانين وما اشبهها

وبعضهم جـوزه في الطـــــرف وقال قـوم غير جملـة يفـــي

انتهى .

وفي البيت الفصل بين جملة اطعم ، وجملة نعم لما بينهما مـن كامل الانقطاع باختلافهما خبرا وانشاء ، قال في (عقود الجمان) :

امـا كمـال الانقطـاع المكمـــل فلاختـلاف بين انشـا وخبـــر
لفظـاً ومعنى وبمعنى مستقــــر كمات زيـد غفر الرحمـان لـــه

الى ءاخره .

وفيه من البديع الانسجام ، وهو ان يأتي الشاعر بالبيت والفقـــرات من النثر خالية من العقادة وتكلف السبك كانسجام الماء في انحداره يكـاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه ان يسيل رقة وعذوبة مع لطافة معناه ورشاقته وخلوه من الأنواع البديعية الا ان يأتي في ضمن السهولة عفواً من غير قصد ، واهل طرق الغرام هم بدور مطالعه ، وغزلان مرابعه ، قال في (عقود الجمان) :

والانسجـام ما عـلا تسهُـــلا عذوبة ومن عقادة خــــــلا
وغالب في النثر اذ ما انسجما من غير قصد قد يرى منتظما

قال في الشرح : هذا النوعُ من زيادتي ، والانسجامُ ان يكون الكلام لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه ان يسيل رقة ، وغالب ما يأتي اذا لم يقصدوا فيه نوعاً من انواع البديع يحصل به التكلف ، بل يأتي ذلك ضمناً من غير قصد ، ولذا كان الانسجامُ في النثر ، فغالب قراءته تكون موزونة بلا قصد ، فمنه من بحر الطويل :

فمن شاء فليومنْ ومَن شاء فليكفرْ .

من المديـد :

فاصنع الفلك بأعيننـا

من البسيط :

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم

ومن الوافـر :

ويخزهـمُ وينصركـم عليهـم ويشفِ صدورَ قـوم مومنينـا

ومن الكامـل :

والله يهدي مَن يشـا الى صـراط مسـتقيـم

ومن الهـزج :

فـألقـوه على وجـه أبـي يـات بصيـرا

ومن الرجـز :

دانيـة عليـهـمُ ظلالـهـا وذللت قطـوفهـا تـذليـلا

ومن الرمـل :

وجفـانٍ كالجـوابـي وقـدور راسـيـات

ومن السريع :

أو كالذي مرَّ على قريـة

ومن المنسرح :

انا خلقنا الانسان من نطفة

ومن الخفيف :

لا يكادون يفقهون حديثاً

ومن المضارع :

يـــــوم الـتـنـــادي يـــــوم   تـــولـــون مـــدبـــريـــــن

ومن المقتضب :

في قلوبهم مــرض

ومن المجتث :

نبئـــي عـبـــادي انـــــــي   انــا الـغـفــور الرحـــيـــم

ومن المتقارب :

واملي لهم ان كيدي متين

انتهى . وزاد بعضهم التمثيل للمتدارك بثاية : ام تامرهم احلامهم

واقتصر في الخزانة على الخمسة عشر ، وتبعه السيوطي كما ترى .

وفي البيت التأديب والتهذيب ، وهذا النــوع من مستحسنات فــن البديع ، وشأنه على سائر الأنواع رفيع ، وليس له شاهد يختص به كسائر الأنواع ، لأنه وصف يعم كل كلام مهذب ، من كل معنى مرتب ، وان يخلو من عقادة الألفاظ ومن الالفاظ المجهولة والموهمة خلاف المقصود ، وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله وامعان النظر في تنفيحه وتهذيبه نظماً كان او نثراً ، وتغيير ما يجب تغييره وكشف ما يشكل من غريب معانيه واعرابه ، وطرح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه ، وان كانت معانيه غير مبتكرة ففائدته تنقيح الشعر وترداد النظر عليه مرة بعد اخرى . قال الشاعر :

لاتعرضنَّ على الرجــال قصيـــــدة   ما لم تكن بالغت في تهذيبهــا
واذا عرضت الشعرَ غير مهـــذب   عدوه منك وساوســاً تهذي بهــا

وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم ، او لو تمم هذا النقص بكذا او حذفت هذه اللفظة او كان مكانها غيرها ، او لو اتضح هذا المقصد لكان احسن ، والمعنى ابين ،

او غير ذلك مما يعبر عنه بلو او ليت ، كان ذلك غير منتظم في سلك هذا النوع ، وفي البيت السهولة ، وقد ادخلها بعضهم في نوع الانسجام ، والصواب انها غيره ، لأن الانسجامَ على ما سبق ايراد الكلام خالياً من التصنع والتعقيد ، خالياً بعقود الرقة والتنضيد ، والسهولة كذلك ، لكن مع زيادة تميز الألفاظ عن غيرها بالمتانة والتمكين ، وهي مما يدل على رقة الحاشية وحسن الروية وسلامة الطبع وجودة القريحة والذهن ، وألطفُ الأمثلة على ذلك قول الشاعر :

اليس وعدتنــي ياقلـب انــــــي	اذا مــا تبتُ عن ليلى تتــــــوب
فها انا تائب عن حب ليـلـــــــى	فما لك كلما ذكــرت تــذوب ؟

والمقدم في هذا الشأن ، والفارس في حلبة الرهان ، البهاء زهير ، فانه ابدع واشبع ، وسقى فأمرع ، فمن غصن زهره ، ووشي حبره ، قوله :

مــولاي قــلْ لي ايــن مــــــــا	قــد كــان من عهــد وثيــــــــق
حاشــاك ان تنســى الـــــــذي	بيني وبينــك مــن حــقـــــوق
قــد قلت انـــك زائـــــــــــر	فجعلت عينــي للـطـــريــــق

وفي البيت المساواة ، وهي حالة الاطناب الذي يقال له البسط والايجاز ، وتعريفها ان يكونَ اللفظُ مساوياً للمعنى لايزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهذه من البلاغة التي وصف بها احد الواصفين بعض البلغاء فقال ، كأن الفاظه قوالب لمعانيه ، ومعظم ما في الكتاب العزيز من هذا القبيل ، وقال التيفاشي : مساواة اللفظ للمعنى هي الأمر المتوسط بين الايجاز والاطناب ، كقوله تعالى : (ومَن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) ، وقال تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى) فكلام هذه الآية منتسق متساو في اللفظ والمعني ، حلو المسموع ، فيه الأمر بكل مليح ، والنهي عن كل قبيح ، ومن النظم قول زهير بن ابي سلمى :

ومهما تكنْ عند امرىء من خليقــة	وان خالها تخفى على الناس تعلـم

فقد ساوى بين الفاظ هذا البيت بحيث ان الفصيح البليغ لايقدر على الحكـــم بزيادة كلمة ولا بنقصها .

وقال طرفـة :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهـلا   ويأتيك بالأخبـار مَن لم تـــزود

فانه غاية في هذا الباب .

وفي البيت التمكين ، ومنهم من سماه ائتلاف القافية ، وهو ان يمهد الناظم لقافية بيته والناثر لسجعة فقرته تمهيداً تأتي القافية متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، غير نافرة ولا مستدعاة مما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه ، بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامعُ بجاذبٍ من قلبه الى ذلك بدلالة قرائن اللفظ عليها كقول المتنبي :

يامَن يعــزُّ علينا أن نفارقهـــم   وجداننا كل شيء بعدكـم عــدم

وفي البيت التذييل ، وهو ان يوتى بجملة عقب جملة ، والثانية تشتمل على معنى الأولى للتأكيد ، كقوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً) ، وقوله تعالى : (ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل يجازى الا الكفور) ، قال في عقود الجمان :

ومنه تذييــل بجملــة حــــوت   مؤكـداً معنى الذي قبل خلــت

وفي البيت ائتلاف اللفظ مع الوزن ، وهذا النوع لا يوصف بصورة معيَّنة ، بل هو ان تكون الأسماء والأفعال تامة لم يحتج الشاعر في الوزن الى نقصها وزيادتها ، والذي فهم من كلامهم أن يكون البيتُ خالياً من الضرورات الشعرية ، ومن التقديم والتأخير المفضيين الى عسر فهم معنى البيت ، كقول الفرزدق في خال عبد الملك :

وما مثله في النـاس الا مملكــاً   ابـو امـه حـي ابـوه يقاربــه

فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك ، ومعناه ما مثل هذا الممدوح ، وهو ابراهيم خال هشام الا مملكاً اي رجلا اعطى الملك وهو هشام ،

ثم وصفه بقوله ابو امه اي ام ذلك الممدوح اي لا يماثله احد الا ابن اخته الذي هو هشام ، وهذا النوع في بيتي ظاهر لكل ناظر ليس فيه تقديم ولا تأخير ولا اضطرار الى شيء من ذلك .

وفي البيت ائتلاف المعنى مع الوزن ، وهو ان تاتي المعاني في الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر في الوزن الى قلبها عن وجهها ولا خروجها عن صحتها وما اشبه ذلك بخلاف قول عروة بن الورد :

فاني لو شهدت ابا سعاد غداةَ غد بمهجته يفوق
فديتُ بنفسه نفسي ومالي وما ألوه الا ما اطيق

فانه اراد ان يقول نفسه بنفسي ومالي ، فالجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ، واراد ان يقول الا ما لا اطيق ، فحذف لا لضرورة الوزن ، وهذا النوع في البيت ظاهر لكل ناظر ، فليس فيه شيء من قلب المعنى عن وجهه ولا خروجه عن صحته .

وفي البيت العقد ، وذلك اني نظمته مما في ترجمة الشيخ من التشوف كما ياتي ان شاء الله تعالى ، والعقد ان يوخذ المنثور من قرءان او حديث او حكمة أو غير ذلك بجملة لفظه أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه أو ينقص ليدخل في وزن الشعر ، فالنثر الذي قصد نظمه ان كان غير القرءان والحديث فنظمه عقد على اي طريق كان اني لادخل فيه للاقتباس ، وان كان قرءانا او حديثا فانما يكون عقدا اذا غير تغييراً كثيراً لا يتحمل مثله في الاقتباس ، ولم يغير تغييراً كثيرا ، ولكن اشير الى انه من القرءان او الحديث ، وحينئذ لا يكون على طريق الاقتباس ، ومثل ذلك قول الامام الشافعي :

عمدة الدين عندنا كلمات اربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات ، وازهد ، ودع ما ليس يعنيك ، واعملنَّ بنيه

وفي البيت الابداع ، وهو مجموع ما ذكر من الأنواع ، اذ هو اسم لما اجتمع فيه عدة من أنواع البديع ، قال في عقود الجمان :

فسمٍّ بالابـداع ما قـد اختـــرع — من المعاني ليس قبله صنـــع
او سمِّـه سـلامـة اختـــراع — وذلك الشـامـــل للأنـــــواع

والمقصود الشطر الأخير من هذين البيتين ، راجـع شرحَهمـا في خاتمة السرقات الخ .

قال ابن حجة :

ابـداع اخـلاقـه ايـداع خالقـــه — في زخرف الشعرا فاسجعْ بها وهِم

الشطر الأول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتسجيع وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة ، والشطر الثاني فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض ، والانسجام ظاهر في البيت بكماله ، والابداع الذي هو المراد هنا ، والله اعلم . انتهـى .

وقال ايضـاً :

تهذيب تأديبـه قـد زاده عظمـــا — في مهـده وهو طفـل غير منفطـــم

هذا البيت يشتمل ، ببركة من ادبه ربه فأحسن تأديبه ، وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم ، على عشرة انواع من البديع ، اولها النوع الذي هو شاهد عليه ، وهو التهذيب والتاديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ، ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع في موضعه ، ولاكن في نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يُغني عن ذلك ، والله اعلم ، انتهى .

ثم قلت :

بـدا تبسمه اذ كـان يغسلـــــه — بعد الممات كريم الأصل والـــدار

الاعـراب : بدا فعل ماض ، وتبسمه فاعل وهو مضاف ، والضمير مضاف اليه ما قبله ، والجملة لا محل لها من الاعراب ، واذ اسم للزمان الماضي ظرف ، وهو احد معانيها الأربعة الغالب ، نحو (فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا) متعلق ببدا او تبسمه ، وكان فعل ناقص ، واسمها ضمير يعود على الشيخ ، ويحتمل ان اسمها كريم الأصل تأخر عن خبرها ، ويغسله الجملة من فعل فاعل وهو الضمير العائد على اسم كان لأنه يتقدم رتبة خبرها ، والضمير البارز في يغسله مفعول به عائد على الشيخ ، وبعد الممات متعلق بيغسله ، وكريم مضاف ، والأصل مضاف اليه ما قبله ، والدار معطوف عليه ، وتقدم خبر كان على اسمها جائز ، ويجوز ان يقرر تنازع الفعلين المذكورين في كريم الدار ، فما اعلمته منهما فأضمر للآخر معموله ، والجملة من كان واسمها وخبرها في محل جر باضافة اذ اليها ، واذ اضيفت هنا الى الجملة الفعلية الماضية لفظاً ومعنى كالآية المتقدمة ، ويحتمل ان يكون فاعل يغسله ضميراً مستتراً دلّ عليه الفعل المستتر ، الضمير فيه اي يغسله هو اي الغاسل ، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي اخرجه البخاري في المظالم والحدود ومسلم في الايمان والنسائي في الأشربة ، وابن ماجة في الفتن : لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ، اي ولا يشرب هو اي الشارب ، وكريم على هذا الوجه اما ان تجعله اسم كان كما تقدم ، او خبر مبتدأ محذوف ضميره يرجع على الشيخ ، او منصوباً بأمدح مقدرا .

اللغة والمعنى : بدا من باب سما اي ظهر ، وقرىء (الذين هم اراذلنا بادي الراي) اي في ظاهر الراي ، ومن همزه جعله من بدأت ومعناه اول الراي ، والتبسم دون الضحك بمنزلة السنة من النوم ، ودلت الأحاديث ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان في الغالب تبسماً ، والغسْل التطهير ، ومنه غسل الميت ، والممات ضد الحياة ، والكرم ، الحسن والنفاسة وهو في كل شيء بحسبه ، واصل الشيء ما يستند وجودُ ذلك الشيء اليه ، والـدار الموضع ، وقد تطلق على القبيلة ، يعني ان مناقب الشيخ رضي الله عنه انه تبسم حين غسله بعد موته كما اخبر به مَن باشر ذلك وهو نفيس اصله ومسكنـه :

وهل ينبت الخطـي الا وشيجــه ويغرس الا في منابتهـا النخــل

وقد صار مقصودنا الاختصار ، لأننا راينا همم اهل العصر لا تصغي الا اليه ، بحيث ان بعضهم طلب في شرح هذه القصيدة الاقتصار على ما يتعلق بالأولياء والتوسل .

ثم قلت :

بوقت موتــه قد جـاءت كرامتــه اذ اعلم الناس وقت موته الجاري

الاعـراب : الباء حرف جر تتعلق بجاءت ، ووقت مضاف مجرور ، موته مضاف اليه ما قبله ، وهو مضاف بالنسبة الى الضمير ، والضمير مضاف اليه ما قبله عائد على الشيخ ، وقدْ حرف تحقيق ، وجاء فعل ماض ، والتاءُ تاءُ التأنيث الساكنة ، وكرامته فاعله مضاف ، والضمير مضاف اليه ماقبله ، واذ تقدم معناها قريباً ، والأظهر ان تكـون هنا تعليلية وهو ثالث معانيهـا الأربعة ، نحو (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) ، اي لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا ، واذ هاذه حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف ، واعلم فعل ماض فاعله يعود على الشيخ ، الناس مفعوله الأول ، ووقت موته مفعوله الثاني ، والجـاري يصح ان يكون نعتـاً لوقت او موت .

اللغة والمعنى : وقت الشيء مقدار من الزمان مفروض له ، ومنه وقت العبادة للزمان المقدر لها شرعاً مطلقاً كما في جمع الجوامع ، والظاهران تحديد الوقت بالزمان من التحديد بالأخفي والمساوي كما في الشيخ حلولو عليه ، وقال في آخر جمع الجوامع في تعريف الزمان ما نصه : قيل جوهر ليس بجسم ولا جسماني ، وقيل فلك معدل النهار ، وقيل عرض ، فقيل حركة معدل النهار ، وقيل مقدار الحركة ، والمختار مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم ازالة للايهام ، انتهى .

والموت خروج الروح من الجسد ، والمجيء الاتيان ، والمراد به لازمه وهو الظهور ، والكرامة امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوءة ، وبهذا تمتاز عن المعجزة ، وبمقارنة الاعتقاد والعمل الصالح ، وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين تخلصاً لهم عن المحن والمكاره ، وتسمى معونة ، وراجع شروح الحكم العطائية عند قولها : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ، وعند قولها : كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك للعوائد ، وعند قولها : ربما رزق الكرامة مَن لم تكمل له الاستقامة ، قال في جمع الجوامع ممزوجاً بكلام شارحه العلامة الأزهري مانصه : وكرامات الأولياء وهم العارفون بالله تعالى حسبما يمكن ، المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي ، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات ، حق ، اي جائزة وواقعة عند اهل الحق، بدليل الكتاب والسنة، فمن الكتاب قصة مريم وهي قوله تعالى : (كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقاً) الآية ، ومن السنة حديث الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة اليه وقالت : اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحراثة ، فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاني اومن بهذا وابو بكر وعمر ، وقال عبد الكريم القشيرى في الرسالة ولا ينتهى الى نحو ولد دون والد وقلب جماد بهيمة انتهى . وخالفه ولده الامام ابو نصر في كتابه المرشد في ذلك وشرح مسلم للنووي في باب الفرق الضالة ان الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف انواعها ، ومنعه بعضهم ، وادعى انها تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه ، وهذا غلط من قائله وانكار للحس ، بل الصواب جريانه بقلب الأعيان ونحوه ، ومراده ببعضهم اكثر المعتزلة ، فانهم منعوا الخوارق من الأولياء انتهى .

قال كاتبه وراجع تمام بقية حديث البقرة في باب استعمال البقر للحراثة مما جاء في الحرث والمزارعة من صحيح الامام البخاري ، واخرجه ايضاً في المناقب وبني اسرائيل ومسلم في الفضائل والترمذي في المناقب مقطعاً ، ومثل المحقق المحلي للكرامات بجريان النيل بكتاب عمر ، ورؤيته

وهو على المنبر بالمدينة جيشَه بنَهاوند بضم النون ، حتى قال الأمير الجيش ياسارية الجبل الجبل ، محذراً له ممن وراء الجبل لكمن العدو هناك ، وسماع سارية كلامه مع بعد المسافة ، وكشرب خالد السمّ من غير تضرر به ، ونقل عن ابن السبكي ان قول القشيري المذكور حق يخصص قول غيره ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لافارق بينهما الا التحدي ، وتبع القشيري على هذا الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقال انه اعدل المذاهب ، وضعفه الزركشي ، كما اعترضه امام الحرمين قبله وغيره ، ونقل المحلي عن ابي اسحاق الاسفرايني مثل مذهب اكثر المعتزلة من منع الخوارق من الأولياء ، قال ماجاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي ، وانما مبالغ الكرامات اجابة دعوة او موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه ، او نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات . انتهى ، وفي شرح المقاصد حكاية هذا القول عن البعض انتهى ، والصحيح ان الكرامات تقع للأولياء باختيارهم وطلبهم كما قاله النووي ، وفي شرح المقاصد حكاية المقابل ، وذكر حلولو عن المقترح حكاية القولين عن البعض ، وفي ءاخر الأنوار القدسية للامام الشعراني ان سيدي عبد العزيز الديريني طلب منه وقوع كرامة فقال وهل ثم كرامة اعظم من أن الله تعالى يمسك به الأرض ولا يخسفها به ، وقد استحقّ الخسف به منذ أزمان انتهى .

ومما ينبغي ان يعلم أن الكرامة تقع للولي حياً وميتاً ، ومنعها بعضهم في حالة الموت وهو مردود ، وقد كثرت فيما بعد زمان الصحابة والتابعين كثرة لم تقع في زمنهم ، ولا يلزم من ذلك فضلهم عليهم ، لأنها من توابع المعجزات ، فتؤكد بالايمان بما جاءت به الرسل، والأوائل من الصحابة والتابعين لهم باحسان كانوا مستغنين بنور النبوءة وقربهم من زمنها بخلاف غيرهم ، وقد الف السيوطي تأليفا في كرامات سيدنا عمر رضي الله عنه ، واستدل اكثر المعتزلة على مذهبهم بأدلة كلها ضعيفة ، راجع الكشاف عند قوله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الامَن ارتضى من رسول) ، وحاشية ابن المنير عليه ، وفي الشيخ حلولو على جمع الجوامع عن ابن عرفة حكاية القولين

في صحة الكرامات بالأخبار بالغيب ، ونقل حلولو ايضاً عن المقترح مانصه : وقد سمعت عن بعض علمائنا قولا ان المكاشفات ظنون تصدق في غالب الأمور ، ولا تبلغ مبلغ العلوم ، والصحيح ان منها علوماً ومنها ظنوناً ، ثم نقل عنه ايضاً ان دلالة الكرامة على ولاية صاحبها المستقيم دلالة ظنية لا قطعية ، ونقل من نص الأشعري ان مَن لم يختم له بالسعادة فهو في زمان طاعته ليس بولي ، ونوزع في ذلك ، والخلاف في هذا ءايل الى المناقشة في العبارة . انتهى .

وما احسن قول البوصيري :

والكـرامـات منهـم معجـــزات   نالهـا من نوالـك الأوليـــاء

وراجع الباب السابع في كرامات الأوليـاء رضي الله عنهم من اوائـل (التشوف ، الى رجال التصوف) للامام ابن الزيات ، فقد اطال في هذا الباب في نحو اربع عشرة ورقة جـزاه الله تعالى خيـرا ، وراجـع المبحث التاسع والعشرين والمبحث الخمسين من اليواقيت والجواهر ، فقد حرر ان مَن لا حال له فلا كرامة له ، وان كل مَن يخرق العادة في العلوم والمعارف والأسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات ، وذكر كثيراً من الكرامات ، وراجع المجلس السابع عشر في اثبات كرامات الأولياء من (الروض الفائق) ، وراجع شرح الشريشية عند قولها : وان نظم الحق الكرامات اسطرا ، راجع الفصل الثالث من (الذهب الابريز) ، وراجع حاشية المحقق العطار على المحلي ، وراجع التتمة المذكورة في كرامات الأولياء من شرح الشيخ الطيب على المرشد عند قوله : اذ معجزاتهم كقوله وبر الخ ، وراجع الجيش الكفيل ان اردت بسط البرهان فى هذا الميدان ، فان شئت المستقل بالفن فعليك ببهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب مولانا عبد القادر الجيلاني وروض الرياحين لليافعي ، وروضة الناظرين ، وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ الوتري ، والاعلام بالشيء الاخبار به ، والجاري الواقع ، ومحصل معنى البيت ان الشيخ رضي الله عنه ظهرت كرامته حين موته لاعلامه بوقته قبل.

ثـم قلت :

وقد راى بعضهم في النوم موتتـــه رؤيـــاه كاشفـه رفيع مــقـــــدار

الواو حرف عطف ، وقد حرف تحقيق ، وراى فعل ماض ، وبعضهم فاعله مضاف ، والضمير مضاف اليه ما قبله ، والجملة لا محل لها من الاعراب لعطفها على ما لا محل لها ، في النوم متعلق براى ، وموتته مفعول به ، رؤياه مبتدأ مضاف ، والضمير مضاف اليه ماقبله عائد على البعض ، كاشفه فعل ماض فاعله ضمير مستتر يعود على الشيخ ، والضمير البارز مفعول به ، ومتعلقه اي كاشف محذوف تقديره بها ، وهو الرابط بين المبتدا والخبر الذي هو الجملة ، ورفيع يجوز ان ينصب وان يرفع ، ونصبه له وجهان الحالية من ضمير كاشفه الفاعل او امدح مقدر ، ورفعه خبر لمبتدا محذوف تقديره هو على نسق ما تقدم .

اللغة والمعنى : وراى هنا مصدره الرؤيا وسيأتي معناها ، والموتة المرة من الموت ، قال تعالى (ان هي الا موتتنا الأولى) والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ، ففرق بينهما بتاء التأنيث كالقربة والقربى ، وقال الراغب بالهاء ادراك المرئي بحاسة البصر ، ويطلق على ما يدرك بالتخيل نحو ارى ان زيدا سافر ، وعلى التفكر النظري (اني ارى ما لا ترون) ، وعلى الرأي وهو اعتقاد احد النقيضين من غلبة الظن ، وقال ابن الأثير الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في النوم من الأشياء ، لاكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ، ومنه قوله تعالى (اضغاث احلام) ، وتضم لامُ الحلْم وتسكن ، وفى الحديث (الرؤيا من الله ، والحلُم من الشيطان) ، راجع ارشاد الساري في باب التعبير ، وفي القلشاني عن المازري مانصه : والرؤيا اذا دلت على شيء ولم يقع ما دلت عليه اما لكونها من الشيطان او من حديث النفس او من غلط العابر في اصل العبرة الى غير ذلك من الضروب الكثيرة التي توجب عدم الثقة بدلالة المنام ، ثم قال وثمرة المنام الاخبار بالغيب ، انتهى . ورايت فى روح البيان عند قوله تعالى (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) بعد كلام ما نصه : قال الشيخ الأكمل في شرح المشارق المنام الحق هو الذي يريه الملك الموكل على الرؤيا ،

فان الله تعالى قد وكل بالرؤيا ملكاً يضرب من الحكمة والأمثال ، وقد اطلعه الله سبحانه على قصص ولد ءادم من اللوح المحفوظ فهو ينسخ منها ويضرب لكل قصة مثلا ، فاذا نام يمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون بشارة له او نذارة او معاتبة ليكونوا على بصيرة من امرهم كذا قيل انتهى . وراجع روح المعاني عن ذكر رؤيا سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، والمكاشفة الاطلاع على امر غيبي ، وفي الحكم العطائية تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب ، والمكاشفة نتيجة صفاء الروح ، فتنطبع فيها صورة عوالم وحقائق كما تنطبع في المرءاة الصقيلة ، ولا تعتبر الا اذا كانت مع مجاهدة واستقامة حـال ، وراجع مقدمة ابن خلدون داخل ترجمة علم التصوف ، وراجع شرح الشريشية عند قولها :

وفي الكشف ان كوشفت راجعه انه   لايضاح سر الكشف مبتسم الثغر

والرفعة العلو والشرف ، والمقدار القدر .

وحاصل معنى البيت ان الشيخ رضي الله عنه راى بعضهم نوماً انه مـات ثم اتى الى الشيخ فأخبره الشيخ برؤياه لكاشفـة ، وهـو عالي القـدر ، جليل الذكر .

ثـم قلت :

وفي التشوف قد ابدى فضائلـــه   عليه رحمـة ربـي صب مـــدرار

الاعـراب : الواو حرف عطف على ما تقدم فيما قبله ، وفي التشوف متعلق بأبدى ، وقد حرف تحقيق ، وابدى فعل ماض وفاعله ضمير يعود على صاحب التشوف ، وفضائله مفعول به ، والضمير البارز مضاف الى ما قبله يعود على الشيخ ، وعليه خبر مقدم ، ورحمة مبتدأ مؤخر وهو مضاف ، وربي مضاف اليه ما قبله ، والياء ياء المتكلم مضاف اليها ما قبلها ، وصب مدرار على حذف مضاف اي مدة صب مدرار فهو في الأصل مجرور بالاضافة ، ثم لما حذف المضاف قام مقامه فانتصب انتصابه ، ومدرار مضاف اليه ماقبله مجرور بالاضافة على حذف موصوف تقديره صب غيث مدرار .

اللغة والمعنى : التشوف اسم لكتاب الفه الشيخ الفقيه القاضي سيدي يوسف ابن الزيات في رجال التصوف ، وقد ذكر فيه من اهله رجالا ونساء مئتين تثنية وثمانية وسبعين بموحدة بانضمام ابي العباس السبتي ، وقد ترجم له العلامة احمد بابا السوداني في (نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج) ، وفي اختصاره (كفاية المحتاج) ، وابـدى اظهر ، وفضائله جمع فضيلة مـن الفضل والرحمة ، المراد بها لازم معناها من الانعام وتكثيرها بطلبها مادام الغيث ينزل مدرارا وهو لا ينقطع مادام هذا العالم قائماً ، والصب السكب ، والمدرار الكثير ، وحاصل المعنى ان صاحب التشوف اظهر فضائل الشيخ الامام انعم عليه المولى برحمته طول الدوام (200) .

قال في التشوف في ترجمته مانصه : ومنهم يوسف بن علي المبتلى ، تلميذ الشيخ ابي عصفور ، كان بحارة الجذمي قبلي حضرة مراكش وبها مات في شهر رجب عام ثلاثة وتسعين وخمسمئة ، ودفن خارج باب اغمات عند رابطة الغار ، واحتفل الناس لجنازته ، وكان كبير الشأن فاضلا ، زرته مرات ، ورزقني الله منه محبة ومودة ، وكان صابراً راضياً ، سقط بعض جسده في بعض الأوقات فصنع طعاماً كثيراً لِلفقراء شكراً لله تعالى على ذلك :

تعودت مسَّ الضر حتى الفتُـــــه	واسلمني طولُ البلاء الى الصبـــر
ووسع قلبي للأذى الانس بالأذى	وقد كنت احياناً يضيق به صدري

سمعت علي بن سحنون بن ميمون الهـِز َرْجي الشاهد يقول : حضرت غسل يوسف ، وكان الفقيه ابو علي بن صمغ يغسله ، فقال رايته الآن اونا اغسله وهو يبتسم ، وسمعت يوسف بن محمد الخزرجي يقول : صليت الجمعة بجامع القصر الجديد مع احمد بن عبد العزيز الخراز ، فلما سلم الامام اصاب احمد سنة فأفاق منها وقال : رايت يوسف قد مات ، فأسرع بنا الى داره بحارة الجذمى فأتينا اليه ودخلنا عليه ، فلما سلمنا عليه قال لأحمد ارايت في المنام كأني قد مت ؟ فقال له نعم ، فقال يوسف : بقي لي واشار بيده

200) هنا ينتهي هذا الهراء الذي اقذى به المؤلف العين وغم النفس ، ليبدأ هراء مع نوع آخر .

فعدَّ بأصابعه اربعين ، قال يوسف بن محمد : فلما كملت اربعون يوماً من ذلك اليوم مات يوسف رحمه الله (201) انتهى .

وقال الأديب المحقق سيدي أحمد بن خالد الناصري في (الاستقصا) مانصه : وفي سنة 593 ثلاث وتسعين وخمسمئة توفي الشيخ يوسف بن علي المبتلى المعدود في سبعة رجال من صلحاء مراكش ، كان رضي الله عنه كبير الشأن فاضلا صابرا راضياً فيما ابتلاه به من داء الجذام ، سقط بعض جسده ذات يوم فصنع طعاماً كثيراً للفقراء شكراً لله تعالى على ذلك ، وكان يسكن بحارة الجذمى العتيقة قبلي مراكش وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة وفن خارج باب اغمات عند رابطة الغاز ، واحتفل الناس لجنازته رضي الله عنه (202) انتهى .

والشيخ هو المقصود عند العلامة سيدي احمد بن عبد القادر لتاستاوتي فينظم رجال التشوف بابن علي ي قوله .

توسل بابراهيم وابن علي وعج ببحر من اسماعيل قد كان في زخر

ولم يزد في تعليقه على نقل بعض ما في التشوف شيئاً ، ورأيت للفقيه ابي بكر بن العربي بناني تقييداً في سبعة رجال ذكر فيه تراجمهم باختصار ، قال في اوله :

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الاسلام ، والكون من امة سيدنا محمد خير الأنام ، وألهمنا لمحبة الأولياء والصالحين ، واشهد ان لا الاه الا الله وحده

201) **التشوف** ص 308 ع 156

202) **الاستقصا** 2 : 211 طبع بالدار البيضاء

لا شريك له . وان سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وبارك عليه وعلى ءاله واصحابه الكرام .

وبعد فالغرض تقييد وفيات سبعة رجال نفعنا الله بهم ، وجعلنا من المحبين لهم في الدارين ، وذلك اني كنت متشوفاً الى وفاتهم مدة وانا اطلبها لنعلم المتأخر والمتقدم منهم ، الى ان يسّر الله علينا بالوقوف على ذلك ، فاقول اولهم : على ترتيب الزيارة الولي الصالح يوسف بن علي المبتلي ، تلميذ الشيخ ابي عصفور ، كان بحارة الجذمى قبلي حضرة مراكش ، ثم ذكر بقية ما تقدم عن التشوف باللفظ الا قوله بجنازته ، فجعل مكان اللام باء موحدة ، الى ان انشد البيتين المتقدمين فغير الأسلوب ، وقال ومن مناقبه رضي الله عنه ان الفقيه ابا علي بن صمغ لما كان يغسله بعد موته رءاه اذذاك يبتسم ، ومنها ايضاً ان الشيخ احمد بن عبد العزيز الخراز اصابتْه سنة بعد صلاة الجمعة ، فلما افاق منها قال لبعض اذهب بنا الى دار الشيخ سيدي يوسف بن علي المذكور بحارة الجذمى ، فاني رايته قد مات ، فأتيا اليه ودخلا عليه ، فلما سلما عليه قال لأحمد رايت في منامك اني قد مت ، فقال له نعم ، فقال له يوسف بقي لي واشار بيده يعد بأصابعه اربعين ، فلما كملت الأربعون يوماً من ذلك اليوم مات يوسف المذكور رضي الله عنه انتهى .

كـرر حديثهـم فـمـا احـــلاه والـــذه عندي ومـا اشـهـــاه

انتهى ما فى ترجمته من اظهار الكمال مع حذف ترجمة الشيخ يوسف التادلي لكونها تأتي فى محلها مع زيادة .

وما انشده في التشوف : تعودت مس الضر حتى الفته ، البيتين هما من ابيات لموسى الجون قالها في سجنه بحبس المنصور العباسي كما في (نظم الدرر) للتنسي :

اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا	تكرهت منه طال عتبي على الدهـــر
الى الله كل الأمر في الخلق كلهـــم	وليس الى المخلوق شيء من الأمر
تعودت مسّ الضر حتى الفتـــــه	واسلمني طول البلاء الى الصبـــــر

ووسع صدري للأذى الأنسُ بالأذى — وان كان احياناً يضيق به صــدري
وصيرني يأسي من الناس راجيــاً — لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

وقــال محمد بن عمران بن موسى المرزباني في ترجمته من معجـم الشعراء : وله وهو في حبس المنصور :

اذا انا لم اقبل من الدهــر كلَّ ما — تكرهتُ منه طال عبتي على الدهر

وهي ابيات تخلط بابيات لأبي العتاهية ، انتهى . ونص مافي ديوانه ص 119 الجزء الأول وقال في رفع الأمر اليه عز وجل من الطويل :

الى الله كل الأمر في الخلق كلـــه — وليس الى المخلوق شيء من الأمر
اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا — تكرهت منه طال عتبي على الدهــر
تعودت مسَّ الضــر حتى الفتـــه — واحوجني طـول العزاء الى الصبر
ووسع صدري بالأذى الأنسُ بالأذى — وقد كنت احياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيــاً — لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

ونقلها في السر الظاهر وفي العرف العاطر .... للقاضي عيـــاض في ترجمــة سعيد ابن الحداد المتوفى سنة 330 ثلاثين وثلاثمئة انه كتب الى حماس القاضي رحمه الله :

تعودت مس الضر حتى الفتـــــه — واسلمني مر الليالي الى الصبـــر
ووطــن قلبي للأذى الأنسُ بالأذى — وقد كنت احياناً يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيـا — لكثــرة صنع الله من حيث لا ادري

وقرأت في الأول من (طبقات الصوفية) للشيخ عبد الرؤوف المناوي المسماة بــ (الكواكب الدرية ، في تراجم السادة الصوفية) في حرف الهمزة في ترجمة ابراهيم ابن احمد الخواص احد مشايخ وقته واجل اصحاب التوكل من اقران الجنيد . . . . الى الصباح :

برح الخفاءُ وفي التلاقي راحـــــة — هــل يشتفي خــل بغيــر خليلـــه

وتأوه ، فقيل له ما هذا التأوه ؟ فقال كيف يعلم مَن يسره مايضره ؟ وانشد :

تعودت مس الضــر حتى الفتـــــه   واحوجني طــول البلاء الى الصبــر
وقطعت اطماعي عن الناس آيســـا   لعلمي بصنع الله من حيث لا ادري

وقرأت في كتاب (الأحكام النبوية ، في الصناعة الطبية) تأليف الامام العالم العامل ابي الحسن بن الشيخ الامام العالم مهذب الدين عبد الكريم بن طرخان المشتمل على عشرة ابواب في الباب الخامس : روي عــن الأصمعي قال اشتكى رجل من اهل البادية وطالت شكايته وكثرتْ اسقامه ، فقال كيف تجدك يافلان ؟ فأنشأ يقول :

تعودت مس الضــر حتى الفتـــــه   واحوجني طول البلاء الى الصبـــر
ووسع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى   وقد كنت احياناً يضيق به صدري

وقرأت في ترجمة ابي الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي من (ارشاد الأديب) ص 282 من الجزء الرابع ، وقال يعني ابا الأسود المذكور :

تعودت مس الضــر حتى الفتـــــه   واسلمني طول البلاء الى الصبـــر
ووسع صدري للأذى كثــرة الأذى   وكان قديماً قد يضيق به صــدري
اذا انا لم اقبل من الدهر كل مـــا   الاقيه منه طال عتبي على الـــدهر

وكتبتُ في مقدمة (اظهار الكمال) مقدمة تشتمل على فصلين ، الأول في ذكر قصائد تنوه بقدر الأولياء اوصافا وكرامات وتوسلات ، والثاني يشتمل على ذكر ترتيب زيارة سبعة رجال رضي الله عنهم ، وذكر قصائد في مدحهم ، وذكر سبعة رجال رجراجة ، وسبعة رجال المشار اليهم في (التشوف) وفي غيره رضي الله تعالى عنهم ، وما يتعلق بهم باختصار من ذكر وقت شهرتهم بهذه الزيارة على الكيفية الآتية واولية الأولياء ، والفرق بينهم وبين اولياء الأمم الماضية ، وتشييخ احد هاؤلاء الأولياء السبعة بعد موتهم .

الفصل الأول

ما احسن قول القائل المجيد ، عليه رحمة الله المجيد :

ومن العجائب أن تكــون كمـــا ارى   وتظــن نفسك فــايــزاً مقبـــولا
كيف السبيل الى نعيم اجـــــــل   في حــق مَن لم يستقـم في الأولـــى

وقـال :

وصفنا طريـق الصالحين وفعلهـم ... وما خصـَّنا الا التزيـنُ بالوصـف

منها قول القائل :

لا تستربْ في كرامات يخص بهـا ... من اتقى الله في سـر واعـلان
واصغ سمعاً لما يروي ائمتُنـا ... **عمن مضى** من اولى المقدار والشان
وامر مريـم يكفي المستدل بـه ... في شان محرابهـا في ءال عمـران
توتى الفواكه انواعـاً منوعـة ... بـلا محاولـة بغيـر ابـان
وفتية الكهف في ايقاظهـم عجـب ... بعد المئين كما تتلـو بسبحـان
وعرش بلقيس في ايصالـه عبـر ... ما بين سرعـة جني وانسـان
جاءت به قـدرة الرحمان في زمـن ... حتى استقرَّ بمرأى من سليمـان
علم الكتـاب واعمـال بموجبـه ... اعاد ءاصف ذا قـول وايقـان
كانت مسارعـة الجني سابقـة ... فأحرز السبقَ هذا العالم الثانـي
وكم دليل بأقـوال الرسول لنـا ... **فيها ، وكم حجة** فيها وبرهـان
ثم الكرامـات انـواع اذا نظـرت ... كالزهر في حسن انفاس والـوان
مشيٌ على الماء او في الجو قد نقلا ... وشبـع ذي سغب وري ظمئـان
وكـم اجيب ولي عند دعوتـه ... وكم اغيث ولي حين اذعـان
وفيهم مَن يجيبه الجمـاد ، ومـن ... يغيب عن درك اسماع واجفـان
ومنهم من يرى المختار من مـلـك ... ومن يجالسهم في حـال اخـوان
وكم لهـم من مقامـات مكرمـة ... هذا الذي قلتـه منهـا كعنـوان
صفوا فصوفوا ونالوا ضعف سعيهم ... والمرء يكسب احسانـاً باحسـان
في عيش ارواحهم ماتت نفوسُهـم ... وقد تموت نفـوس دون ابـدان
فافعل كفعلهـم تقـربْ كقربهـم ... فالفضلُ عمم في القاصي وفي الداني
وان عجزت عن الجد الذي لهـم ... فاصمتْ فليس مجد القوم كالواني

انشد هذه القصيدة الامام ابن الزيـات في (التشوف ، الى رجـال التصوف) وصاحب (الروض اليانع الفائح ، في مناقب سيدنا ومولانا محمد

المدعو بالصالح) ، ثمَّ هذا التأليف كما ذكر مؤلفه سيدي الحسن بن محمد ابن الهداجي المعداني في يوم الخميس ثامن من جمادى الأولى عام تسعة وسبعين ومئة والف ، وهذا خلاف ماوقع في (سلوة الأنفاس) من نسبة هذا التاليف للشيخ سيدي الحسن بن رحال المعداني ، واقتصر في (الاستقصا) على نسبته لأبي علي المعداني وسكت ، راجع صحيفة 54 من الجزء الرابع منه قبل ترجمة مولانا اسماعيل ، وقد ذكر مؤلف الروض المذكور نفسه فيه مكاتبة ابي علي المذكور لسيدي المعطي وطلبه منه ان يرسل له شيئاً من امر الدنيا ، وقد توفى ابو علي رحمه الله تعالى في ثالث رجب سنة 1140 اربعين ومئة والف قبل كمال التأليف المذكور الذي يروي فيه مؤلفه عن شيخه سيدي المعطي صاحب الذخيرة حفيد الشيخ ابي علي المذكور بنحو تسعة وثلاثين عاماً فاعلم ذلك ، والله الموفق .

ومنها قول ءاخر :

للأولياء مناقب مشهورة ... فاشهدْ بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد ... فاشددْ يديْك على الحسام الأقطع
خرق العوائد ممكن" لا سيما ... في حق اصحاب المكان الأرفع
قوم" فرائضهم ومندوباتهم ... منهم بمرأى لا يغيب ومسمع
قطعوا الظلام تأملا وتململا ... وعيونهم تجري بفيض الأدمع
وتسارعوا نحو الهدى ووراءهم ... مني ومنك كوادن لم تسرع
وردوا بحارَ مواهب مختومة ... عن غيرهم وحرمت ري المشرع
لوكنت مثلهم لنلت منالهم ... لاكن نزعت خلاف ذاك المنزع
اتقيس نفسك ياجبان بمقدم ... اتقيس نفسك عاصياً بالمطوع
ومن المحال مع التفاوت ان يرى ... ماضي الجنان مع الجبان بموضع
لا يشتهون وفى الفعال محطة ... سبقوك ايام البطالة فارجع
قسم يخص بها السريع الى التقى ... لوكنت من اصحابهم لم تمنع
ان لم تعاين في البطالة مفلحاً ... فاصدع بقلبك قبل اذنك فاسمع
يامن تمادى في البطالة ساعياً ... فارددْ حجاك مع الكرايم واسمع

انشدها صاحب الكتابين المذكورين مع تخالف بزيادة ونقص

تأخر الناس والأبدال قد سبقوا ... ليس الطليق كمن دارت به الحلق
والخلق في الخلق امثال سواسية ... ولا يميز الا الوصف والخلق
هل يستوي متأنٍ في بطالته ... وحازم نحو باب القرب منطلق
القوم اظمأهم خوف وأرقهم ... فانتج الأمن منهم ذالك الفرق
شدوا الحيازمَ واشتدوا الى علم ... تاهت عن السعي في ادراكه الفرق
هم العكوف بباب الله تكرمة ... في الله أن صمتوا بالله ان نطقوا
من كل اشعث ذي طمرين تحسبه ... سيفاً تعدى عليه غمده الخلق
وهل تشين بياض الصبح لبسته ... معاوز الليل وهو الأبيض اليقق
يقطع الليل تفكيراً وتذكرة ... والدمع مندفق والقلب محترق
فجسمه في بساط الأرض مرتهن ... وقلبه في بساط الغيب يخترق
ففي الهواجر احلى ورده ظمأ ... وفي الدياجير اهنا نومه ارق
سيماه دمع كسح الوبل تتبعه ... جوانح في رياض الشوق تصطفق
خرق العوائد منهم ليس تنكره ... وكيف ينكر نور الأنجم الأفق
يامن تشكك قيلا في كرامتهم ... حقق وصدق فان القوم قد صدقوا
العقل جوزها والشرع اثبتها ... وما يفكك الا الغي والخرق
قهقر فما لك فى ميدانهم اثر ... وان شككت فهذا اليوم والطلق
جدوا وقصرت عن ادراك جدهم ... والكيس والعجز شيء ليس يتفق

ومنها :

فحسبي ان ءاوي الى الواحد الفرد ... فان سواه لا يعيد ولا يبدي
هل الغاية القصوى سوى الله وحده ... وهل بعد نيل الحق نيل لذي قصده
يجل مقام القدس عن كل وارد ... وان كان كل الناس يطمع في الورد
فياراحلا في بغية الحق انه ... يناديك من قرب وانت على بعد
ومن سطع النور المبين امامه ... فما باله يبغيه بالنقص والوجد
اعندك اني لا ارى غير خالقي ... ولولا قصور الخلق بحتُ بما عندي

ومَن لم يكن للحق اهــلا اضـــره ... كاضرار عين الشمس بالأعين الرمد
فسبحان من يبدو الينا بذاتــــه ... فنذكره من غير رسم ولا حــــد
نراه عيانــاً بالقلـوب وانـــــه ... لأقرب من حبل الوريد الى العبـد
ويُسدي الينا انعماً فات حصرهـا ... ولاكن تجليه لنـا خير ما يُسـدي
تنزه مَن لا يدرك الفكـر نحـــوه ... وجلّ عن التكييف بالقرب والبعد
وما الـرب الا حاضر غير غائـب ... وان طاح ذو الالحاد في هوة الجحد
اذا ما تبدى نـــوره فى قلوبنـا ... محا كل ظـل للضلالـة ممتــد
فلـولاه كنـا نائمين بمهـمـــه ... من الشك في ليل من الجهل مسود
ارى العارفين السابقين الى الهدى ... قليلين في المعنى كثيرين في العـد
ونحن اناس طهـر الله سرنـــا ... ففي الحق ما نخفي وفى الله ما نبدي
فان كنت لاترضى سوى الحق مطلباً ... فيممْه من باب التجرد والزهــد
فما يستفاد الفـوز دون مشقـــة ... ولا تجتني الراحات الا من الكــد
خلوت بنفسي كي تتمّ سعادتـــي ... فأجني ثمار الفوز من منية الحمـد
وما انا وحدي حين اعرض عنكـــم ... ولاكن معي مَن ليس يتركني وحدي

انتهــى .

يامن يريـد منـازلَ الأبــــدال ... من غير قصـد منـه للأعمـــال
لا تطمعن فيها فلست من اهلهــا ... ان لم تزاحمْهم على الأحــوال
بيتُ الولاية قسمت اركانــــه ... سادتُنـا فيه مـن الأبــــدال
ما بين صمت واعتزال دائـــم ... والجوع والسهر النزيه العالـــي

وما احسن قول العلامة سيدي عبد الخالق بن محمد بن احمد العروسي في كتابه (المرقي ، في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي) :

عليك بهم ماعشت ان كنت طالبـا ... نجاة ففي مغناهم كنـز الذخائـر
بهم تنجلي الأحزان عند اشتدادهـا ... بهم يرتجى نيل المنا والمياســر
بهم تقبل الأفراح والضر قد شفـي ... بهم تذهب الأسواء من قلب ضامـر
بهم يحصل الأمان في الدهر للورى ... بهم ترتقي للفضل اولو البصائــر

بهم يستضي مَن كان قلبه مظلمـاً ... بهم يحسن حال الكئيب وقاصـــر
بهم تنزل الأمطار عند احتباسهـــا ... بهم يقطف من كل روض وزاهـــر
فـلا خير الا من رفيـع جنابهـــم ... ولا لـذة الا اكتساب المئاثـــر

وللولي الصالح سيدي الصالح الموضوع فى مناقبه (الروض اليانع الفـــائـــح) :

نحن في ذمـة الرجـال المـــلاح ... سادتي الصالحين اهل الفـــلاح
وجنتي تحت رجـل كـل تقـــي ... وتقيـات من ذوات الـوشـــاح
حاشى ان يسلمونـي من غيـر زاد ... او ارى في الورى بغير ســـلاح
في حماهـم جعلت نفسي ومـالــي ... بهـم عـذتُ من عتاق الرمـــاح
ولهم راحتي تمـدُ واحـظـــى ... ناعماً في المســاء او في الصبـــاح
واذا ما افتقرت لم الـف الفـــاً ... مثلهم في النـدى ونيل النجـــاح
ليس لي غيرهم وهبهم جفونـــي ... ليس لي عن جنابهم من بـــراح
وبهـم ارتقـي مراقـي المعالـــي ... وبهم اتقـي قـــراع الصفـــاح
وبهـم كـل مَن علي تـــعـــدى ... ينثني باسراً برشق الرمـــاح
وبهم يستـدرُ رزقـي وينمـــو ... اينما كنت في جميع النواحـــي
ما اعترتني الهمـوم الا اعترتنـي ... منهم غيـرة فيبـدو انشراحـــي
ابتغي الزهـد منهم وهو نهـــج ... لهم فى الحـرام او فى المبـــاح
واحتراســـي من النميمة والغيـــ ... ـبة والمين والخنـا والسفـــاح
كـل هـذا طلبتـه من موالـــي ... وهو هيْن على الوجوه الصبـــاح
ما انا غير عبدهـم ان رضونـــي ... وهم عدتـي وريش جنـاحـــي
وبهم تستريـح روحـي ومنهـــم ... ارتجي ان افـوز يومـاً بـــراح
يالـراح سألتها ان سـرت لـــي ... لسرى لي السلو عن كـل لاحـــي
يارجـالَ الالـه انتـم مجنـــي ... من زمـان يـروه قلبي كـــلاح
يارجال الاله شرقـاً وغـربـــاً ... قد سُجنت فبادروا بالســــراح
يرحـم الله مَن يـدارك عـــبــداً ... ثملاً من هـواه ليس بصاحـــي
حقه ان ينـوح ما دام حـيـــاً ... اذ مضى عمـره في غيـر نيـــاح

يارجـال الالـه عـار عليكـم ... أن تغير الخيول وسـط مـراحي
اسـأل الله ان يمـنّ علينـا ... برضاكـم ففيه كـل نـجـاح
اسـأل الله أن يواجـهَ فـتـح ... منكم خاطـري ففيـه صلاحـي
بالنبي المصطفى امـام البرايـا ... معدنِ الجود والوفـا والسمـاح
فعليه الصلاةُ مـا اخضـرّ روض ... وانثنى الغصنُ من هبوب الريـاح
وعليه السـلامُ ما انهـلّ وبْـل ... وبدا النور فاتحـاً في البطـاح
وتعطـر من شـذا الجـو ورد ... وتبسـم ثغـرُ كـل اقـاح
وشدا منشد وغنّى هـزار ... وعلا الجو طائـر بالجـنـاح

وله رضي الله تعالى عنه ونفعنا به ءامين :

ايامَن مات حـول البيت شوقـاً ... ويامَن ساح من فـرط الهيـام
ويأهلَ العراق واهـلَ نجـد ... وسكـان البقيع مـع المقـام
ويأهـل المغـازي يالبَـدر ... واهـل القدس شيـخ او غـلام
وأهـل الوقت ياذا الغـار يامَـن ... تفـرد للعبـادة والصيـام
وياقطب المعالـي ابـا عبيـد ... ونجل العـارف الأتقى الهمـام
اجيبوا دعـوةَ الداعي سريعـاً ... بحـق المصطفى بـدر التمـام
ومـدوا عبدكم مـدداً قـويـاً ... ورقـوا لـه اياجمعَ الـكـرام
لقد ضيّعت في العصيان عـمـري ... وما حـرمت من خـوف منـام
وقلبي لم يـزل قاس ونفسـي ... رمتني في بـحـار من ظـلام
وعـزت حيلتي لاكني اشكـو ... اليكـم مـا بـدا لـي مـن اوام
وارجو سادتي منكـم امـانـاً ... يؤمنني غـداً يـوم الـزحـام
ولـم لا ارتجي هـذا ؟ وانـتـم ... سقـاةُ الظامئين مـدى الـدوام

ورايت في ديوان الامام سيدي الحسن اليوسي من توسلاته هذه القصيدة العديمة النظير ، المشتملة على الدر المنظم الذي ليس فيه من نثير ، قال رضي الله عنه :

يـارعـاة الحمـى اغاثـةَ ملهـ ... ـوف تداعت عليه خيـلُ الأعادي

ان توانيتم يكنْ عرضةَ الفتـ ـك ورهنَ الاجلاء والافساد
ويكنْ غمةً لكل محب مرتعاً لشماتة الحساد
فانهضوا نهضةَ الكرام وصولوا صولة الذائدين يوم الطراد
وانصروا جاركم ولا تسلموه يالأهل الكفاية الأنجاد
يالأبطال درعة وسجلما سة والراكعين والسجاد
ورجال السودان والسوس والحو ز ومَن بمراكش من جواد
ورجال الجبال والغرب طرا وخصوصاً مَن فيه من أوتاد
مثل ادريس وابنه وابي يعـ ـزى وعبد السلام فى الزهاد
وتلمسان والثغور جميعاً وبلاد الأتراك والأكراد
ورجال الصحراء للزاب للقلـ ـعة مأوى الأفاضل الأمجاد
وحمى القيروان والشيخ فى مسـ ـراتة ذي الفتوح والامداد
ورجال مصر واعمال مصر ومن احتلَّ حول ذاك الوادي
ورجالَ الحجاز مأوى الفخار المحـ ـض والنور والبهاء البادي
وخصوصاً ائمة الدين فيه وخصوصاً صحب النبي الهادي
وخصوصاً محمدا خيرة الخلق ونور الهدى ونهج الرشاد
درة الكون والمشفع فى النا س ، وغوث العباد يوم المعاد
جاده وابلُ الصلاة مع التسـ ـليم مابكّر السجيم الغادي
واليمانين والشآمين والشر ق خصوصاً مَن كان فى بغداد
ومن احتلَّ فى اللكام ومَن كا ن بلبنان من فتى ذي فؤاد
وجميع الأقطاب والغوث والقو م جميعاً شموس ذاك النادي
وخصوصاً منهم اولي العزم اهل التأييد من كل صالح مستفاد
وخصوصاً نبينا أحمد المخـ ـتار قطب الاصدار والايراد
شملتهم من الاله صلاة وسلام يزكو مدى الآماد
ورجال البحار والجن والامـ ـلاك اهل الأنابة العباد
وذوات الخدور من صالحات وذوات الجبال والأوهاد
يالَغوثاه يالَغوثاه عاتت في الزوايا غواشمُ الآساد
يالَغوثاه يالَغوثاه ازرت بالمزايا مقاول الفساد

يالغوثاه يالغوثاه خاضت / في الركايا الحمير وهي صواد

يالغوثاه يالغوثاه جاشت / بالبلايا جموع اهل العناد

شتت الله شملهم عن قريب / انه سامع نداء المنادي

قصم الله ظهر كل فخور / فاجر دأبه ابتغاء الفساد

قطع الله من سبيل ذوي النسـ / ـبة كل مقدمي الأهواد

وحمى الله كل بيضة قفر / من اكف الجساس والصياد

ورعى الله كل اهل مقام / وحمى من تجاسر العناد

واذل المديد ذا البغي رغماً / واجل المريد ذا الأو ر ا د

رب انت المولى اليك التجاء الـ / ـخلق طراً وانت رب العباد

لك امر الورى وانت المنير الـ / ـكون والمستبد بالايجاد

انت قيومه وديانه قد / ماً تعاليت فيه عن انداد

لم تزل قاهراً فعولا لما شئـ / ـت علياً عن رحمة الأضداد

انت حامي الحمى وانت المرجّى / والمنادى لكل خطب يعاد

ياحبيب القلوب انت ملاذي / يارفيع النفوس انت عمادي

انت حصني وانت كنزي وذخري / انت سؤلي وبغيتي ومرادي

انت ركني اذا تعزز بالشعـ / ـب نسيب ، وانت وفري وزادي

انت سيفي وانت جندي اذا ما / جار اهل السيوف والأنجاد

انت انسي وانت منية نفسي / دون كل المنى وانت استنادي

ياطبيب القلوب داو فؤادي / واسه ما شفيت اهل الوداد

انت حسبي وحجتي وظهيري / ونصيري من كل جان وعاد

اعد قلبي على هواه فيمسي / خاسئاً واقفاً سبيل السداد

واعف عن نسله واشياخه طـ / ـراً وءابائه مع الأجداد

واقم وجهه لدين قويم / واحله في مراكز الافراد

واحبه ما حبوت مصفى واورد / سره خير منهل الوراد

واسمه بروض صدق وتقوى / مخصب خير مشتهى الرواد

ياقديم الاحسان يامن له الفضـ / ـل وياحسب كل ما مرتاد

يامن اختص صفوة من عبيد / بمزايا الاحسان والاصعاد

ووقاهـم من الرزايـا ورقـــا هم الى القدس عن ذوي الاخـــلاد
رقنا ياكريـم جـوداً وفـضـــلا وقنـا مرتمـى ذوي الابـعــــاد
واعف بالفضل منك عن عبد سـوء مـا جنـى وهـــو فايـت العـداد
وتعرف في كـل حـــال اليـنـــا ما بقينـا بسابغـات الأيـــــادي
بنعيـم لا عتب فيـــه علينـــا وصـلاح القلـوب والأجـســـاد
ونجـاة من كل خـزي وبـلـــوى وصفـاء من جملـة الأنـكـــاد
واكفنا شـر كل طـارق ســـوء يبتغينا وكـل جيش مـنــــاد
وحسودا يسعى بنا وصديقـــا ينئني فبكـون شـر مـعـــادي
واكفنا شـر كـل طعن وطـاعـــو ن وجـوع يبلي وجـوه البـــلاد
مع مَن ينتمي الينـا واهـل الـــ ـــود طـراً والأهـل والأوتـــاد
وعلى المصطفى الرسول صـــلاة وسلام يفـوح مسكـاً وجـــادى
وعلى ءالـه واصحابـه الأبـــــ ـــرار والتابعين اهـل الرشــــاد

وله ايضا يدعو على بعض الظلمة المردة في اواخر الثمانين بعد الألف ، وقد اهلكهم الله تعالى :

صلاة وتسليم على صفوة الـورى واصحابه والآل اهـــل السوابـق
صلاة بها نرجو الرغائبَ والمنـى وننجو بها من معضلات المضايـق
اليك التجأنا يااله َ الخـلائـــق واياك ندعو للدواهـي الطـــوارق
واياك نرجو ان تُعزَّ جنابَنـــا اذا رام اذلالاً لنا كلُّ مـــــارق
وتلبسنا ثوباً من البر صافيـــاً وتنجينـا من مرديـــات الموابـق
وتسبل صوناً دائماً ووقـايـــة علينـــا اذا ما رامنـــا كلُّ مازق
فيارب ياذا الفضل والطول دائمـاً وياراحماً يرجـا لكشف المضايق
ويامَن له الاحسان قدماً ، وحلمـه لكل مسيء شاملٌ غير ضايـــق
تفضلْ علينا باستقامة حـالنـــا لدين ودنيـا والزمان الموافـــق
وامن وايمـان ويُمـن وختمـــة بحسنى ورضـــوان مـن الله وادق
ويارب ياذا البطش ياقاهراً لمـــن تضعضع عنا والعدو المراهـــق
ويامن اباد الماردين وكلَّ مَـــن تألب بغياً من صـدور الفيـالـق

وياحي ياقيوم يامَن بكفه ... نواصي البغاة الماحلين المسابق

قِنا شرَّ مَن يسعى بنا ويسومنا ... هوانا ويبغينا حلولَ البوائق

وعجل على مَن كادنا وتمكنت ... مخالبُه منا باحدى الصواعق

بداهية تجتاحه وتبيده ... وتجعله ذكرى لكل منافق

بجاه اسمك الأعلا واوصافك العُلا ... وعزتك العظمى ومهدي الخلائق

وبالكتب والآيات والكلم التي ... يغيض لها فيضُ البحار الغوادق

وما قد دعا داع به فأجبتَه ... سريعاً من اسم شامخ القدر فائق

وبالمصطفى المختار احمد خير مَن ... اصار نهاراً داجيات الغواسق

وكل رسول او نبي ومألك ... وكل ولي فى البرية صادق

وبالخلفاء الأكرمين ذوي العلا ... وبالسابقين الأولين الأوافق

وبالأمهات الطاهرات ومَن حوى الـ ... ـعباءُ من الشم الكرام الخلائق

وسائر صحب المصطفى ومَن اقتفى ... سبيلَهم من كل اهل السوابق

وبالغوث والأقطاب طراً ومَن له ... التصرف من امر من الله سابق

فبالله قوموا مسرعين واعجلوا ... اغاثةَ ملهوف بالود راهق

بتفريج هم واستعادة نعمة ... واحلال ويل بالمشانىء حائق

فيارب عاجله بتثليل عرشه ... سريعاً وتجليل له بالخيافق

فيارب صبح سربَه بصوارم ... مهندة تفري ونبل رواشق

ويارب خذه اخذة غضبية ... بمسخ وهلك من عذابك ماحق

ويارب دمره ومَن كان مثله ... متى كان يوماً فى العصور اللواحق

وعجل شفاء المومنين بدائه ... وسرهم بحزنه المتلاحق

وصل وسلمْ ما تعالى ترنمٌ ... لسائق ركب نحو طيبة شائق

على المصطفى المختار من ءال هاشم ... كرام المساعي والفروع البواسق

وعترته طراً واصحابه العلا ... شموس الهدى المستعليات المشارق

صلاةً وتسليماً ننال بذكرها ... شفاعة مخلوق ورضوان خالق

وقال ايضا رحمه الله :

يارب يارحمان يامَن لا طلب ... الا اليه ، وعنده يُرجا الأرب

يامَن له الجودُ العميم وفضلُه ... قاض بتفريج الشدائد والكرب

يامن له الحلم الذى قــد نالــه العاصي ولم يختصه بمن اقترب
فرجْ جميع كروبنا وتولّنا بحماية من كل سوء يرتقب
يامن لباهر عزه وجلاله خضعت قلوبُ العارفين من الرهب
يامَن للائح حسنه وجماله تاهوا بشوق فى القلوب قد التهب
بلغ لحضرتك العلية مَن اتى يرجوك من اهل السلوك بما طلب
وافتح عليه بما فتحتَ على الأولى خصصتَهم بالقرب منك بلا نصب
وامنحه فى الذكر الحضور واوله كشف الستور وحله حسنَ الأدب
وارحم جماعتنا واصلحْ شأننا واغفرْ بفضلك للحضور وللغيب
واحفظْ علينا ديننا وتوفنا فيمن توفيه على ازكى القرب
واكفف اذى المؤذين ياربَّ العلا عنا وعن احبابنا ومَن انتسب
واجبرْ بفضلك كسر كل مجاور واقل عثار المومنين من العطب
انا توسلنا اليك بجاه مَن سادَ البرية عجمها بعد العرب
صلى عليه اللهُ ما برقٌ خفا وعلى صحابته الكرام ذوي النسب
وبكل مختار لديك وءاية تُتلا ووصفٍ من جلالك قد وجب
والآلِ والأصحاب اعلام الهدى والفائزين بكل خير مجتلب
وبكل صديق وكل مخصص بالفوز منك وكل عبد منتخب
يارب بالمختار احمد كنْ لنا فى هذه الدنيا ويوم المنقلب
وامدنا ابداً بدين قيم ومعارف وعوارف لا تستلب
ودوام عافية ورزق طيب رغد بلا هم عليه ولا تعب
وصلاح نسل واجتناب مئاثم وسعادة فى كل امر يكتسب
واختمْ لنا بالخير واجمعْ شملنا فى جنة الفردوس فى اعلا الرتب
وعلى النبي وءاله وصحابِه والتابعين ومَن له منهم سبب
ازكى الصلاة مع السلام عبيره متأرجٌ ما لاح نجمٌ او غرب

ولنختم هذا الفصل بقصائد لي في هذا المعنى .

فمنها ما قلتُه في الشيخ الامام ابراهيم ابن الحاج البلفيقي المتوفى سنة 610 عشر وستمئة المعرف بـه في (نيل الابتهاج) واختصاره (كفاية المحتاج) وغيرهما :

ياقاصدين زيارة الأعلام | فلتغنموا زور الخِضَمِّ الطامي
الفخم ابراهيم مَن هو كامل | في العلم والزهد العظيم السامي
خدن التقى ، رب النهى ، علم الهدى | حب القلوب ، طبيبها الضرغام
رب الكرامات الفخيمات العلا | ظهرت لدى مغناه للأقوام
جلت ابا اسحاق منك مواهب | فاسمحْ بفضل منك للمستام
ان البنان مددتُها لك ارتجي | منك الجوائز مجزل الاكرام
ورضي الاله على ضريحك هاطل | ما نال مدَّاح" جدى الانعام

ومنها ما قلته في الامام احمد ابن العريف المتوفى سنة 536 ست وثلاثين وخمسمئة المعرف به في النيل والكفاية وغيرها :

ابا العباس قدرك قد تعالى | ونورك في البرية قد تلالا
تناهيتَ اكتساباً للمعالي | واهل الفضل فقتَهم كمالا
واهل الخير قد حمدوا انحياشاً | اليك وكنت بينهم هلالا
وصلت ابنَ العريف الى مقام | به حازت مئاثركم جلالا
وقاتلك البغيض جبتْ يداه | اليه بسقيه سماً وبالا
ومن قبل استجيب لكم دعاء | بترويع لمن نال اعتقالا
ابا العباس زرتكم التماساً | لفضلكم فأوف لنا النوالا

ومنها ما قلته في الغوث الأكبر سيدي ابي عمرو المتوفى سنة 974 اربع وسبعين بموحدة وتسعمئة بمثناة ، المعرف به في الدوحة وفي الممتع والزروالي والحلفاوي وفي نشر المثاني :

اني وحقكم اليكم اجنح | وعبيدكم عن بابكم لا يبرح
يأيها المولى الذي انعامُه | عمَّ الورى منه العطايا تطفح
قطب العناية والولاية والتقى | غوث الورى منه الرغائبُ تنجح
منك استقى الكُمال وافر حظهم | فاذا نظرت الى مريدك يفلح

منكم ابا عمرو تنال مواهب" وبكم نزيل" ان توسل يربح
فبشيخك الفلاح والنجل الذي هو كامل وبه المغالق تفتح
منوا علي بنظرة احظى بها وبعطفة منها الصحيفة ترجح

ومنها ما قلته في رئيس الزهاد والورعين ، سيدي حمزة بن علي بن عبد الله مَن نحن في جواره المتوفى اواخر الخمسين من القرن العاشر المعرف به في الدوحة :

يا ربنا انت الغفور عني ازل كل الشرور
فبحق حمزة ذي التقى قد فاق في الزهد البدور
في غاية الورع ارتقى وتسنَّم الفضلَ الكبير
ليس الركونُ لغيركم من دابه طولَ الدهور
قد كان دراراً لدى وقت العشي وفي البكور
فتولني بحياطة وعناية تولي الحُبور
بحلا الفضائل حلني واسق الحشا خيرَ الخمور
وانلْ صلاتك كلها خيرَ الورى القرم الشكور
ذاك النبيْ المجتبَى الطاهر النسل الطهور
سلمْ عليه وءاله ما دام في الجنات حور
وانلْ عبيدك سؤله يامَن غدا نعم النصير

ومما قلته في الولي الكامل ، سيدي علي بن أبي القاسم دفين قصر الحجر بجوار جامع الكتبيين المتوفَّى في اول العشرة الخامسة من القرن العاشر ، المعرف به في الدوحة والممتع ، وذكره من اصحاب سيدي عبد العزيز التباع والولية العارفة السيدة زهراء بنت ولي الله تعالى سيدي عبد الله الكوش المذكورة في الصفوة المتوفاة بعد العشرين والألف دفينة حومة الكتبيين ، وفي السلطان الزاهد سيدي يوسف بن تاشفين المتوفَّى سنة 500 عن مئة سنة بالافراد المذكور في وفيات الاعيان ، والقرطاس ، وغيرهما ، وفي الولي الكامل ذي الخصوصية العظمى ، الشيخ سيدي مبارك بن تعلوت المراكشي

الطراز دفين حومة الكتبيين ، صجيع شيخه سيدي ناصر اليحياوي في القبر المتوفـَّى في حدود الأربعين بعد الألف المعرف به في ءاخر الممتع وفي الصفوة ، وفي ظاهر الصلاح سيدي ميمون الصحراوي من اهل القرن السادس رضي الله تعالى عنهم وامدنا بمدادهم :

هذا مقامُ ولي الله ذي الرتب — هذا الذي قصده يُنجي من العطب
معلم الجن ءالافاً مؤلفة — ومثله فقدوا في العجم والعرب
والليل قطعه بسجدة عظمت — قد كان ذا دابَه في سالف الحقب
يكنى ابا سجدة من اجله علما — على انافة قدر بالصفاء حُبي
مقام قطب العلى الجبلي ادركه — في قولة نُقلت فاسمعْ بلا عجب
حذاءَه ربةُ العرفان زهراءُ مَن — جلتْ مناقبُها منيلة الطلب
كالأورع الزاهد السلطان يوسف مَن — عزت مفاخره علية الرتب
باني مدينتنا مجاهد الكفرهْ — وكالولي امام الجلة النجب
مَن كان منواله مسبحاً معه — ان حاك في ذكره مستعمل الأدب
مبارك عظمتْ احواله خرقت — مثل الولي العظيم فارج الكرب
ميمون الظاهر الصلاح ، ربِّ بهم — اعتقْ عبيدك من همٍّ ومن نصَب
وامنحْه رضوانك الأعلا الكبير معَ — عفو وعافية تُنجي من الوصب
بجاه اعلا الورى قدراً ومنزلة — محمد قد جعلت افصح العرب
ثم الصلاة مع التسليم يتبعُها — على جلالته لدى مدى الحقب
كذا على الآل والأصحاب قاطبة — ما جدَّ مجتهدٌ الجَّ في الطلب

واعلم ان الدعاءَ في الشعر من خاصيته الاستجابة ، راجع اوائلَ رحلة الامام العياشي .

قال مؤلفه ، وعلى ذكر السيدة زهراء حدثني مَن وقع له ما يذكر معها رضي الله تعالى عنها انه لما كان النساء مجتمعات في موسمها الذي يصنعه في زاويتها بحومة الكتبيين ، ولصـًبا الحاكي اذذاك اراد ان ينظر الى النسوة المذكورة ولم يجد سبيلا الى ذلك الا بأن التحف لحفة النساء ودخل للزاوية المذكورة ، فلما دخل عمي وصار لا يرى شيئاً ، فرجع ناكصاً

على عقبيه في الحال ، وتاب من ذلك ، ورجع اليه بصره ، واعتقد كمالها .
وقد كان من سكان الحومة المذكورة ، وهو يناهز الستين الآن عفا الله تعالى
عنا وعنه ، وذكر في باب الاخلاص من الاحياء مانصه : وقيل كان رجل يخرج
في زي النساء ، ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم ،
فاتفق ان حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء ، فسرقت درة فصاحوا ان
أغلقوا الباب حتى نفتش ، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة
الى الرجل والى امرأة معه ، فدعا الله تعالى بالاخلاص ، وقال ان نجوت من
هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا
ان اطلقوا الحرة ، فقد وجدت الدرة ، انتهى .

الفصل الثاني في ترتيب زيارة سبعة رجال ووقت شهرتهم بذلك واولية الأولياء والفرق بينهم وبين اولياء الأمم الماضية ، وتشييخ أحد هؤلاء الأولياء السبعة بعد موتهم ، وذكر قصائد في مدحهم وذكر سبعة رجال رجراجة ، وسبعة رجال المشار اليهم في التشوف وفي غيره .

أعلم ان الامام المحدث العلامة سيدي الصغير اليفرني المراكشي
ذكر في كتابه (درر الحجال ، في سبعة رجال) سبب ذلك ، ووقت شهرته ،
قال رحمه الله تعالى مانصه :

اشارة لها شارة ، ونكتة فيها بشارة ، قال مؤلفه الفقير الى ربه :
لاحتْ لي هنا نكتة لطيفة ، وهاانا اجلوها لكم على منصتها ، ولكن اجعلوا
لها من انصافكم وافر حصتها ، وهي ان الناسَ انما اصطلحوا على جعل سيدي
يوسف اولَ الرجال السبعة ، لأنه كما سمعت يمني من اهل اليمن ، وهم
الذين ابتكروا نصرة الاسلام ، واول مَن تلقى راية الدين باليمين ومنهم
الأنصار ، وفيهم قال مولانا سبحانه (والذين تبوأوا الدار والايمان) ، وقال
صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (الايمان يمان ، والحكمة يمانية) فكأن
الواضع الأول استشعر هذا المعنى ، فناسب ان يبدأ به الزيارة ، لأنه من
قوم كان ابتداء ظهور هذا الدين على يديهم ، وايضاً فقد قال علماء الطريقة
رضي الله عنهم : الطرق الموصلة الى الله كثيرة ، ولكن اقربَها الطريقة

اليمنية ، فانها مبنية على الفناء في الله ، والبكرية مبنية على الصدق والتقوى والاتصال الفعلي ، والوفائية مبنية على الفناء في مراد الله حتى يكون المراد عين ما اراد ، والجزولية مبنية على الفناء في مراد الله حتى يكون المراد عين ما اراد ، والجزولية مبنية على الأخذ بكل ما يقرب الى الله وتعلق الروح بمشاهدة الجلال والجمال ، والزروقية مبنية على التحري واتباع السنة والاعراض عن الخلق والرضى عن الله والرجوع اليه ، والشاذلية مبنية على اسقاط التدبير والاختيار مع الله والتبري من الدعاوي والحظوظ واللحوظ ، قال الشيخ زروق والطريقة اليمنية هي الطريقة الشاذلية ، وذكر سيدي احمد بن عقبة الحضرمي عن بعض العارفات انها كانت تقول العجم بنوا مذاهبهم على التجريد ، فلا يصلون الى الله الا في ءاخر زمان ، والمغاربة بنوه على الاستهلاك فلا يتنعمون في هذه الدار ابدا أو فلا يتنعمون بالحق الا من حيث الاستهلاك فيه ، واهل اليمن بنوا على رؤية الحق فيه ، فأول قوم هم يتنعمون ، قال سيدي زروق وقد يوخذ ما ذكرته من الأحاديث : نصرت بالصبا ، واهلكت عاد بالدبور ، والايمان يمان ، والحكمة يمانية ، اني اجد نفس الرحمان من ناحية اليمن ، اي تنفس الرحمة ، فنفس الله عن نبيه بالانصار بنصرهم واظهارهم دينه ، فان قلت هذه الحكمة تنقض عليك بأبي الفضل عياض فانه يحصبي والسهيلي خثعمي وابي العباس السبتي أنصاري خزرجي ، وكلهم من اهل اليمن ، قلت هذا تعليل بعد الوقوع والنزول ، وتقرر في علم الميزان انه لا يشترط اطراده ولا انعكاسه ، على انهم وان تساووا في اليمنية لعلهم قدموه لشفوفه عليهم بتحقيق الفناء في الله فيه كما يأتي.

انتهى من خطه طيب الله تعالى ثراه ، ونقلته برمته لعزة هذا الكتاب .

ونص ماذكره في نسب سيدي يوسف بن علي هو قوله : اما نسبه رضي الله عنه فهو صنهاجي بكسر الصاد المهملة ، نسبة لصنهاجة وهي قبيلة من قبائل المغرب ، واصلها من عرب اليمن من حمير على ما قاله جماعة من علماء النسب ، واقتصر عليه الامام ابن خلكان ، وكذلك اقتصر عليه صاحب القاموس ، ويقال انه رضي الله عنه من ذرية الأقمر بن الأزهر الحميري

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا رايته في بعض التقاييد ، ولم اجد في تراجم الصحابة ذكراً للأقمر المذكور بعد مراجعة الاستيعاب والاصابة والله اعلم ، انتهى .

ثم ذكر رضي الله عنه ان سبب تخصيص سبعة رجال بالزيارة وقعة جبل الحديد المذكورة في حدود الخمسين والألف ، وذكر ابيات الامام سيدي الحسن اليوسي العينية في ترتيب زيارتهم والتبرك بهم ، فشاع امرهم في الناس ، ولم يكن ذلك في زمن الأشراف السعديين ولا قبلهم ، ثم قال : ولم يزل امرُ الرجال السبعة في ظهور الى أن قدم مراكش الشيخ الامام ، علم الاعلام ، سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله في راس المئة حين هجره سلطان المغرب واخرجه من بلاده بقصد سكنى مراكش ، فكان شديدَ الاعتناء بزيارة الرجال السبعة ، كثير التحضيض عليها ، فزادهم ذلك اشتهاراً واقبالا الى الآن .

تنبيهان : الأول جرى في كلامنا ذكر الرجال السبعة الرجراجيين ، وللناس في صحبتهم كلام ، فذكر التلمساني في حاشية الشفا والأفندى في شرح الشفا انهم لقوا النبي صلى الله عليه وسلم وكلموه بلغة البربر ، فأجابهم عليه السلام بلغتهم ، وكذلك رايت ذكرهم في شرح الرسالة ليوسف الرجراجي ، قال في حديث غريب : ان سبعة رجال من اهل المغرب الأقصا ، وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجعوا الى المغرب ، وذكر بعضهم ان وسيم الرجراجي صاحب جبل الحديد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل منه الكتاب الى اهل المغرب يدعوهم الى الاسلام ، فجمع وسيم المصامدة على ذلك الكتاب في موضع شاكر ، وكان سبب اجتماعهم فيه الى هلم ، انتهى . ونصر هذا شيخ مشايخ شيوخنا سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، وصحح انهم صحابة ، وله تقييد في ذلك موجود بأيدي الناس ، والذي اخذناه عن اشياخنا الفاسيين انه لا صحبة لهم ، وان ما يذكر في ذلك لا اصل له ، وقد كان السلطانُ مولانا اسماعيل رحمه الله اراد ان يبني عليهم بناءً حافلا ، وارسل لعلماء فاس يسألهم عن صحبتهم ، ويقول ان ثبت عندكم

صحبتهم فأعلمونا بذلك نبالغْ في تعظيمهم بتشييد البناء وغيره ، فأجاب شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي وغيره بأنه لاصحبة لهم وانه لم يدخل احد من الصحابة للمغرب ، فترك السلطان ما كان عازماً عليه من ذلك ، هكذا كان يحدثنا شيخنا الفقيه الحافظ المحدث علي بن احمد الحريشي حين يجري ذكرهم في قراءة الشفا ، ورايت في كتاب معالم الايمان في ذكر صلحاء القيروان انه لم يدفن من الصحابة بالمغرب الا ابو زمعة البلوي ، دفن بافريقية والله اعلم ، انتهى .

وفي هاؤلاء السادات قال القائل :

زيارة اهل الله من اعظم الذخـــــر ... وكنز الفلاح في القيامة والحشـــــر

وقوم بأقصا الغرب سبع اجلـــــة ... لهم رتب عليا على اهل ذا القطـــر

بصحبة خير الخلق خصوا وقدموا ... بمغربنا طراً على كل ذي قــــــدر

فذاك ابن شماس ونجله صـــالـــح ... بوسمين عبد الله ادناس ذو البـــر

بوخابية عيسى ويعلى بن واطـــل ... سعيد بن بيقى في الملا طيب الذكر

بهم فخرت رجراجة ، وهم الألـــى ... اتوا مصطفى الرحمان في صحبه الغر

فــرد ســلام الله باللغــة الــتــــي ... بها سلموا والسرُّ منه لهم يسري

تأدبْ بتقديم الصحابــة واغتنــمْ ... زيارتَهم تحظى بمأدبــة الأجـــــر

واهــدي صــلاةً للحبيب محمـــــد ... تلاها سلامٌ عرفه طيبُ النشـــــر

وذكر الشريف المحقق في السلوة نصَّ كلام الشريف التلمساني في حاشية الشفا ، ونبه على اختصار الشهاب له في فصل فصاحته صلى الله عليه وسلم ، وكلام الذهب الابريز فيهم ، وبعض كلام سيدي محمد بن سعيد المرغيثي ، وبعض كلام سيدي الكبير بن عبد الكريم الشاوي المراكشي المعروف بابن حريرة فيهم ، فراجعْ ذلك في الجزء الثالث منها ، وراجع موضع شاكر المتقدم الذكر في محاضرات اليوسي ، قال فيها ما مضمنه : انه كان منزعجاً عن الوطن بمراكش في اعوام التسعين ، يعني بعد الألف ، ذكره في صحيفة 48 منها ذكرناه لما تقدم عن سيدي الصغير اليفرني رحمهما الله تعالى .

وقال العلامة اليفرني في الكتاب المذكور بعد ذكر كلام سيدنا الخضر في اولية الأولياء في هذه الأمة الآتي في غير هذا المحل ان شاء الله تعالى مانصه : فان قيل هذا الفصل الذي بدات به يقتضي ان الأولياء انما كانوا على وجه الأرض بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وان السبب في وجودهم فيها وكونهم عنيها انقطاع النبوءة ، مع أن الأولياء لم تخلُ الأرض منهم في كل زمان وفي كل امة كجريج الراهب واصحاب الغار وغيرهم مما هو في الصحيح ، فالجواب عن ذلك من وجهين ، احدهما ان اولياء هذه الأمة ليسوا كأولياء الآمم الماضية ، لأن اولياء هذه الأمة اعطوا ماكان للأنبياء عليهم السلام من حفظ البلاد بهم ، ونزول المطر بدعائهم ، واغاثتهم للخلق ظاهراً او باطنا ، يرشد له الحديث ، وهو قوله عليه السلام : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ، فان المراد بالعلماء فيه علماء الباطن المبلغون عن الله مع الخشية والانابة ، وهذا المعنى لم يكن لأولياء الأمم الماضية ، وانما كان لأولياء هذه الأمة بعد وفاة نبيها عليه السلام ، ويشهد له ما اخرجه الحكيم الترمذي عن ابي الدرداء رضي الله عنه ان الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما انقطعت النبوءة ابدل الله مكانَهم قوماً من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ، لكن بحسن الخلق والنية وصدق الورع وسلامة القلوب للمسلمين والنصح لله في ابتغاء مرضاته بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة ، فهم خلفاء الأنبياء ، ثم اصطفاهم الله لنفسه واستخلصهم لعلمه ، يدفع الله بهم المكاره عن الأرض والبلايا عن الناس ، وبهم يرزقون ويمطرون ، قال الحكيم : فهاؤلاء امان هذه الأمة ، فاذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا ، وذلك قوله تعالى : ولولا دفاع الله الناس الآية ، فتأمل قوله كانوا أوتاد الأرض تجده يشير لما ذكرنا .

الثـاني : ان الذي حدث في هـذه الأمـة بعد وفـاة نبيها عليـه السلام وجود جماعة منها قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام ، ولعل اولياءَ مَن مضى لم يبلغوا هذه المنزلة ولا بلغت قلوبهم ان تكون على قلب صفوة الله من انبيائه ، وهذا كله انما حصل لأولياء هذه الأمة بسبب عناية الله بنبيها عليه السلام وشرف حظوته لديـه .

فبشرى لنا نلنا الفخار بكوننـــا / من أمته نزهو على الناس في العرض
لنا شـرف يـوم القيامـة بـاذخ / واعزز به اذذاك من شرف محض
هنالك نأتي بالحجـول وغـــرة / ولا احد للخلد من قبلنا يمضـــي

وهاذان الجوابان ظهرا لي ، ولم اقف على كلام في ذلك لغيري ، فأنفقت من كيسي ، فان كان صواباً فمن الله ، وان كان خطأ فمن نفسي ، انتهى .

ومن الكتاب المذكور مانصه : الفصل التاسع عشر ، هل يجوز ان يشيخ احد من الأولياء الأموات او لا يجوز ذلك ، اعلم ان بعض الناس قد تجتمع همته على بعض السادات السبعة ، ويتوجه بكليته اليه ، ويتخذه شيخاً بحيث لا يأخذ عن احد من الأحياء ولا الأموات غيره ، فينكر عليه الناس ذلك ، ويقع السؤال عنه ، والجواب انه لا بأس بذلك ، والأولياء احياء في قبورهم يتصرفون فيها كما كانوا يتصرفون في حياتهم ، فما المانع مع هذا ان تقع منهم تربية المريدين ؟ وقد ذكر الشعراني في الأخلاق والعهود ان سيدي ابراهيم المتبولي كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويرجع اليه في احواله كلها ، ويقول ليس لي شيخ الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا كان هذا فيه عليه السلام فالأولياء على قدمه ، ومن المقرر في طريق القوم انه يجوز الأخذ عن روحانية الأنبياء والأولياء ، وهي طريقة معروفة عند القوم ، وتسمى بالطريقة الأويسية ، لأن اويس القرني رضي الله عنه أخذ عن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثير من الأولياء تربـوا بروحانيته الزكيـة المقدسة ، انتهى . ثم بيض لتمام هذا الفصل رحمه الله والفصل الذي قبله فيه الكلام على انتفاع الحي بالميت ، واطال فيه النفس ، ثم قال فتحصل من هذا كله ان الحي يتنفع من الميت ، وان الصالحين يتصرفون في قبورهم كما كانوا في الحياة وازيد ، انتهى .

وقد تكلم على مسألة تشييخ الأموات الحافظ أبو العباس في شرح الشريشية عند قولها :

ومن لم يكن الا الوجود اقامه	واظهره منشور ألوية النصر
فأقبل ارباب الارادة نحوه	بصدق يخلي الهشّ في جلد الصخر

ونصه في ءاخر شرحهما : **فائدة** : كثيراً مايقع في هذه الأعصار تشييخ الأموات والاستناد اليهم ، راجع تمامه .

وهذه القصيدة العينية الموعود بذكرها من الطويل :

بمراكش لاحت نجوم طوالع	جبال رواس بل سيوف قواطع
فمنهم ابو يعقوب ذو الغار يوسف	اليه تشير بالأكف الأصابع
ونجل ابي عمران عياض الذي	الى علمه في الكون تُصغي المسامع
وبحر ابي العباس ليس يخوضه	سواه كريم لا يزال يمانع
ونجل سليمان الجزولي فضلُه	شهير ومَن يدعو اليه يسارع
وتبّاعُهم بحرُ الكرامة والهدى	وسيدنا الغزواني نوره ساطع
ابا القاسم السهيلي داباً اضفْ لهم	امام التقى والعلم بحره واسع
فزرهم على الترتيب في كل حاجة	يُسهّلُها المولى وعنك يدافع
فيا اهلَ حزب الله قوموا بسرعة	وجدوا بسيركم فاني ضارع
فعار عليكم ان يضام عبيدكم	وقد مدّ بينكم يداً والأصابع
فنجمكم نجمُ السلامة والهدى	وفضلُكم بين البرية شائع

وللفقيه العلامة سيدي محمد الدقاق الدغمي في ترتيب زيارتهم :

توسلْ الى الرحمان بالسبعة الألي	تسامي علاهم وانفشي في البرية
وزرهم على الترتيب ياطالب النجا	وسلهم فهم والله خير وسيلة
فاولهم بيت القصيدة يوسف	سليل علي شيخ اهل الطريقة
وثنّ بتاج العارفين عياضهم	منور هذا الدين بحر الحقيقة
ومَن قد ازاح الجهلَ عنا شفاؤه	فكان شفاء للقلوب المريضة
وسر قاصداً من عنده تحظ بالمنا	ضريح ابي العباس صافي السريرة
وذلك بالسبتيّ يُدعا ومَن نزل	حماه يفز بنيل اي غنيمة

ومن بعد لاتنس الجزولي نسبـــة   امام التقى والعلم حامي الشريعـة
وتلميذه التبـاع زره ولا تخـــف   اذا سرت للغزواني شوم القطيعة
وناد اذا زرت السهيلي تضرعـــا   ايارب عمرْ من تقـاك عقيدتـــي
وصل وسلم دائمـاً متواليـــــاً   على أحمد المختار بحر الحقيقـــة
وءالـه والأزواج طـراً وصحبـــه   ومَن يتبع المولى بأحسن سيـرة

وما احسن قول القائل من البسيط :

استغفرُ اللهَ ربي غافـر الزلـــل   مستوهباً من رضاه غايةَ الأمـــل
مستشفعاً بالذي تشكو الوحوشُ له   ان نابها نائبٌ من دهرها الخبـل
محمد خير مَن نرجـو شفاعتَـــه   في موقف الحشر يوم الهول والوهل
وءاله البر والأصحاب اجمعهـــم   المهتدين المقيمي أشرف الملـــل
بالسادة السبعة الأبرار مَن عرفوا   باليُمن بين الورى في سالف الدول
ذو الغار يوسف كهف المستجير به   من هول نائبة أو طـارق جلـــل
واليحصبي الذي أهدى الشفاء لنا   ارجو الشفاءَ لما بالقلب من علـل
مفصلا في الفصول وهي فاصلـــة   بين العقائد من قصد ومن ميـــل
بالعالم العـارف السبتي مبتهـــل   اليك ربي ، فكنْ لي انت خيرَ ولي
بهم وبابن سليمان الذي شهـدتْ   بفضله علمـاءُ السهل والجبـــل
نور الدلائل يكفي المستدل بـــه   على مكانته في العلم والعـمـــل
بالكيمياء العظيم القـدر منصبـــه   امام كل عظيـم الشـأن مبتهـــل
غيث المريد اذا ما عز مشربُـــه   بسره الفيض يروى كلُّ ذي غلل
بالساطع النور عبد الله فاشددْ بـه   ان كنت لم تـدر ما مقداره فَسَل
تنبيك عن سره الميمون ما جمعت   بيضُ الصحائف من أحواله الأول
وبالسهيليِّ مَن جلَّت مناقبـــه   كأنها الشمس حلت اول الحمـل
بجاههم اسأل الرضوانَ يشملنـــي   ممن تعالى عن الأعراض والعلـــل
بالمصطفى وبهـم وكل مؤتمـــن   لله محتسب في الله محـتـمـــل
يارب هيءْ لنا من امرنـا رشـــداً   وامكرْ بمَن رامنا بالمكر والغيـل
وانصر على الكافر الباغي ائمتَنـا   واقطعْ بعدلك منه موثقَ الحيـل

وقال آخرُ من الطويل :

اليك ابا يعقوب رفع شكيتي ... ايوسفُ اني في حماكم بنالي

دخلت حمالكم فانهضوا لحميتي ... فيالَرجال الله هذا سؤالي

الا فاقبلوا عبداً طريحاً ببابكم ... فضيفُ الكرام لا يضام بحال

بغوث الورى الفياض نامل رحمةً ... بحبر الهدى عياض يدنو وصالي

ابا الفضل ان للجوار فضيلة ... وجارُ الكرام رام خيرَ خصال

بحق الشفا فامننْ عليَّ بعطفة ... ننال بها رضي ومرقى المعالي

ببحر الندى الزخار نرجو عنايةً ... اغثْني اباالعباس خير الموالي

اغاثةَ ملهوف مديد حماية ... مهيض الجناح ياكثير نوال

فأنتم ملاذ الخائفين اذا انطووا ... اليكم ، فجودوا لي بفكِّ عقال

أبحرَ التقى السلسال عذب الموارد ... سليل سليمان وبدر ليالي

اليك شكوتُ ضعفَ حالي وحيلتي ... وامر عدو راشق بنبال

حسود عنيد كاشح متمرد ... مريد فاسد ماكر لا يبالي

اليك الاهي قد رفعت شؤونه ... فلم تستند له لعم وخال

بمصباحها الوهاج تكفي مؤونة ... بسيدنا التباع سيف صقال

عليك بمن يروم قهري وذلتي ... عليك بهمَّاز عضود وقال

واسند امري للذي لا يضيعه ... فحسبي من امري شديد المحال

ومنشي العباد ءاخذ بزمامهم ... فما بطشه الشديد فعل محال

بملجأ اهل الضيم ازكى العناصر ... نزيل قصور الحصن اعلا الجبال

فحطني من الأسواء رب وزجني ... لحزب ذوي الصفاء وانف خبالي

ببابك لم ابرحْ لدفع مضرتي ... بجاهك لاتهملْ سماعَ مقالي

بليث الشرى حصن الورى المتفضل ... ابي القاسم المفضال فحل الرجال

احرزَ البلاد ضقتُ ذرعاً بحالتي ... حوادث جلت ما لهنَّ ومالي

فيالَرجال الله قوموا بنصرتي ... لعبد ينادي ضاق عني فحالي

فجاهُهم ربي اليك وسيلتي ... ففرجْ همومي كي انالَ منالي

وخذ بيدي ربي اليك وحفني ... بستر منك ياذا الجلال

وهبْ لي ثباتاً في الحياة وبعدها ... بختم بحسنى ياجميل الخلال

وسلمْ من الآفات ربي سفينتي
لنبلغ ساحلَ النجاة بمالي

حنانيك فانشلني من الزيغ وارحمني
من الضيم يا حنان نشل سجال

فاني عبيد ضارع" متذلل"
وجئتُ ذنوباً لا تُعَدُّ لتال

اسأت وقد عفوت فضلا ومنة
فتممْ لنا عفواً بخير مئال

ونفسْ كروبَ المسلمين وضيقَهم
لك الفضلُ والاحسانُ يا متعالي

وارخصْ لهم سعراً وامنْ لهم قرى
واتممْ لهم سراً باصلاح بال

وظل البلاد صنْه من كل طارق
ومن كل طار لا تنله بحال

هنالك يهنا العيش يرمي ظلاله
ونرفل في أثواب خير حلال

بجاه رسول الله خير وسيلة
وسر الوجود في العصور الخوالي

عليه صلاة الله ما لاذ خائف
بئاله والأصحاب اهل الكمال

وقال ءاخر من البسيط :

عز الفتى ذله في باب مولاه
ويسره فقره لمن تولاه

ومن سعادته العظمى تضرعُه
لمَن تصوب على الأكوان رحماه

وفي التوسل بالأخيار وصلته
لكل خير من الرحمان يغشاه

فليس للعبد غير جاه سيده
وليس يرجي لكشف الضر الا هو

فاحطط رحالك في أبوابه لهجاً
مستشفعاً بالألي فازوا بقرباه

وناد يا لَلرجال المستغاث بهم
في كل هول من الأهوال تكفاه

في كل عصر وقطر شأنهم عجب
فكم حديث رأيناه رويناه

مَن نال عطفتهم نال الاجابة ان
نادى المهيمن بالاسعاف لباه

كم نفحة لهم في الكون سارية
مَن ادركتْه من الأقوام بشراه

وكم مواهب تستغري القلوب فمَن
الفت محلَّى بحس الظن تغشاه

فقف بحيهمُ ، واهتف بحبهمُ
والكل فاقصد فموتاه كأحياه

والسر في الصدق ، ان الصادقين لهم
من التوجه اصفاه واوفاه

يا جيرةَ الحي من ارجاء مراكش
ومَن لهم من حميد السعي عقباه

نزلت حيكم مستصرخاً بكم
ولائذاً لجناب عزَّ مغناه

فكيف ابقَى حليفَ الوجد مكتئباً
حاشى لمجدكم المعروف حاشاه

أم هل يجوزُ على جار لكم زمن
وقد سما لكم المقدارُ والجاه

أم هل يخيب امرؤٌ حطَّ الرحالَ بكم ... والضرُّ نحو حمى الأجواد ألجــــاه

فأين سبعتُكم كالزهر مشرقـــــة ... في الكون بالسر والأنوار تغشـــاه

يايوسف بـــن علي انت فاتحـــــة ... للسر عجلْ بغوث قــد عهدنـــاه

اين ابن موسى عياض فخر مغربنا ... ومَن له الفضل اولاه واخـــــراه

واين اين أبو العباس مَن ظهــرت ... انواره وسرتْ في الناس حسنـــاه

اين الجزولي قطب السر مَن فُتحت ... به الحصونُ وحاز الخير مثـــواه

واين عبد العزيز المرتقي شرفـــاً ... حامي الزمان ومولي الفضل مـولاه

وهل فتى مثل عبد الله ان نكـــرت ... في الدفع والنفع ما اهدته يمنـــاه

وما السهيلي الاَّ نجمُ قد ختمـت ... به المقاماتُ لما عــزَّ مرقــــاه

يالَرجال بكم نادى الغريبُ فهــل ... من ذي حفاظ اذا ما قال غــوثــاه

حوطوا جواركم واحمــوا ذماركـــم ... وبلغوا جــاركم ما قــد تمنَّــــاه

فانتمُ املُ الراجي ومــأمنـــــه ... وانتمُ ملجــأُ العــاني ومنجـــاه

بجــاه أحمد خير الخلق اجمعهـــم ... عودوا بعطف فأنتم بابُ رحمـــاه

يا رب صلِّ وسلمْ دائمــاً ابـــداً ... عليه ما افحمَ الأفهــامَ معنـــاه

والآل والصحب والأتباع اجمعهـم ... مانـــال راج فاهــل الله ســـــرَّاه

وللفقيه الأجل سيدي محمد بن احمد بناني المراكشي داراً الفاسي الأصل النفزي نجاراً من الطويل :

بمراكش الغــراء لاحتْ كـــواكـــب ... بهم يحتمِي المكروب في كل شـــدة

فأولهم ابــو المحاسن يوســـــف ... وثانيهم عيــاضُ يشفي مضرتـــي

وثالث السبتي وهو ابــن جعفـــر ... فلا زال يخلف الهدايــا بكــثـــرة

ورابعُهم نجل سليمان جارنـــــا ... ومَن به للورى دلائــل خــيـــــرة

وخامس التباع عبد العــزيــز مَــن ... يلذْ بحمى التباع يظفرْ بمنحـــة

وسادس الغزواني نــوره ساطـــع ... فلا زال يجبر الكسيرَ بلحظـــة

وسابعُهم وهو السهيلي مَن غـدا ... اماماً لمَن اراد تسهيل حــاجـــة

فزرهم على الترتيب في كل مقصـد ... تنلْ ما تشا عزماً وتحظ بنصــرة

فهم مرهم يبري لمن لاذ واحتمــى ... بهم واناخ الرحلَ من كل علـــة

وقلْ بلسانٍ خاشع متضرع — وقلب حضور ثم تخليص نية
سألتك خالقي بهم ونبينا — بأسمائك الحسنى تعجلْ اوبتي

وقال ءاخر من الطويل :

عليكم السلام والسلام — عليكم حياكم السلام
يارحمة الرحمان ذي الجلال — على البدور السبعة الرجال
بجاه يوسف العلي العلوي — المذهب الأحزان والداء الدوي
واسأل الله بجاه مَن سما — بالعلم والدين الى افق السما
قاضي القضاة سيدي عياض — قِنا من الآفات والأمراض

وقال ءاخر من الرجز :

وجاه سيدي ابي العباس — نقّ قلوبنا من الأدناس
بسيدي محمد الجزولي — المكثر الثنا على الرسول
وسيدي عبد العزيز التابع — اشرحْ صدورنا بعلم نافع
وبالشريف سيدي الغزواني — أعلِ مقاميَّ وعظم شأني
وسيدي امامنا السهيلي — من زهرة الدارين عظم نيلي
بجاههم نرجوك يامَن يُرتجا — للدفع والنفع وخوف ورجا
واسأل الله بهم ان يجمعا — شملي مع الاخوان والأهل معا
وقرة العينين في البنينا — والمال والأهل ومَن يلينا
عوذاً بهم بعد العطا من السلب — وخيبة الرجا وسوء المنقلب
وان يصلي على محمد — وءاله على مرور الأبد
ما سجعتْ في أيكها الأطيار — وهمعتْ بوبلها الأمطار

وللفقيه العلامة القاضي سيدي محمد بن العربي الحاجي من مخلع البسيط :

احللت ما ادهم من اموري — بساحة الجلة البدور
قضاة حاج ليوث لاج — غيوث راج بلا فتور

فالعود بالأمن والأماني | لضيفهم محقب البدور
كيوسف الندب من علي | والده الصابر الشكور
ومزدهي غربنا عياض | مَن قد شفى غلة الصدور
وجاره الخزرجي احمد | مجري الجدى جريةَ البحور
وزين جمع الهدى الجزولي | الأورع الطيب النشور
وفرعه التابع المعلى | عبد العزيز المتم نوري
ومَن به الفجر قد توانى | واصبح الفجر للقصور
وكالسهيلي من تسني | به المعالي بلا قصور
الى هداة سواهم من | تغيض من عدهم حبوري
فاذكرهم تغفر الخطايا | ويثبت القلب عن حبوري
واسأل بعزم لدفع أ ز م | سؤال كسير الحشا صبور
يهدي سلاماً شذاهُ زا ر | بعنبر الشحر والزهور
ياسادتي شفّني اصطباري | على شمات العدا الشغور
وطال شكوي وظلم جاري | ذل مجير الحمى الغيور
فأنصفوني من الأعادي | وعاجلوا الكلَّ بالدمور
وازمعوا السير في معافي | الى معادي وحيث دوري
حتى اهنا مديد باع | بالعلم والأهل والدثور
وفسحة العلم في اتباع | خير الورى احمد الطهور
تندى عليه مع الأهالي | صلاة ربي مدى الدهور

وللامام سيدي الحسن اليوسي في التوسل بصلحاء مراكش وغيرهم رضي الله عنهم :

يامن لهم قدم العناية في الورى | ولهم يدُ الاصدار والايراد
ولهم بشأن الخلق كل تصرف | ولهم بأمري خبرة ومرادي
اني نزيل حماكم متوسلا | بالعروة الوثقى وخير عمادي
وبحزبه السباق حين دعاهم | لنجادة وتجرد الأغماد
وبصاحب الغار الذي بازائه | قبر ابن بناء واهل وداد

وبجاه عياض وحق ضجيعه ... عبد الكريم وروضة الأسياد
وبصالحي باب الدباغ وسرهم ... ومَن اختفى من حول ذاك الوادي
وحمى ابي العباس غوثاً مانعاً ... وسميه الجباب في الأوتاد
وبحرمة القطب الجزولي الذي ... بدلائل الخيرات ذو الاسناد
وبصاحب الأنوار والملأ الذي ... والى ابا عمروٍ من الأفراد
وبحق والده الأمين وجاره ... ساقي الغمام اذ استغاث الصادي
وبفيضة التباع والقوم الألى ... اسقي بكاس الله صرف ودادي
وبأحمد بابن العريف عرفته ... ومقبل الكف الشريف البادي
وعلي الصدفي ومَن بجواره ... في ذلك المغنى من الأفراد
وبحق سلطان الملا الغزواني في ... شرف القصور ومنعة الأطواد
وبمن ثوى بابَ الرواح بسجدة ... وبطبٌّ ميمون ورفع وسادي
وبما حوى قبرُ السهيلي من العلا ... وبحق دائرة مع الأعداد
وبكل ذي جاه بمراكش غدا ... وبحكم نوبته عزيز نفاد
وبكل مذكور ومَن أغفلتُه ... وبكل مقبور وذي الالحاد
فلتنهضوا ياسادتي لقضاء ما ... قد رمتُه بسهولة الاسعاد
واستكملوا المقصود واستوفوا المنى ... بحماية الجاه العزيز النادي
وصلاة رب العرش ثم سلامه ... للمصطفى نعم الرسول الهادي
والآل والأصحاب اعلام الهدى ... والتابعين لهم سبيل رشاد

ثم اعلم أن صاحب كتاب (التشوف) ذكر في صدر كتابه في حكاية الرؤيا ما نصه : ولقد حدثنيَ محمد بن محمد بن القاسم قال سمعت ابا يزيد الرفا وكان رجلا خيراً يقول : رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم عند أحد ابواب مراكش ، فقلت يارسولَ الله أفي هذا البلد أحد من الأولياء ؟ فقال سبعة ، فقلت يارسول الله مَن هم ؟ فقال لي هؤلاء ، فاذا سبعة رجال خرجوا من الباب ماعرفت منهم الا أحمد بن محمد الغساني ، انتهى .

وبقرب ضريح أبي العباس السبتي مزارة بها قبور سبعة مصطفة بعضُها الى جنب بعض ، وبعضُهم يقول انهم اخوة ولدوا من بطن واحد في

مرة واحدة وجعلوا في طست ورفعوا الى أمير الوقت نظير ما يزعمه بعضهم في بني العشرة بسلا حرفاً حرفاً ، وقد ذكر ابن عرفة قضيتَهم ولا اصل لها ، واهل مراكش يقولون ان هذه القبور السبعة قبور سبعة رجال ، وبحومة الموقف مزارة اخرى كذلك يقال لها قبور سبعة رجال ، وبكركوسة (تاكركوست) من بلاد وزكيته على نحو يوم من مراكش مزارة ثالثة على الوجه المذكور ، والله اعلم بأصل ذلك .

ثم اعلم ان سبعة رجال له اطلاقان ، الأول العموم في أولياء البلدة المراكشية كلهم من اطلاق البعض وارادة الكل ، والثاني في خصوص السبعة المتقدم ذكرهم ، وذكر العلامة الأمين في (المجد الطارف والتالد ، على اسئلة الناصري سيدي احمد بن خالد) و (تحبير التحرير ، على أسئلة الحبر النحرير) انه لم يقفْ على وقت تسميتهم بذلك ، ثم ذكر انه يكون في صدر القرن العاشر بعد موت الغزواني ، لأنه ءاخرهم موتاً ، والواقع انه تأخر عن ذلك الى وقت وقعة الحديد كما تقدم عن العلامة اليفرني المراكشي ، والعذر للعلامة الأمين انه لم يقف عليه ، ثم ذكر في سبب ترتيب زيارتهم على الكيفية المتقدمة ان ضريح سيدي يوسف جاء قبلي مراكش ، فأشبه الركن اليماني في كونه قبلي البيت لأنه ناظر الى جهة الشرق ، وبه يبدأ الطائف ، والانسان الكامل أفضل عند الله من الكعبة ، فوقعت به البداية في الزيارة ، ثم الى مَن يليه في الأضرحة من غير تنكيس الى الامام السهيلي لا في الفضل والأزمنة ، الوجه الثاني في سبب الترتيب المذكور ان الناس يزورون مقبرة باب أغمات وقربها ضريح سيدي يوسف الذي بناه بعضُ ملوك السعديين ، وفي صفحتي باب قبته اللتين من الرخام :

انا القبة التي أنافت بحسنهـــا	والقت طراز الفخر زهواً على الغرب
وما تذكر القبــاب عندي اننـــي	كشمس الضحى وهي حوالي كالشهب

فيزورونه ، ثم بعد الدخول لباب أغمات يرجعون على اليمين لزيارة مقـام ابن البناء بالبرج الركني ، ومقام الأشراف العلويين ، وفي داخل القبة قبر العلامة مفتي مراكش مولاي عبد الواحد العلوي ، ويليه قبر امير المومنين

مولانا سليمان ، ثم امير المومنين سيدي محمد ، ويليه قبر مولانا علي الشريف قدس الله أرواحهم ، وهو رابع القبور المصطفة ، وهو من أهل القرن العاشر ، واليه ينسب المقام ، ثم زر مقامَ القاضي عياض ، ثم بعده اخرج من باب ايلان لزيارة مقبرة مراكش القديمة بباب الدباغ ، ففيها من الصالحين ما لا يحصى ، وذكر منهم في التشوف كثيراً ، ومنهم الولي الكبير سيدي ابراهيم السفاج الذي صلت عليه بالناس روحُه بعد خروجها من جسده ثم رجعت اليه ، وهذا من باب خرق العادة لأولياء الله تعالى ، ثم ارجع لباب الخميس المعروف بباب فاس ، لأنه منه اليها يتوجه ، وقبالته قبَّة يقال انها للامام الصالح مؤلف (التشوف) ، وفيها دفن العلامةُ سيدي محمد الفران ، وتضاف الآن للبربوشي رجل كان مجذوباً أدرك أيـام مولانا عبد الرحمان دفن بها ، وهناك مقبـرة يستفتح لها الزوار في غربيها مقام الولي الكامل سيدي احمد الزاوية ، فان زرتهم فادخل من باب الخميس قاصداً زيارة القطب السبتي وسيدي غانم ، فقد ذكره اي سيدي غانماً رضي الله عنه العالم الزاهد المشارك في الفنون الشريف سيدي الجيلالي بن المختار السباعي في قصيدته التي مدح بهـا السبتي يقول في اثنائها : عودتَـني حسن الجوار بغانم ، البيت .

وحول قبر ابي العباس قبران مكتنفان به احدهما قبر الامام الحفيد ابن رشد ، والثاني قبر الامام القصار كما في ابتهاج القلوب ، وقيل ان قبر القصار بباب الجنائز في مسجد ابي العباس ، وما زال مسنماً ظاهراً ، فاذا زرتهم خرجتَ من باب تاغزوت ، فزر مقام ولي الله تعالى ابي العباس الجباب من الأكابر ، وكان السبتي يزوره حال حياته ، واسمه احمد بن عبد الرحمان الصنهاجي من بلاد أزمور ، مات سنة ثنتين وتسعين وخمسمئة ، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم كيف يخيط ، فكان يخيط كذلك بالأجرة ، ثم زر القطب الجزولي ، وعند حائط قبته من جهة راسه قبة صغيرة ملاصقة له فيها قبر الامام ابراهيم اليقوري ، وفيها ضريحان متلاصقان ، احدهما لأمير المومنين هشام بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، والآخر ضريح اخيه مولانا الحسين قدس الله تعالى ارواحهما ، ماتا بالطاعون سنة ست أو سبع عشرة ومئتين والف ، ويقّورة بباء اول الحروف مفتوحـة وقاف مشددة وراء مهملة بلـد

بالأندلس ، ثم زرْ مقام الغوث الأكبر ، سيدي ابي عمرو . ثم مقام الزاهد الأورع سيدي حمزة بن علي بن عبد الله ، ومقامه اليوم صار محلا للزمنى والمرضى لا يكاد يخلو منهم خصوصا النساء ، ثم يليه القطبُ الرباني ، سيدي عبد العزيز التباع ، ثم يليه مقام الامام السمرقندي ، وعند رأسه رخامة فيها نقش : بسم الله الرحمان الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، بناء هذا الزاوية المباركة المرسومة بهذا التاريخ للعبد الفقير الى الله الراجي عفوه وغفرانه المتوكل عليه في سره وعلانيته ونجواه ، المنزل له الناشيء عبيده عمر السمرقندي ، لطف الله به وأدخله جنته ، لا بٌ غيره ، ولا معبود سواه ، ولا رءوف حاشاه وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليماً ، وكتب ذلك سنة ست وسبعين وسبعمئة ، غفر الله لكاتبه وقارئه ولمن دعا له بالتوبة والغفران انتهى ، ثم يليه مقام العارف ابن العريف ، وفي سنة ست وثمانين ومئتين والف جدد مقامه عبد الله بن ابيه الحيحي وصرف عليه مالا له بال ، وبعده بسنة مات القائد المذكور ودفن خلفه ، وبجنب ابن العريف ابو العباس العطار الزاهد ، كان ينسخ الكتب ولا يأكل الا من عمل يده ، وله مراجعات مع اليوسي ، اخذ علم الباطن عن سيدي محمد بن عبد الله الأندلسي المدفون في جنان ابن شقرة ، وعن أحمد بن ابراهيم التملي امام جامع الكتبيين ، وهو عن الخضر عليه السلام يقظة ، وتوفي الامام العطار سنة خمس ومئة والف ، ويليه في الزيارة سيدي عبد الله بن ياسين اخو سيدي عبد الخالق ، تنزل لضريحه بدرجات ، ويبعد كل البعد ما شاع بين اهل مراكش ان مسجد المواسين كان حارة لليهود ، فكيف يكون مسجد هذا الفقيه ومقامه مجاوراً لليهود ، فقد كان في القرن السادس ، وله جاه وعلم وصلاح ، ذكره في (التشوف) في ترجمة شيخه ابي محمد بن محمد الجزولي ، ومن عجيب كراماته ان سنة سبعين ومئتين والف اشترى يهودي جملا واتى به للشهود ، فانسلّ الجمل هارباً ودخل مقامه وبرك فيه وابى أن يقوم ، فأنهي الخبرُ لأمير المومنين مولانا عبد الرحمان قدس الله تعالى روحه ، فخلصه من اليهودي برد بيعه ورجع للمسلم ، ثم يليه في الزيارة رباط مولاي التهامي الوزاني ، ثم يليه عن يسارك مقام محب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ومادحه بالأزجال المشهورة السيد الحاج احمد بن علال ، ويعمل له الموسم في اول كل ليلة من رجب ، وينشدون ازجاله ، ثم يليه القطب الأكبر ، مولانا عبد الله الغزواني ، ثم يليه مقام الأشراف المشيشيين : مولاي ابراهيم وولده مولاي مسعود وولده مولاي علي بن مسعود ، ثم يليه رجال الكتبيين : السيدة زهراء الكوش ، وسيدي علي بلقاسم ، والملك الزاهد سيدي يوسف بن تاشفين ، ويليه سيدي ميمون الصحراوي ، وهو تلميذ المولى الصالح سيدي عبد الخالق ، كان سيدي ميمون يقصد لمسّ الجن ، وكانت تخدمه ، ومما يدلك على أن سيدي ميمون من اهل الصلاح والطب الروحاني نفعنا الله به ما ذكره اليوسي في القصيدة المتقدمة : وبطب ميمون ورفع وساد ، ثم يليه الامام السهيلي الخثعمي ، فاذا زرته فقد حصلت زيارة سبعة رجال خصوصاً وعموماً على حسب الامكان ، والا فأولياء مراكش لا حصرَ لهم ، فقد قالوا ان مراكش تربة الولي ، والوجه الثالث من وجوه الترتيب انك اذا قدمت الامام القاضي عياض ثم سيدي يوسف بن علي ثم سيدي ابا العباس أو عكست بأن خالفت الترتيب المعلوم بأي وجه كان فذاك تعب عظيم ورجوع القهقرى وتعذيب النفس بما هو مستغنى عنه ، والخير في اتباع السلف ، ويد الله مع الجماعة ، واجماعُ المسلمين هنا على هذا الترتيب بلغ حد التواتر ، وعوكس هذا الترتيب في قراءة الشفا باذن السلطان قدس الله سره عام 1293 في وقت حبس المطر ، فلم ينجع ذلك ، ثم اذن بقراءته على الترتيب المعلوم ، ففي اليوم الثاني نزل المطر فلم يبق مقال لقائل بعد هذا ، والامام الصدفي المذكور في دالية الامام اليوسي المذكور فيها سبعة رجال عموماً وخصوصاً المتقدمة هو المدفون بالمقبرة التي في عرصة العمري على يمين الخارج من سيدي عبد العزيز ، وقد اندثرت هذه المقبرة الآن ، واما سبب تسمية سبعة رجال بهذا الاسم فهو والله اعلم تخصيصهُم بهذه الزيارة التي خصوا بها دون غيرهم عند الخاص والعام بهذا الترتيب الذي لم يعهد في غيرهم لكونهم كانوا كالأطواد والأركان في البلد واحداً بعد وواحد من زيارة هذا يليه هذا بلا قهقرى ولا رجوع ، كأنهم في شوط واحد ، وايضاً فان زيارتهم بالترتيب المعهود يندرج فيها غالب صلحاء مراكش كما ذكرناه قبل هذا ،

وق ذكره الامام اليوسي في قصيدته الدالية ولله دره ، فان ابياته اللامية خص بها السبعة المعلومة ، وقصيدته الدالية عمم بها مشاهير رجال البلد والمزارات الشهيرة ، فصار الغرباء وعامة الناس لا يعرفون ولا يسمعون الا سبعة رجال ، والغير انما هو تبع لهم ، واما اهل العلم والبصائر فيزورون مَن في مراكش على تلك الكيفية لا على غيرها ، ولا يكون التخصيص بسبعة رجال سبباً في تفضيلهم على غيرهم ، فالتفضيل بين الأولياء منهيٌ عنه الا بخبر الشارع وائمة الهدى ، ولوكان الفضل بشهرة الصيت لخصَّ به ابو الفضل عياض الذي هو اولهم موتاً سنة اربع واربعين وخمسمئة ، ويليه في العلم السهيلي المتوفى سنة ثلاث وثمانين وخمسمئة ، ويليه في الوفاة صاحبُ الغار سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، ويليه ابو العباس سنة واحد وستمئة ، ويليه الجزولي سنة سبعين وثمانمئة ، ويليه تلميذه التبــاع سنة اربــع عشرة وتسعمئة ، ويليه تلميذه الغزواني سنة خمس وثلاثين وتسعمئة ، واما أول الأولياء المشاهير موتاً في هذا البلد فهو الامام ابن العريف والامام ابن برجان المشهور بأبي الرجال برحبة الزرع ، كل منهما توفيَ سنة ست وثلاثين وخمسمئة ، والله تعالى اعلم .

خاتمة : وفي رسالة السلطان مولانا سليمان التي ذكر فيها حال متفقرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة وبيَّن فيها بعضَ ءاداب زيارة الأولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك مما لا يخفى على مَن عاين امرهم في ذلك ، وشرح بعضَ الفصول من هذه الرسالة مما اغلظ فيه السلطان ، وتكلم على تراجم سبعة رجال العلامة سيدي المكي بن مريدة السرغيني مانصه : **تنبيه** : من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة (سبعة رجال) هل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عيهم الى أن قال فعلينا أن نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذ سبعةَ رجال ءالهة ليلا يؤولَ الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسر الخ ، وصدق رحمه الله ، والذي ينبغي ان يسلك في حق أولياء الله رضي الله عنهم ان كل من ثبتت خصوصيته وجب تعظيمه ظاهراً وباطناً ، واستحق أن يتبرك به ويدعا عند ضريحه على سبيل

الاستشفاع به الى الله تعالى ، لأن أضرحة الأولياء مظنة لاستجابة الدعاء ، لأنها محل نزول النفحات الرحمانية ، أفاض الله علينا من بركاتهم ونفعنا بهم ءامين .

ثـم قلت :

يارب بالسبعة الرجال الأبـــرار   أولى الصلاح ذوي الفلاح الأطهـار

هذه القصيدة المباركة من البحر الثالث من الأبحر الخمسة عشر ، وهو البسيط آخر الأبحر الثلاثة المستعملة من الدائرة الأولى المسماة بدائرة المختلف المشتملة على خمسة أبحر : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، وعكس الطويل ، ويسمى بالمستطيل ، ومقلوب المديد ويسمى بالممتد ، والأخيران مهملان لم ينظم عليهما المولدون ، فمن الأول المستطيل قول بعضهم :

لقد هاج اشتياقي غرير الطرف احور   ادير الصدغ منه على مسك وعنبر

وزنه مفاعلين فعولن اربع مرات .

ومن الثاني الممتد قول الآخر :

صاد قلبي غـزال أحـور ذو دلال   كلما زدت حباً زاد مني نفـورا

وزنه فاعلن فاعلتن اربع مرات ، وبعضهم جعل وزن البيت الثاني فاعلاتن فعولن اربع مرات ، والبسيط في الدائرة من ثمانية أجزاء على هذه الصورة : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ، مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ، وهذان الجزءان من أجزاء التقطيع العشرة ، وما احسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي :

ومليح علم الخليـل يعانـــي   ليته لـو غـدا خليـل خليـــع
رمت وصلا منه فقال لحـاظـي   ناطقـات" بأحـرف التقطيـــع

قال الخليل كما في (العيون الغامرة) سمي بسيطاً لأنه انبسط عن مد الطويل والمديد ، فجاء وسطه فعولن ، حكاه الأخفش في أول اجزائه السباعية ،

قاله الزجاج وقيل لانبساط الحركات في عروضه وضربه انتهى . وجعل الشيخ زكرياء القولين الأخيرين علة واحدة ، واقتصر الدمنهوري في المختصر الشافي على القول الثاني ، قال وعلة التسمية لا توجبُها ، انتهى .

وذكر في الخزرجية للبسيط ثلاثةَ اعاريض وستة اضرب ، قصيدتنا من الضرب الثاني للعروض الأولى منه المخبونة المقطوع ضربها وعروض البيت الجزء الأخير من شطره الأول وضربه الجزء الأخير من عجزه ، قال :

وقل ءاخر الصدر العروض ومثلـه   من العجز الضرب اعلم الفرقَ باعتنا

والخبن عبارة عن حذف ثاني السبب الخفيف ، والقطع عبارة عن حذف ساكن الوتد المجموع واسكان الحرف الذي قبله فيصير فاعلن بالخبن فعلن وبالقطع فعلن باسكان العين ، والخبن لا يكون الا في السبب الخفيف ، والقطع لا يكون الا في الوتد المجموع ، وانشد ابن الخطيب في الاحاطة :

ياكاملا شوقـي اليـه وافـــر   وبسيط وجدي في هواه عـزيـز
عاملت اسبابـي اليك بقطعهـا   **والقطعُ في الأسباب ليس يجـوز**

فأحسن في التورية ، ولا يتبين معنى الخبن من الخزرجية الا بثلاثة ابيات ، قـال :

وتغيير ثاني لحرف السبب ادعُـه   **زحافاً وارج الجزء من ذلك احتمى**
وذلك بالاسكان والحذف فيهمـا   **يعمُّ على الترتيب فاقبضْ على الولا**
فتلك بثاني الجزء الاضمار متبعـاً   **بخبن ووقص فادعُ كلا بما اقتضى**

ومعنى القطع يتبين من بيتين منها ، قال :

وحسبك فيها القصر حذفك ساكناً   وتسكين حرف قبله اذ حكى العصا
كذا القطع لاكن ذاك في سبب جرى   وفي وتـد هذا وجهز له حـوى

والسبب الخفيف عبارة عن متحرك بعده ساكن ، والوتد المجموع عبارة عن متحركين بعدهما ساكن ، قال في الخزرجية :

واول نطق المرء حـرف" محــــرك فان يأت ثـان قبل ذا سبب بـــدا
خفيف متى يسكن والا فـضــــده وقل وتدان زدت حرفاً بلا امتـرا
وسخ بمجمـوع فعـل وبضـــــده كفعل ومن جنسيهما الجزء قد اتى

والأجزاء العشرة الأصول منها اربعة فعولن مفاعيلن مفاعلتن فاعلاتن ذو الوتد المفروق في المضارع ، والفروع فاعلن مستفعلن فاعلاتن متفاعلن مفعولات مستفع لن ذو الوتد المفروق في الخفيف والمجتث ، وهي ثمانية لفظاً عشرة حكماً ، وشاهد الضرب الثاني المقطوع للعروض الأولى المخبونة من البسيط قال الشاعر :

قد اشهدُ الغارة الشعواء تحملنـــي جرداءُ معروفة اللحيين سرحـوب

فقوله ملني هو العروض وزنه فعلن بسكون العين ، ولنقطع بيت القصيدة الأول ليقاس عليه غيره ، يارب بس مستفعلن . سادتل فاعلن ، اخيار لب مستفعلن ، رارى فعلن مقطوع ، الصصلا متفعلن مخبون ، ح ذول فعلن مخبون ، فلاح لط متفعلن مخبون ، هارى فعلن مقطوع ، قال :

واعلـم بـأن جملـة التقطيــــــع هو اتبـاعُ لفظك المســمـــــوع
فكل ما اسقطـه اللفـظُ سـقــط والعكس بالعكس ولا حكـم لخـط

فان قيل القطع واقع في الضرب على ماذكرنا فما بال العروض جاءت مقطوعة ايضاً وانما ذكرنا انها مخبونة ، قلنا تصريع البيت الأول من القصيدة اوجب ذلك ، ومعنى التصريع أن تجعل العروض المخالفة للضرب كالضرب في الوزن والاعلال مع تحليتها بحرف الروي ، وقد نسجَ على هذا المنوال الصحابي الجليل كعب بن زهير رضي الله عنه في (بانت سعاد) قال :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول متيم اثرهـا لـم يفد مـكـبـــول
وما سعاد غداة البين اذ رحلــــوا الا اغنُ غضيض الطرف مكحـول

الخ ، وقصيدة البـردة من الضرب الأول من العروض المذكـورة تساوت عروضها مع ضربها في الخبن ، واعلم أن ضرب قصيدتنا وامثالها كقصيدة الخنساء الصحابية رضي الله تعالى عنها التي تقول فيها :

وان صخـراً لَتأتمّ الهـداةُ بـه كـأنـه علـمٌ في رأسـه نـار

يلزمها الارداف لوقوع القطع فيه ، وفي تعريف الردف قال في الخزرجية :

وردفا حروف اللين قبل الـروي لا سوى الف معها التحـرك حـذوذا

وحاصله ان الردفَ عندهم هو حرف مدٍّ ولين ، وهو ماكان قبله حركة مجانسة له ، او حرف لين وهو ماكان قبله حركة غير مجانسة له قبل الروي ، وليس بينهما حائل ، مأخوذ من ردف الراكب لأنه خلف الروي ، والروي حـرف القصيدة الذي تنسب اليه ، وقد يكون الردفُ الفاً كقوله : الا عمْ صباحاً ايها الطللُ البالي ، وقد يكون ياء كقوله : طحا بك قلبٌ في الحَسان طروب ، ويجوزُ أن تتعاقب الواو والياء في القصيدة الواحدة كقوله :

طحا بك قلبٌ في الحسان طـروب بعيد الشباب عصر حـان مشيـب
تكلفني ليلى وقـد شطَّ وليهـا وعادت عـواد بيننـا وخـطـوب

وهذان البيتان من قصيدة لعلقمة الفحل قالت قريش فيها مع قصيدته التي اولها :

هل ماعلمت وما استودعت مكتـوم أم حبلُها اذ نأتك اليوم مصـروم
أم هل كبير بكى لم يقض عبرتـه إثر الأحبة يومَ البين مشكـوم
لم ادر بالبين حتى ازمعـوا ظعنـاً كل الجمال قبيل الصبح مـزمـوم

انهما سمطا الدهر كما نقله راوي ديوانه ، والميمية اولاهما فيه ، ولا تعاقبهما الألف لبعدهـا منهما بكثرة مطلها وهو المراد بقـول الناظـم : لا سـوى الألف معها وحركة الحرف الذي قبل الردف تسمى حذواً لأن الشاعر يحذوها ، فان كان الردفُ الفاً كقصيدتنا هذه فلا يكون الحذوُ الا فتحة ضرورة ان

الألف لا يكون ماقبلها الا مفتوحاً ، وان كان واواً أو ياء فحيث جاز تعاقبهما حاز اختلاف الحذو ، ومن تعاقب الياء في الكعبية قوله :

تنفى الرياح القذى عنه وافرطـــه   من صوب سارية بيض يعاليـــل

وقافية هذه القصيدة من المتواتر ، وهو الذي يقع بين ساكنيْه حرف متحركِ ، كقوله : حنانيك بعض الشر أهون من بعض .

قال في الخزرجية :

وروف بالسكنين جـداً وبيـن ذا   بما دون خمس حركت فصلوا ابتدا

فواترْ ودارك راكب اجف تكاوسا الخ وقافيتها مطلقة مردفة كما تقدم .

قال فيها :

ومطلقهـا باللين والهـاء ستهـــا   وتبلـغ تسعـاً بالمقيـد عـكس ذا
فجردهمـا اردفهمـا اسسنْهمـــا   والأول قد يولي الخروج فيحتـذا

والاطلاق يكون بحرف اللين بعد حرف الروي وبالهاء بعده كما قال : فوصلا بها لينا وهاء ، وحاصله ان الوصل حرف ليس ينشأ عن اشباع حركة الروي او هاء تلي حرف الروي ، فالأول كالألف من قوله : اقل اللوم عاذلَ والعتابا ، والياء في قوله :

ذم المنازل بعد منـزلـة اللـــوى   والعيش بعد اولائـك الأيــــام

والواو في قوله : طحا بك قلب في الحسان طروب ، والهاء كقوله :

بالفاضليـن اولـي الـنـهـــى   فـي كـل امـرك فـاقـتـــده

ومثلها هاء التأنيث والهاء الأصلية المتحرك ما قبلها ، فتحصل ان هذه القصيدة من الضرب الثاني المقطوع لعروضه الأولى من البسيط المخبونة في غير التصريع المقطوعة بسببه ، وان قافيتها حرف رويها راء مطلقة بياء الوصل مردفة بالألف متواترة .

الاعراب : يا حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة او حكماً ، وقد ينادى بها القريب توكيداً ، وقيل مشتركة بين القريب والبعيد ، وقيل بينهما وبين التوسط ، وهي اكثر احرف النداء استعمالا ، ولهذا لا يقدر عند الحذف سواها نحو (يوسف اعرض عن هذا) ، ولا ينادى اسم الله عز وجلّ ، والاسم المستغاث والهاء وايتها الا بها ، ولا المندوب الا بها او بواو ، وليس نصب المنادى بها ولا بأخواتها احرفا ولا بهن أسماء لأدعوا متحملة لضمير الفاعل خلافا لزاعمي ذلك ، بل بأدعو محذوفاً لزوما ، وقول ابن الطراوة النداء انشاء ، وادعو خبر سهو بل ادعو المقدر انشاء كبعت واقسمت كما في المعنى ، وقال في الخلاصة : وللمنادى الناءى او كالناء يا ، والقرءان المجيد مع كثرة النداء فيه لم يأت فيه غيرها ، وما ذكروه من ان يا للبعيد او ما في حكمه قاله الزمخشري ، قال واما يا الله ويارب مع كونه تعالى اقرب الى كل شخص من حبل وريده بالاستصغار الداعي لنفسه واستبعاده لها عن مرتبة المدعو تعالى ، قال ابن المنير : وهذا اقناعي ، فان الداعي يقول ياقريباً غير بعيد . وربما قال يامَن هو أقرب الينا من حبل الوريد ، فاين هذا من الانتصاب منصب البعيد ؟ انتهى . نقله الدماميني واقره .

قلت وفيه ان استصغار العبد لنفسه لا ينافي مشاهدة قربه تعالى منه باحاطة علمه به وارادته لما اراد منه ، وقدرته عليه تستلزم قربه اي العبد من الله تعالى ، اي ثبوت خصوصيته وتقربه بتلك المشاهدة كما قال في الحكم : قربك منه ان تكون مشاهداً لقربه منك ، فان ذالك الاستلزام انما هو بحسب الواقع لا بحسب اعتقاد العبد ، بل الذي يناسب اعتقاده ان يستصغر نفسه ويستبعد تأهلها لحضرة الخصوصية والقرب ، فافهم ، قاله العلامة ابن زكري في شرح الفريدة ، وقال العطار واما نحو ياالله فالمقصود فيه من النداء لازم التوجه وهو الاجابة ، انتهى . فهما مبحثان ، مبحث كون يا لنداء البعيد الخ ، ومبحث كون النداء للاقبال والتوجه ، وقد يقصد به لازمه ، وفي روح البيان عند قوله تعالى (واذ قال ابراهيم رب) مانصه : كلمة استعطاف قدمت بين الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة انتهى . ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، وبقيت الكسرة دليلا عليها منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها

اشتغال المحل بحركة مناسبة للياء . ولك ان تفتح الياء ، وذلك بعد ان تقلب الكسرة فتحة والياء الفاً ، ثم تحذف الياء ، ويصح أن يقرأ في هذا البيت بوجه ثالث ، وهو أن تضم الباء ، ثم لك في اعرابه وجهان ، اما أن تقول انه بالقصد كما صرح به في النهاية فقال جعلوه معرفة بالقصد فبنوه على الضم ، وهذه الضمة كهي في يارجل اذا قصدت رجلا بعينه . انتهى .

قال في التصريح ولعل هذا هو الذي حمل الناظم على اسقاطه واقتصاره على خمس لغات في قوله :

واجعل منادى صحّ ان يضف ليـا   كعبـد عبـدى عبـدا عبديـــا

والا ظهر أن تعريفه بالاضافة المنوية ، لأنهم جعلوه لغة في المضاف الى الياء ، ولوكان تعريفه بالقصد لم يكن لغة فيه انتهى . والوجه الثاني ان الأصل فيه انه مضاف الى ياء المتكلم ، ثم حذفت الياء ونويت الاضافة ، فيكون معرفاً بالاضافة المعنوية المنوية لا القصد والاقبال ثم ضم تشبيهاً له بالمفردات ، وهو مذهب الموضح ، واستغرب ان الخلاف بين الموضح وصاحب النهاية معنوي ، وبقيت في رب اذا كان منادى اوجه ثلاثة فتصير ستة وافصحها الوجه الأول حذف الياء وابقاء الكسرة .ثم اثبات الياء ساكنة ومتحركة ثم قلبها الفاً ثم حذف الألف وابقاء الفتحة ثم لغة الضم ضعيفة قرئ بها في (رب السجن) ، قـــال :

والضم مع نية يـاء النفس قـــد   رووا كـرب السجن فاحفظ ما ورد

وقـال :

والحـركـات كلهـا تـقــــدر   في كل مـا يضـاف او يـقـصـر

ومن حذف الياء اجتزاء بالكسرة قوله تعالى (والليل اذا يسري) قال في شرح عقود الجمان : ان يودج السرودي سأل الأخفش عن هذه الآية ، فقال لا اجيبك حتى تنام على بابي ليلة ففعل ، فقال ان عادة العرب انها اذا عدلت

بالشيء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسري وانما يسري فيه نقص منه حرف كما قال تعالى (وماكانت امك بغيا) الأصل فيه بغية ، فلما حول عن فاعل نقص منه حرف ، واشار الى ذلك الطيبي ، انتهى . ثم الالف في اللغة الرابعة ضمير ، لأنها منقلبة عن ياء المتكلم ، وفيه الغز بعضهم فقال :

ابن لي امـام النحو اين اتـاكـم ... اليف ضميـر للتكلـم ءايـل

جوابـه :

اذا رمت كشفاً للجـواب فناديـا ... عبيداً اجب مَن هو بالباب سائـل

وءاخـر :

اسائلكم اهـل المعاني بأسركـم ... وليس لكم بد سوى ان تجيبـوا

فما الف ذو خبـرة باضـافـة ... يـرى في فصيح ان ذا لعجيـب

اياأسفا ان لم تجيبـوا عليكـم ... ابعد العيـان يستـدل اللـبـيـب

الجـواب :

اياعجباً ان لم يجبك صغير مَـن ... سألت ببادي الراي وهـو مصيـب

وياأسفا ياحسرتـاي مَن احجمـت ... قريحتُه عن ذاك وهـو لبيـب

فان كنت بالعيان ابصرت واحـداً ... فهاذي ثـلاث لا اعترتك عـيـوب

وما احلا قول سعد الدين ولد ابن عربي الحاتمي من باب التوجيه :

لي حبيب بالنحـو اصبح مغـرى ... هـو منـي بمـا اعـانيـه ادرى

قلت مـاذا تقـول حين تـنـادي ... ياحبيبي المضاف دونك جـهـرا

قـال لـي ياغـلام او ياغلامـي ... قلت لبيـك ثـم لبيـك عشـرا

انتهـى .

فتحصل انه صح في الاسم الشريف رب المنادى الحركات' الثلاث : الكسرة والفتحة والضمة ، والبـاء' حرف للسببية متعلقة بأجب في البيت

الموفي خمسين ، وليس هذا بتضمين ، لأنهم نصوا على أن التضمين هو تعلق معنى القافية بالبيت الثاني لا تعلق غير القافية ، واما قول الخزرجي : وتضمينها احواح معنى لذا وذا ، فقد قال فيه العلامة الدماميني ما نصه : وكلامُ الناظم منتقد من جهة شمول تفسيره التضمين بما ليس منه ، وذلك لأن أول البيت اذا كان مفتقراً الى أول البيت الثاني فليس بتضمين ، نصّ عليه ابو العباس وسماه تعليقاً معنوياً ، ووجه بأن القافية محل الوقف والاستراحة ، فاذا كانت مفتقرة لما بعدها لم يصح الوقفُ عليها ، اما اذا سلمت من الافتقار فلا عيب لانتفاء هذا المحذور ، كقوله :

وما شنتا خرقاء واهية الكلى	سقى بهما ساقٍ ولما تبدلا
بأضيعَ من عينيك للدمع كلما	تذكرت ربعاً او توهمت منزلا

انشده ابن دريد .

وكقوله :

وما وجد اعرابية قذفت بها	صروفُ النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الدعاء وخيمتْ	بنجد فلم يقدر لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء العضاة وطيبه	وريح الصبّا من نحو نجدٍ ارنت
بأكثر مني لوعةً غير أنني	اطامن احشائي على ما اجنت
بأوجد من وجد بريا وجدته	غداة غدونا غدوة واطمأنت
فان يك هذا عهد ريا واهلها	فهذا الذي كنا ظننا وظنت

ومثله كثير ، وربما عد بعض أهل البيان مثل هذا من فن البديع ، وسموه بالتفريع ، انتهى .

قال تلميذه العلامة ابن حجة في (خزانة الأدب) بعد تفريع التفريع ، ومن الأمثلة الشعرية قول الأعشى :

ما روضة من رياض الحسن معشبة	غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهرَ منها كوكبٌ شرق	مؤزر بعميم النبت مكتهل

يومـاً بأطيب منها طيب رائـحـة ... ولا بأحسن منها اذ دنا الأصـل

ثم قال : ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل :

وما وجد اعرابية بان دارهـا ... وحنت الى دار الحجاز ورنـده
اذا ءانست ركبـاً تكفل شوقهـا ... بنـار قـراه والـدمـوع بـورده
وان اوقدوا المصباح ظنوه بارقـاً ... يحيي فهشَّت للسـلام و ر د ه
بأعظم من وجدي بموسى وانمـا ... يـرى انني اذنبت ذنبـاً لـوده

وسمى الحافظ السيوطي هذا النوع بالتفضيل ، واطلق التفريع على معنى ءاخر ، قال في (عقود الجمان) :

ومنـه تفريـع وذا ان يثبتـا ... لمتعلق بـه مـا اثـبـتـا
لآخـر لـه فـان بمـا نـفـي ... او لا عن الذي بشـيء وصـفـا
افعل للوصف مناسبـاً وقـد ... عـدى بمن الى الذي ذاك قـصـد
فذاك بالتفضيل حقـا دعـيـا

قال في الشرح : وحدُّه يعني التفريع ان يرتب حكم على صفة من أوصاف الممدوح أو المذموم يرتب ذلك الحكم بعينه على صفة اخرى من أوصافه على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، كقوله :

احلامكم لسقـام الجهل شـافيـة ... كما دماؤكـم تشفي من الكلـب

ثم قال ومثاله من الحديث الخمر تعلو الخطايا كما أن شجرها يعلو الشجر ، رواه الديلمي من حديث انس ، قال عبد الباقي وغيره : وهذا النوع قريب من الاستطراد جداً ويفارقه باشتراط كون المفرع في معنى المفرع عليه بخلاف الاستطراد .

الثاني التفضيل وهو من زيادتي ، ذكره الصفي واتباعه ، وجعله الأندلسي قسماً من التفريع ، وكذا فعل صاحب التلخيص أولا ثم ضرب عليه بخطه كما رايته في نسخته ، ومشى عليه في الايضاح ، وهو أن ينفى بما اولا

دون غيرهما من ادوات النفي ، عن ذي وصف افعل تفضيل مناسب لذلك الوصف معدى الى ما يراد مدحه أو ذمه ، فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخلة عليه ما النافية ، لأنها نفت الأفضلية ، فتبقى المساواة ، كقوله يعنى ابا تمام :

ما ربــع ميةَ معموراً يطيف بـــــه	غيلانُ ابهى ربىً من ربعـها الخرب
ولا الخدود وقد ادمين من خـجـــل	اشهى الى ناظري من خدها الترب

ومثاله من الحديث ما ذيبان ضاريان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ، رواه الترمذي ، وحديث الطبراني : ما المعطي من سعة بأعظم اجراً من الآخذ اذا كان محتاجاً ، ثم قال ومنهم من سمى هذا النوع النفي والجحد ، انتهى .

والاستطراد عدوه من انواع البديع ، وعرفه ابن حجة بقوله ان تكون في غرض من أغراض الشعر توهم انك مستمر فيه ، ثم تخرج الى غيره لمناسبة بينهما ، ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ، ثم ترجع الى الأول وتقطع الكلام فيكون ، وصوا به فلا يكون المستطرد به ءاخر كلامك ، وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص ، فان الاستطرادَ يشترط فيه الرجوع الى الكلام الأول وقطع الكـلام بعد المستطرد به ، والأمـران معدومان في التخلص ، فانه لا يرجع الى الأول ولا يقطع الكلام ، بل يستمرُّ الى ما يخلص اليه ، وحدَّ صاحبُ الايضاح الاستطرادَ فقد اتي فيه بالغرض بعد ما بالغ في الايجاز ، فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى ءاخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل الى الثاني ، ففي قوله متصل به جل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير ، وذكر الحاتمي في (حلية المحاضرة) انه نقل هذه التسمية عن البحتري ، وذكر غيره ان البحتري نقلها عن ابي تمام ، وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى ، وفسره بأن قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج عنه بطريق التشبيه والشرط والاخبار أو غير ذلك الى معنى ءاخر يتضمن مدحا أو هجواً أو وصفاً ،

وغالب وقوعه في الهجاء ، فمنه قوله تعالى في كتابه العزيز (الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) ، فذكر ثمود استطراد ، وقيل ان اول شاهد ورد في هذا النوع وسار سير الأمثال قول السموأل :

وانا لقوم لا نرى القتل سبةً　　　اذ ما راتْه عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل في الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ماكان عليه من الافتخار بقوله :

يقرب حبُ الموت ءاجالنا لنا　　　وتكرهه ءاجالُهم فتطول

ثم اكثر من شواهده .

وقال في عقود الجمان :

ومنه الاستطراد ان ينتقلا　　　من غرض لآخر قد شكلا

قال في الشرح وذكره يعني الاستطراد في التبيان والايضاح والمصباح وهو أن يكون في فن من الفنون اي غرض من الأغراض ثم ينسخ له فن ءاخر يناسبه في الذكر فيورده ثم يرجع الى الأول ويقطع الاستطراد ، وبهذا القيد يخرج عن التخلص ، وعرفه في الايضاح بالانتقال منْ معنى الى معنى ءاخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الأول التوصل الى الثاني ، وبهذا يفارق التخلص أيضاً ، وفي شرحه ان المراد بالاتصال أن يكون بين المعنيين مناسبة ، ثم ذكر السيوطي كلام الحاتمي المتقدم والآية المتقدمة ، ثم قال : قلت وقد خرجت عليه (ولا الملائكة المقربون) ، واورد منه الطيبي قوله تعالى (وما يستوي البحران ، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً) ، فعطف ومن كل تاكلون لكونه مناسباً لأصل الكلام ، وهو البحران المعني بهما المومن والكافر ، وقوله (واذ قال لقمان لابنه) الآية استطراد فيها الى قوله (ووصينا الانسان بوالديه) ، واستطرد من الوصية الى قوله (حملته امه وهناً على وهن) ، وفائدة الاستطراد الأول التحريض

على قبول موعظة الآباء ، وفائدة الثاني التوكيد في التوصية في حقهم وبالوالدة خصوصاً لما تكابد من مشاق الحمل والرضاع ، ومن امثلته في الشعر :

اذا ما اتّقى الله الفتى واطـاعـــه　　فليس به باس وان كان من جـرم

استطرد من الوعظ الى الهجو ، وقال ابن خطيب زملكا : ومنه حديث خطبته صلى الله عليه وسم عام الفتح ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ، قيل يارسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى به السفن ويدهن بها الجلود ويصبح بها ، فقال لا ، هي حرام ، ثم قال قاتل الله اليهود ، ان الله لما حرم عليهم الشحوم حملوها فباعوها ، قال فقوله قاتل الله اليهود الخ من بـاب الاستطراد ، وقال في الايضاح : وقد يكون الثاني هو المقصود ، ويذكر الأول قبله ليتوصل اليه من غير أن يشعر بذلك ، قال ولا باس ان يسمى ايهام الاستطراد .

رجع الى ما كنا بصدده من الاعراب ، ويحتمل ان تتعلق الباء المحذوف تقديره اتوسل او نحوه ، والسبعة الرجال مجرور بالياء ، الأبرار نعت له ، وكذلك جميع الأوصاف التي بعده ، والنعوت اذا تعددت يجوز اتباعها بغير عطف وبالعطف على حد قول الله تعالى (التائبون العابدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) ، واما القول بواو الثمانية فقد رده النسفي ، قال في روح البيان عند الآية الكريمة وقال النسفي في تفسيره المسمى (التيسير) لا اصل لهذا القول عند المحققين ، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ، والاستعمال على الاطراد كذلك ، قال الله تعالى (الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) بغير واو ، وقال تعالى (ولا تطع كل حلاف) الاية بغير واو في الثامنة ، انتهى . واجاد في المعنى الكلام على دلائلها والأبحاث فيها ، قال الثالثة يعني الأيمة الثالثة من الآيات التي استمدّ بها القايلون بواو الثمانية الذين منهم الحريري وابن خالويه والثعلبي ، والناهون عن المنكر فانه الوصف الثامن ، والظاهر ان العطف في هذا الوصف بخصوصية انما كان من جهة ان الأمر والنهي من حيث هما

امر ونهي متقابلان بخلاف بقية الصفات ، أو لأن الآمرَ بالمعروف ناهٍ عن المنكر ، وهو ترك المعروف والناهي عن المنكر ءامر بالمعروف ، فأشير الى الاعتداد بكل من الوصفين ، وانه لا يكتفي فيه ما يحصل في ضمن الآخر ، وذهب ابو البقاء على امامتــه في مذهب الضعفاء وقال انمــا دخلت في الصفة الثامنة ايذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام ، ولذا قالوا سبع في ثمانية اي سبع اذرع في ثمانية اشبار ، وانما دخلت الواو على ذلك لأن وضعها على مغايرة ما بعدها لما قبلها ، انتهى .

اللغة والمعنى : الرب يطلق على الله تبارك وتعالى معرفاً بالالف واللام ، ومضافاً ، ويطلق على مالك الشيء الذي لا يعقل مضافاً اليه ، فيقال رب الدين ، ورب المال ، ومنه قوله عليه السلام في ضالة الابل حتى يلقاها ربها ، وقد استعمل بمعنى السيد مضافا الى العاقل ايضاً ، ومنه قوله عليه السلام حتى تلدَ الأمة ربتَها ، وفي رواية ربها ، وفي التنزيل حكاية عن يوسف (اما احدكما فيسقي ربه خمراً) ، واما قالوا ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلــوق بمعنى المالك ، لأن الــلام للعمــوم ، والمخلــوق لا يملك جميــع المخلوقات ، وربما جاء باللام عوضاً عن الاضافة اذا كان بمعنى السيد ، قال الحارث فهو الرب والشهيد على يوم الجبارين ، والبلاء بلاء ، وبعضهم يمنع ان يقال هذا رب العبد وان يقول العبد هذا ربي ، وقوله عليه الصلاة والسلام حتى تلد الأمة ربها حجة عليه ، انتهى من (المصباح) ، وانشد البيت المذكور ايضاً السيد الشريف في حواشي الكشاف وقرَّر فيها ان الرب اما صفة مشبهة أو وصف بالمصدر ، وفي (روح البيان) والربُّ بمعنى التربية والاصلاح ، اما في حق العالمين فيربيهم بأغذيتهم وسائر اسباب بقاء وجودهم ، وفي حق الانسان فيربي الظواهر بالنعمة وهي النفس ، ويربي البواطن بالرحمة وهي القلوب ، ويربي نفوس العابدين بأحكام الشريعة ، ويربي قلوب المشتاقين بثاداب الطريقة ، ويربي اسرار المحبين بأنوار الحقيقة ، ويربي الانسان تارة بأطواره ، وفيض قوي انواره في أعضائه ، فسبحان من اسمع بعظم ، وبصر بشحم ، وانطق بلحم ، واخرى بترتيب غذائه في النبات بحبوبه وثماره ، وفي الحيوان بلحومه وشحومه ، وفي الأراضي بأشجاره وانهاره ، وفي الأفلاك

بكواكبه وانواره ، وفي الزمان بسكونك وتسكين الحشرات والحركات الموذية في الليالي وحفظك وتمكينك من ابتغاء فضله ، فياهذا يربيك كأنه ليس له عبد سواك ، وانت لا تخدمه أو تخدمه كأن لك رباً غيره ، والأبرارُ جمع بَر ، ويطلق على الصادق وعلى التقي ، واولو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وهو بمعنى اصحاب ، والصلاح استقامة الأحوال ظاهراً وباطناً ، فهو التقي ، وذوو بمعنى أصحاب ، والفلاح الفوز ، ومنه حيَّ على الفلاح ، اي هلموا الى طريق النجاة والفوز ، وفي (روح المعاني) : والفلاح الظفر وادراك البغية ، وذلك ضربان ، دنيوي واخروي ، فالأول الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياةُ الدنيا وهو البقاء والعز والغنا ، والثاني اربعة اشياء بقاء بلا فناء ، وغناء بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، ولذلك قيل لا عيشَ الا عيش الآخرة ، ومعنى افلح دخل في الفلاح انتهى . والطهارة النقاء من الدنس ، وهو طاهر العرض بريء من العيب .

حاصل المعنى يارب الذي اصلح اموري اجبْ دعائي بالسبعة الرجال الأكارم الفضلاء الصادقين في معاملتك ، مستقيمي الأحوال الفائزين برضاك ، الطاهرين من كل عيب ، لأنهم اهل لأن يتوسل اليك بهم .

البديع : في البيت من انواعه التعديد ، وهو عبارة عن ايقاع اسماء مفردة على سياق واحد ، فان روعي في ذلك ازدواج" أو مطابقة أو تجنيس او مقابلة فذلك الغاية في حسن هذا النوع ، مثاله قوله تعالى (وليبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين) ، وفي (الجوهر المكنون) :

من ذلك التوشيعُ والترديد	ترتيب اختراع او تعديد
كالتائبون العابدون الحامدون	السائحون الراكعون الساجدون

انتهى .

ومنه حديث (كفى بالمرءِ في ذنبه أن يكثر حظه ، وينقص عمله ، وتقل حقيقته ، جيفة بالليل ، بطال بالنهار ، كسول جزوع ، منوع هلوع رتوع) ، رواه في (الحلية) .

وبيت عز الدين في بديعته :

تعديد أوصافهم في المدح يُعجزنا   اهل التقى والنقى والمجد والهمم

وقد استوفى التعديد في بيتنا شرطه حيث اشتمل على الجناس اللاحق في الصلاح والفلاح ، وهو الذي ابدل من احد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه ، سواء كان الابدال في الأول او في الوسط او الأخير ، وان كان ما ابدل منه من مخرجه يسمى مضارعاً ، فمن الأمثلة من القرءان الكريم قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة) ، وقوله تعالى (وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد) ، وقوله تعالى (واذا جاءهم امرٌ من الأمن) ، فالابدال في الآية الأولى في الأول ، وفي الثانية في الوسط ، وفي الثالثة في الأخر ، ومن الأحاديث على هذا النمط ايضاً ، فمن الأول قوله عليه الصلاة والسلام (الحمد لله الذي حسن خلقي وزان مني ماشاء من غيري) ، ومنْ الثاني حديث (لولا رجال ركع ، وصبيان رضع ، وبهائم رتع) ، ومن الثالث حديث (احبُّ المومنين الى الله من نصب نفسه في طاعة الله ونصح لأمة محمد) ، ومن امثلته الشعرية قول بعضهم :

ان الغني هـو الغنـي بنفسـه   ولو انه عـاري المناكب حافـي
ما كل ما فوق البسيطـة كافيـاً   واذا قنعتَ فكـل شيء كـافـي

والجناس في البيتين بين حافي وكافي ، وفي البيت التصريع ، وقد تقدم الكلامُ عليه من جهة فن العروض ، وهنا الكلام في تعديده من انواع البديع ، والفرق بين البديعي والعروضي ، والتصريع في علم البديع عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وءاخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب ، ولا يعتبر فيه قاعدة العروضيين في الفرق بين المصرع والمقفى ، فاصطلاحهم وهو

أليقُ ما يكون في افتتاح القصائد وفي وسطها ربما تحبه الأسماع وتألفه الطباع الا اذا اراد الشاعر الانتقال من كلام الى ءاخر فيحسن فيه التصريع ، ويلحق حينئذ بالمطالع ، والتصريعُ ستة اقسام : الأول الكامل ، وهو أن يكونَ كل مصراع مشتقلا بنفسه في فهم معناه ، كقول امرء القيس :

افاطم مهلا بعض هـذا التـذلـل وان كنتِ قد ازمعتِ صرمي فأجملي

وقول ابي فـراس :

اراك عصي الدمع شيمتُك الصبـر اما للهوى نهـي عليك ولا امـر ؟

والثاني أن يكون المصراع الأول غير محتاج الى الثاني ، فاذا جاء جاء مرتبطاً به كقوله :

ياقوت خـدك للقلـوب مـفـرح اي الجوانح نحـوه لا تجـنـح

والثالث ان يكون المصراعان بحيث يصح وضعُ كل واحد منهما موضع الآخر ، كقوله :

من شروط الصبوح في المهرجـان خفةُ الشرب مع خلـو المكـان

والرابع أن لا يفهم معنى المصراع الأول بالثاني ويسمى الناقص ، كقولـه :

ما لـي وللتشبيب بـالأوطـان لي شاغل بجمالك الـفـتـان

والخامس أن يكون التصريعُ بلفظة واحدة في المصراعين ، ويسمى التصريع المكرر ، وهو ضربان : الأول أن تكون اللفظةُ مختلفةَ المعنى في المصراعين كقوله :

حكاه من الغصن الرطيب وريـقـه وما الخمر الا مقلتـاه وريقـه

والثاني أن تكون اللفظةُ متحدة المعنى فيهما ، كقوله :

فكلُّ ذي غيبة يؤوب　　وغائب الموت لا يؤوب

وهذا انزل درجة من الضرب الأول بلا ريب ، القسم السادس أن يكون الأول معلقاً على صفة يأتي ذكرها في المصراع الثاني ويسمى تصريح التعليق ، كقوله :

رفع اللثام فلاح تحت لثامه　　قمر تبدى فوق غصن قوامه

واما التصريع عند العروضيين فقد تقدم حده ، وهو ما غيرت عروضه للحاق بضربه في الوزن والروي لتماثل الضرب فيهما والتغيير اما بزيادة كقوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفان　　وربع عفت ءاياته منذ أزمان

أو نقص كقوله :

اجارتنا ان الخطوب تنوب　　واني مقيم" ما اقام عسيب

والمقفى كل عروض وضرب تساويا في الوزن والروي بلا اشتراط تغييرها اليه ، كقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

والمجمع ما تهيأ مصراعه الأول للتصريع بقافية ، واتى المصراع الثاني بقافية اخرى ، والمصمت ما عدا ذلك كله :

اان توسمت من خرقاء منزلة　　ماء الصبابة من عينيك مسجوم

فكل منه ومن المجمع مباين لغيره ، والمقفى اعمُّ من المصرع ، والفرق بين المصرع في علم العروض وفي علم البديع هو انه في علم البديع اعم منه في علم العروض ، اذ يشمله ويشمل المقفى ، فافهم والله تعالى اعلم ، وفي كون التصريع يزيد الشعر حسناً ورونقاً كقول بعضهم في وصف جميل فرق وفرتَه ، وابدى غرته :

عجباً لهـذا الشّعْر زاد بفرقـــة   حسناً كحسن الشعــر بالتصريــع

فالشعر في صدر البيت بفتح الشين ، وفي عجزه بكسرها ، وفي البيت تمهيد الأمر لما بعده .

انتهى ماذكرته في اظهار الكمال مع حذف ما تقدم ءاخر ترجمة سيدي احمد ابن العريف من الكلام على التوسل (203)

1631) **يوسف بن علا الناس** ، روى قراءة وسماعاً عن يوسف بن محمد بن الشيخ ، واحمد بن يوسف الجقالة واجازا له ، وسمع على ابي محمد بن محمد الحجري وناوله واجاز له ، وعلى ابي عبد الله بن ابراهيم ابن النجار وعيسى بن عبد العزيز القردولي ولم يذكر انهما اجازا له ، روى عنه ابو العباس بن محمد بن عبد الله ابن العوام ، وكان محدثاً زاهداً ورعاً فاضلا حياً بمراكش سنة تسع وستمئة (204) .

1632) **يوسف بن ابراهيم بن يحيى ابن الصواف الخزرجي** ، مصري سكن اشبيلية ، روى عن ابيه ، وتوفى بمراكش في نحو ست عشرة وستمئة .

1633) **يوسف بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدي** ، امه فاطمة بنت ابي علي يوسف بن عبد المومن ، لقبه المستنصر بالله ، كنيته ابو يعقوب ، صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ، اقنى الأنف ، سبط الشعر ، كانت اوامره لا تمتثل ، وكل مَن ولي بلداً عمل فيه برايه ، فضعُفت دولة الموحدين في ايامــه واعتراها النقص ، قـــال في (الجذوة) : ولا ادري هل دخل مدينة فاس وان كان ملكاً لها ، لأنه قيل لم يخرج من مراكش طول خلافته ، انتهى .

---

203) بهذا السخف والهذيان تنتهي ترجمة يوسف بن علي الصنهاجي المبتلى بعد ما اقتطعت من هذا الجزء 78 صفحة ، وقد ضقنا بتفاهتها ذرعاً حتى كدنا — لولا الأمانة — نقتصر منها على ما ننل من التشوف .

204) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيل والتكملة** (قسم الغرباء — مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

وزيره عبد الله بن وانودين ، بويع له وسنه عشرة اعوام ، كانت خلافته عشر سنين واربعة أشهر ويومين ، في مدته تهدنت البلاد الأندلسية والافريقية من غير منازع ولا معاند ، لم تكن له حركة تذكر ، ولا غزوة تشهر ، ولا خرج من حاضرة مراكش لمدينة تينمال على عادتهم في زيارة المهدي ، كانت ايامُه هادنةً ليس فيها كبير مفاتنه ، ومدته كانت ءاخر ضخامة الدولة الموحديــة .

توفي بحاضرة مراكش سنة عشرين وستمئة في عشية يوم السبت الثاني عشر لذي حجة ، وقيل مات مسموماً ، سمّه الوزير ابن جامع ، ولم يعقب الا حاملا من جاريته .

ترجمه في الحلل وتاريخ الدولتين والجذوة وغيرها ، وهو الذي نقل الشيخ ابراهيم ابن الحاج البلفيقي من المرية الى مراكش كما تقدم في ترجمته ، وقال في الشذرات بعد ذكره : لم يكن في ءال عبد المومن احسن منه ولا انصح ولا اشغف باللذات ، ولي الأمر عشر سنين بعد ابيه ولم يعقب ، انتهى ، وقال في نفح الطيب صفحة 45 من الجزء الأول مانصه وقال ابو عمران موسى بن سعيد . . . . (205)

1634) **يوسف بن محمد الخزرجي** لقي سيدي يوسف بن علي احد الرجال السبعة واخبره بوقت موته كما تقدم في ترجمته .

1635) **يوسف بن أحمد بن الحسين الأنصاري** ، المعروف بالحكيم ، صاحب ابي العباس السبتي ، ولما مات لم يجعل فيه احد رثاء بأوصافه غيره (فرثاه بقصيدة) قال فيها :

اطــال الليــل ارزاءٌ تــطــــــول   واحــزانٌ تحــلُ وما تــحـــول

---

205) كذا بالأصل ، ولم اعثر في نفح الطيب على مقالة ابي عمران موسى بن سعيد ... هذا وقد قصر المؤلف ــ كعادته ــ في ترجمة هذا الخليفة الموحدي ، وينظر عنه **تاريخ ابن خلدون** 6 : 523 و **تاريخ الدولتين** ص 19 و **جذوة الاقتباس** ص 547 ع 634 و **الحلل الموشية** ص 161 طبع الدار البيضاء

وقد تقدمت في ترجمة السبتي رضي الله عنهما ، واشار اليها في الباب السابع من ازهار البستان .

وقال في (التشوف) بعد ذكره : اصله من الأندلس ، ونزل بالجانب الشرقي من مراكش ، وبه مات في جمادى الأولى من عام خمسة وستمئة ، من اكابر اصحاب ابي العباس السبتي ، وفيه يقول :

ومنفـرد بالله هـام بـحـبـه فليس له انس" بشيء سوى الـرب
تفرغ في الدنيا لطـاعـة ربـه فأورثه علمَ الكتـاب بـلا ريـب
وءاثـر حبَّ الله فانكشفتْ لـه عجائبُ اسرار ثوابـاً على الحـب
فمَن كان في دعوى المحبة صادقاً تجلـَّتْ له الأنوارُ من غير ما حجب
فيرتعُ في روض المعارف دائمـاً ولذتـُها أشها من الأكل والشـرب
تخاطبُه الأحـوال من كل جانـب فيفهم عنها بالضميـر وبالقلـب
يكاشفُ بالأسرار من ملكوتـها فيأتي عليه الفيضُ من عالم الغيب

وكان يوسف الحكيم جاراً للحسن بن حمامة الهسكوري رحمه الله ، ولم تكن بينهما معرفة ، فأصابت يوسف فاقة شديدة من توالي الأمطار ، وكان لا يمسك شيئاً ، فأقام يوميـْن وليلتيـْن لم يأكل شيئاً ، فرهن سراويله في قيراط واشترى رغيفيـْن وسمناً ، وكان قـد بيت الصيام ، فخـرج الى المسجد ليصليَ صلاةَ المغرب ، وكانت له زوجة عمياء ، فسمعت السائل بالباب ، فأخرجت اليه الصحفة بما كان فيها من الطعام ، وكانت عادته ان يخرج للسائل الطعام ، فاذا اكل ادخل الصحفة ، فلما خرجت الصحفةُ للسائل اكل جميع ما فيها من الطعام ، فلما جاء يوسف من المسجد سألها عن الطعام ليفطر ، فأخبرتـْه ان السائل قد استوفاه ، فسهر من شدة الجوع الى أن مرت عليه ساعة من الليل ، فسمع قرعَ باب الدار ، فخرج فاذا هو بالحسن بن حمامة واقفاً بالباب ، وبيده شمعة ، ومعه خادم معها مائدة عليها ألوان من الطعام وخبز ، فقال له الحسن : اريد أن تأذنَ لي في الدخول عندك ، فأدخله في بيته وقدمت اليه الجاريةُ المائدة ، فقال له الحسن صنعت الطباخةُ هذا

الطعامَ فوجدتُه مراً فخفت أن يكون مسموماً وانت حكيم فأردت أن تراه ، فان كان قد جعل فيه شيء تحفظت من هذه الطباخة ، فذاقه يوسف فوجده طيباً ، ثم قال للحسن ذقْ من هذا الطعام ، فأكل من كل صحفة فاستطابه وتعجب من مرارته قبل ذلك ، فقال له يوسف ما تمرر طعامُك الا من اجلي ، فاني بقيت في جوارك جائعاً يوميْن وليلتيْن ، وذكر له فاقته ، فقام الحسن من فوره الى منزله ، وجاءه بقرطاسيْن فيهما دنانير ، فقال له خذْ الواحد وتصدقْ عني بهذا الآخر ليكون كفارة لما وقعت فيه من التفريط في امرك ، على اني لم اعلم بحالك ، فاذا في كل قرطاس عشرون ديناراً ، وصار بعد ذلك من اصدقائـه .

قال في (التشوف) سمعت علي بن احمد الصنهاجي يحدث بهذه القصة عن يوسف ، واكبر ظني اني سمعت يوسف يحدث بها ، والله اعلم ، انتهى (206)

بنيت على المترجم قبة بداخل مسجده المعروف به بلصق باب الدباغ ، غير أن قبره ليس بظاهر ، وبلصقه رضي الله عنه بير مبارك كان قديماً يُسمَّى بير الجنة .

1636) **يوسف بن يعقوب بن مومن المرادي** من اهل اغمات وريكة وبها مات رحمه الله ، وكان امام الفريضة بجامعها ، صحب ابا زيد الامام ، ومحمد بن اسماعيل الهواري المتقدمة ترجمتُهما ، وكان عبداً صالحاً ورعاً ، يخيط الثياب بداره ولا يتعيش الا من كدٍّ يمينه .

قال في (التشوف) : اخبرني مَن حضر وفاته قال : رايت يوسف المرادي عند النزع قد قبض بيديه على لحيته ، وقال والله لئن لم تغفرْ لي وترحمْني لأكونن من الخاسرين ، ثم قطب وجهه فقضى نحبه رحمه الله تعالى .

وزادي قليـلٌ لا اراه مُبلغـــي فللزاد ابكـي ام لبعد مسافتـي ؟
اتُحرقني بالنار ياغايةَ المنـــى فأين رجائي فيك ؟ اين محبتي ؟ (207)

---

206) **التشـوف** ص 417 ع 226

207) **التشـوف** ص 297 ع 147

1637) **يوسف بن عبد الصمد ابن نموي الفاسي**

يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن محمد ابن نموي من اهل مدينة فاس ، الأصولي الجليل ، اخذ عن القاضي ابي جعفر ابن مضا وجماعة ببلده ، واجاز له كتابةً ابنُ بشكوال ، وابن عبيد الله ، وعبد الحق الأزدى ، وقرأ علم الكلام واصول الفقه على الزاهد محمد بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني ، وصحبه الى أن مات ، وقعد للاقراء بمسجد زقاق الرواح من مدينة فاس حيث سكناه وسكنى سلفه ، وكان له صيتٌ بالمغرب وبمراكش وباشبيلية اذ كان اقرأ بها في دخوله الأندلس ، ثم عاد الى بلده عام ثلاثة عشر (وستمئة) وقعد للاقراء بعد عوده في شرقي جامع القرويين الى أن توفي في الثاني من شهر رجب عام اربعة عشر وستمئة ، مولده في اربعة وخمسين وخمسمئة ، وكان من الفقهاء الأذكياء في سرعة الحفظ والتفنن في العلوم ، اديباً عارفاً بالسر ، ذاكراً للتاريخ ، الى غير ذلك .

ذكره ابن فرتون وغيره ، نقله في الجذوة ، وذكره في الذخيرة السنية (208) .

1638) **يوسف بن أحمد بن علي المربيطري** ، سمع من ابي القاسم ابن حبيش ، وابي بكر بن بيبش ، واجاز له ابو الطاهر بن عوف وجماعة ، وكان واقفاً على كتاب سيبويه علم بذلك وقتاً ثم عني بالطب حتى راس فيه وخدم به الأمراء فنال دنيا عريضة .

توفي بمراكش سنة 619 ذكره في التكملة وبغية الوعاة (209)

---

208) الترجمة منقولة من **جذوة الاقتباس** ص 550 ع 637 طبع الرباط ، وانظر ايضاً **الغصون اليانعة** ص 49 و **التكملة** ص 740 طبع مدريد .

209) **بغية الوعاة** 2 : 354 ع 2171 و **التكملة** ص 738 ع 2091 طبع مدريد ، والترجمة منقولة منها .

1639) يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي

يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المراكشي عرف بابن الزيات ، قال في كفاية المحتاج : قال الحضرمي : الشيخ الفقيه القاضي الأدين ، ألّف كتاب (التشوف ، الى رجال التصوف) وله تأليف آخر في صلحاء المغرب ، صحب ابا العباس السبتي ، ولقي ابن حوط الله ، والسلالجي وشرح مقامات الحريري شرحاً نبيلا ، وحدث بكتابه التشوف قاسم ابن الشاط ومحمد ابن رشيد عن القاضي محمد بن علي الشريف عنه اذناً .

توفي قاضيا برجراجة سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمئة ، انتهى (210)

وحلاه عبد الرحمان الثعالبي بالولي المحدث الثقة الصدوق .

وقال في (المنح البادية) : وطريقة سيدي محمد بن الحسن : فمن طريق ابن قنفذ عن ابن البناء عن ابن عبد الملك عن ابي محمد القطان عن يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المراكشي ابن الزيات ، عن اسماعيل بن يعلى ، عن سيدي محمد ابن الحسن إلسجلماسي دفين باب الجيسة بفاس المتوفى سنة 375 خمس وسبعين وثلاثمئة ، انتهى .

وقال في بغية الوعاة بعد ذكره ما نصه : قال في البلغة امام في اللغة والنحو ، له (نهاية المقامات ، في دراية المقامات) مات بعد اربعين وخمسمئة (211) وقوله بعد اربعين غلط .

1640) يوسف بن يعقوب المريني (السلطان)

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني المغربي ، مرين عرب من ظواهر فاس ، فرسان شجعان يقاتلون بغير جنة ، وكان أول ما ظهروا

---

210) الترجمة منقولة بالحرف من **نيل الابتهاج** ص 352

211) **بغية الوعاة** 2 : 363 ع 2200

مع رئيسهم عبد الحق هذا في سنة عشر وستمئة ، وكان داهيةً ماكراً شجاعاً ، فاستخلص لنفسه مملكة ، وضم اليه قومه ، ثم قام أخوه عثمان اخو عبد الحق عمُّ هذا في حدود سنة 643 وملك فاس ، ومات فقام اخوه محمد الأعرج ، ثم أخوه ابو بكر ، ثم عمر ، ثم قام يعقوب وتمكن ودان له المغرب ، فبقي في الملك ثمانياً وعشرين سنة فمات بالجزيرة الخضراء ، فتملك ابنه يوسف هذا ، وتلقب الأصفر (212) وحاصر تلمسان بعد السبعمئة ، فقُتل بظاهرها ، وثب عليه خادم اسود على فراشه ففتك به مواطأةً من اخيه ابي بكر ، وكان قتله في ذي القعدة سنة خمس وسبعمئة ، وقتل به ، وتسلطن بعده حفيده عامر بن عبد الله ، ثم مات مسموماً بطنجة بعد سنة ونصف (213) وولى أخـوه سليمان ، فأقام ثلاث سنين ومات على رباط الفتح ، وتسلطن عمُّ ابيه عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ، فامتدت ايامه كما تقدم ذلك في ترجمته ، ثم رايت ابن الخطيب في تاريخ غرناطة ارخ قتلَه في 7 ذي القعدة سنة ست ، وهو المعتمد ، وقال في ترجمته كان عالي الهمة ، ولـه الوقعات المشهورة مـع الفرنج ، وجرت بينه وبين ابن الأحمر صاحب الأندلس منافرات ، ثم قدر ان وصل الى يوسف مستعيناً ، واعظمته الملوك شرقاً وغرباً ، وجاءته الهدايا من كل جهة ، ونازل تلمسان فامتنعوا منه فحاصرهم ، وبنى تجاهها مدينة سماها تلمسان الجديدة ، واقام على ذلك ثمانية اعوام ، الى أن قيَّض الله له عبداً خصياً حبشياً حقد عليه انه قتل قريباً له في جناية جناها فاستقبلـه يوماً وهو في قصره ، فوجأه بسكين فأتى على نفسه ، وضجَّ القصر ففر القاتل العبد من تلمسان ، فصاحوا في اثره فأمسك وقتل من حينه على ذلك ، وكان

---

212) كذا بالأصل ، والصواب ان لقبه الناصر لدين الله

213) **تاريخ ابي الفـداء** : ولما مـات ابو ثابت جلس في الملك بعده ابـن عمه علي بن يوسف ثم خلعه الوزير وجماعة من العسكر بعد يومين من جلوسه واقاموا في الملك سليمان (المؤلف) .

ذلك في أوائل ذي القعدة سنة 706 (214) وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة ، ذكره في الدرر الكامنة ، وتقدم ذكر نسبه البربري في ترجمة والده يعقوب ، وذكره في الشذرات فيمن مات سنة خمس وسبعمئة ، والمترجم هو الذي امر تتجديد بناء مدينة وجدة وبناء أسوارها وقصبتها وحماماتها وقصر كبير ومسجد جامع سنة 694 ، وجدد جامع مدينة تازة وزاد فيه ، وجدد صومعة القرويين واصلح عنزته (215) .

1641) يوسف بن محمد ابن ابي عياد المريني

يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق المريني ، كان السلطان عامر لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب ، وامره بالنظر في احوال فاس والمغرب ، وامره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها ، وعهد اليه بالنظر في احوالها وضبطها ، فقصد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته بنفسه بالانتزاء ، فاستخلف واستركب ، واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان ، وتقبض على الوالي بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جمادى الأخرى سنة سبع وسبعمئة ، ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان عامر وهو بفاس ، فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمي (بالحاء المهملة) ويعقوب بن اصناك في خمسة الاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن ابي عياد الى حربهم ، وعبر اليهم وادي ام الربيع ، فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش واتبعه الوزير ، ودخل ابن ابي عياد مراكش فقتل جماعة من

---

214) يوم الأربعاء 7 ذي القعدة سنة 706 واسم العبد القاتل : سعادة .

215) هذه في الحقيقة ترجمة مضطربة غير وافية ، ولعل التعب بدا يدرك المؤلف في آخر تأليفه ، فعجز حتى عن النقل من الكتب المعتبرة وغير المعتبرة كما فعل فى تراجم أشخاص تافهين كيوسف بن علي المبتلى متقدم الترجمة ، وتنظر ترجمة السلطان يوسف بن يعقوب المريني في **الاحاطة** 4 : 356 و **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ص 374 و **تاريخ ابن خلدون** 7 : 436 و **الاستقصا** 3 : 66

جند الفرنج الذين بها ، وسبى ذراريهم وخرج منها الى أغمات فلم يستقر بها ، ثم فرّ الى جبال هسكورة ، فنزل على كبيرها مخلوف بن عبو الهسكوري ، ولحق به موسى بن سعيد الصبيحي من أغمات تدلى من سورها فلحق به ، ودخل السلطان عامر مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمئة ، وامر بقتل اوربة المداخلين لابن ابي عياد في انتزائه فاستلحموا جميعاً ، ولما لحق ابن ابي عياد بمخلوف بن عبو الهسكوري واستجار به لم يُجره على السلطان عامر ، بل قبض عليه مع ثمانية من كبار اصحابه وبعثهم في الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن ابي عياد الى فاس فطيف به فيها ونصب على سورها ، ثم اثخن عامر في كل مَن كان على رأي ابن ابي عياد وخاض معه في الفتنة فاستلحم منهم بمراكش ما ينيف على الستمئة وصلبهم على باب سورها من باب الرب أحد ابواب مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل في اغمات منهم مثل ذلك (216) .

1642) **يوسف بن أحمد التاملي** ، استاذ صالح يؤدب الصبيان ، ولي مفتاح خزانة المصاحف بجامع المنصور بقصبة مراكش .

توفي والله اعلم سنة اثنين وثمانين وتسعمئة بدولة محمد بن عبد الله .

ترجمه في درة الحجال (217)

1643) **يوسف بن علي بن احمد الخصاصي** ، أحد كتاب الانشاء بباب احمد المنصور ، كان حياً سنة 999 هـ تسع وتسعين وتسعمئة .

ترجمه في درة الحجال (218) .

---

216) **تاريخ ابن خلدون** 7 : 489

217) **درة الحجال** 3 343 ع 1476

218) **درة الحجال** 3 : 354 ع 1500

1644) يوسف (ابو المحاسن) بن محمد الفاسي الفهري

يوسف (أبو المحاسن) ابن ولي الله سيدي محمد ، بن يوسف ، بن عبد الرحمان القادم على فاس ، ابن ابي بكر محمد ، بن عبد الملك ، بن ابي بكر محمد ، بن عبد الله ، بن يحيى ، بن فــرج ، ابن الجد الفهري الكنانــي النسب ، المالقي الأندلسي الأصل ، القصري الولادة والمنشأ ، الفاسي اللقب والدار والوفاة .

كان جده سيدي يوسف بن عبد الرحمان يتردد من فاس الى القصر للتجارة ، فلقب عند اهل القصر بالفاسي ، وبقي هذا اللقب في اولاده الى الآن ، وهم من بني الجد الذين هم كبراء مالقة ، وبنو الجد من بني فهر الذي هو من متحد الأنساب ، فلا يعرف الا في قريش ، وهو فهر بن مالك بن النضر ، وفهر هذا هو قريش على احد الأقوال فيهم تبلغ عشرين قولا ، وهذا هو الذي صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما وعُزي للأكثر ، ثم هم من بني عدي ثم بني سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة .

انتهى من السلوة في ترجمة أخي المترجم عبد الرحمان (219)

وجعل في (الدرر البهية) ابن الجد المذكور من عقب الحارث بن فهر الذي اليه ينسبون وبــه يعرفون قائلا : وفهر هــذا هو ابن يوسف بــن عبد الرحمان العدوي الفهري سلطان الأندلس بعد موسى بن نصير فاتحها ، وهو ابن عقبة بن نافع فاتح افريقية والمغرب ، وهو ابن سعيد بن زيد احد العشرة ، وهو ابن عمرو بن نوفل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله قبرط بن رزاح بن عدي جد كل عدوي ، وهو بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر المنسوب اليه كل فهري ، بن مالك بن النضْر بن كنانة المنسوب اليه كل كناني ، وهو بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نقلته من خطوط جماعة من علمائهم واعيانهم ، وعليه تضافرت مذاهبُ سلفهم وخلفهم من لدن ظهورهم الى الآن .

انتهى من الدرر البهية .

---

(219) **سلوة الأنفاس** 2 : 302

ولا بد من بيان الأغلاط الواقعة فيما ذكر ، فنقول قال ابن حزم وولد عبد الرحمان بن ابي عبيدة يوسف والي الأندلس ، وله بها عقب ، وبالأندلس من فهر عدد عظيم . انتهى ، فيوسف بن عبد الرحمان بن ابي عبيدة يوسف بن عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن امية بن الظرب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة الخ ، قال العراقي : أما قريش فالأصح فهر جماعها ، والأكثرون النضر ، وراجع 89 من ج I من شرح المواهب ، وراجع 545 من ج 3 من الاصابة ، وراجع 108 من ج 3 من الاستيعاب ، وراجع 80 من ج 3 من الاصابة ، فقوله وفهر هذا هو بن يوسف غلط ، بل فهر هذا هو قريش كما تقدم ، وقوله في عبد الرحمان والد يوسف وهو ابن عقبة الخ فعقبة المذكور جده لا والده كما تقدم في نسب عقبة بن نافع ، وقد علمته عن ابن حزم ، فسعيد بن زيد المذكور ليس هو والد نافع ، وقد مشى على هذا الغلط السيد عبد الحي الكتاني في ترجمة سيدي عبد الكبير الفاسي من معجم اصحاب الرضوى ، وهذا الغلط ايضاً مذكور في الصفوة حيث قـــال وبنو الجد من بني فهر ، ثم بني عدي ، ثم من بني سعيد بن زيد ، وهذا الغلط في كونهم من بني عدي ومن بني سعيد بن زيد لأنهم من ذرية عقبة ابن نافع الذي هو من عقب الحارث بن فهر ، وقوله بن نوفل ضبط نفيل بضم النون وفتح الفاء ، راجع 213 من ج I من شرح المواهب ، وراجع 286 منه ، وراجع 26 من ج 2 من الاصابـة ، وراجع 2 من الاستيعـاب ، وحبيب بن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري هو قاتل عبد العزيز بن موسى بن نصير كما في جمهرة ابن حزم .

قال في (السلوة) في ترجمة المترجم : ومنهم اخوه وشيخه الشيخ الامام ، القدوة الهمام ، شيخ الاسلام ، وشمس الأولياء الكرام ، العالم العلم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، صاحب الاشارات العلية ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، امام الطريقة الشاذليـة ، ومحيي رسومهـا بالبلاد المغربية ، قدوة السالكين ، وعلم المهتدين ، وقبلة همم المريدين ، والحامل في وقته لـواء العارفين ، والمقيم فيه دولـة علوم المحققين ، ورموز اسرار الواصلين ، القطب النوراني ، والمجدد على راس الألف الثاني ،

اوحد عصره ، وامام وقته ودهره ، سيدي يوسف بن محمد بن يوسف الفهري نسباً ، الأندلسي اصلا ، القصري ولادة ومنشأ ودارا ، الفاسي لقباً ورحلة ومزارا .

ولد رحمه الله بالقصر الكبير مأوى ابيه وجده ليلة الخميس لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع او ثمان وثلاثين وتسعمئة ، وبـه نشأ آخذاً بما يعنيه ، واقفاً على قدم الجد في كل ما من الله يُدنيه ، وقرأ كتاب الله العزيز هنالك ، واحكم قراءته بحرف نافع ، ورسمه وضبطه على الشيخ الصالح سيدي علي العربي بمسجده المعروف به بطرف القطانين ، ثم قرأ عليه المعلم ختمه تبركاً به لما كان يتوسَّم فيه من الخير بسبب ما كان يسمعه من كلام شيخه المجذوب فيه ، وكان رحمه الله لا يعرف الفقر ولا ما هو ، فقيَّض الله له الشيخ الولي الكامل ، العارف الواصل ، قطب زمانه في الأحوال ، وممد فحول الرجال ، سيدي عبد الرحمان ، بن ولي الله ابي السرور عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي ثم الفرجي المعروف بالمجذوب دفين خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون ، فكان يطلبه ويحوم عليه ويراقبه ، فكان يأتيه للمكتب ويذكر بعض ما يؤول اليه امره من الخير ، ويخبر عن انتقاله الى حضرة فاس وما يكون له هنالك ، وقال لهم سبقت اليه قبل ان يأتيه غيري ، وجاءه يوماً بالمكتب ومسح على راسه وقال : علـَّمك الله علمَ الظاهر والباطن ثلاثاً ، ثم التفت للمعلم وقال لا بد نواةُ هذا تفتح ، واذا احياك الله ترى ، وكان قبل ذلك ياتي الحومة ويقول بدار الفاسي نوارة" لا بد أن تفتح ، فلما كان في اوان البلوغ وهو ما زال في المكتب اتاه الحال منه واشرق باطنُه بنور التوحيد واضمحلال ما سوى الله تعالى ، وانخرط في سلك الشيخ فصحبه ولزمه وسلب له الارادة وانتسب اليه وعول في اموره كلها عليه ، وبقي مع ذلك على قراءته ، فقرأ على اهل بلده ما كتب له ، وجود القرءان على بلديه الشيخ الصالح الفقيه الأستاذ عبد الرحمان بن محمد الخباز القصري ، وقرأ عليه غير ذلك من انواع العلوم من فقه ونحو وغيرهما ، ثم ارتحل مع والده الى فاس للقراءة على مشايخها قبل سنة ستين ، فأدرك بها جماعة من المشايخ الأكابر ، منهم اليسيتني ، وعبد الوهاب الزقاق ،

وعبد الرحمان ابن ابراهيم الدكالي وغيرهم من المشايخ ، فأخذ عنهم ، ولم تطل اقامته بفاس وعاد الى القصر سنة ستين ، ثم عاد الى فاس سنة اثنتين وستين ، فتلافَى الأخذَ عمن بقي بها من المشايخ ، وكان بها جماعة ، منهم خروف التونسي ، وابن جلال التلمساني ، واحمد المنجور ، وغيرهم ، فأخذ عنهم ، ولازم ابن جلال كثيراً ، وقرأ عليه التفسير وغيره ، واخذ ايضاً عن محمد بن احمد مجبر المستاري ، وسيدي علي بن مبارك التارختي المصمودي السوسي ، وعاد الى القصر بعلم غزير ، وعقد مجالسَ لأنواع العلوم تنافس الناس في حضورها والاكباب عليها ، وانتفع به فيها الخاص والعام ، وظهرت بركته على اهل القصر وغيرهم ، وتخرج به كثير" من اهل الطلب ، فاستقلَّ في ذلك القطر برئاسة العلم والدين منفرداً في ذلك اماماً متبوعاً مسموعاً ، وهو في ذلك ملازم لشيخه وخادم له ، وكان كثيراً ما يجيئه طالب الارادة فيرده الى الشيخ الى أن توفى رحمة الله عليه ، وكانت مدة صحبته اياه منذ سلب له الارادة تزيد على عشرين سنة ، وشيخه في جميع ذلك ينوه باسمه ويشيد بذكره ويعرف بحقه ويفتخر به ، فكان يقول عندي ابن الفاسي نلقى به الغرب ، وتارة يقول نلقى به الشرق والغرب ، وكان كثيراً اذا رءاه يقول فيه مصباح الأمة ، ويقول انه يكون اماماً في العلمين الظاهر والباطن ، ويقول انه لا بد أن يكون في مقام الغزالي ، وتارة يقول فيه غزالي عصره ، ويقول فيه لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش ، ويقول انه كالملح لا يستغنى عنه احد ، ويقول مَن مسَّس (220) طعامه فليذهبْ اليه يملحه له ، وكان يصرح كثيراً بأنه المقصود من بين اصحابه ، ويقول فيه أنه الذي خمل (221) بيده حتى للقاع ويقول له اخذت مطمورتي بأطواقها ، قال في المقصد : يريد بذلك وراثة حاله وكل ماله من الأنوار والمعارف ، قال بل صرح لأصحابه بأنه الخليفة واوصاهم به ، انتهى . ويقول مَن احب أن ينظر قلبي فلينظر ابن الفاسي

---

220) يقول المغاربة : مسس ىلان الطعام اي اقل ملحه ، والشيء المسوس قليل الملح :و السكر ، ويقال ايضاً مسوس لانسان ينقصه الظرف .

221) يقول المغاربة : خمل البيت : اي افرغه مما فيه من المتاع ، وكذلك بالنسبة للبئر والمطمورة .

يشير بذلك الى انه نسخة منه ، وكان يدعو له ويقول الله يجعل منك الزرع والزريعة ، فالزرع انت ، والزريعة أولادك ، وقال في ءاخر امره سيدي يوسف كنت انا شيخه واليوم هو شيخي ، وكان صاحب الترجمة خلال صحبته لشيخه المذكـور يلقي مشايخ الطريق في عصره ويأخـذ عنهم ، لكن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الارادة ، بل على سبيل التبرك بهم والاستفادة ، فكان ممن لقى الشيخ ابراهيم الزواري التونسي دفين خارج باب الجيسة ، والشيخ الولي العارف المتجرد احمد بن منصور الحيحي مستوطن القصر الكبير ودفينه بالموضع المعروف بالزاوية ، والشيخ محمد كانون المطاعي من أولاد مطاع قبيلة من العرب بالمغرب معروفة ، والشيخ محمد الهبطي دفين حوز شفشاون بازاء زاويته بموضع يقال له معاتب ، وسماه هو مواهب ، والشيخ الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعداعة (222) على وادي مضى (223) من عمل القصر ، والشيخ محمد ابن مخلوف الضريسي دفين بوشوفان من بلاد ضريسة ببلاد الهبط عمل القصر الكبير ، والشيخ سالم العماري ولقنه ذكراً كان يذكره ادبـار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمـان ابن ريسون ، عن الشيخ الغزواني ، والشيخ محمد بن علي الطالب دفين راس القليعة من داخل باب الفتوح من فاس ، والشيخ الولي العارف الكبير الكامل الراسخ الشهير ، سعيد بن ابي بكر المشنزائي دفين خارج مكناسة الزيتون ، والشيخ الكبير الولي الصالح الشهير ، عبد الله ابن ساسي البوسبعي دفين زاويته التي على ضفة وادي نسيفة (تانسيفت) بمقربة من مراكش وقبره مزارة مشهورة هنالك ، وغيرهم من المشايخ ممن لا يُحصَى ولا يعرف شهادة وغيباً ، واخذ شيخه عبد الرحمان المجذوب عن الشيخ المجذوب العظيم ، ذي المدد الجسيم ، علي بن احمد الصنهاجي المعروف بالدوار المتقدم الذكر ، وهو عن الشيخ ابراهيم الزرهوني المعروف بالفحام دفين جبل زرهون ، وهو فتح له أولا على يد النبي صلى الله عليه وسلم حيث رءاه في النوم ، ثم انضاف الى العارف بالله

---

222) **الدعداعة** ، هو المكان الذي بنيت فوقه قرية سوق اربعاء الغرب او سوق اربعاء سيدي عيسى بين القنيطرة والقصر الكبير .

223) **وادي مضى** : هو الوادي الذي يقع في مخرج قرية سوق اربعاء الغرب في طريق القصر الكبير ، وعليه ملاحات .

القطب الغوث احمد البرنسي المعروف بزروق دفين مسراته ذات الرمال من اطراف برقة ، وسنده مشهور معروف ، ولما توفي الشيخ المجذوب انتقل حاله للشيخ الشهير ، العارف الكبير ، اعجوبة الدهر ، ويتيمة العصر ، ذي المناقب التي لا تحصى ، والكرامات العديدة التي لا تستقصى ، عبد الله بن حسين الشريف الحسني المغاري من شرفاء بني امغار اهل عين الفطر ، المصلوحي دفين قرية مصلوحة (تامصلوحت) على قدر نصف مرحلة من مراكش ، المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمئة ، ثم بعد وفاته انتقل لصاحب الترجمة باذن من النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة ، فأقاموه في الوقت مقامه ، ثم فاضت انواره ، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره ، وسارع نحوه ارباب الارادات ، واقبل عليه اهل الفوز والصلاح من العلماء والأولياء والسادات ، وكان اول مقبل عليه اصحاب شيخه المجذوب ، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الظاهر والباطن ، وتخرج به مشايخ لا يحصون ، ونشأ على يده رجال كبار لا يستقصون ، وظهرت على يديه الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وبقي على ما تقدم بالقصر نحو الاحدى عشرة سنة ، ثم حرك الله قلبه للانتقال الى فاس ، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه المذكور وغيره من المشايخ ، فخرج في صورة الزيارة بأهله ثامن عشر ربيع النبوي سنة ثمان وثمانين وتسعمئة ، فاستقر بفاس ، ونزل في حومة العيون ، ثم انتقل في عامه ذلك الى المخفية فسكن بها بالدار المشهورة بازاء مسجده الذي بناه بها ، واشتهر امره ، وطار في البلاد صيته ، واقبل الناس عليه ، وكثر الجمع لديه ، واتاه الناس على طبقاتهم علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ ، واذعن له الكافة من العامة والخاصة ، وانقاد اليه الملوك والرؤساء ، وانضاف اليه القواد والوزراء وغيرهم من ابناء الدنيا وخدموه ، ولم يستغن عنه احد ، وظهر بذلك مصداق قول شيخه انه كالملح لا يستغني عنه أحد ، وبقي بفاس خمساً وعشرين سنة كما حدّ له الشيخ سيدي علي الحنشي .

وكان رضي الله عنه جبلا راسخاً في الارتسام بالسنة واتباعها ، وغاية في الارتسام بالحقيقة وانواعها ، احد صدور المقربين ، وعظماء الصالحين ،

واصحاب الحقائق والمعارف والتصريف ، وخرق العوائد والتمكين والتعريف ، وقد كان الشيخ سيدي محمد بن عبد الله يثني عليه بالشيخوخة والتربية والحكم ، ويقول غير مرة : ءاخرُ الشيوخ بالمغرب سيدي يوسف ، ويقول كانوا يقولون فيه انه غريب في وقته لانفراده به ، وكان يسمه بالقطبانية كما كان غيره من الشيوخ يسمه بها .

وفي (المنح الصافية) لولده احمد وصفه بقطب الزمان ، وعنصر العرفان ، وفي محل ءاخر بقطب الزمان ، والحامل في وقته لواء اهل العيان ، ووصفه في (ابتهاج القلوب) بالقطب الجامع ، والغيث الهامع ، ثم قال بعد ذلك ما نصه : واما مقام القطبانية فقد وصفه به كثير من تلامذته وكبار اهل وقته من أهل الأذواق العالية ، والمنازلات العيانية ، كما شاهدت ذلك بخطوطهم في كتب شتى ، وبعضها عليه في ظهره جوابه بخط يده المباركة مطلعا على ذلك غير منكر له ولا مغير ، وممن وصفه بذلك ولده الشيخ احمد في كتبه وتراجمه ، وكان من اعرف الناس به وبطريق القوم واصطلاحهم ، انتهى . وممن وصفه بها ايضاً سيدي المهدي الفاسي في (الجواهر الصفية) وغيرها ، والسيد أبو القاسم الفاسي في (تحفة الوارد والصادر) ، وصاحب (عناية اولي المجد) وغير واحد ، وكان رضي الله عنه يقول لا احط راسي وفي لفظ لا امدُّ هذه الرقبة الا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش ، سائر الأولياء يقولون وانا اقول ، ويقول ايضاً ما في زائد الا ان قلبي عين صافية ، وفي (الابتهاج) نقلا عن خط اخيه العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي انه هو المجدد على راس الألف ، وفي (الصفوة) في ترجمة الشيخ محمد بن محمود بن ابي بكر الونكري الشهير ببغيغ المتوفى بتنبكتو سنة اثنتين والف أن الشيخ سيدي أحمد بابا السوداني قال : ولا يبعد عندي ان يكون هو المبعوث على راس هذا القرن العاشر لما اشتمل عليه من العلم ، وذكر الشيخ القصار في ابيات كتب بها في رسالة للسلطان احمد المنصور الذهبي ان المجددَ على راس هذا القرن هو السلطان المذكور ، قلت ولا منافاة بين هذه الأقوال ، لقول الحافظ في الفتح : نبه بعض الأئمة على انه لا يلزم ان

يكون في راس كل قرن واحد ، بل الأمر كما ذكر النووي في حديث (لا تزال طائفة انه تجوز ان تكون جماعة متعددة من انواع المومنين ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد ، قال ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد ، بل يجوز اجتماعُهم في قطر واحد وتفرقهم في الأقطار ، وان يكونوا في بعض دون بعض ، ويجوز اخلاء الأرض كلها من بعضهم اولا فأولا الى ان تبقى فرقة واحدة ببلد واحد ، فاذا انقرضوا اتى امر الله انتهى . والمشهور انه لا يشترط في المجدد أن يكون مجتهداً خلافاً لبعضهم ، ولا أن يكون هاشمياً خلافا لمَن اشترط ذلك ايضاً ، وللحافظ السيوطي قصيدة سماها (تحفة المجتهدين ، بأسماء المجددين) فراجعهـا .

ولصاحب الترجمة رحمه الله ورضي عنه كلام عال في الحقائق واشارات صوفية استنبطها من كتاب الله ، واجوبة نفيسة في التصوف وغيره نفع الله به ، واحواله ومعارفه لا تخفى ولا تنكر ، ومقاماته اجل من ان يعرف بها او تذكر ، وقد افرد ترجمته بالتصنيف غيرُ واحد ، كولده سيدي محمد العربي ، فانه الف فيه كتابه المعروف بـ (مرءاة المحاسن ، من اخبار الشيخ ابي المحاسن) ، وولده احمد ، فانه الف فيه (المنح الصافية ، في الأسانيد اليوسفية) وكولد حفيده سيدي محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف ، فانه ألف فيه (الجواهر الصفية ، من المحاسن اليوسفية) و (روضة المحاسن الزهية ، بمئاثر الشيخ ابي المحاسن البهية) ، وكولد حفيده ايضاً عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، فانه الف فيه (ابتهاج القلوب ، بخبر الشيخ ابي المحاسن وشيخه المجذوب) ، وكالشيخ الامام العلامة ، المتقن الفهامة ، سيدي محمد بن الطيب بنَ عبد السلام القادري الحسني ، فانه افرد ترجمته في منظومة حسنة رائقة سماها بـ (فريدة الدر الصفي ، في وصف الجمال اليوسفي) ، وتعرض فيها لذكر فروعه وبعض احوالهم ووفياتهم ، وما يتبع ذلك ، وعدة ابياتها ثلاثمئة وثلاثة عشر بيتاً ، وللسلطان الأمجد ، العالم الأسعد ، مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف الحسني العلوي تأليف مستقل في صاحب الترجمة سماه (عناية اولى المجد ،

بذكر آل الفاسي ابن الجد) ، وهو تأليف حسن مفيد جزاه الله خيرا ، وفي هذه الكتب وغيرها من احواله ومناقبه وكراماته ما يغني عن التطويل .

توفى رحمه الله بفاس ءاخر الثلث الأول من ليلة الأحد الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة والف ، عن خمس أو ست وسبعين سنة نصفها كان خادماً ونصفها كان مخدوماً .

جناك على مقـدار ما قـد غرستـه فدونك فاخترْ عوسجا أو بنفسجـا

ولما توفى سطعت منه غرة بيضاء شاهدها كل من حضر ، وغسله من الغد صاحباه سيدي علي البيطار ، وسيدي الحاج ابراهيم بن قاسم ، وحمل الى جامع الأندلس فصلي عليه به اثر صلاة الظهر ، ودفن بهذا الخارج بروضته الشهيرة به ، قال في المرءاة تحت مصلى العيد الجديد من شماليه الشرقي ، وفي جهة القبلة من جميع ما هنالك من ترب الصالحين وروضانهم في ذلك السفح الذي فيه الشيخ علي حماوش ، والشيخ علي الصنهاجي ، والشيخ محمد ابن بكار ، والشيخ رضوان ، والشيخ الحسن الجزولي ، وغيرهم رضي الله عنهم ، ونفعنا ببركاتهم ءامين انتهى .

وعلى روضته الى الآن حوش بناء يدور بها ، وقد اشتملت على عارفين ومجذوبين وسالكين ومن له قدم في الطريق او نسبة صحيحة من اصحابه الذين ماتوا زمن الوباء الواقع في حياته سنة ست والف ، والذين ماتوا بعد ذلك ، واصحاب اصحابه واتباعهم كثيرون ، كما اشتملت ايضاً على جماعة من اولاده واحفاده واحفادهم الى هلم جرا ، وسنذكر على الأثر جماعة منهم ومن اصحابه .

وكان رحمه الله قد اوصى بقرب موته ان لا يبنى عليه ، فوقع التأويل في وصيته ، واخذ في البناء حتى رفعت أركان الروضة ثم صرفوا عنها الى سنة احدى واربعين والف ، فانتدب لبنائها تلميذه العارف بالله سيدي محمد ابن عبد الله ، وحضر على بنائها وانفق عليها من ماله وبذل المعلمون مجهودهم

في الاتقان بها ، وهم يستشيرونه في ذلك الى أن تمت في اتقن صنع ، ولم يكن في قباب فاس في ذلك الوقت ما يوازيها رفعة وبهجة وسعة ، ومما كتب بعد ذلك في نصف دائرتها من جهة راسه في زليج هذه الأبيات وهي موجودة هناك الى الآن من نظم الفقيه الأديب الصوفي محمد الطيب ابن مسعود المريني رحمه الله :

بشراك بالبركات والامداد ... وتزايد الخيرات والارشاد
يازائراً هذا الضريح فانه ... قبر به سرّ النبي الهادي
هذا مقام ابي المحاسن يوسف الـ ... ـفاسي المبارك شامخ الأطواد
شيخ المشايخ قطب دائرة الر ... جال العارفين مناهل القصاد
الله عظم قدره واختاره ... لبساطه في سائر الايجاد
ما زاره الا سعيد باله ... من زائر قد فاز بالاسعاد
فاخضعْ له متأدباً تنلِ المنى ... وسل الكريم بفضله المعتاد
ان القساوة لا دواء لضرها ... الا زيارة ساكن الالحاد
ولخير أعمال العباد جلوسهم ... عند الولي هنيأةً للصادي
ولرب زورة عارف اربى الفتى ... منها على العباد والزهاد
فلكم انال ابو المحاسن نفحة ... قدسية من رائح او غاد
حتى توفاه الاله لجنة الـ ... ـفردوس في جيش (224) كريم ناد
صلى الاله على الرسول محمد ... خير الوجود وسيد الأسياد

وقبره الى الآن مزارة عظيمة عليه دربوز وهو مشهور معروف عند الخاصة والعامة يزورونه ويتبركون به رضي الله عنه ونفعنا به .

وممن ترجمه صاحب الممتع والمطمح والصفوة والروض والنشر وغير واحد انتهى (225) .

وممن ترجمه الحضيكي في طبقاته ، وتحفة اهل الصديقية .

---

224) عدها بالأرقام 1013 وهي سنة وفاته

225) **سلوة الأنفاس** 2 : 306

وقال في الممتع بعد ذكره وذكر شيخه سيدي عبد الرحمان المجذوب : وكان اول شيء فجأه انه كان يقرأ في المكتب ، فكتب في لوحه (ومَن يهاجر في سبيل الله يجدْ في الأرض مراغما كثيراً وسعة) الى ءاخره ، ثم ذهب ورجع فلم يجد في نفسه متسعاً لقراءة ولا غيرها ، ولم يجد الا المشي يزور سيدي عبد الرحمان المجذوب ، ولم ير في اللوح الا ذلك ، قيل انه رءاه فيه مكتوباً بالنور ، فسأل بعضَ جيرانهم عنه فاذا به من اصحابه ، وهو سيدي محمد بن علي النيار الأندلسي ، فسقط منه على الخبير ، فقال له يابني ذالك شيخنا ، ونحن في انتظاره قريباً ، فقال له اذا جاء فاعلمني ، فلما جاء اعلمه وقال له نحن بائتون معه عند فلان ، فقال كلمْ والدي في شأني لأبيت معكم ، فكلمه فاذن له لوثوقه بالرجل المذكور في ديانته وأمانته ، فبات معهم وجلس بمعزل من الناس لصغره وعدم مخالطته لهم ، فلما كان بعد هدوء من الليل اتاه ووضع يديه عليه ، وجعل يقول ها انت ياأخي ، جعل الله لنا فيك البركة ويكررها ، فكانت تلك الليلة اول ذهابه اليه ، ثم بات عنده ايضاً ليلة ثانية بزاوية سيدي محمد الصباغ بالقطانين ، فرقد الشيخ ووقع بين اصحابه وقوم دخلوا عليهم نزاع ولغط كان اصحاب الشيخ يذكرون كلامه ، فقال القوم الداخلون نذكر كلام الششتري وما جرى مجراه ، فوقع بينهم في ذلك كلام ، فأفاق الشيخ وجعل يقول اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ اتعملون لي هذا وابن الفاسي عندي ؟ يكرر ذلك ، ثم استمرَّ على صحبته وملازمته وخدمته ، وبقي مع ذلك على قراءته ، فقرأ على أهل بلده ما كتب له ، ثم سافر به والده الى فاس للقراءة على مشايخها ، فكان من التدارك الرحماني ان مكن في سنين قليلة من تحصيل العلوم ، فتكيف له من ذلك ما لمْ يتكيفْ لكثير من الطالبين في اضعافها ، وذالك فضل الله يوتيه من يشاء ، ثم رجع من فاس الى القصر بعلم غزير ، فانتفع به الخاص والعام ، وقام للعلم سوق واحيا الله به من يومئذ البلاد والعباد ، وسرت محبة العلم وتعلمه في الخاص والعام ، وظهرت بركته فيهم وفي اهليهم وأولادهم ، اذ كان علمه مصحوباً بالنور والفتح الرباني ، وتخرج به كثير من اهل الطلب ، فاستقلَّ في ذلك القطر برئاسة العلم والدين ، منفرداً في ذلك اماماً متبوعاً مسموعا ، وهو في ذلك ملازم لشيخه وخادم له ،

ثم ان الله جذبه اليه ورفع همته فلم يقف بها على شيء دونه ، وشغله به عما سواه ، ثم كنس وجوده وافناه عن شهوده ، لغيبته في مشهوده ، واستولى على باطنه امر الحق تعالى حتى لم يبق هاجس ولا وسواس ، وكادت تستولي عليه الغيبة عن الاحساس ، والشيخ يربيه في ذلك بالحال ، ويرقيه في مدارج الكمال ، وكان يمتحنه كثيراً ويلقى عليه من انواع المشاق والمتاعب ما لا يوصف ولا يقف له الا من ايده الله تعالى يهذبه بذلك ، فيتلقّاه ثبتاً لا تحوم الاستكانة حوله ، وكان طريقة الشيخ ابي محمد رضي الله عنه صعبة ، فكان غير الشيخ يوسف لا يثبت معه ثبوته ، مع انه لم يكن يقصد الغير ، فكل ما كان يقصده به لشدة اعتنائه به .

ومما اتفق لـه من ذلك انـه سمع بـه قد تـزوج فخـاف عليـه المرأة أن تاخذ ببعض قلبه ، فأتاه ايام العرس وقد دخل بأهله فأدخله الدار واجلسه في بيت الزفاف ، وهو مزين مفروش على العادة عند النكاح ، فقال لهم ايتوني بحطب اصطلي بالنار ، فأتوه بالحطب ، فجعل يوقد النار في بيت العرس وقد كثر الدخان وغصَّ الناس به وهو يصطلي وينظر الى الشيخ يوسف هل يحسُّ بذلك او يقع له به تغير ، فلما لم يره بالى بشيء من ذلك وهو فرح مسرور رضى بما يعمل كأنه يقول له اتتجلد علي ؟ فقال له سر معي ، فسار معه وهو حديث عهد بعرس الى أن وصل منزله فتركه يبيت هنالك وسلط عليه الحمى ، فكان اذا اخذته الحمى الباردة لم يجد ما يلقي عليه الا برذعة كانت هنالك فيتغطى بها ، فاذا ذهبت ازالها ، فبقي كذلك اربعين يوماً ، وكان في خلال ذلك يأتي فينظر اليه ويقول اذا طاح العلَم اقرأ السلام ، بمعنى لو لم يثبت هو عند الامتحان لم يثبت احد ، لأنه كان المشار اليه في اصحابه ، والمنتظر لوراثة حاله ، ثم يغيب عنه ما شاء الله ايضاً ثم يأتي ويقول له كذلك ، فلما استكمل الأربعين يوماً جاءه فقال له قمْ فاذهبْ الى اهلك ، مَن لم يشبع لا يشبع ، وكان واقفاً في موقف الخدمة بنفسه وماله لا يبالي في جانبه بشيء من صرف المال ، وبذلك مهجة ولا يستصعب ركوب امر في ذلك ولا يكثرت بلوم لائم ولا طعن طاعن ، بل هو محمول في ذلك كله ، لا يحس بشيء منه ، وليس عليه فيه كلفة ، ولم يكن احد من أصحاب شيخه يوذى ما يوذى

به هو في صحبته ، فكان يوذى الأذى البالغ في نفسه وعرضه لكونه كان العلم فيهم والمقتدى به منهم ، فكان لا يُبالي بكل ما يصيبه في خدمته ، وكان يقول للائمَه في خدمته : والله لو ضربتموني بسيوف النار ما رجعت عنه ، وكان له مال جليل من تجارة ابيه ، فجعل ينفقه عليه وفي وجوه الخير يمينا وشمالا حتى أتى على ءاخره ولم يبق بيده شيء من عرض الدنيا الا داراً كانت بمحل الضرورة لسكناه ، ثم انها شغلت قلبه ولم يرد ان تبقى على ملكه معه ، فلما قدم الشيخ القصر وكان يوم جمعة تعرض له بمفاتيحها بباب المسجد الذي كان يعتاد الخروج منه ، فكاشفه الشيخ بذلك بخلف عادته وخرج من باب ءاخر ، ثم لقيه بعد ذلك فناوله المفاتيح ، فقال له ارحْ نفسك واقعد في دارك ، فهي دارنا ان احتجنا اليها اخذناها تطييباً لقلبه ، ثم عزم على بيعها مرة في مبلغ يحمله لشيخ سماه ، ففتح عليه بذلك المبلغ وسلمت الدار ، وذلك انه لما قرب اجل الشيخ ابي محمد قدم القصر ونزل بظاهره ، فتلقاه اصحابه وفيهم الشيخ يوسف ، فلما اطمأن بهم المجلس قال لهم انا اردت ان ازور السلطان ، ثم قال لهم انا لنشتري القدور كثيرا وتنكسر ، فقالوا لا يليق بك الا قدر نحاس وكسكاس نحاس ، فقال لهم وكم ثمن ذلك ؟ فقالوا خمسين اوقية ، فقال هل فيكم من يعطي خمسين اوقية ؟ فسكت القوم كلهم ، قال الشيخ يوسف : فوقع في نفسي ان الشيخَ قرب اجله ، وانه اراد أن يوجه مدده الى احد من اصحابه ليقوم خليفة من بعده ، وان ذلك موقوفٌ على الخمسين اوقية ، فقلت الله ييسر مَن يعطي ذلك من اصحابنا ليعمر المكان ونستظل تحته كما كنا نستظل تحت الشيخ ، ولم يكن اذذاك عندي منها درهم ، فأعاد عليهم القول فلم يجبه احد ، ثم ثالثاً فلم يملك الشيخ يوسف نفسه ان قال له ياسيدي انا ءاتيك بها ، فقال وتفعل ذلك ؟ قال نعم ، فقال قم الآن ، فقال اسرجوا له فرسي ، ثم قال انا اسرج له ، فقام فأسرجه ، فجاء الشيخ يوسف يركب فأرادوا ان يحبسوا له الركاب ، فقال وهل انتم تحبسون له ؟ انا احبس له الركاب فحبسه ، قال فاستحييت منه ، فحتم علي فلم يكن بد من اسعافه ، فركب ودخل القصر عازماً على بيع الدار ، فلما دخل لقيه بعض المحبين الأسخياء من الأصحاب ، فأعطاه الدراهم ، فرجع بها من حينه ، فلما تراءى

للشيخ جعل يقول لهم هاسيدي يوسف جاء ، هاسيدي يوسف جاء ، ثم وصل ، فقال وهل جئت بالدراهم ؟ فقال له نعم ياسيدي ، فقال له كذلك انت يبتليك ويتوب عليك ، ثم قال له انا جعلنا دارك بفاس ، قال فوقع في نفسي استعظام ذلك تهيباً لسكنى فاس لكثرة مطالبها وصعوبة معاشها ، وذلك شيء في نفسي فقط ، فقال لي : لا وتحطب لك الرياح ، فكانت العطية المذكورة ءاخر عطية ، وسلمت الدار من البيع ، وبسطت عليه الدنيا من يومئذ ، وظهرت عليه في حياة شيخه بركتــه ظهوراً لا يشك فيه ذو بصر او بصيرة ، فعلا شأنــه ، واشرقت فيه انوار المعارف ، فتحقق بمقامات الواصلين ، ومنازل المقربين ، ومراتب المحققين ، واعطيَ التأييد والتمكين .... وقال في ءاخر امره : سيدي يوسف كنت انا شيخه واليوم هو شيخي ، وكان الشيخ يوسف يأخذ عنه الطريق ، وقلده فيها ، وكان الشيخ ابو محمد يقلده في امر دينه الظاهر ، ويأخذ عنه ، فلعل ابا محمد يعني بكلامه المتقدم الشهادة لسيدي يوسف بأنه انتهى امره في الطريق ، وكمل حاله ، ولم يبق به احتياج الى شيخه ، وشيخه ما زال يحتاج اليه في امور دينه ، والله اعلم ، وكلامه فيه كثير جداً ، فكان اصحاب شيخه لا تجد احداً منهم الا ويحفظ بعض ما كان يثني عليه به ، وكان لا يزال يوصي اصحابه به ويحضُّهم على صحبته ، ويحرضهم عليه ، ويشير لهم اليه ، ويعرفهم انه الخليفة عليهم بعده ، ويحذرهم أن يتخذوا احداً غيره بعده شيخاً ، ويقول انه سيظهر امره شرقاً وغرباً ، وانه سيتفرد في عصره ، ويقول انه سيكون له اتباع كثيرة متتابعون تنتشر منهم الأذواق العالية ، ويكونون واقعين في مقام الدعوة والتمكين ، ولما كان في مرض موته جمع اصحابه واوصاهم به ، وقال لهم انما جمعتكم لأوصيكم ، لأن الموت فوت ، ثم جعل يصف لهم الرجل الكامل وما يجمع من الأوصاف الحميدة والخصال المجيدة ، حتى اتى في ذلك بما اراد ، وكان الشيخ يوسف عند راسه ، فاومأ اليه شيخه وجعل يده على راسه ، ثم قال وهو هذا ، ولما اخذ يوصيهم بكى بعض اصحابه ، وقال له أتتركنا يتامى ؟ فقال انا ما تركتكم يتامى ، صاحبكم معكم ، وكذا كان يوصي اولاده ايضاً به ، ويحضهم على صحبته . وكان خلف تسعة رجال او عشرة فأعرف ممن صحبته منهم اربعة ، احدهم ولده الأكبر السيد

لفاضل البركة محمد السبع ، وكان يقول محمد عندي فيه ثلاثة ولدي واخي
صاحبي ، فصحب الشيخ يوسف وانقاد له ، وكان يستشيره في اموره ويصدر
ن رايه ويوصي اولاده به ، والثاني السيد الخير البركة عياد ، خدم السيد
وسف واعتمده ، والثالث السيد احمد صحبه كذلك وانتسب اليه ، ورابعهم
لشيخ الولي الكبير علي بوفصلون فاياه صحب واليه انتسب ، وعلى يديه
تح له وبه انتفع رحمهم الله ورضي عنهم .

وكــان الشيخ يوسف في خــلال صحبته للشيخ ابــي محمد
ضي الله عنهمــا يلقى مشايخ الطريــق من اهــل عصره ويأخــذ عنهم ،
كن لا على سبيل التحكيم في نفسه وسلب الارادة ، بل على سبيل التبرك
هم والاستفادة ، ولم يكن بالوصف الأول الا مع شيخه ابي محمد رضي الله
نه ، فكان ممن لقي جماعة من اصحاب الشيخ التباع ، وجماعة من اصحاب
لشيخ الغزواني ومن غيرهم ، منهم الشيخ ابراهيم الزواري التونسي كان
تردد اليه مدة استيطان الشيخ ابراهيم القصر قبل انتقاله الى فاس ، وتقدم
يمن اخذ عن الشيخ التباع ، ومنهم الشيخ احمد بن منصور الحيحي ، وقال
ن اول حالة تحقق بها حالة الشيخ احمد بن منصور ، قال واتيت ببرنس ذي
مفاتيح قال اخوه سيدي عبد الرحمان الفاسي فيه اشارة الى التصريف من
رفع وخفض وولاية وعزل وغير ذلك مما هو معلوم عند اهله ، ومنهم الشيخ
محمد فانون المطاعي ، والشيخ عبد الله الهبطي ، والشيخ الحسن بن عيسى
لمصباحي ، والشيخ محمد ابن مخلوف الضريسي ، والشيخ سالم العماري ،
ولقنه ذكراً كان يذكره ادبار الصلوات عن شيخه سيدي عبد الرحمان ابن
ريسون ، عن الشيخ الغزواني ، ومنهم الشيخ محمد بن علي الطالب ، والشيخ
سعيد ابن ابي بكر المشنزائي ، والشيخ عبد الله ابن ساسي ، وغيرهم من المشايخ
ممن لا يحصى ولا يعرف شهادة وغيباً ومن اهل الظهور والخفاء ، وكان له
في لقاء اهل الخفاء بخت لا يوصف ، وكان الأمر له في لقاء المشايخ باذن شيخه
ومع الجمع عليه ، وقدم على الشيخ ابي محمد يوماً من القصر بعض المنتسبين
اليه ، فسأله كيف هو سيدي يوسف ؟ فقال له سيدي يوسف ليس هو فينا
اليوم ، هو في مخالطة ناس ءاخرين فتغافل عنه الشيخ ثم سأله ثانياً ، فعاد لكلامه

الأول ، فقال له يافلان يافلان شلل (226) فمك وحينئذ نذكر سيدي يوسف ، ومن شيوخ صاحب الترجمة ايضاً والده محمد بن يوسف الفاسي ، وكان ذا دين متين وسخاء عظيم ، صح عنه انه كان يحسب كل يوم ما انفق في داره فيتصدق بمثله ، وكان له اوراد من ذكر وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من دلائل الخيرات ، وصلاة بالليل ، واخذ عن الشيخ أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي المتقدم في اهل روضة الأنوار ، ومن اشياخ الشيخ يوسف ايضاً الشيخ علي العربي المسمى به المسجد الذي بطرف القطانين من القصر من جهة السوق ، وهناك قرأ عليه القرءان ، وكان رجلا صالحاً فاضلا ، ولما مرض الشيخ ابو محمد مرض موته جمع اصحابه واوصاهم كما تقدم ، ثم صرفهم الى ديارهم ليحضروا العيد مع اولادهم وعيالهم ، وبسبب ذلك لم يحضر الشيخ يوسف موت شيخه ، وانما لحقه في الطريق كما تقدم ، ثم صرفهم الى ديارهم ليحضروا العيد مع اولادهم اذ لم تمكنهم مخالفته ، ولا وسعهم الا مساعفته ، فمات الشيخ ليلة عيد الأضحى ، ثم أصبح الشيخ يوسف ذاهباً الى خارج المدينة اما لزيارة ضريح ولي أو الى جنانه خارج باب الواد احد ابواب القصر فيما قيل ، ويحتمل ان يكون الى المصلى في وقت الخروج اليه ، فلقيه رجل من اهل الخصوصية من اهل الغيبة في حاله ، فقال له اين شيخك ؟ فقال له ببلاده ، فقال له انه قد مات ، فانه لم يقف معنا البارحة بجبل عرفة ، وكان يقف به كل عام ، وقد انتقل حاله الى سيدي عبد الله بن حسين بمصلوحة (تامصلوحت) ، فقال له الشيخ يوسف ونحن اجرنا على الله ، فقال له لا انه اليك يعود ، ثم بعث اليه سيدي عبد الله بن حسين ان ياتيه ، وقال له ان سر شيخك عندي ، فامتنع الشيخ من الذهاب اليه ، وقال اخاف ان ظهر عليّ خير يقال انه من سيدي عبد الله بن حسين ، فيضيع حق شيخي وظهور بركته علي ، فان كان لي عند سيدي عبد الله بن حسين شيء يصلني ان شاء الله ، فكان كذلك ، فلما حضرت سيدي عبد الله الوفاة اوصى له بشيء من اثاثه اشارة الى اداء ماكان اودعه من تراث شيخه المجذوب ، فلما سمع صاحب الترجمة بموته

(226) شلل في العامية المغربية معناها غسل غسلا خفيفاً

قال الآن اذهب اليه ، فمشى وزاره في قبره ، واخرج له اهل سيدي عبد الله ما اوصى به ، من جملته مضمة ، فأخذ ذلك ورجع ، قيل وكان مدة ما بين موت سيدي عبد الرحمان وسيدي عبد الله نحو الستة اشهر ، وكان الشيخ صاحب الترجمة بعد موت سيدي عبد الله بن حسين وان اهل الله مجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم وهم يتفاوضون فيمن يخلف سيدي عبد الله ، ويقوم مقامه ، فأشار سيدي عبد الله بصاحب له سماه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأتي الكوش يعني عبد الرحمان المجذوب ، وكان لم يحضر ، فاذا به قد اتى ، فقالوا له ، فأشار بصاحبه الشيخ يوسف فوافق عليه النبي صلى الله عليه وسلم والجماعة ، فأقاموه في الوقت ، فمن يومئذ فاضت انواره ، وطار في الآفاق ذكره واشتهاره ، وسارع نحوه ارباب الارادات ، واقبل اليه اهل الفوز والفلاح من العلماء والأولياء السادات ، وكان اول مقبل عليه اصحاب شيخه ابي محمد رضي الله عنه ، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الشريعة والحقيقة ، ونهض بأعباء الطريقتين بتأهيل الله تعالى وتأييده ، وكثر تابعوه ، وتخرج به مشايخ ، ونشأ على يده رجال ، وظهرت على يديه الخوارق العظام ، والكرامات الجسام ، وكان مفزعاً لأرباب القلوب والأحوال في مداواة عللها ، وحل مشكلها ، فكان مقصوداً لذلك من المريدين والمشايخ ، كل بحسبه ، وكانت مشايخ تلك البلاد وما اضيف اليها يبالغون في تعظيمه ، ويعترفون بجلالة قدره ، ويقصدونه لحل المقفلات ، وبيان المشكلات ، فكانوا يزدلفون اليه ويدينون بالتواضع بين يديه ، منهم سيدي محمد بن الزبير ابن ابي عسرية المصباحي ، واخوه سيدي ابو القاسم ، وسيدي محمد العفاني ، وسيدي علي الشبلي ، وسيدي علي الحنشي ، وسيدي محمد القجاج ، وسيدي احمد الردام ، وسيدي ابراهيم ابو الخيرات ، وسيدي قدار ، وسيدي محمد ابو عبد الله المكناسي ، وسيدي احمد الدغوغي المكناسي ، وسيدي علي ابو الشكاوى ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة ، وكانوا يقولون فيه انه غريب في وقته لانفراده فيه ، وهنالك دلَّ عليه سيدي محمد بن عمر المختاري وهو من احواز مكناسة سيدي جابر كما تقدم ، وكان سيدي عبد الله الدراوي عرف بالحداد رجل من اهل الاغاثة والحظوة يمشي للبلاد البعيدة ويرجع في طرفة

عين ، وكان صاحب ملازمة ، فكان مع شيخه الأول سيدي علي الحداد بفاس منه اكتسب سيدي عبد الله التسمية بالحداد ، فقال له يوماً ياعبد الله انا بايعنا اوقال ان اهل الله بايعوا اليوم سيدي يوسف الفاسي ، وهو ان وجدك هاهنا في هذا البلد لا تفلح معه ، فاذهبْ اليه ، فأتاه بالقصر ، فلما سلم عليه ونظر اليه اخرج اليه فاسا وامره بالخدمة في جنانه الى ان كمل اربعين يوماً فيما بقي على بالي ، ثم قال له اذهبْ حتى ءاتيك ، فقال له الى اين ياسيدي ؟ فقال له الى فاس ، فأتى لفاس ومكث بها حتى اتاها صاحب النرجمة واستوطنها فصحبه ولازمه الى أن توفى الشيخ وبقي أعني صاحب الترجمة على ما تقدم بالقصر نحو الاحدى عشرة سنة ، ثم حرك الله قلبه الى الانتقال الى فاس ، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه وغيره من المشايخ ، كسيدي علي الحنشي وسيدي قدار ، ورأى اعني الشيخ يوسف اهل الله مجتمعين وهم يقولون هذا الرجل لا يستقيم دينه الا بالزاوية يعنون مدينة فاس ، وكان ذلك لكون القصر لا يسعه ولا تسع عقول اهله علومه ، ولذلك لما سأله القاضي عبد الواحد الحميدي ما الذي جاء به من بلدك ؟ قال له كسدت ، رجع الياقوت في ايدينا حجرا ، ولما انهم لم يقبلوا خير الله اذ جاءهم فأنكروا على الشيخ يوسف وشيخه ابي محمد فصرفه الله عنهم ، ولكون مدينة فاس في احتياج اليه كما قاله القاضي الحميدي في كتابه لأهل القصر حسبما رايته بخطه ، وهي المناسبة لعلو شأنه وامامته ، ولما ان اصحابه الآخذين عنه بفاس قال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه قيل لي انتقل الى الديار المصرية ترَ بها اربعين صديقا ، وقال سيدي علي الحنشي لبعض اصحاب الشيخ يوسف وهو سيدي محمد العوفي اخو سيدي عبد الرحمان القادم معه لفاس : سيدي يوسف اصحابه بفاس ، فقال له وهل بالقصر منهم احد ياسيدي ؟ فقال له نعم انت منهم ، فانتقل الى فاس بعد ان بعث تلميذه سيدي ابراهيم الصياد اليها ، فالتقى مع البهلول الذي كان بها وهو سيدي الحاج محمد الرامي دفين خارج باب الجيسة ، ويقال انه شيخ سيدي جلول دفين داخله ، فذهب الى الشهود ، فأشهد على نفسه بتمكين الشيخ يوسف من فاس بجميع منافعها ومرافقها ، ثم احتملوه وكان مقعدا ، فأخرجوه من فاس ، فكان يرى تارة بناحية سبو

وتارة بفاس الجديد الى أن توفي ، وعرضت له يوماً حاجة اكيدة بقصبة فاس ، فما دخلها الا متمسكا برجل من اصحاب الشيخ يوسف ولائذاً به ، فقضى حاجته وخرج سريعاً .

ولما استقرَّ الشيخ يوسف بفاس اقبل الناس عليه وكثر الجمع لديه ، وسرت في الناس نفحة اهتزوا بها طرباً ، وكثر طلاب الدخول في الطريق ، وترادف القاصدون من الجهات ، وقال لهم يوماً : والله لو احببت لتعطلت الأسواق والطرازات ، وصار الناس كلهم هنا يصيحون الله الله ، واتاه الناسُ على طبقاتهم علماء وعباد وزهاد ومريدون ومشايخ ، واحتاج اليه الملوك والوزراء والقواد وغيرهم من ابناء الدنيا وخدموه ، ولم يستغن عنه احد ، وهناك بعث اليه سيدي محمد الشرقي معترفا بتقدمه عليه ، ودلَّ عليه سيدي محمد البكري الصديقي المصري مَن سأله من المغاربة عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه ، ودلَّ سيدي الحاج محمد الرامي البهلول المتقدم صاحباً له عليه وسماه بالبحر وبالسلطان ، وكان سيدي ابو يحيى البهلول المعروف المدفون مع سيدي رضوان بروضة واحدة في جنازة ، وكان فيها الشيخ يوسف ، فجاء انسان يسلم على سيدي ابي يحيى ، فجعل يشير له الى الشيخ يوسف يدلُّه عليه ، فلما لم يفقهْ سبَّه وطرده ، وكان رجل من من اهل الله بالشناكين من فاس ، فمر به الخضر عليه السلام فسأله الى اين ؟ فقال له انه رسول من النبي صلى الله عليه وسلم الى جموع الفقراء الذين بفاس ليختبر حالهم وما هم عليه ، وهو بجبل طغات (227) فسأله ان يرجع اليه بما تفرقوا عنه ، وكان هذا الولي من الأخفياء الذين لا تباعة لهم ، فلما تفرقوا اتاه فأخبره بأن اعلامهم كلها رجعت منكسة الا علم صاحب الترجمة ، قال لوقوفه مع السنة واستمساكه بها ، وتكلم الشيخ يوسف يوماً بكلام في الطريق ، فقال له بعض الحاضرين ان فلاناً اظنه ابن عطاء الله لم يقل هكذا ، فقال له الشيخ لست بمقارض لأحد ، فلان قال ، وانا اقول ، وفلان يقول ، وانا اقول ، حتى ذكر جماعة مع اعيان مشايخ الطريق ، ثم قال : ولا

---

227) جبل مطل على فاس يقع في شمالها غربي جبل زلاغ .

احط هذه الرقبة الا للجبل الراسخ سيدي عبد السلام بن مشيش ، وكان صاحب الترجمة يوسم بالقطبانية ، فبقي بفاس خمساً وعشرين سنة كما حد له سيدي علي الحنشي ، ثم نقله الحق الى دار كرامته (228) .

ثم قال في (الصفوة) : وله كرامات ، منها ان نهر القصر وهو وادي كسر جاء بسيل عظيم لم يعهد مثله ، وطغى الماء فدخل المدينة دخولا منكرا ، وهو في زيادة والأمطار منسجمة ، فجاء الناسُ الى الشيخ مرتاعين واستغاثوا به ، فقام الشيخ الى أن وصل الى المواضع التي وصل اليها وهو في حال الزيادة وقوة الجرية ، فركز هنالك عكازه ، وقال ان كنت مأموراً فأنا مأمور ، فما زاد الوادي على ذلك شيئاً واخذ في الرجوع ، ومنها انه خرج لزيارة بعض الصالحين ، وكان معه رجل من اصحابه له بغل فمات البغل وحزن عليه صاحبه حزنـاً عظيماً ، واتى للشيخ واخبره ، فقال له الشيخ اين هو ؟ فأتى به الى ان اوقفه عليه وهو ميت ، فضربه الشيخ برجله وقال له قمْ ، فقام البغل حياً ما به شيء ، ومنها ان الشيخ دخل يوماً دار بعض قرابته فوجد امرأتين تختصمان ، واحدة كانت لا تلد الا البنات ، والأخرى لا تلد الا الذكور ، وهذه تضحك من الأخرى وتهزأ بها ، فغضب الشيخ عليها ، فما ولدتْ صاحبة الذكور بعد ذلك الا البنات ، والأخرى لم تلد الا الذكور ، حتى كانت كلما حملت تفصل ثياب الذكور جزماً بوعد الشيخ .

وكراماته رضي الله عنه كثيرة ، ذكر منها صاحب (ابتهاج القلوب ، بخبر ابي المحاسن وشيخه المجذوب) وصاحب (ممتع الأسماع) جملة صالحة لو تتبعناها لطال الكتاب .

وله رحمه الله كلام عال في الحقائق ، واشارات صوفية استنبطها من كتاب الله ، فلتراجعْ في كتاب (مراءاة المحاسن) لولده سيدي محمد العربي ، ومن فوائده ما قال في اختلاف العلماء في ولادة النبي صلى الله عليه وسلم هل كانت ليلا او نهارا : هذا انها كانت مقارنة لطلوع الفجر جمعاً بين الأدلة

---

228) **مرآة المحاسن** ص 134 ـ 142

وتوفيقاً بين الأقوال ، قال ولده سيدي محمد العربي فبقي النظر عليه هل السابع هو الثاني عشر او التاسع ينظر في قول المختصر ، والقي يومها ان سبق بالفجر هل المقارنة كالسبق ام لا ؟ ومن فوائده ايضاً انه سئل عما قاله بعضهم ان مَن قال انه عليه السلام خلق من نطفة تُمْنَى فقد كفر ، انما هو كعيسى ، فأجاب الكفر فيما قاله هذا البعض ، النسب الشريف اذ لا يكون ابن عبد الله الا اذا كان من نطفة ، وقد نصّ السهيلي في الروض على انه من نطفة كسائر البشر ، نعم هو من نطفة طاهرة اتفاقاً ، وفوائده كثيرة ، واقتصر في ترجمته في (الاعلام بمن حضر وغبر) .

1645) يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي

يوسف بن تاشفين بن اسحق بن محمد ابن علي الصنهاجي اللمتوني ، مراكشي ، كان من الرؤساء المتعلقين بطرف صالح من العلم الراغبين في طلبه ولقاء حملته والأخذ عنهم ، ودخل الأندلس . ؟

1646) يوسف بن علي ابن الملجوم الأزدي

يوسف بن عيسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن قاسم المدعو بالملجوم ...... بن عيسى بن محمد بن فنتروس بن مصعب بن عمير بن مصعب .... الأندلس ازدي ، ابو الحجاج ابن الملجوم ، تفقه بأبيه وروى عنه وعن ابي محمد : عبد العزيز بن عامر بن قاسم بن عباس بن عامر الأسدي الفاسي ورحل .... فاخذ بها عن أبي القاسم بكار ابن برهون بن عيسى الغرديس الفاسي .... واجاز له عام ستة وثمانين واربعمئة ، واجاز له من قلعة حماد عبد الجليل بن ابي بكر الربعي القيرواني في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين واربعمئة .

روى عنه ابنه عيسى .

وكان محدثاً راوية عدلا ضابطاً فقيهاً حافظاً راساً في الفتيا متقدماً في الآداب ، من بيت علم وجلالة ورياسة واصالة ، ولما خرج من الصحراء الى المغرب ابو بكر بن عمر اللمتوني ووصل الى السوس

ومعه يوسف بن تاشفين قائد اعنته وذلك سنة احدى وستين واربعمئة سافر من فاس يوسف هذا اليهم حتى لحقهم بالسوس ، واهدى الى يوسف بن تاشفين عيبة ثياب وسرجاً صيرياً ، فاراد مكافأته على ذلك فابى عليه ، وقال له ما انا بتاجر ، ولكن زناتة اهل جور عندنا وانتم تملكون بلادنا فأردت معرفتك ، ثم انصرف الى فاس ، وورد ابو بكر بن عمر بن ابراهيم اللمتوني فاس في صفر اثنتين وخمسين واربعمئة واخرج منها زناتة ، ثم انصرف عنها وترك فيها جنده ، فتغلب عليهم زناتة ودخلوا فاس اقبح دخول ، وتداولوها الى أن وردها يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني في ذي الحجة عام اثنين وستين واربعمئة ، فألفى بها قاضياً يوسف هذا على القرويين منها ، فنقله لقضاء مكناسة الزيتون ، ثم بعد برهة من الزمان قدمه لقضاء الجماعة بمراكش ارى ذلك في عام اربعة وسبعين واربعمئة ، واجاز معه الى جزيرة الأندلس ، وحضر معه الزلاقة عام تسعة وسبعين واربعمئة ، وكان عنده حظياً مقبول الاشارة معتمد الرأي مسموع القول ، وكان معه محمد بن سعدون بن علي القيرواني ، فعزل برأيهما جميعاً مَن اشارا عليه بعزله من .... مَن اشارا عليه بابقائه ، ولما ورد الخبر من الصحراء بموت .... ابراهيم اللمتوني وكان الأمير يوسف بن تاشفين بن ابراهيم .... يعرف بفج الصاري ، عقد له يوسف هذا الامارة امراء لمتونة .... معهم من لمتونة وسائر اجناد المغرب ، وذلك في عام .... هذا قاضياً يرحل اليه طلبة العلم من فاس وغيرها ومن بلاد المصامدة .... الفقه ويروي الحديث ، وكذلك اذا مشى الى فاس بلده يوخذ عنه الا .... وتفقهاً الى أن خرج مرة من مراكش قاصداً فاس فتوفى بتونين قريباً من مراكش ، فـرد ميتـاً الى مراكش ، فدفن بها ثم نقل الى فاس وذلك في اواخر عام اثنين وتسعين واربعمئة ، وكانت وفاته في ذي القعدة منها ، ومولده في ذي القعدة من عام سبعة وعشرين واربعمئة ، وقيل ليلة عاشوراء عام ثمانية وعشرين واربعمئة (229) .

---

(229) الترجمة منقولة بالحرف من **الذيـل والتكملة** 8 : 208 (قسم الغربـاء ــ مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

1647) يوسف بن عيسى ابن عمران المكناسي

يوسف بن عيسى بن عمران بن أدفال المكناسي ثم الوردميشي ، مراكشي ، ابو يعقوب ابن عمران ، تفقه بأبيه وغيره من اهل بلده ، وكان فقيهاً حافظاً سري الهمة نزهاً ، استقضي بفاس وبغيرها فحُمدت سيرته رحمه الله (230) .

1648) **يوسف بن محمد ابن المعز المكلاتي** فاسي ابو الحجاج الأحدب ، ولم يكن احدب .... واصول الفقه عن يوسف ابن نموي .... روى عنه ابراهيم ابن قسوم وابو بكر بن الجد .... التلمسيني الشهيد ، وابو عبد الله بن احمد الرندي ، وابن عيسى .... واحمد ابن هارون ، والحسن بن ابي الحسن الماقري .... بن ابي الحسن ابن القطان شيخانا ، وكان احد المهرة في علم الكلام .... متحققاً بالفنين ، مشاركاً في غيرهما من فنون العلم مشاركة حسنة ، .... النظر متفرغاً له ، لم يكن لـه قط اهل ولا ولـد ، جيد التعليم لمن علم منه الصـدق والجـد في التعلم ، وكان يتجاوز الاقتصاد في احواله الى حيز الاقتار على اتساع حاله وكثرة فوائده وغزارة ماله ، دخل الأندلس مرتين : اولاهما صحبة ركاب المنصور من بني عبد المومن عام احـد وتسعين وخمسمئة ، وفيها عرفـه المنصور ونبه عليه فقربه وادناه والزمه حضور مجلسه مع طلبة العلم واحسن اليه ، واخراهما مع ابنه الناصر عام سبعة وستمئة ، ودرس في المرتيْن وعظم صيته عند اهل الأندلس وجل قـدره ، وتنافسوا في الأخـذ عنه والازدحـام بمجلسه ، وكانت بينه وبين علي ابن القطان منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة ، وعلى ذلك فقد صدر عنه في جانب ابن القطان ما فيه اصدق دلالة على حسن دفاعه وكرم طباعه ، قرىء على علي ابن القطان يوماً في مدة العادل وهو على الحال المتقدم صفتها في رسمه حديث" من اعلام النبوءة ، فتكلم عليه علي بما حضره في مضمنه ، ثم ختم الخوض فيه بأن قال هذا من صفاء باطن النبي

---

230) الترجمة منقولة بالحرف من **الـذيـل والتكملة** 8 : 209 (قسم الغرباء ــ مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

صلى الله عليه وسلم وشف جوهره في كلام نحو هذا ، فنسب اليه القول باكتساب النبوات ، وحزب في ذلك طائفة من ثالبيه والطاعنين عليه وتألبوا وكتبوا رسمين اسرعوا في احدهما شهادة الشهود بمقالته تلك ، واستدعوا في الآخر فتاوي اهل العلم في قائل تلك المقالة واطالوا في ذلك واعرضوا ، ونسبه معظمُ الفروعيين الى البدعة وكفره ءاخرون منهم ، واجمع المتألبون عليه انه لا يتم لهم الغرض من هذا العمل الا بفتيا يوسف المكلاتي هذا ، وقالوا هو لا شك عدوه المناصب له ، وسيغتنم بهذه الواقعة الظفرَ به والنيل منه ، فتوجهوا بالرسميْن اليه والتمسوا .... واثقين منه بأنــه يوجب قتلــه أو معاقبتــه العقوبــة الشديــدة .... لــم يتوقفْ عــن تمزيقهــا واعدامهــا البتــة وانحى على الساعين .... توبيخهم وتقريعهم ونال منهم اقبح منال ، ثم قال لهم ياسيئي النظر و .... الى اجلّ شيوخكم واشهر علمائكم ، وقد علمتم صيته في الآفاق بأنه .... واستنفد طول عمره في خدمة السنة وعلوم الشريعة حتى صار من ائمتها .... في ميدان المعرفة بها ، وخوضه ابدا انما هو مع جلة حملتها وعظماء نقَلتها ، .... رضوان الله عليهم الى عصرنا هذا ، وتتعرضون اليه بمثل هذا السعي القبيح ، فما اراكم الا تفعلون غداً او بعد غد معي او مع امثالي ممن لا يعمر مجالسه ابداً الا بالنظر مع القدرية والخــوارج والشيعة والرافضة والمعتزلــة والكرامية والأباضية والأماميــة والابراهيمية وغيرهم من الفلاسفة واهل الأهواء والبدع الحائدين عن مذاهب اهل السنة ولا .... في صرف بعض اقوالهم ببعض ، اذهبوا خيب الله سعيكم ، واراح الاسلام والمسلمين منكم ، فانقلبوا خائبين ، واكبروا ذلك من فعله ، وعظم تعجبهم منه ، وعمر الناس بهذه الأحدوثة مــدة طويلة ، وسكن قلق ابن القطــان ودفــع الله عنه بفعل هذا الشيخ ما كان يتوقعه من سوء مغبة ذلك التشنيع الرديء ، وحفظت هذه الفعلة مأثرة كثيرة من يوسف هذا وكثر تناقل الناس اياها ، وشكر اهل العقل والفضل اياه عليها .

وله مقالات ومصنفات وجيزة ومتوسطة ، واجوبة عن مسائل كان يسأل (عنها) في علم الكلام واصول الفقه ، ومنها (الباب المعقول ، في علم الأصول)

واستقضاه المستنصر من بني عبد المومن على بلد نفيس ، واقـره مَن اتى بعده منهم عليه ، فاستمرت ولايته القضاء الى أن توفي بمراكش ليلة الجمعة الحادية والعشرين لذي قعدة عام ستة وعشرين وستمئة ، ولم يتخلفْ لنفسه نظيرا في ما كان ينتحله من العلوم (231)

1649) يوسف بن موسى ابن لامية الهواري

يوسف بن موسى بن ابراهيم الهواري ، مهدوي سكن مراكش ، ابو الحجاج ابن لامية وهي امـه اجتلبها الناصر من المهدية حين فتحهـا سنة .... وستمئة ، روى عن علي ابن القطان وابى عبد الله بن عبد الله الصفار ، وعبد الرحمان بن اسماعيل ابن الحداد ، وغيرهم ، روى عنه غير واحـد من طلبة العلم بمراكش ، وكان ماهراً في علوم اللسان : ادبـاً ولغة ونحواً ، درسها احياناً ، شاعراً محسناً ، كاتباً بليغا ، نبيل الأغراض في كـل ما يحاول نظماً ونثراً ، حسن الصوت بالقرءان والشعر ، يأخذ بمجامع القلوب متى تلا القرءان وانشد الشعر ، وكان اذا حضر مع الشعراء للانشاد بين يديْ ملوك عصره يرغب الى نقيب الطلبة في ارجائه الى ءاخرهم ، فاذا أنشد ءاخـراً انسى بطيب نغمته واحسان ايراده كلَّ احسان تقدم به غيره من مجيدي الشعراء ، على انـه لم يكن مقصراً عنهم ، فتكون المجالس له ابـداً ، ولـه رسالة ادرج فيها شواهدَ كتاب سيبويه على طريقة علي ابن حريق في ابيات الجمل شهدت له بالجمع بين قوة الاقتدار وجودة الانطباع وقفت عليها بخطه ، وله في ترتيب .... ونقلتُه من خطه :

....	غـرامـه قـاده كـئـيـبـــا
.... ضعيـف	صبر سقامـه زاجـر طبيبـــا
.... ظللت ذعـرا	ثنيتـه رافـعـاً لـهـيـبـــا
نافرتني فـحـمـى بـعـــادى	محمود وصـلـك ان يـؤوبـــا

---

231) الترجمة منقولة من **الذيـل والتكملة** 8 : 209 (قسم الغرباء — مخطوط الخزانة العامة بالرباط) .

قال المصنف اخل بترتيب بعض عجز هذا البيت الآخر وذلك بتقديم .... أن تكون بعد الياء وتوسيط الهمزة ، فقلت :

نافرتنـي فحمـى بعــادى   محمـود انس نفـي وجيبـا

وله في ترتيب حروف تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل بن حماد النيسابوري الجوهري وما جـرى مجراه وقد تقدم في صدر هـذا الكتاب انه الترتيب المحكم والذي وضع المتقدمون ومن وفق باتباعهم من المتأخرين عليه كتبهم وعليه رتبت كتابي هذا ، فقال ونقلته من خطه :

احبب ببـدر تـائـه ثنانـي   جمالـه حـلـيـف خـيـل دانـي
ذكـره راحـي زهـره بستانـي   شرد صبري ضامـن طـوانـي
ظبي على غـراتـه فـتـاون   قلبي كـواه لـيـتـه مـدانـي

وهذا الترتيب بين الواو والهاء والياء يتخرم في ابواب الصحاح ، لأن مصنفه جعل الواو والياء في باب واحد بعد الهاء ، ويطرد في فصول الأبـواب وفي سائر الكتب المشار اليها ، وقد تقدم مثل هذا الترتيب لأبي عمران ابن المناصف في رسمه ، ولي فيه ونظمته في بيتين ، وعذر التكلف في مثلها لا يخفى على منصف ، فقلت :

الم" بروضي تجر ثـم جنـا حيـا   خلا درى ري زكا سقيمه شربـا
صفا ضمن طل ظل عـد غـنـا   فشا قرى كيل لي من ودق سجـا

توفي يوسف بمراكش سنة تسع واربعين وستمئة (232)

1650) يوسف بن يحيى ابن الجنان المهري

يوسف بن يحيى بن الحاج علي بن عبد الواحد بن غالب المهري ، سلوي سكن قصر عبد الكريم مـدة ، ومالقة اخرى ، وسجلماسة اخـرى ،

232) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 213 (قسم الغربـاء – مخطوط الخزانـة العامة بالرباط) .

واستوطن بآخرة اغمات وريكة ، أبـو يعقوب ابن الجنـان ، روى عن شيوخ
.... شاعراً سيال القريحة في الطريقتين متوسط ....
كتبا وادومه ، اخبرني انه نسخ التقريب لابن حرب في .... يوم واحد ،
وانه دأب صدر عمره على نسخ عشرين ورقة من .... وسطور كل
صفح منها سبعة وعشرون سطرا في كل يوم ولا .... له من ذلك
ما يقضي العجب ، وكان ابداً يكتب عن الولاة ويعقد .... لعقد
الشروط ، ويكتب ازمة المجابي السلطانية ، وهو مع هذا كله ....
النسخ ، فقلّ كتاب مستعمل مشهور الا نسخة ، ولقد رايت له مما نسخ مع
اشتغاله بما ذكر ازيد من مئة مجلد في مدة ليست بالمديدة ، وكتب عن عبد ...
الكريم وابن ابي .... بن زنون ايام تأمره بمالقة ، حضرت معه يوما
قريب الزوال بمجلس عمر ابن الفقيه ابي العباس بن عثمان بن عبد الجبـار
بن داود المتوسي الملياني وهو وال بأغمات وريكة فذكر انه كان ثالث ثلاثة
كتاب لابن زنون ، هو احدهم ، وابو عبد الله .... الأستجي ،
وابو علي ابن ست الدار المذكورين في موضعيهما من هذا الكتاب ، قال وكان
لابن زنـون خاتم يطبع به كتبه لا يفارقـه من ذواتـه ، ولا تطبع به كتب الا
بحضرته ، فأمر ذات يوم بكتب واستعجل كتابه الثلاثة فيها ، وانصرف الى
منزله ، فلما فرغوا من كتبها ارادوا اعلامه بذلك ليحضر على ختمها جريـاً
على عادته ، فأرادوا مطالعته بذلك بكتب بطاقة نثراً ، فقال لهم أبو عبد الله
الاستجي انه ليقبح بنا ان نكون ادباء شعراء مع ان مخدومنا يستحسن الشعر
ويهتز لسماعه ونخاطبه في مثل هذا بالنثر ، قال فقلنا له انت كبيرنا ومقدمنا
فابدأ لنا ما نتبعك عليه ونحذو حذوك فيه ، فقال :

نُسجتْ برودُ الكتب وفق مرادكم فأتت مفـوفـة بخط بـــــارع

وكتبه في بطاقة ودفعها الى ابي علي فزاد عليه بخطه :

وجمالها طـرز لكي تزهى بــــه وطـرازهـا ياذا العُلا بالطابـــع

ودفع اليّ البطاقة فزدتُ عليها وكتبتُه بخطي :

فالختمُ للمكتوب تكرمةٌ لـــــه وكذا رويناه عن اكـرم شافـــــع

.... اوصلها اليه خرج الينا مستبشراً متبسماً .... التي
فيها الطابع محمولة بين يديه ، فدفعه الينا فطبعنا .... موضعه
على جاري العادة ، وحضر لايراد هذه الحكاية .... مجلس ابي
علي او يتردد اليه ، وله حظ من الآداب وقرض الشعر .... ابو عبد الله
ابن المعز ، وشاعره عبد الله بن يحيى بن سليمان .... التراري
الحاج المعروف بالمراكشي ، وصيفه الحاج النبيل ابو ابراهيم ....
بن عبد السلام بن عمر القزولي ، فاستظرفها ابو علي والحاضرون وأعجبوا
فخاضوا في شأنها ساعة ثم قال أبو علي : ليت شعري لو كان معهم رابع ما ذا
كان يقول ؟ وهل تمكن الزيادة على هذه الأبيات ؟ فقال الجميع إن المعنى
قد كمل .... ومنع الزيادة ، فقال من المحال عادة ان يكون معهم
رابع ولا يجري مجراهم في الاتيان بمثل ما اتوا به ، فخذوا في الزيادة عليها ،
واشار بذلك الى ابن المعز ، وابي محمد المراكشي وابي ابراهيم القزولي ،
واضاف اليهم ابـن الجنان موردَ الحكايـة ، وقـال له هبْك لست احـد
الناظمين المذكورين قبل ، ثم عطف علي وطالبني بالموافقة لهم في ذلك ، ولم
يكن راى لي قبل بيتاً واحداً ولا اشعرته بأني خضت في نظم قط ، فاستعفيته
من ذلك فلم يعفني ، وقال وما الذي يمنعك ومواد النظم كلها عندك عتيدة
فلا وجه لاستعفائك ولا بد لك من مشاركة الأصحاب فيما خاضوا فيه ، ثم
قال لا اريد ان اشغل خواطركم بالنظر في هذا عن تأنيسنا ، ولكن اعملوا على
اجتماعنا عقب العصر ، وليأتِ كـل منكم بما تيسر له ان شـاء الله ، وبعث
بالأخذ بذلك الى ابرع مَن اشتملت عليه اغمـات حينئذ واسرعهـم بديهـة
واشهرهم اجادة وتفننا ، ابي الحسن بن ابن اسماعيل واعلمه بالمواعدة
لاتيان كل واحد بما عنده اثر العصر ، ثم انصرفنا ، فلما كان بعد العصر
وافى كل منا بما سنح له ، فقال ابن الجنان :

الختـم للمكتـوب تكرمـة لـــه وكذا رويـنـاه عن اكـرم شافـــع
فابعثْ الينا طابعـاً نختمْ بـــه عملا بتحريض الرسول الشـــارع

فالمهتدون قـد اقتفـوا ءاثـــاره من صاحب صدق المقـال وتابـــع

وقال ابو عبد الله ابن المعز :

وحلاكم منها التقـى فلتشرعــوا في ....
فابعث اداة طرازها طـرز الـورى وامر بطابعها ....
واقـرب بأمـرك اذ نأيت بحجبـه عن مستحث منك ختماً ....

وقال ابو ابراهيم القزولي :

ولأنتم اولى الأنـام بأن يـــرى لسبيل خير الخلق اكـرم تابـــع
فامرْ لمَن يأتي بختمٍ عـاجـــلا لتكون مقتديـاً بقـول الشـــارع

واتى ابو محمد المراكشي ببيتيْن في الطويل بعيديْن عن المعنى ....

وقلت :

وبالاقتـداء بـه اجـلُ فضيلـــة فابعث بـه لتنالَ فضل التابـــع
والسـر ان السـر فيه مـحـجـب بالطبع عـن مستشرف ومطـالـع

فلهج ابو علي بذلك وحسن موقعه منه ، ولم يصل ابو الحسن بن اسماعيل للوعد عقب العصر ، فطال تعجبنا جميعاً من ذلك ، وانفضّ المجلس ، فلما كان قريب المغرب خرج ابو علي الى مجلسه المطل على الساقية العظمى السلطانية المشرف على الممر الأعظـم شرقي الجامـع ، فجالسته هنالك منفرديْن ، وكنت مقابل الممر ، وابو علي مقبل علي وقد استدبره بعض الاستدبار ، اذا ابو الحسن بن اسماعيل مقبل ، فأعلمت بوصوله ابا علي ، وقلت له ما اراه الا آتي بشيء ، فقصد الى جنب ابي علي من خارج المجلس ، وطرح بين يديْه بطاقة وانصرف ، فلما قرأها ابو علي بالغ في استحسانها ، وكلما كـرر النظر فيها استجادها ، ثم دفعها الي ، فاذا فيها بعد الأبيـات الثلاثة الأولى ما نصه : وقال معظم الجلال ، ومتملك الكمال ، مذيلا :

كـرمُ الكتاب ختامُه وكذاك قـــا ل مفسر" للوحي غيـر مـدافـــع
في قول بلقيس كتـاب" جـاءنـــي مليء كـريم اي بختـم صـــادع

ويحـق للمعطـي صيانـة سـره وصف التكرم في الكـلام الشائـع
حكم الشريعة باهـر انـوارهـا لذوي العقول كبـدر تَمٍّ طـالـع

وبعد ها ، وقال متملك الكمال الأوحد وصل الله سعوده :

ما ان تـزال تفيدنـا ياذا العـلا حكمـاً وءادابـاً بحكـم نـافـع
أوضحت للأدبـاء نهجَ سبيلهـم وابنت مهيع كل فضل جـامـع
.... العـلا منها تؤم الى المـدى المتشاسـع

.... الكريم الأحفل الأسنى يخص المجد الأتلد ، والكمال الأوحد ، ...... وبركاته ، ولما وقفت عليها لم ار فيها كبير مستحسن ، بل رايتها ...... من احسانه ، ومنحطة عن ما اتى به غيره ، وعجبت من افراط .... في استجادتها على براعة نقده وجودة تمييزه ، ثم هجس في خاطري .... لم يكن منه الا لما اتبع به أبو الحسن تديبلا من الأبيات الثلاثة في .... وقلت اراه حامله على استحسان ما اتى به ابو الحسن ، فصنعت تلك الليلة قصيدة في مدحـه ، واشرت الى تذييل الأبيات كان عن اشارتـه ، وزدت في التذييل ابياتاً ، ولقيته بها بعد العصر من الغد لما لم يتأت لقاؤه بها صدر النهار لخروجه الى بعض المواضع ، ولما جئت بها بعد العصر الفيت ابا محمد المراكشي قد جاء بهاذين البيتين :

وولـوع همتكـم بشرعـة أحمـد اجلا وابهر من هـلال طـالـع
فابعثْ بطابعك السعيد لتقتفـي سننَ الهداية كف هذا الطـابـع

فخلوت بالمراكشي وقلت لـه هذه مكيدة ، فقال لي هو والله كمـا حدست ، فانه لم يخف علي كون الأبيات من المديد ، ولكني لم اتهد الى ما يصلح ذيلا لها ، فصنعت ذلك حتى اسمع ما اتى به غيري فاحذو حذوه ، وتربصت فأبى عليَّ خلوتَه بدخوله الى مجلسه الخاص من مجلسه العـام ، ودفعت اليه القصيدة فلما رءاها قال لي لمن هي ؟ فقلت قفْ عليها ، فقال لي هذا خطك فمن ناظمها ؟ قلت كاتبها ، فاشتدَّ تعجبُه من فعلي اولا ثم اتياني بها ثانياً ، حتى كان من كلامه ان هذه البلاد ولادة منجبة ، وهذه القصيدة التي رفعتُ له :

حررٌ من التقريظ حـرً بـدائـع — تزهى بحسن مطالـع ومقـاطـع
واخصص بها ان شئت تشريفاً لها — قطبَ العلا سـر الكمـال البـارع
ذاك الفقيه ابـن الفقيه المعتلـي — في ذروة الحسب الصميم الناصـع
لأبي علي في المعاني رتبـة — اضحت لمجموع العلا كالجامـع
ارثـاً وكسبـاً حازهـا وبنى لهـا — بصنائـع منه مشيـد مصـانـع
فحلى ابيه الحبـر احمد لم تـكـن — الا حلى البر ....
عم الخلاف فان حمدنـا احمـدا — لم نلق غير ....
بحـر العلوم درايـةً وروايـةً — قد جال منها بالمجـال الواسـع
وبيانـه لأصولهـا وفـروعـهـا — قد اتى نبدلها وحو .... ؟
فاذا بحـار الفهـم في مستبهـم — منها جـلاه بالمقـال الصـادع
بالعلم والدين المتين حوى مـدى — ورع الى الخير الجسيم مسـارع
ورعاً حمى ورعاً حمى دين الهـدى — ووفى لـه بشعائـر وشرائـع
في الله لم تأخـذه لـومـةٌ لائـم — كلا ، ولا استهواه كيدُ مـخـادع
قـد بـاع دنيـاه بـأخـراه فـمـا — ذا حيز من ربح لهـذا البـائـع
وتزود التقـوى بضاعـة مخلـص — لله منقلب بـخـيـر بضـائـع
حياه رضوانُ الجنان كـرامـة — بمزيد رضوان وعفـو واسـع
.... — ....
.... — ....
.... — ....
ياماجـداً لعـلا حـلاه تـفـنـن — اعيى بلاغـة شـاعـر او شاجـع
فأصـالـة وجـلالـة وجـزالـة — شهدت لفضلك بالبيان الساطـع
ونفاسـة ورياسـة وزعـامـة — بهـرت منازعُهن كـل منـازع
وسيادة قـد زانهـا بتـواضـع — اكـرمْ بـه من سيد متواضـع
نـدب لأعـلام المكـارم رافـع — نـدس لأعـلام الأكـارم فـارع
تلقاه يـومَ السلم مبتهج الـرؤا — بسنا السناء كبدر تَمٌ ساطـع
وتدار للهيجـا عقـار قـراعـهـا — فتراه خير معـاقـر ومقـارع
قسم الجـزاء موافقـاً للعـدل فـي — اقسامه فأصـاب حسن مواقـع

فوليه يحظى بشهد نافع　　وعدوه يشقى بسم ناقع

....　　ولذا رداه عن سموم ممازع

.... الا الذي　　قد طاب من خلق له وطبائع

.... المحل الا ما جنى　　من جوده المتواتر المتتابع

.... ـم وفاقهم بفعاله　　كم شارح قد فات شأو الواضع

.... يمن قد حوت　　لعفاة نائلها عذاب مشارع

كفٌّ بها للجود خمسةُ ابحر　　تبدو لرأي العين خمس اصابع

يامن يقيس به سواه في الندى　　ألغيتَ في النظر اعتبارَ الجامع

هذا يجود وفي الموانع كثرة　　وسواه ضنَّ مع اتفاع المانع

شعري وفكري في امتداح خلاله　　مابين محمول له ومطاوع

لم ينثنِ المثني على عليائه　　عن حصرها الا لعذر قاطع

من ذا يعد الشهبَ او يُحصي الحصا　　فاكففْ والا بؤْ بيأس الطامع

ياسيداً حاز المعالي ناشئاً　　في المهد بين حواضن ومراضع

منك استفدنا كلَّ ما جئنا به　　لا زلت تولينا ضروب منافع

لا غرو ان بدَّتْ نهاك عقولَنا　　فالشمسُ تبهر كل نجم طالع

نفَدت اشارتك الكريمة تقتضي　　تذييلَ شعر في تطلب طابع

ابياتُه مهمى تعد ثلاثة　　كالروض جيد بصوب غيث هامع

قد دار بين ثلاثة انشاؤها　　ما منهم الا مجيد بدائع

حظروا الزيادة بعد هم اذ كملوا　　واستغرقوا المعنى بلفظ جامع

فقفوت ممتثلا على ءاثارهم　　لا بادعاً لاصابة المتخادع

قال الأديب الاستجيُّ ممهدا　　لطلابهم فأتى بنظم رائع

نسجت برود الكتب وفق مرادكم　　فأتتْ مفوفةً بخط بارع

والكاتب ابن الستِّ قال تسلقاً　　لحصول بغيتهم بنيل منازع

وجمالها طرز لكي تزهى به　　وطرازها ياذا العلى بالطابع

وفتى بني الجنان حاز الخصل في　　تضمينه معنى كلام الشارع

فالختم للمكتوب تكرمة له　　وكذا رويناه عن اكرم شافع

وتلوتهم وانا المقصر عنهم　　ولـ ....

حتى اتيت بخامس وبسادس ... وبسابع وبثامن وبتاسع

وبعاشر كملت به عقداً حكى ... عقداً تنضده اكفُ صوانع

وتلفعت خجلا بأحمر فانيٍّ ... وتلففت وجلا بأصفر فاقع

عوذت بالسبع المثاني سبعة ... منها مخافة نافس او لا ....

ورسمت هذا الذيلَ تحريضاً بما ... راموا وتفضيلا لهذا الطابع

وفي الاقتداء به اجلُ فضيلة ... فابعثْ به لتنال فضل التابع

والسر ان السر فيه محجب ... بالطبع عن مستشرف ومطالع

ويحوطه عن نقصه وزيادة ... فيه حياطة كالىء لودايع

ويصونه الأسرار ما هب وصفه ... كرم فما سرُ الكريم بذائع

هذا ومنه لصرف ناظر ناظر ... من غير اذن فيه اكبر وازع

ان الكتاب مخاطب لا كنه ... لنواظر يثني خطاب مسامع

ولذاك شُبه ناظر فيه بمَن ... يدنو لنار في الحديث الشائع

فاخترْ من الأبيات ما هو لائق ... وانبذْ سواه بالمحل الشاسع

وان اقتضى النظر الكريم بقاءها ... ذيْلا عليه فما له من دافع

واسمح وأغضِ وغضَّ طرف النقد عن ... نقد الى حرم الابار بوازع

ريعت لناصب خافض او جازم ... ان لم تمدَّ لها يمين الرافع

واسلمْ وعشْ فيما (تحب) وتشتهي ... من نيل ءامال ورب صنائع

وامر يوسف ابن الجنان بمعارضتها فقال ونقلتُها من خطه :

اصغيتُ للأمر الكريم مسامعي ... وانرتُ منه مغاربي ومطالعي

وعمرتُ منه جوانحي وتفكري ... وجعلتُه حين المنام مضاجعي

شكراً لما اوليتَني من انعُم ... طابت بهن مواردي ومشارعي

قربتني هذَّبتني اكسبتَني ... صيتاً بشعري في علا وتواضع

وجد المحل له قبول فاكتسى ... حلل المحلي ذي الرواء الشانع

لا كن عرا من دون قصدي شاغل ... ما زال عن قصدي وراي قاطع

.... من ... بسط اعتذاري قبل سمع شوافع

.... خير من بذل المنى ... ولقاصديه لديه سوق مطامع

.... سنوالهم ويحوطهم — بالرأي منه وبالحسام القاطع
.... ق السماحة والندى — اعظم به كرماً وخير مماصع
.... ه ورواقة ومساقه — اري وطر واتساق منافع
وخباؤه وبهاؤه وعلاؤه — شيم تبدت عن حلى وطبائع
ان جال في ايرادها بروية — اضحى الصواب كسهم رام ماقع
ان صادر الأطواد منه مضاؤه — سهلت مصاعب سمتها للرائع
للحلم منه مواقع مرضية — للعزم منه مضاء حد رائع
اولى من البسط الجميل محافلا — نظمت بناظم انسها وبجامع
فيها من الأدباء نخبةُ دهرهم — يروون حسن مطالع ومقاطع
حتى جرى ذكر لكتَّاب سعوا — لرئيسهم يوماً حضور الطابع
نظموا طلابهم بأبياتٍ لهم — كنجوم هقمعة او كنسر واقع
فالأستجيُ لهم بدا بمقاله — اذ كان في الآداب غير منازع
نسجت برود الكتب وفق مرادكم — فأتت مفوفة بخط بارع
ثم اقتفى عمر الشرقي نظمه — ابدى البيان بخير نظم صادع
وكمالها طرز لكي تزهى به — وطرازها ياذا العلا بالطابع
وتلا ابن جنان سني مقالهم — ونحا اقتداء بالنبي الشارع
والختم للمكتوب تكرمة له — وكذا رويناه عن اكرم شافع
فرأى الميمن ذو المكارم والندى — تذييلَها كيما تزان برابع
فأجبته عملا بآراء له — حركن مني حسن نظم ناصع
فالمهتدون قد اقتفوا ءاثاره — من صاحب صدق المقال وتابع
فابعثْ الينا طابعا نختم به — عملا بتحريض الرسول الوازع
والصحب قد وافوا بتذييلٍ به — صدعوا البيان بكل سحر ماصع
ومضت لنا ايام انس ابهجت — اوقاتها بتقاول وتراجع
وبنشر ءاداب بدت درجا .... — ....
وبجمعنا عبد الالاه القابسي — نجل المعزّ ....

بالشرق طاب ولادة ونجابة ... وروايةً ودراية ....
يبدي لنا شعراً قد احكم رصفيه ... بعروض اخترعت ....
لم يروها الأدباءُ عن شعرائهم ... فاعجبْ لأشعار بنظم ....
لا بالعروض ولا اللغات تسربلت ... لكن معانيها كسم ناقع
تبدي لنا غرر البيان مشوبة ... بمواعظ فاضت بهن مدامعي
واذا بهاجي حجنا كومينا ... يُجري الشئون بكل دمع هامع
طيباً وضحكاً لا يقاس بطيب ... الا بأخلاق الرئيس الفارع
ابكار كل فضيلة موروثة ... عن والد للعلم بحر واسع
ذاك الامام المعتزي لعلومه ... ايضاح لبس نوازل وشرائع
الزاهد الورع المسمَّى احمدا ... شمس الهدى علماً وطرس منافع
مَن كان يروي بالمكارم غلة ... قد كان يروي علم شرع نافع
ما زال صدراً في العلوم وفي الندا ... بحراً يفيض لآملٍ ولسامع
واتى لنا من بعده نجباؤه ... فاقوا الورى بمكارم ومنازع
ابقاهم الله وءاملُ جودهم ... يحبى ببر دائم متتابع
وادام يعقوبا لنا في غبطة ... يحيى بنصر للمضاهي سافع
وعداه بين مقتل ومجدل ... ومقرن بسلاسل ومجامع
وجميع اقطار الورى في حكمه ... والسعد عنه الدهر اعظم دافع

فلم يرفع بها ابو علي راساً ، واتخذ قصيدتي سميراً ونجياً ، وأنشأ يوالي مطالعتها ، ولا يسأم مراجعتها ، وكلما رجع بها بصره ، واعاد فيها نظره ، زاد بها شغفاً ، وشاد لها شرفاً ، فنفق سوقها ، وشُهر سموها على اترابها وبسوقُها ، وانتهت شهادته باستحسانها الى الشيخ الأديب الحسيب ، الشاعر ابي علي حسن بن .... ابن ابي الطاهر فنظم في معارضتها هذه القصيدة ورفعها اليه ونقلتُها من خط ناظمها :

ياخير مصغ للقريض وسامع ... واجلَّ مَن بذل النوال القانع
.... هو كواعب براقع
.... لح ما سترته من ... غدر حسان كالشموس طوالع

.... علي انهـا ... بك جنة تحوي عـذاب مشـارع

.... ما انتقيه واهلها ... فكأنها الحرمُ الأمين لجـازع

.... العدل منك مساومـا ... بين العزيـز ديانـة والضـارع

.... عين حسودكم ياذا العلى ... وبقيت من حكـم رضى متواضـع

ورع تقـيٌّ زاهـد متـورع ... شهـم كمـي للشدائـد دافـع

حبـر نقـاب عـارف متـفـنـن ... ثـوب كريـم مناقب وطبـائـع

يلقى العفـاة بمجتلـى متهلـك ... وبمابل طـم الخصاصـة قـانـع

ويريك نور البشر منه بشائـرا ... تدني من الأمـل البعيد الشاسـع

واذا تقـدم للوغى فببـأسـه ... لعداتـه فيها عـداد مـصـارع

تخشى العـداة طعانـه وقراعـه ... فبطاعن منـه تـمـال وقـارع

يابن التقى الزاهد الورع الرضـي ... والعالم المحيي رسـوم شرائـع

علم الفخـار سمي خير مشفـع ... في الخلق ذو الحسب الصميم الناصع

يهنيك ما قد حزت من اثـر ومـن ... بـاع مديد في المعارف واسـع

واليكهـا ممن تقـادم عـهـده ... بك يامنيل فوائـد ومنـافـع

تتضمن الأبيات ياعلـم الهـدى ... للكاتبين دعـابـةً في طـابـع

اذ قـال عند فراغهم من كتب مـا ... امروا به النحرير غير منـازع

نسجت برود الكتب وفق مرادكـم ... فأتت مفوفـةً بخط بـارع

وتلاه في معناه ايضـاً تابـع ... فأصخ سماعاً للمجيد التابـع

وجمالها طـرز لكي تزهـى بـه ... وطرازها ياذا العـلا بالطـابـع

واسمع مقالة ثالث نعـمت بمـا ... قد نالـه اذنُ المصيخ السامـع

فالختم للمكتـوب تكرمـة لـه ... وكذا رويناه عن أكـرم شافـع

ولرابـع ، فاسمعْه ، تذييـل ودع ... تذييلَ سادس خامس او سابـع

ايه وفيـه زيـادة ناطت بـه ... منع الزيادة رق سـر المانـع

وبـه كذلك ضـدهـا متعـذر ... صعب ....

لله در عصابـة الأدب الألـى ... سمحوا بفضلة ....

هم كالأثافي قـد تحلى طرسُهـم ... من وشي كتب ....

فكأنما صنعـاء قـد وهبتـه مـن ... وشي بها فوها بصنعة ....

طرس عليه الروض خالع لبسه ... زمن الربيع فياله من خالع
شتى ازاهره فمن يقق زهى ... بيباضه الأسنى واصفر فاقع
متضاوع النفحات لا كن بزه ... طيب الثناء الطيب المتضاوع
لله ذو ادب تذكر ما جرى ... في طابع كتب الخلائف طابع
اصغيت سمعاً للحديث وحسنه ... وبه عُنيت لذكره المتتابع
فاقطفْ سراج المجد زهر كمامها ... واطرب بشدو حمام روض ساجع
لا زلتَ ترفع للسيادة رايةً ... تقضي بطول بقاء عز الرافع
وجرى القضاءُ بما تحبُ وتشتهي ... وثوى ببرجك نورُ اسعد طالع

وهذه القصيدة وان كانت من النمط الوسط فانها اقرب للقَبول من قصيدة ابن الجنان ، وقد التمستُ تذييل تلك الثلاثة من بعض اصحابنا ، فمنهم ابو عمران التميمي الافريقي فقال ونقلتُه من خطه :

والخير كل الخير في أن تقتفي ... ما جاء عنه وحل اذن السامع

وابو عمران .... ابن الخراز فقال ونقلته من خطه :

فامننْ بتعجيل الختام لعلها ... يغدو الرسول بها بأيمن طالع

وعبد الرحمان البسطي فقال ونقلته من خطه :

وبه الحجاب لما عليه قد انطوى ... كالقفل صار على مقر ودائع

وابو زكرياء بن علي بن يحيى بن اسماعيل فقال ونقلتُه من خطه :

ولقد اصاب الحزم واضعه ليحـ ... ـفظ سره انبلْ به من واضع
سر الكتاب به يصان فلوْ عرا ... منه لأصبح كالحديث الشائع

قال المصنف عفا الله عنه : اثبتت هنا ما حضرني من هذه التذييلات ، لأن فيها امارة ، على ان بهذه البلاد من اهل هذا الفن عمارة ، وكم تقدمها من عاضد ، .... ذلك اصدق شاهد .

توفى ابو يعقوب .... يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة .... وستمئة ، ومولده بسلا (233) .

1650) يوسف بن محمد الكبير ابن ناصر

يوسف بن محمد الكبير ابن شيخ الطريقة ، وشمس الحقيقة ، سيدي محمد ابن ناصر ، قال في الروضـة المقصودة : هو الشيخ الصالح ، ومنـار الهداية اللائح ، المقتفي لأثر سلفه في حسن الاتباع ، المجانب لطرق الخلاف والابتداع ، بقيـة السلف الصالح من السلالـة الناصرية ، ونتيجة الفضل كمقدماتها السنية النبوية ، العلم الشهير ، والبحر الكبير ، يوسف ، ثم قال : نشأ سيدي يوسف المذكـور بين طهراني ءاله رضيع لبـان العفة والنجـدة والوقار ، متمسكاً بالعلم في الليل والنهار ، قائماً على ساق الجد في التعلم حفظاً وفهماً ، لم يخش من نزغات الشيطان ظلماً ولا هضماً ، حتى حصل على علم غزير ، وقدر من الدراية خطير ، ثم تصدر للمشيخة بعد وفاة اخيه موسى بن محمد الكبير ، والشيخ الامام العلامة الولي الصالح الحسين بن شرحبيل البوسعيدي رضي الله عنهما ، واشتغل بارشاد المريدين وتلقينهم الأوراد ، منفرداً بالخلافة لما عهده الأشياخ من اهل طريقتهم الغازية لأسلافه رضي الله عنهم ، فقصده الناس' للأخذ عنه والانتفاع به من كل قطر ، فظهر اثر بركته وانتشر صيته ، فأكثر النواب والوكلاء في التلقين لمن لم يصل اليه مغرباً ومشرقاً ، وكان رضي الله عنه شيخاً حسن الشيم ، اكفه تجري بالاحسان كالديم ، كثير الاطعام ، جميل الاكرام ، طويل الاعتبار ، مدير الحلم في دائرة الاقتدار ، صائماً قائماً عابداً ، قيماً بأمر الزاوية لا يهمل صادراً ولا وارداً ، ادرك عمه الشيخ الامام الولي العارف احمد بن ناصر ، واخذ عنه وانتفع به ولقنه وشهد له بالرؤية ، واخذ ايضاً عن الخليفتيْن بعده اخيه موسى والحسين بن شرحبيل رضي الله عنهما ، ولست على جزم في الثاني ، ثم رايت منقولا عن الأستاذ القدوة المتقن البليغ ، محمد بن الحاج التلمساني صاحب الولي

---

233) الترجمة منقولة من **الذيل والتكملة** 8 : 214 (قسم الغرباء ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط) ، وفي الترجمة واشعارها كلمات كثيرة مطموسة او مصحفة ، وقد تركت ما لم استطع تحريره او تكميله على حاله .

الصالح محمد التوزيني رحمه الله ، ان الشيخ سيدي يوسف رضي الله عنه لما وليَ امر الزاوية لم يلقن الأوراد حتى قدم لزيارة القطب مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فاجتاز بمدينة فاس بقصد زيارة مولانا ادريس رضي الله عنه ، فلقيَ بها شيخ الجماعة الامام العلامة محمد بن عبد السلام بناني رحمه الله ، فأطلعه على اجازات بيده لعمه الشيخ سيدي احمد بن ناصر رضي الله عنه في علوم كثيرة من الحديث وغيره ، وفيها ايضاً انه اذن له في التلقين عنه ، وان يأذن لمن يراه اهلا لذلك واراه خطه مكرراً بذلك ، فحينئذ اخذ عنه الشيخ سيدي يوسف رحمه الله بمقتضي تسلسل الاذن ولقنه واذن له في التلقين والاذن لمن يراه اهلا ، وقبل ذلك كله عنه اتمّ قبول ، وتصدى للمشيخة بالأخذ عنه والاذن لمن يرى ، قال حتى رايته يلقن تجاه الكعبة المشرفة ويولي ويعزل ، والله يتولّى توفيقه بمنه وحفظه انتهى .

وله من رسالة رضي الله عنه لفقراء العدوتين : وقد منّ الله علينا بفضله بزيارة القطب مولانا عبد السلام ابن مشيش وغيره من رجال المغرب رضي الله عنهم ، ودعونا لكم بمثل ما دعونا به لأنفسنا الخ .

وقال في الروضة ايضاً : وقد بلغني خبر وفاة الشيخ سيدي يوسف المذكور سنة سبع بتوسط الموحدة وتسعين بتقديم المثناة ومئة والف وأنا بفاس ، فصدرتْ مني ابيات في رثائه ختمتُها بتاريخ وفاته ، ونصها :

قضى الله امراً كان في لوح قدرته ... وهل امره الاّ على وفق حكمته
فصبراً لخطب ما اصبنا بمثله ... ويُحمد صبرُ المرء في وقت صدمته
وماذا عسى يغني التلهف حيث لا ... غنى لامرىء عن الوقوع بحفرته
بكينا وابكينا لفقد ابن ناصر ... ولم يغن فينا عن دم نهر عبرته
فلله ما لاقيت ساعة نعيه ... وما زلت القى ما حييتُ لفرقته
ايوسف سامي الدين يقفو محمدا ... عليه السلام والقيام لسنته
جهاراً واسراراً وفي القول تارة ... وفي الفعل اخرى بل وفي كل وجهته
الى أن تجلت شمسها فيه باطناً ... وانوارها تبدو بظاهر حكمته
ومَن ينفق الأوقات في ذكر ربه ... ويستفرغ المجهود في شكر نعمته

ومَن لعبـاد الله يرشدهـم الـــى طريق موصل الى بـاب جـنـتـه
سلكت بهم في مسلك الخير جارياً على سنن الأسلاف اهـل محبتـــه
جزيت من الرحمان جلّ جلالُـــه بأفضل ما يجزي به اهل ملتـــه
واذ غبت عنا غاب بعدك عقلُهـــم فكل يهيم اليوم في وادي حسرتـه
وسرت وتاريخي لموتك منشـــل ولا بد ان تحلّ ابوابُ رحمتـــه

انتهـى .

وكانت ولاية امر الزاوية للمترجم بعد وفاة جعفر بن موسى الناصري سنة سبع وخمسين ومئة والف ، وهـو كان تولى الزاوية بعد وفـاة والده موسى سنة 1142 ولما توفي المترجم ولي امر الزاوية بعده ولده الشيخ علي بن يوسف كما في (طلعة المشتري) واصله لولد المترجم سليمان في كتابه الذي سماه (اتحاف الخل المعاصر ، بأسانيد يوسف بن محمد ابن ناصر) ، وهو في نحو ثلاث كراريس عندي .

وقال جامع فهرسته سيدي محمد بن ابي بكر الناصري ، قال سيدي يوسف بن محمد الناصري في فهرسته : صافحنا شيخنا العارف بالله سيدي محمد بن عبد السلام بناني الفاسي رحمـه الله وامتعه برضـاه واخذنا عنه الطريقة ، كما صافحنا ايضاً العلامة الأوحد سيدي محمد بن الطيب الفاسي ايضاً الأول بداره بفاس ، والثاني بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، كلاهما قـال : صافحت الشيخ الأوحـد السيد احمد بن محمد الناصري ، وهو رضي الله عنه صافح والده سيدي محمد بن محمد بن احمد بن الحسين بن محمد بن ناصر ، واخذ عنه ، وكتب الأول له بخط يده واجازه ، وهو سيدي محمد بن عبد السلام بناني اجازة نصُّها :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

وبعد ، فان الشيخ الامام ، قدوة الأنام ، الهادي المهتدي ، المربي الرباني ذا المناقب والمئاثر ، سيدي احمد ..... عن الشيخ سيدي محمد ابن

ناصر قد اخذت عنه احاديث كثيرة واسمعني من لفظه رضي الله عنه اكثر ما .... وصافحني وشابكني ولقنني الذكر وناولني سبحته واذن لي في ذلك كله ، كما اذن له فيه شيخه والده رضي الله عنه الشيخ سيدي محمد ، وبالاذن المذكور اذنت لقيم الزاوية الأنصح الأفلح ، سيدي يوسف بن سيدي محمد اخ الشيخ سيدي احمد المذكور رضي الله عنه ، كما لقنته لمن يروم الدخول في ربقته ، ويسلك نهجه وسننه ، والله تعالى يسلك بنا سبيل هداهم ، ويميتنا على حسن الخاتمة بمنه ، وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

وكتب عبد ربه : محمد بن عبد السلام بناني ، وبأني اذنت له ايده الله ان يأذن في التلقين المذكور لمن يراه اهلا لذلك ومستحقا له ، قاله كاتبه غفر الله له مكررا شكله انتهى .

واصله في (اتحاف الخل المعاصر) المذكور ، جمعها له صهره العلامة سيدي المقداد بن الحسين المتوفى سنة تسع وثمانين ومئة والف ، وقد اوردها كلها هناك ، ونقل عن الشيخ مرتضى الزبيدي ما نصه : بيان مشايخ القطب الكامل سيدي يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر الدرعي نفعنا الله به : محمد بن عبد السلام بناني ، محمد بن الطيب بن محمد الفاسي ، موسى بن محمد بن ناصر ، المجذوب احمد بن ابراهيم بن محمد السباعي الدرعي ، محمد بن عبد الله بن احمد الوركدمتي ، احمد بن عبد العزيز الهلالي ، احمد بن مصطفى الصباغ ، محمد بن سالم الحفني ، احمد بن محمد بن عبد الله الورزازي دفين تطاون ، محمد بن محمد بن عبد الله الورزازي ، جملتهم اثنا عشر شيخاً ، فأخذ اخوه موسى وابن الطيب والبناني واحمد الورزازي واحمد السباعي والوركدمتي الخمسة عن عمه القطب احمد بن محمد بن ناصر عن ولده القطب محمد بن ناصر والصفي القشاشي وابي سالم العياشي فأخذ عنهم الا الحافظ القشاشي عن البابلي ، ويأخذ السباعي عن ابيه ، واحمد الورزازي عن عمه محمد الصغير بن عبد الله بن الحسين الورزازي دفين مصر ، واحمد الورزازي عن احمد بن مبارك الفيلالي ، ويأخذ محمد الورزازي عن المحوجب البناني وميارة الصغير والقسمطيني ومحمد ابن زكري ومحمد

بردلة ، وكتب ابو السعي محمد المرتضى الحسيني الواسطي العراقي نزيل مصر حامداً لله ومُصلياً ومسلماً ومستغفره انتهى .

ثم نقل من خط العلامة سيدي محمد المكي الناصري في بيان اسماء اشياخ المترجم الشيخ احمد الحبيب اللمطي والشيخ احمد بن عبد الله الغربي ، ومن المشارقة الشيخ احمد العماري ، والشيخ احمد الدمنهوري ، والشيخ يوسف افندي ، والشيخ علي الشعراوي والشيخ عبد الوهاب الشافعي ، والشيخ الأسكندراني رضي الله عنهم ، انتهى .

وتقدمت ترجمة سيدي احمد بن ناصر ، وسيدي احمد الحبيب ، واحمد الورزازي ، واحمد بن عبد الله الغربي ، ومحمد الصغير الورزازي ، وسيدي موسى الناصري ، وتقدم ذكر العماري والأسكندري في ترجمة سيدي محمد بن احمد الحضيكي ، وكذلك الهلالي .

وذكر سيدي محمد بن عبد السلام الناصري في رحلته انه لما اراد الحج خرج لوداعهم من الزاوية الناصرية عام 1196 عم والده الشيخ الامام سيدنا يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر ، ثم ذكر ان الشيخ علي امام مقام الحنابلة ومفتي مذهبه بحث عن المؤلف حتى اجتمع به تجاه الحجر بقرب دار الندوة ، وقد صاحب معه ضيافة تقبل الله منه ، واخبره انه كان اخذاً لعهد الناصري من عمه الشيخ يوسف بن محمد طيب الله ثراه لما حجَّ سنة احدى وستين ، ثم ذكر عند الكلام على مَن لقي بالمدينة المنورة ان المسن البركة علي بن محمد الشرواني الحنفي اخذ العهدَ الناصري من عمه الشيخ يوسف ، ثم ذكر فيها ان من اشياخه سيدي محمد بن ابراهيم المصلحي الضرير الشافعي تلميذ الشيخ الصباغ الاسكندري ، حدث ان الصباغ قال له ذاتَ يوم اقدم الينا يوم الخميس نجتمعْ بالشيخ يوسف بن محمد بن محمد ابن ناصر ، وكان ذلك سنة اثنتين وستين قفوله من الحرمين ، قال فاتفق ان جعل الشيخ يدرس بالأزهر متنَ خليل في قوله : ومن بادر اخرج له الآخر في النكاح ، ويرددها مراراً حتى سقط من ذلك مغشياً عليه ، فحمل

بداره فهلك يوم الخميس الذي وقع الوعد به ، قال فما هو الا ان بلغني النعي فذهبت نحو داره فوجدت الشيخ يوسف قد سبقني فلم يقع اجتماعي به الا على جنازة الشيخ رحمه الله ، وأوصى ان يتولى الصلاة عليه يوسف ففعل ، ثم ذكر انهم تراءت لهم سجلماسة في ضحى التاسع والعشرين من شعبان عام سبعة وتسعين ومئة والف ، فلما انشق جوف اليل الا برجل من اعراب بني محمد جاء يخبر انه قدم من بلادنا درعة وترك عمنا الشيخ يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر مريضاً مشرفاً على الهلاك ، فما اتمّ خبره حتى جاء ءاخر يخبر انه حضر في هذا اليوم بزاوية الشيخ الامام الغازي حتى جاءت بينة رسالة من الزاوية الناصرية تخبر بلقاء ربه في ءاخر الثلث الأخير من ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، انتهى .

وذكر ولده سليمان ان سفر حجة والده مبدؤه سنة اثنتين وستين ومئة والف ، وذكر نص اجازة سيدي محمد بن الطيب الفاسي للمترجم ، ومنها انه سمع منه في الروضة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام الحديثَ المسلسلَ بالأولية يوم الجمعة ثامن محرم 1163 ، وذكر الشيخ السنوسي سيدي محمد بن علي في فهرسته (المنهل الروي الرائق ، في اسانيد العلوم واصول الطرائق) ان سيدي يوسف الناصري اخذ عنه الطريقة الناصرية ابنُ اخيه سيدي محمد بن عبد السلام ، وهو اخذها عن سيدي محمد بن عبد السلام بناني ، وسيدي موسى بن محمد الناصري ، وسيدي ابراهيم ابن ادريس الحسني ، والثلاثة عن سيدي احمد بن محمد بن ناصر ، عن والده سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، وقد تلقاها من ابن عبد السلام المذكور ولده سيدي محمد ملقنها للسنوسي المذكور ، ومن اشياخ ابن عبد السلام الناصري الشيخ جسوس ايضاً انتهى .

وتقدم في ترجمة سيدي محمد ابن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بنيس ان المترجم دخل مراكش ، وممن ذكر ان المترجم اخذ عن عمه سيدي احمد ، محمد بن العباس بن ياسين في فهرسته المتقدم الترجمة ، وصاحب سلك الدرر ، راجع ترجمة محمد بن علي الشرواني اثناء حرف الميم منه ،

وراجع ءاخر فهرسة الأمير ، وممن اخذ عنه وذكره في فهرسته تلميذه المسند يحيى السوسي الجراري في (ضوء المصباح ، في الأسانيد الصحاح) وهو الشيخ الخامس عشر فيها ، وهو ءاخرهم ، وهي في نحو كراسين من القالب الكبير .

وذكر في (الروضة المقصودة) ان الشيخ التاودي كان يلقن الطريقة الناصرية عن روحانية سيدي احمد بن ناصر بواسطة محمد التوزيني ، ثم اذن له في التلقين سيدي يوسف وسيدي عبد الله الناصريان ، ويزيد في اولها لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، مئة مرة ، سبحان الله وبحمده مئة مرة ، يأتي بعد بالورد كما هو معروف.

وليكن هذا ءاخر ما اوردنا في كتابنا (الاعلام ، بمَن حلّ مراكش واغمات من الاعلام) ، مفتتحاً رجاله بعارف معروف ، وهو الامام احمد ابن العريف ، ومختتماً بعارف ، وهو الامام الأستاذ يوسف الناصري العفيف ، رجاء ان تغمره المعرفة ويكون في حوز القبول والتشريف ، وان يجعله المولى لنا ذخراً نجده (يومَ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ، فهو الجواد الرءوف ، وان يكون وافياً بالغرض الذي اليه قصدنا ، راجياً دعوة صالحة من المطلع عليه حيث قربنا عليه المقاصد ، وشحناه بالفوائد ، وسهرنا في جمعه الليالي الطوال لاقتناص الفرائد ، وقد تعبنا في جمعه كثيراً حيث طالعنا عليه كتبا كثيرة ببلاد متفرقة شرقاً وغرباً ، عجماً وعرباً ، والحمد لله اولا وءاخرا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين ، وعلى ءاله وصحبه الهادين المهتدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

ولله در الامام محمد المعروف بابن خميس المترجم في الضوء اللامع القائل في ترجمته : كتبت عنه قولـه :

تشاغل بالمولى رجـال فأصبحـت منازلهم تنمـو بمجد مـؤثــل

رجال لهم حـال مع الله صـادق فان لم تكن منهم ، بهـم فتوسـل



كلمـة خـتـام

تمّ بعون الله وحسن توفيقه طبعُ الجزء العاشر من كتاب (الاعلام ، بمَن حلَّ مراكش واغمات من الأعلام) ، فتمَّ بذلك طبعُ جميع اجـزاء الكتاب ، وتحققتْ رغبةُ الآمر بطبعه ، عالم الملوك وملك العلماء ، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، اعزَّ الله امره ، وخلّد في الصالحات ذكـره .

وخلال الاحدى عشرة سنة الماضية – من يوم صدر الي الأمر الملكي بالاهتمام بالكتاب الى يومنا هذا – واظبت على اعداده للطبع ، فأخرجته من مسودته بالرقن اولا ، ثم اعدتُ ترتيب تراجم اجزائه الخمسة الأولى التي كانت قد طبعت بفاس وتراجم اجزائه الخمسة الأخرى التي لم تكن طبعت ، وضممت شتات التراجم التي تكررت ، بذكرها مرة تحت الاسم الحقيقي ومرة تحت الكنية واخرى تحت الشهرة والنسب ، واخيراً حققت النصوص قبل ارسالها الى المطبعة ، ولمْ اغيرْ صورةَ الكتاب ولا زدت فيه ولا نقصت ، الا ترتيب التراجم ، وحذف الكنى التي تحدث ارتباكاً في ذهن القارىء وتجعله غير متأكد من الأسماء الحقيقية للمكنين بها ، فهذه لم ابق منها الا كنية مَن لم اتأكد من اسمه ، او الكنية التي فاقت شهرتُها شهرة الاسم الحقيقي حتى اصبح المكنّى بها لا يعرف الا بها .

وعندما اقول تحقيق الكتاب لا ادعي انني تتبعتُ كل ما ورد فيه من قضايا ومسائل وآراء ترجع الى العقيدة او الفقه او الآداب والعلوم ، انني لو فعلت ذلك لأصبح الكتـاب كشرح من شـروح الكتب الفقهيـة واقتضت شروحي له حواشي وتعاليق ، ولاستغرق طبعه ضعف المدة التي تمَّ فيها طبعُه ، وانما اعني بالتحقيق تحرير الكتاب من اخطائه وتقويم ما اعوجّ من عباراته ، بمقابلة نصوصه بالأصول التي نقل منها المؤلف مع الاشارة اليها في آخر كل نص او آخر كل ترجمة ، مكتفياً بشرح بعض الألفاظ والعبارات الغريبة ، عربية واعجمية ومحلية ، ولا اخفي انني تركت على حاله كلَّ ما لم اهتد الى حل رموزه ، اما لعدم الوقوف على الأصول المنقول منها ، واما لوجود طمس او اضطراب في الأصول نفسها ، كما هو الحال بالنسبة للجزء

الثامن من كتاب الذيل والتكملة الذي خصصه ابن عبد الملك للغرباء الذين وفدوا على الأندلس والذي طمست الرطوبة طرفاً مهماً مما فيه من شعر ونثر وخبر ، ومن حسن الحظ ان عدد الكتب التي لم اقف عليها او التي وقفت عليها ممزقة او مبتورة او مطموسة ـ ليس بالكثير .

وقد امكنني ـ من خلال المتابعة الرتيبة لتراجم الكتاب ـ ان اكتشف ان المؤلف ليس له من التأليف الا الاسم ، فجل ما في كتابه منقول من كتب اخرى نقلا كليا او جزئياً ، واحياناً من غير تسلسل منطقي ولا انتقاء ، وكان اشد ما يؤلمني ان المؤلف ـ او الناقل ـ لا ينسب ما ينقل الى اصحابه ، بل يتركه غفلا موهماً انه من وحي فكره وعمل قلمه ، بل انه كان يعمد احياناً الى ترجمة منقولة فيشطرها شطرين ، شطر اول يثبته كأنه من عمله ، وشطر ثاني بنسبه الى الكتاب المنقول منه او الى مؤلفه ، مع ان الشطرين كليْهما ليسا له .

كما امكنني ايضاً ان اتبين من خلال تحقيقي للكتاب ميزاته وحسناته ، اطلع ايضاً على سوءاته وسيئاته ، فالكتاب من جهة عامر بالأخبار ، مليء الفوائد ، لا يستغني عنه اي انسان يريد ان يكتب شيئاً عن المغرب لا عن راكش وحدها ، وهو ـ من جهة اخرى ـ جونة خرافات ، وعيبةُ ترهات ، وفيه ستطرادات عقيمة سقيمة تشحن النفس سأماً وتبعث على الغثيان ، المؤلف يوردها في صور مناقب وكرامات ، وما هي في الحقيقة الا غوايات ضلالات يرفضها العقل السليم كما ينكرها الاسلام الصحيح ، لا جرم ان الهالات التي احيط بها بعض مشاهير الرجال ـ اولياء وغير اولياء ـ تنتدثر وتزول عند ما يقرأ الانسان تراجم مثل تراجم محمد بن سليمان جزولي وعبد العزيز التباع ويوسف المبتلى ، وحتى ترجمة يوسف (ابي محاسن) الفاسي ، اذ المرء لا يدري أهو يقرأ اخبار (اعلام) عقلاء صالحين مصلحين او يقرأ اخبار مجانين وحشاشين ومعوقين ومصابين بالأمراض ناسلية ، ولا جدوى من ان يدافع احد" بأن اثبات تلك الخوارق يفيد في فة حالة الفكر والتفكير في المغرب في عصر من العصور ، اذ يكفي انها اثبتت كتب الفت في ازمنة غابرة ، ولا داعي لأن يثبتها عالم اشتهر عنه انه ذكي طور في كتاب يؤلفه في القرن العشرين .

ويلاحظ ايضا ان المؤلف عرف في الكتاب بأناس لم يثبت لهم (حلول) بمراكش ولا بأغمات ، بل عرف بأناس لا تثبت لهم مغربية بالمرة ، كما انه اغفل قوماً آخرين دخلوا مراكش واغمات ، ومنهم من تولى في الأولى منصباً جليلا قد يصل الى درجة الملك ، واذا كنا نعذر المؤلف في اغفال مَن لم يقف على مراجع ينقل منها اخبارهم ساعة تأليفه وجمعه للكتاب فكيف نعذره في اغفال تراجم رجال آخرين عاصرهم وخدم معهم ، كالملوك الاخوة الثلاثة : السلطان مولاي عبد العزيز ، والسلطان مولاي عبد الحفيظ ، والسلطان مولاي يوسف ، دع عنك من هم دونهم منصباً وقدراً كالوزراء والحجاب والكتاب .

وكيفما كان الأمر ، فان القاضي العباس بن ابراهيم السملالي ، مؤلف الكتاب ، يبقى له فضل" كبير على مراكش خصوصاً والمغرب عموماً ، لتعلق همته بتأليف هذا الكتاب الذي سهر لجمع شتاته الليالي وبذل في تأليف مادته الأموال ، وقد انفق مما عنده ، وما عنده ليس بالغث ولا بالمهين ، وليت قوماً آخرين ممن هم في مثل تكوينه وتفكيره فعلوا مثل الذي فعل بالنسبة لمدنهم وقراهم وقبائلهم ، فعرفوا برجالها ، وسجلوا وقائعها واخبارها ، ووصفوا معالمها وآثارها ، ودونوا فنونها وآدابها ، اذن لدفعوا عن المغرب تهمةَ اهمال الرجال التي وُصِمَ بها ، ولوفروا على الأجيال المقبلة من الباحثين كثيراً من النصب والعناء .

وختاماً استسمح القارىء فيما يجده — وهو ليس بالكثير — في اجزاء هذا الكتاب العشرة من اخطاء مطبعية ، راجياً منه اصلاحها ومؤملا ان ينبهني الى ما استعصى علي اصلاحه او تقويمه منها .

والله يهدي مَن يشاء الى صراط مستقيم .

الرباط يوم السبت { 5 صفر 1404 هـ / 11 نونبر 1983 م

عبد الوهاب بن منصور



فهرس

الجزء العاشر

من كتاب الاعلام ، بمن حلّ مراكش واغمات من الأعلام

حـــرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف السين

الصفحة

حرف الشين

حرف الهاء

الصفحة

حرف الواو

حرف الياء

الصفحة

الصفحة

الصفحة



تحت الطبع

انبعـاث امـة
الجزء الثامن والعشرون

الـوثـائـق
المجموعة السادسة

اعلام المغرب العربي
تأليف
عبد الوهاب ابن منصور
الجزء الثالث

تــازة
جغرافياً وتاريخياً وسياحياً
تأليف
الطيب العلـوي

مشروع دستور للمغرب
1326 هـ ـ 1908 م